

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم اللغة العربية

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....



آيات الانسجام النصي في القرآن الكريم عند الطاهر (بن) عاشور

قراءة في تفسير الربع الأول من القرآن الكريم

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغويات تخصص: لغويات

إشراف الأستاذ:

أ.و. عبد الناصر بن طناش

إعداد الطالب:

أحمد برماو

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.و ذهبية بورويس	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة	رئيسا
أ.و عبد الناصر بن طناش	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة	مشرفا ومقررا
أ.و زين الدين بن موسى	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة	عضوا
أ.و عبد الحميد بودعباش	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد (الصديق) بن يحيى - جيجل	عضوا
أ.و صالح خريش	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس لغرور - خنشلة	عضوا
و. رشير فلكاوي	أستاذ محاضر	المدرسة العليا للاستاذة - قسنطينة	عضوا

السنة الجامعية: 1440 1441 هـ - 2019 | 2020



# الكفران

إلى من كان معنا (لروحكم السلام والرحمة)

إلى الذين هم معنا (أدامكم الله لنا سندا)

إلى الذين سيأتون بعدنا (خذوا المشعل أبدا)

جامعة الأمير  
العلم الإسلامي

# شكر وعرفان

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [سورة إبراهيم: الآية 07]

- خالص الشكر والموودة للأستاذ المشرف أ.د: عبد الناصر بن طناش الذي أشرف على هذا العمل وحباه بلطف عنايته وتوجيهاته السديدة.
- كل الاحترام والتقدير لكل من شجعني وحفزني في إنجاز هذا البحث من أساتذة وزملاء وأهل .

الله

جامعة الأزهر الشريف  
عبد القادر العوفي  
الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين أما بعد:

شكّل النصّ القرآنيّ معينا لا ينضب للدارسين والباحثين -على اختلاف أهدافهم، ومشاربهم، وعصورهم- فجعلوا مادته مجالا للبحث والتمحيص والدراسة، وقد أفرز الاهتمام بالنصّ القرآنيّ تراثا ضخما ينبئ بإعجازه، وقد وقفت جهود المفسرين وعلماء القرآن على رأس هذه المحاولات التي انصبّت على بحث معانيه، وتفسير آياته، وبيان إعجازه، وتفصيل مجمله وتوضيح متشابهه وغيرها من مجالات البحث والتمحيص التي بلغت من النضج مبلغا عظيما.

يعدّ البحث في كفاءات بناء النصّ القرآنيّ مجالا آخر أكثر خصوبة في البيئة العربية، خاصة مع تنامي بعض الدعوات المغرّضة -خاصة من طرف بعض المستشرقين- التي تحاول النيل من نصّية القرآن، متّخذة في ذلك بعض الآراء المتطرّفة في النصّ القرآنيّ مداخل لها، فتصدى لها المفسرون والدارسون محاولين إثبات التلاحم والترابط والانسجام في النصّ القرآنيّ، متجاوزين في ذلك المطاعن التي تبناها هؤلاء المغرضون، هذا الاهتمام بما أفرزه من بحوث وآراء واجتهادات شكّل فيما بعد زخما معرفيا تقاطع مع تلك البحوث الحديثة التي انصبّت على بحث كفاءات اشتغال النصوص، وترابط أجزائها، وتماسك أبنيتها، ونقصد بهذه البحوث ما أفرزته الدراسات اللسانية الحديثة في مجال لسانيات النصّ وتحليل الخطاب من تحويل اهتمام البحث اللساني من مستوى الجملة إلى مستوى النصّ، باعتباره البنية اللغوية التي تجسد الأداء الحقيقي لمستعمل اللغة الطبيعية.

لقد كان لبلوغ البحوث اللسانية -التي صيغت في إطار الجملة- مرحلة متقدمة من التجريد، وعدم قدرتها على مواكبة مستوى النصّ، عاملا بارزا في انتقال مستوى الدراسة من الجملة إلى فضاء النصّ، وقد تبلور هذا البحث أكثر ابتداء من منتصف القرن العشرين وازدهر في ستينات وسبعينات القرن الماضي، ولا زالت بحوثه تثمر إلى يومنا هذا، حيث شكّل البحث عن كفاءات بناء النصوص واشتغالها، وآليات تحقق معيار النصّية، المدار الأساس الذي دارت في فلكه هذه البحوث، حيث تبرز الوسائل والآليات التي تتحقق بها نصّية النصوص أهم

مجالات الدرس في هذا الاتجاه اللساني، ويتجلى مبحث الانسجام النصي كأبرز هذه المعايير على الإطلاق؛ بما هو بحث في الكيفيات التي تترايط بها النصوص والخطابات في المستويات العميقة للنصوص، وتلك الآليات الدلالية والتداولية التي يمكن من خلالها الحكم على نص ما بكونه منسجما أو غير منسجم.

إن هذا البحث الذي أنتجته النظريات اللسانية الحديثة؛ من بحث في كيفيات بناء النصوص واشتغالها، وكيفيات ترابط أجزائها وانتظامها وانسجامها، هو في الحقيقة يتقاطع مع تلك الجهود التي أفرزتها مدونة التفسير وعلوم القرآن، خاصة تلك المباحث التي ركزت على كيفيات اشتغال النص القرآني، وآليات بنائه، ووسائل ترابطه وتماسكه، وآليات انسجامه، وهي الفكرة التي حدث بنا إلى محاولة الربط بين منجز النظرية اللسانية الحديثة وأبحاثها المتمثلة في لسانيات النص وتحليل الخطاب، وتحديدًا تلك الدراسات التي صبّت اهتمامها على آليات ترابط النصوص، وبين تلك الجهود التي أفرزتها مدونة التفسير وعلوم القرآن، التي ركزت على إثبات التلاحم في النص القرآني، وسعت بكل ما أوتيت من جهد إلى نفي كل أشكال التفكك في القرآن، فكان بحثنا هذا محاولة لاستجلاء الآليات التي برهن بها المفسرون على بديع نظم القرآن، وتماسك أجزائه، معتمدين في ذلك على ما توصلت إليه آخر بحوث لسانيات النص وتحليل الخطاب في هذا المجال، وقد اخترنا لأجل هذا مدونة تفسيرية تمثلت في جهود "مُجَدِّ الطاهر ابن عاشور" في تفسيره "التحرير والتنوير" فكان عنوان البحث موسوماً بـ: "آليات الانسجام النصي في القرآن الكريم عند الطاهر ابن عاشور - قراءة في تفسير الربع الأول من القرآن الكريم" حاولنا من خلاله استجلاء أهم الآليات النصية التي برهن من خلالها مُجَدِّ الطاهر ابن عاشور على انسجام النص القرآني، وانتظام آياته وموضوعاته، وهو يبدو من الأهمية بمكان، ذلك أنه يسعى إلى كشف:

✓ جانب من شخصية المفسر مُجَدِّ الطاهر ابن عاشور اللغوية، وقيمتها العلمية، وجهدها في فهم بنية النص القرآني، بتوظيف الآليات التي توافرت لديه من علوم البلاغة والنحو، والتفسير والفقه والمنطق والفلسفة وغيرها.

✓ كيفيات بناء النص القرآني، وعلاقة بنياته الداخلية بعضها ببعض، وأسرار ترتيبها، وعلاقتها بالسياق، ومن

هنا جاءت إشكالية البحث الرئيسة متمثلة في:

ما الآليات التي اعتمدها مُجَّد الطاهر ابن عاشور في استجلاء وبيان انسجام النصّ القرآني وتفسير بنائه؟ وهل يمكن لهذه الآليات أن تتَّسم بالكفاية التفسيرية التي تجعلها كافية لمقاربة كيفيات انسجام النص العربي؟ وهي إشكالية رئيسة تتفرع عنها مجموع من التساؤلات الجزئية:

- ما العلاقة بين المفاهيم وآليات الانسجام النصّي التي صيغت في إطار مدونة التفسير عموماً وعند مُجَّد الطاهر ابن عاشور بصفة خاصة، و المفاهيم والآليات التي صيغت في إطار اللسانيات الحديثة؟
- هل يمكن الاطمئنان إلى تلك المحاولات العربية الأولى في بناء نظرية عربية للانسجام النصّي؟
- كيف برّر مُجَّد الطاهر ابن عاشور الانتقال من موضوع إلى آخر في النص القرآني؟ وكيف أسهمت العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب والمناسبة في تلاحم النص القرآني؟
- كيف برر المفسّر أسرار الترتيب، وبديع الانتقالات والاستطرادات فيه؟

ومن أجل الإجابة على كل هذه التساؤلات ارتأينا تقسيم البحث إلى خمسة فصول مذيّلة بخاتمة، حيث جعلنا الفصل الأول معنوناً بـ: "لسانيات النصّ الأصول والمفاهيم" حاولنا من خلاله الوقوف عند أهم المفاهيم النظرية لللسانيات النصّية، ومعرّجين في الوقت ذاته على انتقال الدراسات اللسانية الحديثة من حدود الجملة إلى آفاق النص، ومقدّمين مبررات الانتقال الموضوعية، وتطرقتنا إلى أهم المفاهيم الأساسية لهذا الاتجاه اللساني، وعليه فقد قسمنا الفصل إلى ثلاثة مباحث أساسية، عنواناً الأول منها بـ: "كرونولوجيا الدراسات اللسانية الحديثة" تتبعنا فيه مسار الدرس اللساني من مرحلة الداليّات (البنوية) إلى مرحلة النص، مروراً بمحطات التوليدية التحويلية والتداولية، وبيناً فيه دواعي التطور في مسار الدرس اللساني الحديث، وأما المبحث الثاني فكان بعنوان: "من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص"، بيناً من خلاله الأسباب الموضوعية التي حتمت على الدارسين الانتقال في البحث اللساني



من حدود الجملة الضيقة، إلى آفاق النص الرحبة، ومبيّنين في الوقت ذاته الفروق الجوهرية بين نحو الجملة ونحو النص، وكان المبحث الثالث موسوماً بـ: " مفاهيم أساسية في لسانيات النص " وقفنا فيه عند أهم المفاهيم التي تبلورت في إطار لسانيات النص، وعلى رأسها مفهوم النصّ، الذي بيّنا دلالاته ومفهومه في الدرس اللساني الحديث، وبحثنا عن مفهومه في التراث العربي، ونفس الأمر مع مفهوم الخطاب ، ثم بعدها تناولنا مفهوم النصّية باعتبارها كل ما يجعل من بنية لغوية ما نصّاً، فوقفنا عند معاييرها السبعة كما صاغها "روبرت دي بوجراندي" ( R. de beaugrande) وهي رعاية الموقف والتناسق والاتساق القصديّة والمقبولية والإعلامية، ووقفنا مطوّلاً عند معيار الانسجام باعتباره المفهوم المحوري الذي بُني عليه هذا البحث، وهو ما فتح المجال أمامنا واسعا إلى بحث أشكال وآليات الانسجام في اللسانيات الحديثة وفي التراث العربي التي تطرقنا لها في الفصلين الثاني والثالث.

وبالعودة إلى الفصل الثاني فقد خصصناه لمفاهيم الانسجام وآلياته في اللسانيات الحديثة فكان معنونا بـ: " الانسجام النصّي في الدراسات اللسانية الحديثة " حاولنا من خلاله الوقوف عند مفهوم الانسجام في مختلف اتجاهات اللسانيات الحديثة التي ركزت مجال اهتمامها على النص، فوقفنا بداية عند اللسانيات الوصفية ، ثم لسانيات الخطاب، وأخيرا تحليل الخطاب، وبهذا يكون الفصل مقسّماً إلى ثلاثة مباحث، عنواناً الأول منها بـ: " الانسجام النصّي من المنظور الوصفي " حاولنا من خلاله تتبع مفهوم وآليات الانسجام النصّي كما تبلورت عند رواد هذا الاتجاه، وقد قصرنا تتبعنا في هذا المقام على مؤلف الدارسين: هاليداي ورقية حسن ( M. Halliday. R. Hasan الموسوم بـ: (الاتساق في الإنجليزية)، وأما المبحث الثاني فكان بعنوان: " الانسجام النصّي من منظور لسانيات الخطاب " وقفنا فيه عند جهود فان دايك (Van Dijk) في مؤلفاته ودراساته المختلفة على غرار " النص بنى ووظائف، علم النص " وغيرها من البحوث، ووقفنا فيه عند أهم الآليات الدلالية والتداولية التي صاغها هذا الأخير لبلورة مفهوم ودعائم الانسجام النصّي على غرار مفهوم الترابط، أفعال الكلام، موضوع الخطاب أو البنيات الكبرى وغيرها، أما المبحث الثالث فقد كان بعنوان: " الانسجام النصّي من منظور تحليل الخطاب "، وقد ركزنا فيه على مؤلف كل من ج. ب. براون وج. ب. يول (G. Brown. G. Yule) الموسوم بـ: "

تحليل الخطاب" فوقفنا فيه عند أهم المبادئ والعمليات التي يقوم عليها تصوّرها للانسجام النصّي على غرار السياق، مبدأ التشابه، التغريض، المدونات ، الأطر وغيرها.

وأما الفصل الثالث فكان بعنوان: " الانسجام النصّي في الدراسات العربية" وقد قسمناه هو الآخر إلى مبحثين أساسيين حاولنا من خلالهما تتبع أهم المقاربات التراثية التي حاولت إيجاد آليات ترابط النصوص، وذلك في ثلاث مدونات أساسية هي مدونة البلاغة والنقد، ومدونة التفسير وعلوم القرآن، ، وعليه كان عنوان المبحث الأول هو: " الانسجام النصّي عند البلاغيين والنقاد" حاولنا من خلاله إيجاد بعض المحاولات العربية التي صيغت في إطار الجهود البلاغية والنقدية، من أجل تحديد الكيفيات التي تترايط بها النصوص، وقد توقفنا عند مبحث الفصل والوصل باعتباره مبحثا أوليا في التراث البلاغي قارب من خلاله البلاغيون كيفيات ترابط الجمل، كما عرجنا على بعض مفاهيم البيان والبديع التي لها صلة بهذا البحث على غرار مبحث التمثيل، وبعض المحسنات البديعية الأخرى، إضافة إلى بعض المفاهيم النقدية على غرار: التحام الأجزاء عند الجاحظ (ت 255هـ) والتماسك عند حازم القرطاجني (ت 684هـ)، وأما المبحث الثاني فكان بعنوان: " الانسجام النصّي عند المفسرين وعلماء القرآن"، وقد حاولنا فيه استجلاء الممارسات العربية التي تتقاطع مع آليات الانسجام الحديثة فوقفنا عند علم المناسبة، باعتباره بحثا مبكرا في أشكال الصلة الدلالية بين الآيات القرآنية، وبيّنا أنواعه وأشكاله وموقف الدارسين والعلماء منه، وكيف يساهم في لحم أجزاء النص، وتناولنا أيضا مبحث السياق عند المفسرين وعلماء القرآن؛ خاصة أسباب النزول، والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ، وغيرها من المباحث الأولية التي تعبر عن وعي المفسرين بربط البنية النصّية للقرآن بسياقاتها التاريخية والجغرافية، ثم تناولنا بعدها مجموع العلاقات الدلالية التي اعتنى بها المفسرون في النص القرآني، بهدف نفي التفكك عن أجزائه؛ على غرار الإجمال والتفصيل، البيان والتفسير، وغيرها، ثم عرجنا أخيرا على مفهوم وآليات الانسجام النصّي عند مُجّد الطاهر ابن عاشور باعتبار انتماء جهوده إلى هذه المدونة - أي مدونة التفسير وعلوم القرآن-.

وكان الفصل الرابع فصلا تطبيقيا خالصا عنوانه ب: " المناسبة ودورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر ابن عاشور " حاولنا فيه الوقوف عند أهم وسيلة برز بها ابن عاشور الانسجام النصي في القرآن الكريم، وقد تناولنا فيه أنواعا متعددة من المناسبة؛ كالمناسبة النصية والمعجمية، والصرفية، والتركيبية وعليه فقد قسمناه إلى أربعة مباحث، كان الأول منها بعنوان: " المناسبة النصية " تناولنا فيه أسرار ترتيب الآيات القرآنية وأشكال العلاقات بينها، وعلاقة أسماء السور بمضامينها ومحتوياتها، وعلاقة فواتح السور بخواتمها، وغيرها من أشكال المناسبة النصية، مبرزين في الوقت ذاته كيف يسهم هذا التحديد في تقديم تصوّر واضح عن آفاق الترابط في القرآن، ومبينين في الوقت ذاته جهد المفسّر في إظهار إعجاز القرآن في ترتيبه، أما المبحث الثاني فكان بعنوان: " المناسبة المعجمية " بحثنا فيه أشكال اهتمام محمد الطاهر ابن عاشور بأشكال التلاؤم والمناسبة بين الاختيارات المعجمية في النص القرآني، وبين سياقات ورودها، فوقفنا عند مناسبة اختيار الأسماء، والأفعال، والحروف ، وكان المبحث الثالث بعنوان: " المناسبة الصرفية " بحثنا فيه جهد ابن عاشور في ربط الاختيارات الصرفية بسياقاتها المختلفة، خاصة التعريف والتنكير، والتثنية والإفراد والجمع، واختيار أزمانه الفعل في النسيج النصي للقرآن، وأما المبحث الرابع فقد كان بعنوان: " المناسبة التركيبية " سلطنا فيه الضوء على جهد محمد الطاهر ابن عاشور في بحث أشكال التلاؤم بين الاختيارات التركيبية في القرآن وبين سياقاتها التي وردت فيها، مبيّنين في الوقت ذاته التلاؤم الحاصل بين الاختيار التركيبي، وبين السياق الذي ورد فيه، وعليه فقد وقفنا عند مبحث التقديم والتأخير ومبحث الحذف باعتبارهما مبحثين أساسيين يمكنهما تقديم صورة واضحة عن المناسبة في الاختيارات التركيبية.

أما الفصل الخامس فقد كان تطبيقيا هو الآخر وقد عنوانه ب: " دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر ابن عاشور " حاولنا من خلاله إبراز دور العلاقات الدلالية بين الآيات القرآنية غير المتتابعة خاصة، في تحقيق الانسجام النصي وكذا دور تحديد موضوعات السورة القرآنية في بناء تصور عن بنيتها، وبالتالي انتظام أجزائها وتلاحمها، وعليه فقد قسمنا الفصل إلى مبحثين رئيسيين كان الأول منهما معنونا ب: " العلاقات الدلالية " توقفنا فيه عند أهم العلاقات الدلالية التي برهن بها ابن عاشور الالتحام الدلالي بين

الآيات القرآنية خاصة في تلك المواضع التي قد يغيب فيها الرابط الشكلي والعلاقة السطحية الظاهرة، وقد وقفنا عند علاقة البيان والتفسير والإجمال والتفصيل، والتضاد والتعليل وغيرها، أما المبحث الثاني فكان بعنوان "موضوع الخطاب" وقد تناولنا فيه موضوعات السور القرآنية وكيف يؤدي تحديدها في صنع انسجام النص القرآني، كما تناولنا الآليات التي اكتشفها ابن عاشور في الربط بين موضوعات السورة القرآنية وتيسر الانتقال من غرض إلى غرض، كحسن التخلص، ورد العجز على الصدر وغيرها، على أننا قد وقفنا عند نموذجين تطبيقيين فقط هما سورة البقرة وسورة آل عمران.

وقد ذيلنا عملنا هذا بخاتمة أجملنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها، وقدمنا بعض الآفاق التي يطرحها البحث في جهود مُجدِّ الطاهر ابن عاشور.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على منهجين رئيسيين هما: **المنهج الوصفي** بما يتيح من آليات الملاحظة والتحليل والتدقيق خاصة في بحثنا عن آليات الانسجام في مدونة التحرير والتنوير، إضافة إلى **المنهج المقارن**: بما يتيح من آليات يتم بها مقابلة المفاهيم، كما اعتمدنا بعض آليات المنهج التاريخي خاصة في تتبعنا لتطور المفاهيم، وتطور النظريات اللسانية.

إن اختيارنا لهذا الموضوع القائم على محاولة إجراء مقابلة بين مفاهيم الانسجام النصي في اللسانيات النصية الحديثة، وبين الإجراءات التطبيقية التي مارس من خلالها مُجدِّ الطاهر ابن عاشور مفهوم الانسجام، يمكن رده إلى عوامل متعددة منها:

- الرغبة في البحث والتنقيب في تراثنا العربي عن المفاهيم الحديثة التي تبلورت في إطار اللسانيات الحديثة.
- الرغبة في التعمق أكثر في جهود مُجدِّ الطاهر ابن عاشور، وخاصة من خلال تلك الومضات اللغوية والبلاغية التي ميزت تفسيره التحرير والتنوير.

● ميلنا الكبير إلى إجراء التقابل والمقارنة بين المفاهيم والنظريات التي صيغت في إطار التراث العربي ومقابلتها بنظيراتها في اللسانيات الحديثة، وقد مرّ بنا شيء من هذا في مرحلة الماجستير حين تناولنا موضوع: "الملكة اللسانية بين التراث العربي والنظريات اللسانية الحديثة".

ولا ندعي أننا أول من تطرق إلى هذا الموضوع، بل قد سبقنا إليه عدد كبير من الدارسين والباحثين حاولوا الربط بين مدونة التفسير وبين المفاهيم اللسانية الحديثة، وخاصة تلك التي صيغت في إطار اللسانيات النصية ويمكن أن نذكر بعضها:

✓ دراسة عبد الوهاب يحيى المؤيد المعنونة بـ: "انسجام النصّ القرآني - دراسة نصّية من خلال تفسير

ابن عاشور التونسي" وهي في الحقيقة أطروحة دكتوراه تقدّم بها صاحبها إلى جامعة الخرطوم، حاول

من خلالها مقارنة الانسجام النصّي عند ابن عاشور إلا أننا لاحظنا انه اعتمد اعتمادا غالبا على

التراث العربي في صياغة مفهوم الانسجام، ولم يفرق في عمله بين أدوات الاتساق وآليات الانسجام.

✓ دراسة عبد الرحمن بودرع المعنونة بـ: "انسجام النصّ القرآني وقماسك بنائه" حاول من خلالها الباحث

مقارنة الانسجام النصّي في النصّ القرآني وقد استعان كثيرا بالمباحث البلاغية والنحوية في ذلك، على

غرار: مفهوم النظم، وحسن النسق، واثتلاف اللفظ مع المعنى، اللف والنشر وغيرها.

✓ دراسة الباحث رشيد بركان عنونة بـ: "آليات ترابط النصّ القرآني" وقد حاول تقديم مقارنة تراثية

عربية حول كفاءات اتساق وانسجام النصّ القرآني من خلال نماذج مختارة من دراسات المفسرين

قديمهم ومحدثهم.

✓ دراسة الباحثة فخرية غريب قادر المعنونة بـ: الانسجام في الخطاب القرآني حاولت من خلالها مقارنة

البنيات النصّية في بعض السور القرآنية.

والنماذج كثيرة للدراسات التي حاولت استجلاء آليات الانسجام والاتساق في النص القرآني، إلا أن بحثنا هذا نحسب أنّ به شيئاً من الاختلاف عن هذه الدراسات، ومكمن الاختلاف يتمثل في عملية الربط بين المفاهيم التي صيغت في إطار لسانيات النصّ، وبين تلك التي جاء بها مُجّد الطاهر ابن عاشور وغيره.

أما أهم المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث فيمكن أن نذكر تفسير مُجّد الطاهر ابن عاشور الموسوم بـ: "التحرير والتنوير" وقد كان مدوّنتنا الأساسية التي حاولنا من خلالها استجلاء آليات الانسجام النصّي في القرآن الكريم كما تصورها المفسّر، إضافة إلى مصادر ومراجع أخرى يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: يمثل المصادر والمراجع التي اعتمدها في تتبع مفهوم الانسجام النصّي في اللسانيات الحديثة، ويأتي على رأسها مؤلفات فان دايك (Van Dijk) على غرار: "علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات"، و "النص والسياق"، و "النص بنى ووظائف" و "نظرية الأدب في القرن العشرين"، بالإضافة إلى أعمال كل من براون ويول (G.Brown. G. Yule) وعلى رأسها مؤلفهما "تحليل الخطاب"، ويضاف إلى كل هذا بعض الدراسات العربية التي ساهمت في تقريب هذا الاتجاه اللساني للقارئ العربي على غرار مؤلفات الباحث: سعيد حسن بحيري (علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات)، والباحث سعد مصلوح (نحو آجرومية للنص الشعري)، صلاح فضل (بلاغة الخطاب وعلم النص)، مُجّد الأخضر الصبيحي (مدخل علم النص ومجالات تطبيقه) وغيرها من الدراسات والأبحاث العربية.

- أما القسم الثاني منها فيتمثل في تلك المصادر والمراجع التي اعتمدها في تقصي مفهوم وآليات الانسجام النصّي في التراث العربي ويأتي على رأسها مصنفات علوم القرآن والتفسير على غرار مصنف بدر الدين الزركشي (ت 794هـ) الموسوم بـ: (البرهان في علوم القرآن)، ومصنّف برهان الدين البقاعي (ت 885هـ) الموسوم بـ: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ومصنّف جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) الموسوم بـ: (الإتقان في علوم القرآن)، إضافة إل مجموع التفاسير على غرار تفسير الرازي

(ت606هـ) الموسوم بـ: (مفاتيح الغيب)، وتفسير الزمخشري (ت538هـ) الموسوم بـ: (الكشاف) وغيرها، ويضاف إلى هذا مصنفات البلاغة والنقد والنحو على غرار (البيان والتبيين) للجاحظ(ت255هـ) ومصنفات عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) (أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز) ومصنف السكاكي(ت626هـ) (مفاتيح العلوم)، و(منهاج البلغاء وسراج الأدباء) للقرطبي(ت684هـ) وغيرها.

• أما القسم الثالث من المراجع فيتمثل في تلك المراجع التي حاولت الربط بين المفاهيم اللسانية الحديثة وبين المفاهيم التي صيغت في ثقافتنا العربية وخاصة في مدونة التفسير وعلوم القرآن ويأتي على رأسها دراسة مُجّد خطابي الموسومة بـ: (لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب)، ودراسة الباحث مُجّد عيد الموسومة بـ: (النص والخطاب قراءة في علوم القرآن) ، ودراسة الباحث مُجّد الحيرش الموسومة بـ: (النص وآليات الفهم في علوم القرآن)، وبحث نوال لُخلف الموسوم بـ: (الانسجام في القرآن الكريم سورة النور أمودجا).

وقد واجهتنا جملة من الصعوبات أثناء إنجازنا لهذا البحث تمثلت أساسا في تشعب الموضوع، وضخامة المدونة التي اشتغلنا عليها، وصعوبة تحديد كل المفاهيم التي صيغت في تراثنا العربي والتي تقاطعت مع مفهوم الانسجام النصّي، إضافة إلى خطورة التعامل مع النص القرآني مخافة الوقوع في مطبّات تحميل النصوص ما لا تحتل ، إلا أننا نحسب أنفسنا قد تجاوزنا معظم هذه الصعاب.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان للأستاذ المشرف: أ. د عبد الناصر بن طناش الذي رعى هذا البحث، وقومه وقيمه بتوجيهاته الصائبة السديدة، فله مني جزيل الشكر والامتنان على صبره، وسعة صدره ، وبعد أفق نظره، كما أتقدم بخالص شكري وعرفاني وامتثاني للأستاذة ذهبية بورويس التي وافقت على تسجيل هذا الموضوع وأشرفت عليه لسنة كاملة، وقد لمست فيها حرصا كبيرا على تسجيله، وإتمامه في آجاله المحددة، وأتقدم أيضا بشكري الكبير للأستاذ عبد الحميد بوكعباش الذي أنار لي كثيرا من زوايا البحث

## مقدمة

المظلّمة، وكذلك كل أعضاء لجنة المناقشة، ممتنا لهم بخالص شكري وعرفاني على قبولهم قراءة هذا العمل وتصويبه، ولا يفوتني أن أشكر كل من رافق هذا البحث بالتوجيه التصويب من أساتذتي من جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، والمدرسة العليا للأساتذة قسنطينة، وأساتذتي وزملائي من جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل.

والله الموفق.

جامعة الأمير عبد القادر للقانون والعلوم الإسلامية



# الفصل الأول:

## لسانيات النص الأصون والمفاهيم

المبحث الأول: ترونولوجيا الدراسات اللسانية الحديثة.

المبحث الثاني: من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص.

المبحث الثالث: مفاهيم أساسية في لسانيات النص.

الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

إن بحث عوامل تحقيق الانسجام في النص القرآني الذي يروم هذا البحث الوصول إليها، يوجب علينا بداية الإلمام بالنظرية النصية التي يعد الانسجام من بين أحد مفاهيمها الأساسية، هذه النظرية بما قدمته من مفاهيمه وتقدمه قد ساهمت في قراءة فعلية للنص بصفة عامة، والنص الديني القرآني بصفة خاصة، لكن هذا الاهتمام بصلب النظرية النصية لن ينسئنا بداياتها والتراكمات التي قامت عليها بدءاً بالمحاولات الأولى في تأسيس الدرس اللساني، وصولاً إلى مرحلة التحول ممثلة في الاهتمام بالنص بدل الجملة، وعليه فإنه من الضروري العودة إلى بدايات الدرس اللساني الحديث وتطوراتهِ.

1- المبحث الأول: كرونولوجيا الدراسات اللسانية الحديثة:

شكلت بدايات القرن العشرين قطيعة حقيقية بين نوعين من أنواع الدراسة اللغوية؛ الدراسة الآنية والدراسة التاريخية، وبعبارة أخرى فإن ظهور مؤلف دي سوسير (F. De saussure) كان إيذاناً بظهور نظريات لسانية، ومناهج لغوية جديدة حملت في طياتها أفكاراً ثورية على ما أصبح يعرف بالمنهج التاريخي في دراسة اللغة.

وإذا كان المنهج التاريخي هو المنهج الذي يقوم أساساً على التتبع الزمني للظاهرة اللغوية وتطوراتها منذ نشأتها وحتى الوقت الحاضر لمعرفة أسبابها وتغيراتها، فإن المنهج اللساني الآني كما جسده دي سوسير (F. De saussure) يقوم على الدراسة السكونية الآنية للظاهرة اللغوية، فكل لغة لها ميزاتها وسماتها التي تجعلها تختلف من زمان إلى آخر وكل فترة لها سماتها وخصائصها اللغوية.

إننا لا نعد مجانبين للصواب إذا قلنا إن كتاب دي سوسير (F. De saussure) "محاضرات في اللسانيات العامة" قد شكّل الأساس المتين الذي قامت عليه مختلف النظريات اللسانية فيما بعد وإلى يومنا هذا، وذلك لجملة المبادئ التي حملها في طياته، وعلى رأسها التزام المنهج العلمي الصّارم في دراسة اللغة، والابتعاد عن كل الملبسات التي ليست لها علاقة بالظاهرة اللغوية، ولا تشكل جزءاً حقيقياً منها. وهو ما أسس لاتجاه لساني قائم بذاته أصبح يعرف فيما بعد "بالمدرسة البنيوية".

إن الثورة التي أشعلها دي سوسير (F. De saussure)، ووضع حجرها الأساس سرعان ما تهاقت نجمها وانطفأ لهيبها، وذلك منذ منتصف القرن العشرين، بعد أن وصلت تطبيقات هذه المدرسة إلى مستوى متقدم من التجريد؛ إذ لم تعد قادرة على الاستجابة للواقع اللغوي، وللتطورات الحاصلة في مستويات عدّة، خاصة بعد أن أصبحت اللسانيات كعلم موضوعه اللغة يلج في صميم تركيب علوم أخرى، وتتفرع منه علوم وتطبيقات مختلفة، مما دعا إلى تحديث بعض المفاهيم وتوسيع بعضها وتجاوز بعضها الآخر لعدم اتسامها بالكفاءة التطبيقية، ويؤرخ لهذا زمنياً بظهور كتاب تشومسكي (N. Chomsky) "البنى التركيبية" 1957م؛ إذ أسس ما يعرف بالنظرية التوليدية التحويلية في اللغة، حيث يحسب له ولتلاميذه وأتباعه فيما بعد إدخالهم عنصر الدلالة الذي كان مغيباً في

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

النماذج التي أنتجها البنيويون، بالإضافة إلى انطلاقتهم من مفاهيم نفسية عقلية في فهم اللغة، واعتمادهم مبدأ التفسير والتعليل الذي كان مغيبا أيضا في النماذج اللغوية البنيوية.

وعلى الرغم من أن النماذج التي أنتجتها الدراسة التوليدية التحويلية كانت ذات أهمية كبرى في مسار اللسانيات الحديثة، حتى إنها شكلت قلب الدراسات اللسانية في القرن العشرين، إلا أنها لم تخرج عن صورتها التجريدية الصورية التي عرفت لها اللسانيات البنيوية من قبل؛ إذ بقيت الدراسات اللغوية متمركزة حول الجوانب التجريدية في الظاهرة اللغوية، وهذا التجريد الذي بلغته اللسانيات أدى إلى ظهور ثورة أخرى ركزت على الجوانب الحية في الظاهرة اللغوية، ونعني بهذه الثورة "النظرية التداولية" التي تزعمها "هيمس" (D. Hymes) رفقة علماء الاجتماع وفلاسفة اللغة، والتي ركزت على الجوانب الوظيفية في اللغة.

وإذا كانت كل النظريات السابقة التي ذكرناها تتخذ لنفسها الجملة كوحدة أساسية للدراسة لا تتعدها باعتبارها الوحدة التي يمكن أن تتجلى فيها مختلف الظواهر اللغوية، فإن تيارا آخر تشكل -ولا يزال يتشكل الآن- يجعل من النص موضوعا رئيسا للدراسة باعتباره الوحدة اللغوية الأساسية التي يمكن أن تتجلى فيها مستويات اللغة، وبهذا تنتزع اللسانيات النصية حقل الدراسة اللغوية من الجملة التي سيطرت عليه لقرون عدة، إلى حقل النص حيث تزعم هذا الاتجاه مجموعة من علماء اللغة النصيين أمثال هاريس (Z. Harris) فان ديك (Van. Dijk) دي بوجراندي (R. de beaugrande)، وعليه -ومن خلال هذه النظرة الموجزة لتاريخ اللسانيات الحديثة- يمكن أن نحصر ثورتها الكبرى في أربع ثورات هي:<sup>1</sup>

### 1-1 - ثورة الداليات:

وهي ثورة دي سوسير (F. De saussure)، أو الاتجاه الذي أصبح يعرف فيما بعد "بالبنيوية"، وهي مدرسة صورية تصنيفية تقتصر غالبا على "جمع المعطيات اللغوية وتصنيفها في مختلف المستويات (أصوات، صرف،

<sup>1</sup> هذا التقسيم مستوحى من: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص28، وكتاب: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009م، ص152.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

تركيب)<sup>1</sup>، أي أنها اهتمت بدوال العلامات اللغوية وعمدت إلى تحليلها وتفتيتها إلى عناصرها ومكوناتها الرئيسية، وذلك سعياً منها لإيجاد مختلف العلاقات التي تؤلفها وتشكل منها انطلاقاً من مفهوم البنية الذي يشير إلى ذلك الكل المتكامل الذي تربط بين عناصره مجموعة من العلاقات يسعى الباحث والمحلل إلى الكشف عنها والاكتفاء بها دون غيرها من العناصر خارج البنية.

وقد استقطبت المدرسة البنيوية إليها عدداً من علماء اللغة، وتشكلت على ضوء محاضرات دي سوسير (F. De saussure) عديد المدارس التي كانت تنهل من محاضراته على غرار "حلقة براغ"، و"مدرسة كوبنهاجن"... في أوروبا، كما ظهرت في أمريكا مدرسة أخرى تحمل نفس الهمم المنهجية في دراسة اللغة تزعمه بلومفيلد (Bloomfield) أو ما أصبح يعرف "بالمدرسة التوزيعية" أو "الوصفية الأمريكية".

إن ما يؤلف بين هذه الاتجاهات المختلفة سواء في أوروبا أو في أمريكا، هو منهجها الوصفي وتحليلها العلمي الصارم الذي انتهجته، وذلك سعياً منها لمواكبة المنهج العلمي الذي قطع أشواطاً كبيرة، وحقق نتائج باهرة في ميادين معرفية أخرى غير اللغة. وإن انطلاقهم من هذا المبدأ العلمي الصارم هو الذي أدى بهم إلى إلغاء كل ما لا يمكن ملاحظته، وبالتالي دراسته دراسة علمية خالصة بتطبيق خطوات المنهج العلمي، فأهملوا مستوى الدلالة من اللغة لأنه عنصر غير ملاحظ ولا يمكن دراسته دراسة علمية، وهو ما شكل مقتل الدراسة البنيوية فيما بعد.

### 1-2- ثورة الدلائيات:

وهي ثورة تشومسكي ونظريته التوليدية التحويلية والتي سيطرت هي الأخرى على حقل الدراسات اللغوية لسنوات خاصة في أواخر الخمسينات وأواسط ستينات القرن الماضي، فإذا كان منهج البنيويين الصوريين يقوم على مبدأ التحليل ودراسة اللغة دراسة علمية تنأى بها عن كل ما ليس له علاقة بالظاهرة اللغوية، فإن المدرسة التوليدية التحويلية حاولت "تجاوز وصف الظواهر اللغوية إلى تفسيرها"<sup>2</sup>، وهي نظرية تتميز بمنهجها العقلي؛ إذ إنه منهج

<sup>1</sup> أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، الرباط، منشورات عكاظ، دط، 1989م، ص 10.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 10.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

يقوم على تعليل وتفسير ما أصبح يعرف "بالمملكة اللغوية" عند المتكلم/السامع وهي قدرة فطرية كامنة تمكن من إنتاج وفهم ما لا نهاية من الجمل الصحيحة.

وإذا كان نموذج تشومسكي (N. Chomsky) الأول 1957م صوريا بنيوبا لأنه أبعد عنصر الدلالة، فإن نماذج النظرية اللاحقة وتحديد النماذج التي اقترحها أتباع تشومسكي أمثال كاتز (KATZ)، وفودور (FODOR)، لايكوف (LAKOFF)، فيلمور (FILMORE)،.. قد تداركت النموذج الأول وأدخلت عنصر الدلالة كمكون أساسي ضمن البنية العميقة، أي اهتمت بعنصر الدلالة أو "مدلول العلامة اللغوية أو ما أسموه بالبنية الدلالية (كلمة كانت أم جملة...)"، حيث شرحوها وفتتوها إلى عناصر وذرات سيمية لا تقبل التجزئة مكتشفين وظائفها وعلاقتها المنظمة لها في محاولة علمية جادة لتقنينها تقنيا رياضيا دقيقا بعد أن كانت مستعصية على التقنين في المرحلة السابقة<sup>1</sup>.

### 1-3- ثورة التداوليات:

وهي الثورة الثالثة ضمن ثورات اللسانيات الحديثة والتي تزعمها هيمس (D. Hymes). وتتبع الإشارة قبل هذا إلى أن مؤرخي اللسانيات قد حاولوا وضع أطر ومعايير لتصنيف مختلف النظريات اللسانية الموجودة على الساحة ابتداءً من ثورة دي سوسير (F. De saussure)، حيث حاول بعضهم تقسيم هذه النظريات إلى نوعين : مدارس تصنيفية، ومدارس أخرى تتجاوز التصنيف إلى التنظير، لكن هذا التصنيف قد ينطبق على المدرستين السابقتين " البنيوية والتوليدية التحويلية" ، إلا أن كثرة النماذج التي أفرزتها النظرية التوليدية التحويلية نفسها أو النماذج التي قامت كثرورة على هذه المدرسة قد وضعت هذا التصنيف في أزمة منهجية حقيقية، مما استدعى إيجاد تصنيف آخر يمكن أن يجمع كل هذه النماذج والنظريات، ومن بين المعايير والنماذج التي اعتمدت لاحقا في

<sup>1</sup> يحي بعبطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة في اللسانيات الوظيفية الحديثة، جامعة منتوري ،قسنطينة، 2006/2005، ص53.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

التصنيف معيار "الوظيفية"، فنتج عنه تقسيم النظريات اللسانية إلى " نظريات وظيفية وأخرى صورية شكلية"، وعليه فإننا بهذا التقسيم يمكن أن نميز في تاريخ اللسانيات الحديثة بين نوعين من النظريات:

1- نظريات لسانية تسعى إلى تفسير الخصائص الصورية للغات الطبيعية بربط هذه الخصائص ووظيفة اللسان الطبيعي التواصلية.

2- نظريات لسانية تجعل من مبادئها المنهجية العامة أن بنية اللغات الطبيعية يسوغ وصفها وتفسيرها بمعزل عن وظيفتها التواصلية<sup>1</sup>.

وإذا كان بالإمكان إدراج ثورة الداليات والداليات ضمن النوع الثاني من النظريات، أي النوع الذي يتناول اللغة بمعزل عن وظيفتها التواصلية، فإن الثورة الثالثة وهي ثورة التداوليات يمكن إدراجها ضمن النوع الأول؛ أي النوع الذي يسعى إلى تفسير ووصف الظاهرة اللغوية بربطها بوظيفتها الأساسية وهي وظيفة التواصل، فربطت البنية بالوظيفة.

إذا كان تشومسكي (N. Chomsky) في تركيزه الدراسة على ما أصبح يعرف بالملكة اللغوية للمتكلم/ السامع، نابع من هذا التصور أي التصور الشكلي الذي يعزل اللغة عن وظيفتها، فإن تيار التداولية-إيماننا منه بضرورة ربط اللغة بسياقاتها الاجتماعية والثقافية - قد وسع مفهوم هذه الملكة لتصبح ملكة تواصلية/ تبليغية بعد أن كانت ملكة لغوية/ نحوية عند تشومسكي (N. Chomsky) وأصبحت بالتالي الملكة النحوية/ اللغوية مكونا من مكونات الملكة التبليغية التواصلية.

وعليه فإن الفضل في تفجير هذه الثورات يعود في الأصل إلى التفكير في العلامة اللغوية ومكوناتها من طرف بعض فلاسفة اللغة وعلماء اللغة كأمثال بيرس (C. Peirce) ودي سوسير (F. de Saussure)، وفضل هذا الأخير أكبر من أن ينكره أحد سواء من خلال تفكيكه قاعدة مثلث العلامة اللغوية وإبعاده للمرجع إيماننا منه بالمنهجية العلمية، أم بتفكيكه لضلعي اللسان والكلام واهتمامه باللغة.

<sup>1</sup> أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 11.

1-4- الثورة النصية:

إذا كان موضوع الدراسة اللسانية في الثورات الثلاث التي مرت بنا هو الجملة فإن اللسانيات النصية التي تبلورت على يد كل من فان ديك (Van Daijk)، وهارتمان (P.Hartman)، ودي بوغراند (R.De.Beaugrande) ودروسر (W.U.Dressler) ومن قبلهم هاريس (Z.Harris)، قد جعلت النص موضوع الدراسة ذلك أن " الجملة ليست كافية لكل مسائل الوصف اللغوي"<sup>1</sup>، كما أن عملية التواصل في أغلب الأحيان لا تكفي جمل معزولة لتأديتها، وتحقيقها بالشكل المطلوب، " فالجملة ليست هي الوحدة القاعدية للتبادلات الكلامية والخطابية، بل النص هو وحدة التبليغ والتواصل"<sup>2</sup>، وذلك باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى التي تتجلى فيها كافة مستويات وخصائص اللغة التركيبية والدلالية وحتى التداولية.

إن الهدف من الدراسة النصية هو محاولة الوقوف على القواعد والقوانين التي تقوم عليها بنية النصوص، والكيفية التي يتم بها تماسك أجزائه وترابطها، هذه القواعد هي موضوع الدراسة النصية أو نحو النص، وهي القواعد التي تشكل الكفاءة أو الملكة النصية.

وإذا كانت الملكة اللسانية في التيارات السابقة مرتبطة أساسا بالجملة ذلك أنها القدرة على إنتاج وفهم جمل غير متناهية، مع أو بدون ربطها بسياقاتها المختلفة، فإن موضوع اللسانيات النصية قد جعل موضوع بحثه الملكة النصية والتي تعني القدرة على إنتاج وفهم عدد غير محدود من النصوص في مقامات مختلفة

وبهذا التوجه تكون اللسانيات الحديثة قد أكملت دورتها الرابعة، وذلك بإضافتها ضلعا رابعا لمثلث دي سوسير (F.de suassure)، ارتكزت عليه هو النص، لذلك أمكننا القول: إن الفضل كل الفضل في تفجير كل هذه الثورات يعود إلى جهود دي سوسير (F.de suassure) في مؤلفه الشهير من خلال مثلثه الذي شكل المراحل الكبرى لللسانيات الحديثة بتقليباته المختلفة.

<sup>1</sup> جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، د ط، 1998م، ص 66.

<sup>2</sup> خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2000م، ص 168.



2- المبحث الثاني: من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص:

حظيت الجملة بنصيب وافر من الدراسة والبحث في التراث اللغوي الإنساني عموماً، ذلك أن الدراسات اللغوية التي تمخضت عن مختلف الحضارات الإنسانية قد قصرت اهتمامها منذ القديم على الجملة كأعلى مستوى من مستويات الدراسة والتحليل اللغويين، حيث جعلت منها موضوعها الأول من حيث الكشف عن مختلف القوانين اللغوية والتعديد للسلوك اللغوي لدى الإنسان<sup>1</sup>، هذا إذا ما استثنينا بعض الدراسات اللغوية العربية خاصة تلك التي انصبحت على النص العربي والديني منه خاصة، والتي توفرت على كثير من المفاهيم التي يمكن إدراجها منهجياً ضمن الاتجاه أو النظرية النصية، وقد استمر وضع الدراسات اللغوية على هذا الحال إلى منتصف القرن العشرين مع بلوغ الدراسات البنيوية الشكلية درجة التشعب والعقم والانسداد، نظراً لقصور منطلقاتها التي تقوم على اعتبار اللغة نظاماً مغلقاً وبنية قارة، والإغراق في دراسة الأشكال اللغوية وإهمال المعنى.

إن مسألة تحديد نقطة التحول في مسار الدراسات اللغوية من حدود الجملة إلى آفاق النص ليست بالعملية اليسيرة، ذلك أننا نجد في مسيرة الدرس اللغوي كثيراً من الإشارات إلى باحثين حاولوا توسيع نطاق الدراسة لتشمل مستويات أعلى من الجملة وهي النصوص أو الخطابات، وإن كان معظم الدارسين يشيرون إلى أن هذا التحول بدأت ملامحه تتضح ابتداءً من العقد الثامن من القرن العشرين<sup>2</sup>، مع أن بعض الدارسين يرجعون البداية الحقيقية لهذا الاتجاه إلى أواخر القرن التاسع عشر وتحديدًا من خلال عمل مبكر لـ "فايل" (H. WEIL)<sup>3</sup> سنة 1887م علق فيه تتابع اللفظ على تتابع الأفكار، وفصل هذا التتابع عن النحو، وقدم من خلال ذلك المعايير الوظيفية للجملة<sup>4</sup>، ويشير باحثون آخرون إلى جانب من أطروحة باحثة أمريكية اسمها (I. NYE)<sup>5</sup> بحثت فيها

<sup>1</sup> عثمان أبو زنيد: نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص32.

<sup>2</sup> سعيد حسن بحيري: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، مصر، ط1، 1997، ص01.

<sup>3</sup> هنري وايل (H. Weil) لغوي ألماني من أصل فرنسي ولد بتاريخ 27 أوت 1818، وتوفي في 05 نوفمبر 1909. مهتم بالفيلولوجيا (وكيبديا)

<sup>4</sup> محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص66.

<sup>5</sup> باحثة أمريكية قدمت أطروحتها في مجال ترابط الجمل سنة 1913. (وكيبديا)

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

علامات عدم الاكتمال - وهي حجة نمطية في علم لغة النص - والتكرار بناء على أسس نصية، كما تناولت في هذا العمل قضية الربط بين الجمل وعلاقتها الداخلية على أسس نصية<sup>1</sup>، وقد كان ذلك سنة 1912م . هذا وتبقى جهود أعلام ومؤسسي الدرس اللساني الحديث على غرار دي سوسير (F. De saussure) وجاكسون (R. Jakobson) وهلمسلاف (Hjelmslev) وباختين (M. Bakhtine) وبنفنيست (E. Benveniste) أكبر من أن تنكر في عرض مسيرة الدرس اللساني وإبراز نقطة التحول من حدود الجملة إلى الدرس النصي، فقد أشار دي سوسير (F. De saussure) في حديثه عن الخطاب إلى أن الإنسان لا يعبر بكلمات منفصلة، وأنه لا يمكن أن يكون لهذه الكلمات معنى ودلالة ما لم توضع في علاقات مع بعضها، وقد أقر "لويس هلمسلاف" (L. Hjelmslev) بأن تحليل النص يجب أن يمثل أحد الالتزامات التي لا مناص ولا مهرب للساني منها، كما نبه "ميخائيل باختين" (M. Bakhtine) إلى ضرورة توجيه عناية الدرس اللساني نحو البنى الكبرى والخطابات، ونفس الشيء حدث مع "رومان جاكسون" (R. Jakobson) الذي اعتبر عناية الدرس اللساني بحدود الجملة تقصيرا في حق الدراسة وبترا لها، خاصة إذا كان أمر الاقتصار على حدود الجملة بإيعاز من بعض اللغويين الذين يريدون أن تبقى الجملة أعلى بنية يمكن تحليلها<sup>2</sup>.

إن الملاحظ على مثل هذه الإشارات هو أنها كانت متناثرة على نحو يصعب تتبعها وحصرها ، وهو ما يجعلنا ندرجها ضمن الإرهاصات الأولية والوعي القار بضرورة توسيع حدود البحث اللساني، أما التوجه الواعي والمقصود نحو النص باعتباره بنية كبرى أعلى وأكبر من الجملة فقد تأخر نوعا ما إلى منتصف القرن العشرين حيث انطلق مع هاريس (Z. Harris) وتطور مع فان ديك (V. Dijk) وبلغ أوجّه مع دي بوجراند (R. De Beaugrande).

وبالعودة إلى هاريس (Z. Harris) فقد نشر ابتداء من منتصف القرن العشرين دراستين أخذتا بعدا هاما في التأسيس للدرس اللساني النصي، وكان عنوان الدراستين (تحليل الخطاب، Discourse Analysis)

<sup>1</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: سعيد حسن بحيري : علم لغة النص، ص 18. عثمان أبو زنيد، نحو النص ، ص32.

<sup>2</sup> ينظر: مُجَدُّ الأَخْضَرُ الصَّبِيحِيُّ: المرجع السابق ، ص 61.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

حيث لم يتوقف بحثه فيها على مجرد لفت الانتباه إلى النص/ الخطاب من حيث التحليل، بل قدّم نموذجاً منهجياً للتحليل النصّي، وإن كان تأثره واضحاً ببعض المفاهيم التوزيعية، وبعض مفاهيم دي سوسير (F. De Saussure) من خلال استثمارها في بحوث تحطّت حدود الجملة إلى النص حيث " وسّع مناهج التصنيف التوزيعية التي حافظت على المستويات الدنيا، - مستوى الجملة- وعلى الرغم من أن منهجه في تحليل الخطاب قد عني أساساً بالكشف عن أوجه التشابه بين الجمل المفردة في مادة ما (Corpus) فإنه قد استطاع أن يصف نصوصاً كاملة أيضاً"<sup>1</sup>.

أما ابتداءً من سبعينات القرن الماضي فقد تطورت البحوث النصية خاصة على الصعيد المنهجي والضبط العلمي مع كل من فان ديك (V. Dijk) وهاليداي (Halliday)، حيث نشر هذا الأخير بحثاً اعتبر فيه النص والسياق وجهين لعملة واحدة، وعدّ فهم كيفية اشتغال النصوص شرطاً لمعرفة اللغة<sup>2</sup>، ونشر فان ديك (V. Dijk) بحثاً سنة 1972م اعترض فيه على النحو التقليدي، ودعا إلى اتباع طرق جديدة في التحليل من خلال التعامل مع البنيات اللغوية الكبرى "النصوص" خاصة بعد إدماج المكونين "الدلالي والتداولي" في التحليل وهو ما لا تتحمله الجملة برأيه.<sup>3</sup>

أما ثمانينات القرن الماضي فقد شهدت هي الأخرى جهوداً كثيرة في سبيل إرساء دعائم هذا البحث خاصة عند دي بوجراند (R. De Beaugrande) سنة 1980م في دراسته "النص والخطاب والإجراء" والذي بثّ فيه كثيراً من المفاهيم النصّية، ويضاف إلى جهوده أعمال براون (G. Brown) ويول (G. Youle) في دراستهما الشهيرة "Discourse Analysis" حيث عدّ الخطاب مادة وموضوعاً وغاية...

هكذا تبلور هذا الاتجاه اللساني الحديث في الغرب لتشير مجمل بحوثه إلى تحول جذري في الدراسة اللغوية من حدود الجملة بضيقها ومحدوديتها إلى النص/الخطاب باعتباره بنية لغوية تمثل تمثيلاً حقيقياً للكفاية التي يمتلكها

<sup>1</sup> سعيد حسن بحيري: المرجع السابق، ص 20.

<sup>2</sup> ينظر: عثمان أبو زيد: المرجع السابق، ص 35.

<sup>3</sup> ينظر: سعيد حسن بحيري: المرجع السابق، ص 35.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

متكلم اللغة الطبيعية، وعليه فإن هذا الاتجاه قد عرف مسميات كثيرة على غرار: لسانيات النص، نحو النص، علم اللغة النصي... وهي كلها مسميات تدل على مجال حديث في الدراسة اللسانية استثمر مختلف المعطيات اللغوية (التركيبية الدلالية التداولية..) وغير اللغوية (الاجتماعية، النفسية..) في مقارنة النصوص والخطابات.

وعليه فهو يدرس النص " باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، ويبين جوانب عديدة فيها منها التماسك والترابط ووسائله وأنواعه والإحالة أو المرجعية وأنواعها والسياق النصي والمشاركين في النص عند إنتاجه وتلقيه سواء كان منطوقا أم مكتوبا"<sup>1</sup>، كما يسعى هذا الاتجاه إلى تحديد الملامح المشتركة بين النصوص ووصفها وتحليلها استنادا إلى معايير مختلفة، ويعنى بالكشف عن أوجه الاختلاف والفروق الدقيقة بينها أيضا؛ أي بإبراز الخصائص المائزة للنصوص ومحاولة إيجاد العلاقات التي تحكم حركة الانتقال من المستوى العام إلى مستويات خاصة<sup>2</sup>.

وإذا أردنا أن نجمل وظيفة هذا الاتجاه أمكننا القول: إنها تنحصر في وظيفتين أساسيتين هما: الوصف والتحليل؛ حيث يشمل الوصف والتحليل مختلف العلاقات الداخلية والخارجية للنص بأبنيته ومستوياته المختلفة وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة وبيان التأثيرات التي تحدثها النصوص على المتلقين<sup>3</sup>، ويتعدى الوصف والتحليل إلى " وصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي وأشكال الاتصال ويوضحها"<sup>4</sup>، وهو بهذا لا يقف عند حدود الجملة وإنما يتعدى إلى مستويات أعلى هي النصوص أو الخطابات، كما لا يتحرج مطلقا في الاستفادة من مختلف الحقول المعرفية الأخرى في سبيل مقارنة أمثل للنص، إذ هو مجال متعدد متشعب التخصصات، وهو الاتجاه الذي استطاع الجمع بين مختلف المعطيات اللغوية وغير اللغوية في مقارنة وتفسير بنية النصوص والخطابات إذ " اتسع علم لغة النص في الأساس بضمه تلك القواعد والنماذج والاستراتيجيات المتاحة،

<sup>1</sup> صبحي إبراهيم الفقي: صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. دراسة تطبيقية على السور المكية، دار غريب، القاهرة ط1، 2000م، ص 36.

<sup>2</sup> سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص 37.

<sup>3</sup> صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1992، ص52.

<sup>4</sup> فان دايك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001، ص11.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

وتجاوزها إلى إمكانات أخرى توفرت له من خلال الامتداد المعرفي واتساع الأفق والتداخل التصوري، ومكنته نظرية الشمولية من تخطي الامتداد الأفقي إلى أبعاد دلالية، وإشارية، وإحالية، وإيحائية تستعصي على النظر المحدود<sup>1</sup>.

والمقصود بالنظر المحدود في هذا السياق مختلف المقاربات اللسانية السابقة للغة، خاصة تلك التي توقفت عند حدود الجملة وعزلتها عن ملابساتها التداولية والسياقية وحتى الدلالية أحيانا، كما هو الحال في التيارات اللسانية الشكلية، وهو أمر يسعى الاتجاه النصي إلى تداركه من خلال " الاستعانة بما وراء اللغة في التحليل والتفسير وذلك حين وضع في الاعتبار مستويات القراءة وأحوالهم النفسية والاجتماعية، وتعدد القراءة وأشكال التواصل، ودرجات الفهم والاستيعاب، وطرق التذكر والاستعادة، وإمكانات التأليف وكيفيات الترابط الذهني، وغير ذلك من أدوات وإجراءات وعمليات لم تتح لعلم من قبل أن ينظم بينها ويفيد منها"<sup>2</sup> وعليه وتأسيسا على ما سبق يمكن تحديد أهم خصائص هذا الاتجاه فيما يلي:

### 1 - خاصية التداخل:

أي التداخل المعرفي، فهو لا يتحرّج في الاستفادة من مختلف العلوم والمجالات اللغوية وغير اللغوية " فلا خلاف حول استقائه أكثر أسسه ومعارفه من علوم تتداخل معه تداخلا شديدا، بحيث يمكن أن يشكل أدواته في حرية تامة ثم تصب نتائج تحليلاته في هذه العلوم فتزيدها ثراء، وتكشف عن كثير من ألوان الغموض في مسائلها وقضاياها"<sup>3</sup>.

### 2- خاصية التشعب:

أي تشعب مجالات اهتمامه في النص، من حيث إبراز خصائص النصوص وإعادة صياغة نحو كلي يمثل تمثيلا حقيقيا للكفاءة التي يمتلكها الإنسان، والتي هي في الحقيقة كفاءة أوسع من أن نحصرها في حدود الجملة، كما

<sup>1</sup> سعيد حسن بحيري: المرجع السابق، ص 09.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 09

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 1، 2.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

يتجلى التشعب في كثرة المفاهيم المندرجة ضمن هذا المجال وصعوبة إيجاد مفاهيم مشتركة ضمنه، وما مصطلح النص إلا دليل واحد على ذلك " فإننا لا نجد إلا قدرا ضئيلا من الاتفاق حول مفاهيمه وتصوراتهِ ومناهجهِ، فقد استوعب حدّا لا يستهان به من المفاهيم نظرا لكثرة منابعه واتساع مشارب الباحثين فيه"<sup>1</sup>، ويمكن رصد هذا التشعب أيضا على مستوى اتجاهات البحث التي تجلت فيه، فمنها ما يركز على علم اللغة الوصفي ومنها ما يركز على علم اللغة الوظيفي.. وغيرها من أنواع الدراسات النصية.

وإجمالاً يمكن القول إن هذا الاتجاه يعني بدراسة مختلف الخواص الشكلية والتركيبية والدلالية والتداولية للنصوص أو الخطابات، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح في هذا المقام هو عن مبررات هذا الانتقال في الدرس اللساني الحديث من حدود الجملة إلى النص، فما هي مبرراته؟

يرى كثير من الباحثين أن الموضوع الحقيقي للدراسة اللسانية يجب ألا يبقى في حدود الجملة كما كان لقرون طويلة، لأنها دراسة أهملت الجوانب الدلالية والتداولية، وبرزت الكفاءة التي يمتلكها متكلم اللغة الطبيعية، وعليه فإن "الفهم الحق للظاهرة اللسانية يوجب دراسة اللغة دراسة نصية وليس اجتزاء والبحث عن نماذجها وتهميش دراسة المعنى كما ظهر في اللسانيات البلومفيلية أول أمرها. ومن ثم كان التمرد على نحو الجملة والاتجاه إلى نحو النص أمرا متوقعا واتجاها أكثر اتساقا مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث"<sup>2</sup>، ويمكن من خلال هذا تحديد مبررات هذا الانتقال فيما يلي:

\* إن الجملة - في نظر الدارسين- لا وجود لها معزولة في الاستعمال فهي " دائما محتواة في سياق التلفظ، وعليه فالجملة لا تتحقق ولا تكتسب هويتها إلا في إطار الخطاب أو السياق، كما أن عملية عزلها هي نتيجة، وهي ممارسة مقصودة، وهي ليست معطى قائما بذاته"<sup>3</sup>، ودليل ذلك أن التواصل الذي يتم بين المشاركين في العملية التواصلية لا يتم عبر جمل مقطوعة مبتورة، وإنما عبر سلسلة متصلة من الجمل، وهو ما يعطي مشروعية أكبر لتحويل

<sup>1</sup> سعيد حسن بحيري: المرجع السابق، ص 2.

<sup>2</sup> جميل عبد المجيد: المرجع السابق، ص 67.

<sup>3</sup> محمد الأخضر الصبيحي: المرجع السابق، ص 65.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

موضوع الدراسة اللسانية إلى هذه السلسلة الكلامية المتصلة التي تشكل ما يعرف بالنص أو الخطاب، وبعبارة أخرى فإن الحرص على مطابقة الخطاب اللساني أو الدراسة اللغوية للواقع اللغوي هو من الأمور التي حولت موضوع الدراسة من الجملة إلى النص.

- أثرت في هذا السياق كذلك مسألة كفاية النحو الذي صيغ في إطار الجملة، وقدرته التفسيرية؛ أي قدرته على تفسير مختلف الظواهر الموجودة على مستوى النص كالظواهر التداولية والدلالية، والتمثيل الحقيقي لقدرة المتكلم، وغيرها من الظواهر التي يسعى نحو النص إلى إبرازها وهي " صياغة قواعد تمكنا من حصر كل النصوص النحوية في لغة ما بوضوح ومن تزويدنا بوصف للأبنية، ويجب أن يعد مثل ذلك النحو النصي إعادة بناء شكلية للكفاءة اللغوية الخاصة لمستخدم اللغة في إنتاج عدد لا نهائي من النصوص"<sup>1</sup>، فنحو الجملة بهذا المنطق نحو ضيق لا يتسع لتفسير كثير من الظواهر الموجودة على مستوى النص، وليس له القدرة على تفسير مقنع لمباحث المعنى والسياق والتداول والدلالة " بسبب تركيزه على دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، مما يجعل اللغة لا تعدو كونها هيكلًا شكليًا منطقيًا مجردًا، فكان التوجه إلى بعض المعطيات التداولية وتوسيع دائرة البحث من الجملة إلى النص"<sup>2</sup>. ويضاف إلى كل ما سبق فإن الجملة قد استنفذت مباحثها ونالت حظها من الدرس والتمحيص والتحليل من جوانبها المختلفة، حيث لخص أحد الباحثين هذه الجوانب فيما يلي<sup>3</sup>:

- تعريف الجملة ومكوناتها وأبعادها بالاعتماد على مفهوم الإسناد ومكوناته المباشرة.

- تحليل الجملة والوقوف عند عناصرها وما تشتمل عليه من مركبات من اسمي وفعلي ووصفي وظرفي وغيرها.

- بيان عناصر الربط بين عناصر الجملة.

- وصف بنية الجمل والتمييز بينها من حيث البساطة والتركيب.

<sup>1</sup> سعيد حسن مجري: المرجع السابق، ص 134، 135.

<sup>2</sup> عثمان أبو زنيد: المرجع السابق، ص 33.

<sup>3</sup> ينظر: محمد الأخضر الصبيحي: المرجع السابق، ص 69.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

- تحديد وظائف مختلف الجمل من تقريرية واستفهامية وتعجبية.

كل هذا يبرر مشروعية الانتقال من نحو واصف للجملة إلى نحو آخر يتعدى مجرد الوصف إلى التفسير في آفاق النص / الخطاب، إلا أن هذا الانتقال لا يعني على الإطلاق إهمال النتائج التي حققتها الدراسات اللغوية التي اندرجت ضمن ما يعرف بلسانيات الجملة، إذ كانت الأساس الذي بني عليه ما يعرف اليوم بلسانيات النص / الخطاب، وإن عودة خاطفة لبدايات الاتجاه النصي تمكننا من اكتشاف ذلك بكل وضوح خاصة عند المؤسس الأول له وهو هاريس (Z. Harris) الذي استفاد كثيرا من البحوث التوزيعية، وبني بحوثه على كثير من المفاهيم التي صيغت في إطار الجملة، وعليه فإن التراث اللغوي بكل ما يضمنه من تصورات ومفاهيم وقواعد وأشكال وصف وتحليل وغير ذلك، كان الأساس الفعلي الذي بنيت عليه هذه الاتجاهات النصية بكل ما تتسم به من تشعب أفكارها وتصوراتها ومفاهيمها<sup>1</sup>.

إن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح في هذا الموضوع هو عن الفروق الجوهرية بين نحو الجملة ونحو النص خاصة إذا علمنا أن موضوعهما واحد وهو اللغة وإن اختلفت تظاهرات هذه اللغة بين الجملة والنص، وهل هناك اختلاف حقيقي بينهما؟ وهل هذا الاختلاف نابع من اختلاف في موضوعهما (جملة/نص)، أم أنهما يشكلان نحوًا واحدًا متكاملًا؟

### 2-1- نحو الجملة ونحو النص: نحو واحد أم نحوان مختلفان؟:

أثيرت قضية التمييز بين نحو الجملة ونحو النص مع ظهور هذا التوجه اللساني الجديد، ومعه ظهر مشكل كفاية نحو الجملة في وصف مختلف جوانب النص كبنية أكثر توسعا من الجملة وبعبارة أخرى أثيرت مشروعية اعتماد النحو الذي صيغ في إطار الجملة كجهاز واصف للنص.

<sup>1</sup> سعيد حسن بحيري: المرجع السابق، ص 134.



إن هذا الفصل والتقابل الذي اصطنع في أدبيات البحث اللساني المعاصر لا يؤيده بعض اللغويين المحدثين<sup>1</sup>؛ إذ إن العلاقة التي تجمع بين النص والجملة ليست علاقة تقابل وتضاد بقدر ما هي علاقة تقاطع، من ثم لا يمكن الفصل والتمييز بينهما وذلك لاعتبارات عدة منها:

● **الاعتبار المعرفي:** إذا سلمنا جدلاً التمييز بين نحو الجملة ونحو النص، فهذا يقتضي أن لمستعمل اللغة الطبيعية ملكتين أو قدرتين: قدرة متعلقة بالجملة تمكن المتكلم من إنتاج وفهم ما لا نهاية من الجمل الصحيحة، و قدرة متعلقة بالنص تمكن من إنتاج وفهم ما لا نهاية من النصوص وهو "أمر يناهز الواقع النفسي اللغوي"<sup>2</sup>، وإذا سلمنا بهذا التمايز فهذا يقتضي أيضاً "التسليم بأن القدرات اللغوية تتعدد وتختلف بتعدد واختلاف أقسام الخطاب؛ إذ ما المانع آنذاك من أن نفترض "قدرة كلمة" و"قدرة مركب" إضافة إلى قدرتي الجملة والنص"<sup>3</sup>.

● **الاعتبار المنهجي:** لقد أثبتت الدراسات اللغوية أن خصائص الجملة لا يمكن أن توصف ولا يمكن أن تقارب المقاربة الكافية إلا إذا وضعت في إطار أكبر هو النص، وهو ما يحيلنا مباشرة إلى صنيع جون ميشال آدم (J. M. Adam) في القالب التداولي الإنجازي الذي يرى فيه أن النص مكون من أفعال خطابية متعددة، لكن تفاعلها يشكل فعلاً خطابياً واحداً هو الفعل الخطابي الأكبر الذي من أجله أنتج النص ذلك أن "القوة الإنجازية التي توأكب جمل نص ما مثلاً هي القوة الإنجازية (إخبار استفهام أمر...) المواكبة للنص ككل والتي استمدتها منه"<sup>4</sup>.

● **الاعتبار النظري:** والذي ينص على توحيد المقاربات التي تتناول موضوعاً معرفياً واحداً، وذلك حتى لا تتنافى المقاربة "وأحد المبادئ التي يتبناها التنظير العلمي: مبدأ الاقتصاد"<sup>5</sup>، أي ما دام موضوع الدراسة هو

<sup>1</sup> ينظر: أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، دط، 2003م، ص 16.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 16.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 16..

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 17.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 17.

اللغة البشرية في مختلف مظهراتها الخطابية، فلا بد من العمل ما أمكن على توحيد المقاربات التي تتناول الظاهرة، لذلك فلا مشروعية لتنوع المقاربات بين نحو يتناول الجملة ونحو آخر يتناول النص..

● **فرضية التماثل السطحي والتحتي:** وتنص هذه الفرضية على أن أشكال الخطاب المختلفة وتحديد النص والجملة تتماثل فيما بينها وتشابه بنيتها ومكوناتها سواء على مستوى البنية العميقة أو على مستوى البنية السطحية؛ فإذا كان مفروغا منه التمييز بين مصطلحي: البنية العميقة الذي يعني: "شكل تجريدي (ABSTRACT) داخلي يعكس العمليات الفكرية ويمثل التفسير الدلالي الذي يشتق من البنية السطحية من خلال سلسلة من الإجراءات التحويلية"<sup>1</sup>، ومصطلح البنية السطحية التي هي "تمثيل للجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات والرموز"<sup>2</sup>، فإن للنص كذلك هذين المستويين يطلق عليهما اسم **مظهرية النص (PHENOMENOLOGIE DU TEXTE)** وتوالدية النص **(GENELOGIE DU TEXTE)**، حيث يمثل النوع الأول "العلاقات في السطح الظاهري بمفهوم هوسرل (HUSERL) للقول النصي المعتمد على شفرة خاصة تتجلى في الأبنية اللغوية"<sup>3</sup>، أما الثاني فهو "العملية التي يتولد بها المستوى الأول للنص ويتم فيها التعالق المائل بين الدوال والمدلولات بدرجات متفاوتة في التعقيد والامتداد حيث ينبثق الشكل النصي، فتوالدية النص هي المكان الذي تتكون فيه أبنية مظهرية النص بامتداداتها اللاشعورية وهي ذات طابع غير متجانس"<sup>4</sup>

وعليه فإن التقسيمات التي ذكرناها سابقا بين ملكة خاصة بإنتاج وفهم الجمل، وملكة خاصة بإنتاج وفهم النصوص قد تفقد مشروعيتها، ذلك أن اللغات البشرية هدفها وغايتها هي تحقيق غرض محدد هو التواصل ومن ثم فإن القدرة التي يجب أن نتحدث عنها هنا هي القدرة التي تمكن من إنتاج هذا التواصل، سواء أكان في شكل نص

1 أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2015، ص212.

2 المرجع نفسه، ص212.

3 صلاح فضل: المرجع السابق، ص222.

4 المرجع نفسه، ص 222.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

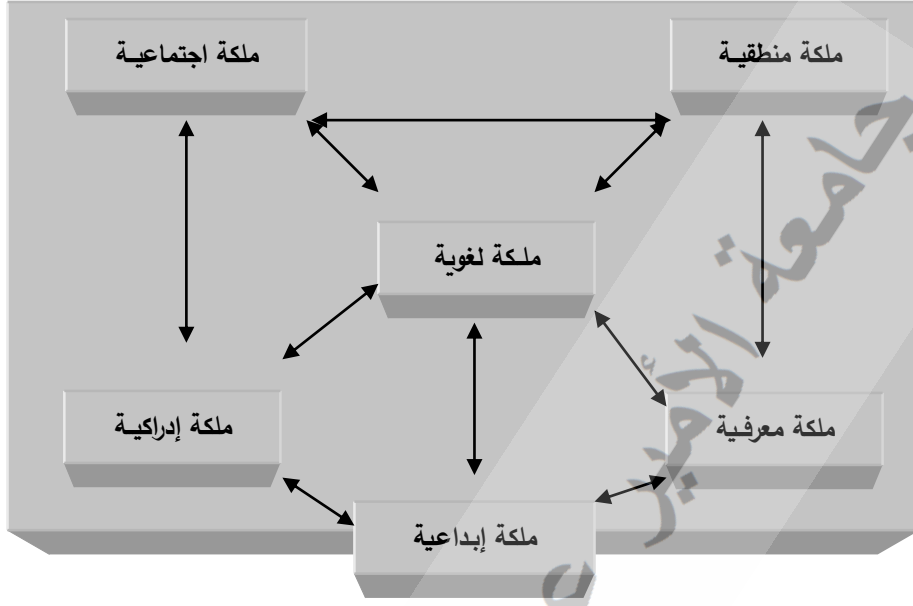
أم جملة، وبعبارة أخرى فإن القدرة أو الملكة التي يجب أن نتحدث عنها هي الملكة التواصلية التبليغية التي تمكن من إنتاج وفهم مختلف أجزاء الخطاب في سياقات متعددة وتؤدي إلى تحقيق الغرض الأساسي للغة الإنسانية؛ " فالقدرة التواصلية قدرة واحدة هي ما يمكن مستعملي اللغة الطبيعية من التواصل فيما بينهم بغض النظر عن نوع العبارات اللغوية وحجمها"<sup>1</sup>، وتتحقق في كامل مستويات الخطاب (الكلمة، المركب الاسمي والجملة) وإن كان تحققها يكون بارزا أكثر في مجال النص؛ أي أن تحققها " خاضع لقيود تزداد صرامة كلما ابتعدنا عن النص واقتربنا من الكلمة المفردة"<sup>2</sup>.

إن القدرة التواصلية بالمفهوم الذي حددناه سابقا تتشكل من مجموعة جزئية من القدرات والملكات، مهمتها تقديم وصف دقيق وصحيح لعملية إنتاج وفهم مختلف أنواع الخطاب: نص جملة مركب.. باعتبار الخطاب هنا يعني "كل ملفوظ/ مكتوب يشكل وحدة تواصلية تامة"<sup>3</sup>، هذه الملكات أو القدرات هي: الملكة النحوية أو اللغوية، المنطقية، الاجتماعية، المعرفية، الإدراكية، وهي في مجملها تشكل قوالب مستقلة ومتعاقبة في الآن ذاته؛ فهي مستقلة من ناحية الموضوع أساسا (اجتماعية، منطقية، لغوية..)، ومتعاقبة لأنها تشتغل في عملية تفاعلية لا يستغني بعضها عن بعض فكل خطاب من الخطابات يقتضي اشتغال هذه القوالب كلها أو بعض منها، فمثلا الخطاب العلمي يقتضي اشتغال القالب المعرفي والمنطقي واللغوي أساسا. أما الخطاب الأدبي الإبداعي الجمالي، فإن اللغويين يضيفون قالباً آخر وملكة أخرى هي الملكة الشعرية أو القالب الشعري، تشتغل أثناء الخطاب الشعري الأدبي وذلك وفق الشكل الآتي:

<sup>1</sup> أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص 20.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 76.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 22.



الشكل رقم 01: يبين مكونات القدرة التواصلية.

وعليه يتضح لنا مما سبق مشروعية توحيد الدرس اللساني في نقطة القدرة التواصلية باعتبارها وظيفة اللغة البشرية، وبالتالي إلغاء التقابل بين الجملة والنص لأنهما لا يتقابلان أصلاً، بل يتقاطعان باعتبارهما أجزاء مكونة للخطاب، والتقابل المزعوم ينتفي لأسباب معرفية ومنهجية، وبالتالي ينتفي في هذا المقام التقابل بين ملكة خاصة بالجملة وملكة خاصة بالنص، بل هي ملكة تواصلية عامة تمكن من إنتاج وفهم مختلف أقسام الخطاب في سياقات مختلفة متعددة.

### 3- المبحث الثالث: المفاهيم الأساسية للنظرية النصية:

لكل نظرية جهازها المفاهيمي الذي تركز عليه، والذي يشكل إطارا عاما يميز النظرية عن غيرها، وقد جاء في تعريف النظرية " مجموعة من المفاهيم والتعريفات والفرضيات التي تعرض ظاهرة معينة بطريقة منظمة حيث تحدد العلاقات القائمة بين العوامل المتغيرة بهدف تفسير حدوث الظاهرة ومحاولة توقع حدوثها"<sup>1</sup>، وتشكل مفاهيم: النص، الخطاب، النصية، الاتساق، الانسجام، السياق....، أهم مفاهيم النظرية النصية، وسنحاول التفصيل في هذه المفاهيم بهدف ضبط العلاقات التي تجمع بينها.

#### 3-1- النص:

يعد مفهوم النص من أكثر المفاهيم إثارة للجدل والخلاف، إذ تعددت مفاهيمه وخصائصه تبعا لزاوية النظر التي اتبعتها الباحثون في تحديد المفاهيم والخصائص ( لغوية، سيميائية، قانونية، دينية، اجتماعية.. ) حيث لم تحظ تعريفات النص بالقبول والرضى من قبل الباحثين والمناهج النقدية، إذ برزت تعريفات متعددة تشرح مفهوم النص (texte) بصفة عامة، وأخرى تبرز الخواص النوعية الماثلة في بعض أنماطه المتشعبة، وأخرى تحاول أن تبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث البنيوية والسيميولوجية الحديثة<sup>2</sup>.

والحقيقة أن مكنم الصعوبة في تحديد مفهوم النص يتمثل في كونه مفهوما إجرائيا يصعب احتواؤه في دائرة معينة لأنها مفاهيم رخالة مهاجرة من مجال إلى آخر لا تعرف الاستقرار، يضاف إلى ذلك سيطرة النظرة المتعالية للنص والتي أفرزتها الكلاسيكية، والتي تجعلها وثيقة الحقيقة المطلقة<sup>3</sup>. وعليه وبالنظر إلى المعطيات السابقة تبدو عملية إيجاد تعريف جامع مانع للنص من الصعوبة بمكان وهي مسألة " غير منطقية من جهة التصور اللغوي، ويؤكد ذلك الاختلاف بين علماء اللغة الذين ينتمون إلى مدارس لغوية مختلفة حول حدود المصطلحات التي تركز

<sup>1</sup> عبد الله عبد الرحمن صالح: النظرية العامة للتربية، رؤية إسلامية، بحوث مؤتمر: نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، عمان: 1990، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ج3، 1411هـ، ص495.

<sup>2</sup> ينظر: صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص294.

<sup>3</sup> ينظر. هادية السالمي: التناص في القرآن، دراسة سيميائية النص القرآني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004، ص09.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

عليها بجوئهم، ويذكرنا ذلك أيضا الاختلاف الشديد بينهم حول مصطلح الجملة مثلا...<sup>1</sup>، هذا وسنسعى إلى تتبع هذه المفاهيم والتعريفات من أجل مفهوم جامع مشترك .

### 3-1-1- النصّ في الثقافة العربية:

حظي مصطلح النص باهتمام غير قليل في ثقافتنا العربية، ولا نعدّ مجانبين للصواب إذا قلنا: إن النص هو العمود الذي قامت عليه الحضارة العربية الإسلامية، خاصة بعد ظهور النص الديني القرآني، فقد كان حضور النص الديني واضحا في كل القضايا التي شغلت بال الأمة، فكان النص السمة البارزة للأمة تختلف بها عن غيرها من الأمم؛ فإذا كانت الحضارة المصرية القديمة هي حضارة ما بعد الموت، والحضارة اليونانية هي حضارة العقل، فإن الحضارة العربية الإسلامية هي حضارة النص<sup>2</sup>، فهو يحتل مركزا محوريا في الثقافة العربية الإسلامية.

#### أ- النص لغة:

تجمع المعاجم اللغوية العربية على أن مادة (ن ص ص) قديمة فهي ليست مولدة ولا دخيلة، أما معناها فقد تعدد في هذه المعاجم يمكن أن نحدد بعضها<sup>3</sup>:

- أقصى الشيء وغايته، ومنه "نصّ الناقه" أي استخرج أقصى سيرها
- الظهور والبروز (ماديا ومعنويا) ومنه نصّت الظبية جيدها إذا رفعت وأظهرته، ونصّ الحديث بمعنى رفعه إلى قائله الأول أو أرجعه إلى أصله.
- الاستقصاء والإحاطة ومنه نصّ الرجل نصّا إذا سأل عن شيء حتى يستقصي ما عنده.

وعليه فإن معنى الوضوح والبروز يبدو أكثر المعاني مركزية وعليه أجمعت مختلف المعاجم.

<sup>1</sup> سعيد حسن مجيري: المرجع السابق، ص 107

<sup>2</sup> ينظر: نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2014، ص 11.

<sup>3</sup> ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1984، ج7، ص97، مادة (ن ص ص).

ب- النص في الاصطلاح:

امتد المفهوم اللغوي لمادة (ن ص ص) إلى بعض الاستعمالات الاصطلاحية ، خاصة عند المشتغلين بالعلوم الدينية، إذ استخدم علماء أصول الفقه الأوائل كلمة النص للدلالة على الكلام الثابت للدلالة والقطعي، والذي لا يحتاج إلى تأويل، أي للتعبير عن المعنى الظاهر في النص والذي لا يحتاج إلى جهد فكري لاستقصاء معناه، وهذا ما يتقاطع كثيرا مع المعنى اللغوي لمادة (ن ص ص) التي تجمع على معنى الوضوح والبروز ماديا ومعنويا كما سبق " فقد حصر العرب مفهوم النص في التركيب اللغوي الدال بمنطوقه على مفهومه دلالة مباشرة واضحة ليس فيها لبس"<sup>1</sup> وهو المعنى الذي نجده في كتاب التعريفات للجرجاني فهو " ما لا يحتمل إلا معنى واحدا، وقيل ما لا يحتمل التأويل"<sup>2</sup> وعليه فإن النص -في بداية تبلور مفهومه في الثقافة العربية- هو الواضح من القرآن والسنة والذي يحمل معنى واضحا لا يحتمل التعدد<sup>3</sup>، أو النص قطعي الدلالة المتفق على معناه ودلالته، لذلك نجد الفقهاء والأصوليين يستخدمون مصطلحات من مثل: نص القرآن ، نص السنة ..، وقد اجتهدوا في وضع المصطلحات الدالة على درجة وضوح النص وطريقة ظهوره أيضا، ويمكن أن نبين صور ذلك فيما يلي:

• عبارة النص :

والمقصود بها "صيغته المكونة من مفرداته وجمله، والمراد بما يفهم من عبارة النص المعنى الذي يتبادر فهمه من صيغته، ويكون هو المقصود من سياقه، فمتى كان المعنى ظاهرا فهمه من صيغة النص، والنص سيق لبيانه وتقديره، كان مدلول عبارة النص، ويطلق على المعنى الحرفي للنص"<sup>4</sup> أو هي " النظم المعنوي المسوق له الكلام ، سميت عبارة النص لأن المستدل يعبر من النظم إلى المعنى، والمتكلم من المعنى إلى النظم، فكانت هي موضع العبور، فإذا عمل

<sup>1</sup> نصر حامد أبو زيد: المرجع السابق، ص 33.

<sup>2</sup> الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، 2004، ص 203.

<sup>3</sup> ينظر: هادية السالمي: المرجع السابق، ص 11 .

<sup>4</sup> عبد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه، دار القلم، مصر، ط20، 1986، ص 134.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

بموجب الكلام من الأمر والنهي يسمى استدلالاً بعبارة النص<sup>1</sup> فعبارة النص هي مصطلح يطلق على المعنى الظاهري المفهوم من الصيغ الظاهرة للنص.

### • إشارة النص:

والمقصود بها "المعنى الذي لا يتبادر فهمه من ألفاظه، ولا يقصد من سياقه، ولكنه معنى لازم للمعنى المتبادر من ألفاظه، فهو مدلول اللفظ بطريق الالتزام، ولكونه معنى التزامياً وغير مقصود من السياق كانت دلالة النص عليه بالإشارة لا بالعبارة"<sup>2</sup> أو بتعبير آخر فإن إشارة النص هي "العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة، لكنه غير مقصود ولا سيق له النص، كقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ ﴾ [البقرة: 233] سيق لإثبات النفقة، وفيه إشارة إلى أن النسب للآباء"<sup>3</sup> فإشارة النص بهذا هو المعنى الذي لا تدل عليه الألفاظ والصيغ على مستوى سطح النص، ولكنه معنى ملازم للمعنى المقصود من الكلام يفهم من خلاله كما أشار الشريف الجرجاني (ت816هـ)، إذ دلت الآية على أن النسب للآباء وإن كان ظاهرها يشير إلى وجوب النفقة.

### • دلالة النص:

والمقصود بها "المعنى الذي يفهم من روحه ومعقوله؛ فإذا كان النص تدل عبارته على حكم في واقعة لعله بني عليها هذا الحكم، وحدثت واقعة أخرى تساوي هذه الواقعة في علة الحكم أو هي أولى منها، وهذه المساواة تتبادر إلى الفهم بمجرد فهم اللغة من غير اجتهاد أو قياس، فإنه يفهم لغة أن النص يتناول الواقعتين"<sup>4</sup>، فدلالة النص تعني أن يكون "الحكم مفهوماً من اللفظ لغة"<sup>5</sup>، والمقصود باللغة هنا أن يعرف المعنى كل من يعرف لسان النص ولغته، ومثال ذلك حرمة إيذاء الوالدين بأي شكل من أشكال الأذى من خلال تأمل قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمَّ ﴾

<sup>1</sup> الشريف الجرجاني: المرجع السابق، ص 123.

<sup>2</sup> عبد الوهاب خلاف: المرجع السابق، ص 145.

<sup>3</sup> الشريف الجرجاني المرجع السابق، ص 26.

<sup>4</sup> عبد الوهاب خلاف: المرجع السابق، ص 148.

<sup>5</sup> الشريف الجرجاني: المصدر السابق، ص 91.



## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

[الإسراء: 23] فإن واقعة الضرب مثلا أقوى من واقعة التأفف، وبالتالي فهي أولى بالمنع والحرمة، هذه العلاقة تتبادر إلى الفهم مباشرة دون اجتهاد عند كل من يفهم اللسان العربي.

### • اقتضاء النص:

والمقصود بها "المعنى الذي لا يستقيم الكلام إلا بتقديره؛ فصيغة النص ليس فيها لفظ يدل عليه، ولكن صحتها واستقامة معناها تقتضيه، أو صدقها ومطابقتها للواقع تقتضيه"<sup>1</sup>، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ [النساء: 23]؛ فإن التحريم لا يقع على الأم، وإنما المقصود تحريم الزواج منها، فإن نص الآية لم يذكر معنى الزواج، ولكن صحة معنى الآية يقتضي أن يكون المقصود بالتحريم في الآية هو الزواج.

أما عند النحاة والبلاغيين فإن النص عندهم يأخذ مفهوما آخر يختلف عن المفهوم الذي صيغ في إطار لسانيات النص، إذ تجمع مختلف المواضع التي ورد فيها استعمال مصطلح "النص" في التراثين البلاغي والنحوي على معنى "الحدث والقيام بالفعل، فهي تعني الحدث ولا تعني الأمر الناتج عنه أو الحاصل به"<sup>2</sup>، والمقصود بالحدث في هذا الموضوع هو الكلام، وتكفي العودة إلى بعض المواضع التي ورد فيها المصطلح لتتأكد من ذلك، فقد جاء عند ابن جني (ت392هـ) في مؤلفه "الخصائص" في باب "اللفظين على المعنى الواحد يردان عن العالم متضادين" وذلك في ذكر الخلاف في "حتى" قوله: "وقد استقر من قوله [سيبويه] في غير مكان ذكر عدّة الحروف الناصبة للفعل، وليست فيها حتى، فعلم بذلك وبنصّه عليه في غير هذا الموضوع أن (أن) مضمرة عنده بعد حتى"<sup>3</sup>.

نفس الشيء في باب "القول على إجماع أهل العربية متى يكون حجة" قوله: "اعلم أن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص، والمقيس على المنصوص"<sup>4</sup> وقوله كذلك: "كما

<sup>1</sup> عبد الوهاب خلاف: المرجع السابق، ص150.

<sup>2</sup> مجّد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001، ج1، ص185.

<sup>3</sup> أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، تح: مجّد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، دط، دت، ج1، ص204.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ج1، ص189.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

جاء النص عن رسول الله (ﷺ) من قوله (أمتي لا تجتمع على ضلالة)<sup>1</sup>، وجاء في مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري (ت761هـ) في هذا السياق ما نصّه: " نصّ جماعة على منع ذلك كله"<sup>2</sup> وقوله: " نص على ذلك سيويه وجماعة من المحققين"<sup>3</sup> وقوله كذلك: "نصّ على ذلك أبو علي وغيره..<sup>4</sup> وقوله: " وممن نص على منع النعت في هذا سيويه والمبرد والزجاج وهو مقتضى القياس"<sup>5</sup>.

ومن هذا وغيره يتبين لنا أن ما عناه نحاتنا القدامى بمصطلح النص لا علاقة له مطلقاً بما نقصده بمصطلح النص بالمفهوم الحديث الذي سنقف عنده، إذ توقف مفهوم مصطلح النص عندهم عند مرتبة الحدث المرتبط بالزمان، ولم يرتق إلى مرتبة الاسمية "فإنهم لم يستعملوا هذا المصطلح للدلالة على ما يدلّ عليه اليوم، يدلك على ذلك أنه فيما اعترضنا من استعمالاته كان دالاً على الحدث ولم يتمخض للاسمية"<sup>6</sup>، بخلاف استعماله اليوم في أدبيات الدرس اللساني الحديث الذي ابتعد عن المصدرية (التي تجمع بين الحدث والزمان) إلى الاسمية المجردة من الزمان، وبالتالي "فالنص عندهم حدث أو عملية يقوم بها المتكلم أو قل وجهة من وجوه العملية التي يقوم بها المتكلم، وليست النتيجة التي تحصل عن هذه العملية، فالنص ضرب من ضروب القول والكلام، وليس القول والكلام ذاته"<sup>7</sup>، وبهذا يختلف هذا المعنى عن المقصود بالنص في الاستعمال الحديث الذي يشير إلى نتيجة الأداء والكلام (الإنجاز) وليس طريقته وضره أو الإنجاز في حد ذاته.

إن الملاحظة المسجلة من خلال هذا العرض الموجز تتعلق بالعلاقة بين هذه المفاهيم السالفة وبين مفهوم النص كمفهوم لساني حديث، وإشكالية إسقاط المفهوم الحديث على التجربة اللسانية العربية، وإجابة على هذه

<sup>1</sup> ابن جني: المرجع السابق، ج1، ص189.

<sup>2</sup> ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: مازن الوعر، مجّد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط6، 1985، ج1، ص302.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج1، ص418.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ج1، ص478.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ج1، ص749.

<sup>6</sup> مجّد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص185، 186.

<sup>7</sup> المرجع نفسه، ج1، ص190.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

الإشكالية نقول: إن الثقافة العربية القديمة لم تعدم الحديث عن النص في ممارستها الأدبية واللغوية معا، وإن مفهوم النص لم يقتصر حضوره فقط في التراث الفقهي الديني أو البلاغي والنحوي، إنما تعدى ذلك إلى مختلف المناحي الفكرية واللغوية العربية، إلا أن هذه الممارسات قد أعوزها المصطلح في حد ذاته على الرغم من توفر المفهوم، وإن ما يشفع للممارسة العربية هو وجود معادلات موضوعية لمصطلح النص تجلت في الممارسات التطبيقية العربية كما هو الأمر عند الجرجاني (ت471هـ) والباقلاني (ت402هـ) والجاحظ (ت255هـ) في مصطلحات: النظم، الوصل، الفصل... وغيرها من المصطلحات والمفاهيم التي تدخل في صلب وصميم اهتمام النظرية النصية الحديثة، وأما مرد غياب المصطلح في حد ذاته - أي مصطلح (نص) - فيرده بعض الباحثين إلى مجموعة من الأسباب لعل أهمها:

- إن هذا المصطلح قد شحن بمفهوم دقيق ومتميز والذي نجده في استعمالات النحاة والأصوليين.

- إن المحل الذي سيشغله مملوء بل مرصوص بجملة من المصطلحات تنافسه في الدلالة على ما أصبح يدل عليه<sup>1</sup>

وعليه يمكن القول إن الممارسة النصية وإن غاب عنها الجمع بين الدال (النص) والمدلول (المفهوم)، فإن هذا لا يعني غيابهما على مستوى الممارسة، وإن العرض الموجز السابق يبين بكل وضوح حضور المصطلح، والمفهوم معا، ولئن غاب المصطلح أحيانا فإن الممارسة حاضرة" فإذا كانوا لم يعبروا بكلمة "نص" صراحة، كمصطلح له المفهوم الموجود عندنا والمتعارف عليه بيننا فإنه (...). قد كان قائما في صدورهم متصورا في أذهانهم محتلجا في نفوسهم متصلا بخواطهم حادثا به فكرهم، موجودا فيهم بالقوة، وحاولوا إخراجه إلى الفعل والممارسة لما رأوا حاجة ثقافتهم إلى التأسيس والتوثيق والانفتاح على الثقافات الأخرى"<sup>2</sup>.

### 3-1-2- النص في الثقافة الغربية:

<sup>1</sup> محمد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص191.

<sup>2</sup> بشير إبرير: "مفهوم النص في التراث اللساني العربي"، مجلة جامعة دمشق، ع: 01، 2007، مج: 23، ص 117، 118.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

النص في اللغات الأجنبية (Texte) أو (Text) ينحدر من الأصل اللاتيني (Textus) الذي يعني النسيج أو النسج ، وهو مشتق من الاستخدام الاستعاري في اللاتينية للفعل (Textere) الذي يعني يحوك أو ينسج، وفي قاموس (Robert) الفرنسي يعني النص مجموعة الكلمات والجمل التي تشكل مكتوبا أو منطوقا، وفي قاموس (Larousse) الفرنسي يعني النص مجموع المصطلحات الخاصة التي نقرأها عن كاتب وهو عكس التعليقات<sup>1</sup>.

أما على المستوى الإجرائي الاصطلاحي فإن الإحاطة بمفهوم النص في الثقافة الغربية يستلزم الإحاطة أولا بظروف تبلور هذا المفهوم وتشكله على الساحة اللغوية والنقدية، خاصة إذا علمنا أن هذا المفهوم قد كان غائبا عن الممارسة النقدية واللسانية الغربية بفعل سيطرة مباحث الجملة على مختلف مناحي الدراسة اللسانية لفترة زمنية طويلة، وبالتالي فقد غاب النص مفهوما وممارسة في مختلف الممارسات الغربية القديمة، أما حديثا - ومع تبلور البحث اللساني الحديث- فإنه يمكن التمييز بين مرحلتين أساسيتين:

### أ- المرحلة الأولى:

وهي مرحلة تبلور اللسانيات كعلم مستقل له قواعده وأصوله ومبادئه المميزة المنفصلة عن الفلسفة والمنطق والتاريخ، ونقصد بذلك المراحل التأسيسية الأولى كما تبلورت في النصف الأول من القرن العشرين خاصة عند دي سوسير (F. De saussure) وبلومفيلد (bloumfield) وغيرهما من ممثلي نحو الجملة، وهي المرحلة التي غاب فيها مصطلح النص مفهوما وممارسة لاعتبارات عدة على رأسها اقتصار البحث اللساني عند هؤلاء الرواد على حدود الجملة باعتبارها البنية الكبرى، والمستوى الأنسب للممارسة اللغوية، فكل من دي سوسير (F. De saussure) وبلومفيلد (bloumfield) لم يذكر النص غرضا في مؤلفاتهما بل جاء عرضا<sup>2</sup>؛ فقد ذكره دي سوسير (F. De saussure) في سياق حديثه عن موضوع الدراسة الفيلولوجية، وكذا في تفرقة بين المنطوق والمكتوب، وفي الموضوعين لم يكن استخدام مصطلح (Texte) واعيا، وإنما كان من قبيل الاسم العام، ونفس

<sup>1</sup> محمد عزام: النص الغائب، تحليلات التناس في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001، ص13، 14.

<sup>2</sup> ينظر: محمد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص25.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

الشيء حدث مع بلومفيلد (bloomfield) رائد التوزيعية حيث ذكر النص (Texte) في سياق حديثه عن المراحل الأولى الممهدة للدراسة اللسانية، والتي يأتي على رأسها : استعمال الكتابة دراسة الأدب وبالخصوص دراسة أقدم النصوص<sup>1</sup>، إلا أننا نستثني من كل هذا هلمسلاف (Hjelmslev) في إشارته إلى إمكانية تحليل النص باعتباره بنية كبرى، حيث وظف هذا الأخير مصطلح "النص" في مؤلفاته عن وعي حقيقي بما يحمله المصطلح (Texte) من حيث هو كيان لغوي قابل للتحليل، ومن شروطه التناسق والترابط بين مكوناته، فأشار إلى ظاهرة التناسق والترابط (cohesion) التي اتخذها كل من هاليداي<sup>2</sup> (Halliday)، ورقية حسن<sup>3</sup> (Hasan) (Ruqaiya) عنوانا لكتابه فيما بعد<sup>4</sup>.

### ب- المرحلة الثانية:

ونقصد بها مرحلة ما بعد ستينات القرن الماضي حيث تبلور البحث اللساني واستوى عوده واستقام، وظهرت نظريات لسانية جديدة، حيث ضاقت هذه الأخيرة ذرعاً "بإغفال القول المنجز، وإقصاء المعنى والسياق، فتجاوزت الإغراق في التجريد واتجهت إلى المعطيات التداولية، وأدخلت النص والخطاب ضمن دراستها وربطتها بعلوم أخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وغيرها"<sup>5</sup>، وبالتالي فقد تشعبت تعريفات النص وتعددت زوايا النظر إليه بين تعريفات تقوم على أسس بنيوية وأخرى اجتماعية، وأخرى تداولية وسيميائية في أحيان أخرى، وتعريفات تقارن النص بالجملة والخطاب وسنحاول الإحاطة بكل هذه الاتجاهات بغية الوصول إلى تعريف جامع لا يلغي خصائص النص المختلفة.

<sup>1</sup> ينظر: مُجَدِّد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص36.

<sup>2</sup> لغوي اجليزي من مواليد 13 أبريل 1925، وتوفي يوم: 15 أبريل 2018، اشتغل أستاذا بجامعة لندن، ثم انتقل للتدريس بجامعة سيدني حيث استقر. (وكيبديا)

<sup>3</sup> هي زوجة الباحث هاليداي، من مواليد 03 جويلية 1931، توفيت يوم: 24 جوان 2015، أستاذة اللسانيات في جامعات مختلفة في إنجلترا، انتقلت إلى أستراليا حيث استقرت، ودرّست بجامعة سيدني. (وكيبديا)

<sup>4</sup> ينظر: مُجَدِّد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص 27.

<sup>5</sup> عثمان أبو زنيد: المرجع السابق، ص 13.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

حاول لسانيان فرنسيان تتبع مفهوم النص عند مجموعة من الدارسين الغربيين المهتمين بمجال النص، وهما روبر لافون (R.Lafont)، وفرانسواز مادري (F.C. Madray) حيث توقفا عند دي سوسير (F. De saussure) واستعرضا جهود سبيتزر (Spitzer) وريفاتير (M.Riffatere) وجوليا كريستيفا (J. Kristiva) ورولان بارث (R. Barthes) ورومان جاكسون (R. Jakobson) وهي دراسة توضح تطور مفهوم النص وتكشف أبعاد هذا التطور<sup>1</sup>، والملاحظ أن هؤلاء هم أقطاب الدرس اللساني والنقدي الحديث في هذه الفترة حيث تجلّى مفهوم النص واضحا في مساهماتهم، لذلك سنقف عند أهم المحاولات التي صدرت عنهم، إضافة إلى بعض المعاجم المتخصصة والموسوعات الخاصة بتحليل الخطاب والسيمائية.

إن المتتبع لمختلف تعريفات النص يجد بعضها يركز على الخصائص البنوية للنص، ومن ذلك مفاهيم كل من تودوروف (Todorov) وفاينرش (H. Weinrich)؛ فالأول يرى أن النص يعرف باستقلاله وانغلاقه، وقد يأخذ شكل جملة كما قد يأخذ شكل كتاب بأكمله، وأما الثاني فيرى أنه "تكوين حتمي أجزاؤه ثابتة، بمعنى أنه وحدة كلية مترابطة الأجزاء تتتابع الأجزاء فيها وفق نظام، وتسهم كل جملة في فهم ما تليها، كما تسهم المقدمة في فهم المتأخرة، بحيث لا يتحقق المعنى من خلال معنى الأجزاء فحسب بل من خلال معاني الأجزاء وتأزرها في بنية كلية كبرى"<sup>2</sup>، والملاحظ على هذين التعريفين هو طغيان النظرة البنوية الخالصة التي تنطلق من مفهوم البنية على أنها "كلّ متكون من ظواهر متضامنة بحيث إن كلاً منها يتوقف على الأخرى ولا يمكنه أن يكون ما هو عليه إلا في علاقته معها"<sup>3</sup>، فالنص وفق ما سبق هو بنية متكاملة كلية تترابط أجزاؤه بعضها ببعض، ويفضي بعضها إلى بعض، وتساهم كلها في بناء رؤية كلية شاملة، وإن أي اختلال يمس أحد هذه الأجزاء يؤدي بالضرورة إلى اختلال نظام الكل (النص)، كما أننا نلمس بشكل واضح إهمال سياق النص ومبدعه ومتلقيه في التعريفين السابقين، وهذا بلا شك نابع من خصوصية المنهج البنوي الذي يهتم أكثر بالبنى اللغوية على حساب منتجها ومتلقيها.

<sup>1</sup> ينظر: خلود العموش: الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2008، ص 18.

<sup>2</sup> سعيد حسن بحيري: المرجع السابق، ص192.

<sup>3</sup> أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تع: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط2، 2001، ص1341.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

وإذا تعمقنا أكثر في التنقيب عن مفهوم النص عند هؤلاء اللسانيين نجد منهم من يركز على الوظيفة التواصلية للنص باعتباره وسيلة من وسائل التواصل، بل والقناة الأقدر على أداء هذه الوظيفة، على اعتبار أن " اللغة ليست مجرد أصوات وصيغ وجمل ودلالات بل هي أداة لممارسة اجتماعية"<sup>1</sup>، لذلك فقد عرفوا النص بأنه " بنية دلالية تنتجها ذات ضمن بنية نصية منتجة في إطار بنية أوسع اجتماعية وتاريخية وثقافية"<sup>2</sup>، وهو ما يحتم بلا شك البحث في كل الملايسات المحيطة بهذه البنية اللغوية الكبرى المقصودة (المشاركين في عملية التواصل، الإطار الزمني والمكاني، مضمون البنية اللغوية ودلالاتها... إلخ)، ولعل هذه النظرة يؤكدتها فان دايك (V.Dijk) من خلال كتابيه: " بعض مظاهر قواعد النص 1972، النص والسياق 1977" فالنص عنده نتاج لفعل ونتيجة لعملية إنتاج من جهة، وأساس لأفعال وعمليات تلق واستعمال داخل نظام التواصل والتفاعل من جهة أخرى، وهذه العمليات التواصلية تقع في عدة سياقات تداولية، معرفية، وسوسيوثقافية وتاريخية تحدد الممارسات النصية وتحدد بواسطتها<sup>3</sup>، وهو نفس التعريف الذي نجده عند كل من هاليداي (Halliday)، ورقية حسن (Hasan Ruqaiya) فالنص عندهما وحدة لغوية في طور الإنجاز.

ونجد من التعريفات من ينطلق من وجهة نظر سيميائية خالصة سواء في مقارنة النص أو في تحديد مفهومه، فننظر إليه على أنه علامة لسانية، وفي أغلب الأحيان قرنت هذه التعريفات النص بمصطلح "التناص"، فالنص في الحقيقة "مجموعة من النصوص المتداخلة (...). والنص لا يكون بالضرورة هو العبارات التي تكتب، بل قد يتمثل في الإشارات أو الرسومات التي توضع لغاية معلومة"<sup>4</sup>، وفي هذا الاتجاه تسيير جوليا كريستيفا (J. Kristiva) حين تربط النص بمفهوم التناص في تحديدها له فهو "جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلية يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه والمتزامنة معه"<sup>5</sup>؛ فالنص يتجاوز

<sup>1</sup> عثمان أبو زنيد: المرجع السابق، ص 18.

<sup>2</sup> سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2001، ص 12.

<sup>3</sup> محمد عزام: المرجع السابق، ص 16.

<sup>4</sup> عثمان أبو زنيد: المرجع السابق، ص 15

<sup>5</sup> جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال المغرب، ط2، د ت، ص 21.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

ما هو لغوي، فهو برأيها "ظاهرة مكونة بفضل اللغة لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها"<sup>1</sup> ، وبالتالي فهي تربط النص بالواقع الخارجي الذي يعبر عن مقولات غير لغوية ويعطيه بذلك حرية التشكل، وللقارئ حرية الفهم والتأويل<sup>2</sup> ، فهو عملية إنتاج وتوالد مستمرين تترك مساحة واسعة للمشاركة في العملية التواصلية.

وفي نفس السياق يسير هارتمان (Hartman) الذي يرى بأن النص " علامة لغوية أصلية تبرز الجانب الاتصالي والسيمائي"<sup>3</sup> إذ يقرّ بالصبغة العلاماتية بالرغم من كونه يبدو أكثر عمومية، واستنادا لما سبق يتضح أن النص في حد السيميائيين قد تجاوز حد البنية اللغوية المغلقة إلى فضاء أوسع وأرحب تمنح فيها الفرصة للقارئ في تشكيل النص ، ويتسع ليشمل أشكال تعبيرية متعددة كالرسم والأشكال وغيرها...، وبهذا يتحدد معنى النص في علاقته بالواقع الخارجي، وبالأنظمة المختلفة.

فإذا تجاوزنا التعريفات السيميائية فإننا نجد نوعا آخر من التعريفات تسعى إلى عقد مقارنة بين النص وبين الجملة، فهي تعريفات شكلية بالأساس ومن ذلك تعريف بيتوفي (Pitofi) الذي عدّ النصّ " وحدة لغوية متكونة من أكثر من جملة"<sup>4</sup> ونفس الشيء فعل فيرر (Wirrer) حين عدّ النص بأنه " مجموعة من الجمل المنسجمة"<sup>5</sup> ، أما برينكر (Brinker) فيرى بأنه " تتابع مترابط من الجمل"<sup>6</sup>...، والحقيقة أن هذه التعريفات لا ترسم صورة واضحة المعالم للنص خاصة في مستوياته الدلالية والتداولية، كما لا تقدم صورة شكلية مقنعة وواضحة له أيضا، ويعزز هذا الرأي الإشكالية التي وقع فيها اللسانيون الذين حددوا النص انطلاقا من حدّ الجملة خاصة تحديد النص

<sup>1</sup> سعيد حسن بحيري: المرجع السابق، ص 112.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 108

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 108.

<sup>4</sup> مجّد الشاوش: المرجع السابق، ج 1، ص 83.

<sup>5</sup> المرجع نفسه: ج 1، ص 83.

<sup>6</sup> سعيد حسن بحيري: المرجع السابق، ص 103.



## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

متعدد الجمل والأحادي الجملة، على الرغم من أنهم " تغلبوا على مأزق النص الأحادي الجملة بربط الجملة المستعملة بالمقام والتداول، فعندما تصبح الجملة قولاً منجزاً تمثل رسالة تبث لمستقبل فيستقبلها تكون نصاً"<sup>1</sup>.

وهناك تعريفات أخرى أقصت الجانب الشكلي وجانب الصياغة معاً، واهتمت بالمقابل بالجوانب الدلالية على اعتبار أن الجمل لا تمثل في الحقيقة إلا البنية السطحية، وبالتالي اهتمت بالجانب "القضوي" للنص بالمفهوم المنطقي المجرد، فالنص هو متتالية من القضايا وليس من الجمل، وفي هذا السياق يقع تعريف برينكر (Brinker) الذي يعرفه بقوله: " إنه مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القضيةية يترابط بعضها مع بعض على أساس محوري - موضوعي أو جملة أساس من خلال علاقات منطقية دلالية"<sup>2</sup>.

هذه بعض التعريفات والمفاهيم التي حاول أصحابها تقديم صورة للنص وإن اختلفت زوايا النظر إليه، إلا أن أحدث المفاهيم فهي تلك التي صيغت في إطار لسانيات النص والتي قامت على فهم عميق للنص وبنيته، ولم تغفل سياقه التاريخي والثقافي والاجتماعي، ولم تعن فقط بالبنى الشكلية والعلاقات المنطقية بين جملة وأجزائه، ولم تغفل الظروف المحيطة بمنتج النص ومنتقيه في آن واحد، حيث طرحت هذه الأخيرة - أي لسانيات النص - بديلاً شاملاً للبلاغة والاتجاهات الأسلوبية، من خلال العناية بالنص من زواياه المختلفة السيكلوجية، والنقدية، وربط الآثار النصية المستخرجة ببعض الخصوصيات البنائية للنص باعتبار تلك الخصوصيات شروطاً لإمكانية وجود تلك الأفكار، والاهتمام بتاريخية النص المعالج، أي الوضع الاجتماعي للكاتب وموقعه بالنسبة إلى مجموع معايير الاحتجاج والسلوك المعتمدة في عصره، والاختيار الذي يتبناه من بين الوسائل التي تملئها الظروف بالنظر إلى الجمهور الذي وجه إليه النص<sup>3</sup>، وهذا ما سيفضي بلا شك إلى نظرة كلية شاملة للنص والبنية النصية مهما صغر أو كبر حجمها (جملة أو مجموعة من الجمل).

<sup>1</sup> عثمان أبو زنيد: المرجع السابق، ص 22.

<sup>2</sup> سعيد حسن بحيري: المرجع السابق، ص 109-110.

<sup>3</sup> ينظر: هنري بليث: البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط 2، 1999، ص 28.

أما دي بوغراندي (R.De.Beaugrande) فقد اقترح مجموعة من المعايير لفهم النص والحكم عليه وتمييز النص من غيره هي: الاتساق والانسجام، القصديّة والمقبولية، الإعلامية والسياق والتناص، هذه المعايير تمثل ما يعرف بالنصيّة أي ما يجعل من بنية ما نصا، فإن مفهوم النص عنده قائم على مدى توفر هذه العناصر فيه. وفي هذا الإطار تندرج أعمال كل من هاليداي (Halliday) ورقية حسن (Hasan Ruqaiya) وفان دايك (V.Dijk) من خلال توسيع مفهوم النص ليشمل مختلف المناحي الدلالية والتداولية، وتجاوز الجدال الشكلي بين الجمل والمفوضات، فالنص عند هاليداي (Halliday) ورقية حسن (Hasan Ruqaiya) يقوم على عنصرين أساسيين:<sup>1</sup>

- بنية النص: وتتحكم فيه ثلاثة عناصر (المجال، نوع الخطاب، المشتركون في الخطاب).

- عنصر النظم: ويعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تساهم في وحدة النص.

أما فان ديك (V. Dijk) فله فضل كبير في الدراسة النصية وتقديم صورة واضحة للنص من خلال ربط البنية النصية بالجوانب الدلالية والتداولية، كما فعل هاليداي (Halliday) ورقية حسن (Hasan Ruqaiya) في جمعها بين بنية النص وعنصر النظم.

والذي يمكن أن نخلص إليه من وراء هذا التقصي لمفهوم النص عند أهم الباحثين والاتجاهات اللسانية والنقدية الحديثة هو أن النص إشكالية في حد ذاته، تعددت تعريفاته ومفاهيمه لكونه مركز استقطاب، وعنصرا مشتركا بين مختلف الاتجاهات اللسانية والنقدية والأدبية، وما دام الأمر كذلك فإن مقارنة النص ستختلف بلا شك من اتجاه لآخر ومن باحث لآخر؛ فالنظرة السيميائية تختلف بشكل تام عن النظرة البنوية، والشكلية تختلف عن النظرة الوظيفية التواصلية، إلا أن هذا الاختلاف لن يعجزنا في إيجاد قواسم مشتركة بينها، إذ لاحظنا أن هذه الاتجاهات قد ركزت على مجموعة نقاط أساسية يتكون منها النص: وهي: البنية اللغوية وحجمها وعلاقتها بالبنى الصغرى، الوظيفة التواصلية، علاقة البنية بالسياق بمختلف أجزائه وأشكاله، موقع البنية في شبكة العلامات....،

<sup>1</sup> ينظر: عثمان أبو زيد: المرجع السابق، ص 29.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

وبالتالي يمكن القول إن النص هو " وحدة كبرى شاملة تتكون من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من الناحية النحوية، وعلى مستوى عمودي من الناحية الدلالية"<sup>1</sup> ويمكن استخلاص مجموعة من الأمور من هذا التعريف:

- النص وحدة كبرى: بمعنى أن النص هو الوحدة التواصلية الكبرى التي يمكن من خلالها إقامة التواصل من جهة والتي يمكن اتخاذها مجالاً للتطبيق والتحليل بعد أن كانت الجملة تحتل هذه المنزلة كما سطر في إطار لسانيات الجملة.

- المستوى الأفقي للنص: فالنص يتكون من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية<sup>2</sup>.

- المستوى العمودي للنص: إذ يتكون النص من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية والمنطقية، ولهذا عند تحليل النص ينبغي أن نتبنى نظرية كلية تتفرع عنها نظريات صغرى تجمع كل المستويات<sup>3</sup>.

وبهذا يكون النص وحدة كبرى معلومة تتميز بإقامة علاقات بين أجزائها، وترتبط هذه الأجزاء بسياقاتها المختلفة التي أنتجت فيها، فهو "كلام متصل ذو وحدة جليلة تنطوي على بداية ونهاية، ويتسم بالتماسك والترابط، ويتسق مع سياق ثقافي عام أنتج فيه، وينسجم مع سياق خاص أو مقام يتعلق بالعلاقات القائمة بين القارئ والواقع من خلال اللغة، وبين بداية النص وخاتمته مراحل من النمو القائم على التفاعل الداخلي، وهذا التفاعل يؤدي بالنص إلى إحداث وظيفته التي تتمثل في خلق التواصل بين منتج النص وملتقيه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2009، ص141.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص141.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 141.

<sup>4</sup> خلود العموش: المرجع السابق، ص 22.

3-2-2- الخطاب:

يتداخل كثيرا مصطلح النص مع الخطاب في أدبيات البحث اللساني المعاصر، حيث يشتركان في جملة من الخصائص، جعلت كثيرا من الباحثين يستعملونهما للدلالة على مفهوم واحد وهو البنية الكبرى التي تعلو الجملة، في حين يفصل بعض الباحثين بينهما على المستوى النظري، على الرغم من الجمع الواضح بينهما على مستوى الممارسة التطبيقية، وبما أن هذا المصطلح عنصر محوري في النظرية اللسانية النصية فسنوليه جانبا من الاهتمام نبين مفهومه وعلاقته بالنص.

3-2-1- الخطاب في الثقافة العربية:

أ- الخطاب لغة:

الخطاب في اللغة العربية مشتق من الفعل خطب، وقد جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) في مادة (خ ط ب): "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان"<sup>1</sup>، وفي المعجم الوسيط جاء في المادة نفسها: "خطب الناس وفيهم وعليهم خطابة وخطبة: ألقى عليهم خطبة (...). والخطاب: الكلام. وفي التنزيل العزيز: فقال: ﴿فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: 23]"<sup>2</sup>، فإن المتمعن في هذين المعنيين اللغويين من معجمين مختلفين ينتميان إلى زمنين مختلفين يجد أنهما يركزان على أمر واحد مشترك وهو عملية التفاعل بين طرفي الخطاب (الباط والمُتلقي)، فهو بهذا المعنى اللغوي عملية تشاركية تتم عبر المشاركين في العملية التواصلية.

ب- الخطاب اصطلاحا:

يعد الخطاب من المصطلحات المحورية في الثقافة العربية خاصة وقد ارتبط بالدراسات الدينية والقرآنية، ثم اللغوية فيما بعد، فقد ورد الخطاب في القرآن الكريم بصيغ متنوعة في مواضع عدّة، إذ جاء في صيغة المصدر في

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص 361، مادة (خ ط ب).

<sup>2</sup> مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، دط، دت، ج1، ص242، مادة (خ ط ب).

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

ثلاثة مواضع في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ﴾ [ص: 20]، وقوله أيضا: ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: 23] وقوله أيضا: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبأ: 37]، كما ورد بصيغة الفعل في ثلاثة مواضع أخرى هي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63]، وقوله: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ﴾ [هود: 37] وقوله: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ﴾ [المؤمنون: 27].

ففي قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ﴾ [ص: 20] أورد المفسرون جملة من المعاني

منها<sup>1</sup>:

- إيجاب اليمين على المدعى عليه والبينة على المدعي.
- القضاء بين الناس وإصابته وفهمه.
- القصد الذي ليس له فيه اختصار محل ولا إشباع ممل.

أما الموضوع الثاني فقد جاء في تفسير الآية ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: 23] ما نصّه: " قال الضحاك: إن تكلم كان أفصح منّي وإن حارب كان أبطش منّي، وقال ابن عطية: كان أوجه مني وأقوى فإذا خاطبته كان كلامه أقوى من كلامي وقوته أعظم من قوتي، وقال الزمخشري: جاءني محجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرد به، وأراد بالخطاب مخاطبة المحاجّ المجادل"<sup>2</sup>.

أما الموضوع الثالث الذي جاءت فيه كلمة خطاب الاسمية أي في قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبأ: 37] " فإننا نرى أبا حيان الأندلسي (ت 745 هـ) لا يفصل فيه إطلاقاً لأنه يدل على الكلام كفعالية فردية سواء صدر عن المؤمنين أم الكفار، لذلك نراه يهتم بتحديد مرجع الضمير في قوله تعالى (يملكون) إذ يقول: "والضمير في (لا يملكون) عائد على المشركين، قاله عطاء عن ابن عباس، أي لا يخاطب

<sup>1</sup> ينظر: أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج7، ص374.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج7، ص376.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

المشركون الله، أما المؤمنون فيشفعون فيقبل الله ذلك منهم، وقيل عائد على المؤمنين، أي لا يملكون أن يخاطبوه في أمر من الأمور لعلمهم أن يفعله عدل منه وقيل عائد على أهل السماوات والأرض<sup>1</sup>، ومهما بلغت درجة الاختلاف في مرجع الضمير فإننا نرى أن الخطاب في كل الحالات يعني النشاط والكلام الفردي الصادر عن المؤمنين أو الكفار أو أهل السماوات والأرض.

أما الصيغة الفعلية فلم تختلف عن الصيغة الاسمية إذ دلت على نفس النشاط الفردي والشخصي والمتمثل في الإنجاز أو الكلام، فقد جاء في الكشاف للزمخشري (ت 538هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطَبُ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ﴾ [المؤمنون: 27] ما نصّه: "ولا تسألني نجاة الذين كفروا فإني أغرقهم"<sup>2</sup> ونفس الشيء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطَبُ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ﴾ [هود: 37]؛ إذ قال: "ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك"<sup>3</sup> وقد أيدته في هذا غير واحد من المفسرين. وهذا ما يجعلنا نطمئن ونسلم بأن معنى الخطاب في الدراسات القرآنية وخاصة في التفاسير قد قرن بالكلام "كفعالية فردية ونشاط ذاتي يعتمد المتكلم في تعبيره عن أغراضه"<sup>4</sup> إما من أجل التواصل بينه وبين غيره، أو التواصل بين العبد وربّه في صورة الدعاء، وبتعبير آخر فإن كلمة خطاب في الدراسات القرآنية قد استعملت لتدل على "الكلام المبين الدال على المقصود بلا التباس"<sup>5</sup>.

أما عند الأصوليين فقد حاز هذا المصطلح عناية كبيرة وذلك على اعتبار أنه "الأرضية التي استقامت أعمالهم عليها، بل كان هو محور أعمالهم"<sup>6</sup>، فقد جاء عند الآمدي (ت 631هـ) في معرض حديثه عن الحكم الشرعي، إذ ربط بين معرفة الحكم الشرعي وتمييزه بمعرفة الخطاب في حد ذاته، فعرفه بقوله: "قد قيل هو الكلام

<sup>1</sup> أبو حيان الأندلسي: المرجع السابق، ج 8، ص 407.

<sup>2</sup> أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار صادر، بيروت، 3، 1977، ج 3، ص 185.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج 2، ص 392.

<sup>4</sup> هاجر مدقن: الخطاب الحجاجي، أنماطه وأنواعه: دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، مذكرة ماجستير في الأدب العربي تخصص الأدب العربي ونقده، جامعة ورقلة، 2012-2013، ص 22.

<sup>5</sup> هادية السالمي: المرجع السابق، ص 16.

<sup>6</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط 1، 2004، ص 36.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

الذي يفهم المستمع منه شيئاً وهو غير مانع، فإنه يدخل فيه الكلام الذي لم يقصد المتكلم به إفهام المستمع، فإنه على ما ذكر من الحد وليس خطاباً، والحق إنه اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه<sup>1</sup> فقد فصل بين الحدّ والخطاب؛ إذ الفرق بينهما يكمن في الإفهام، فلا يشترط في الأول الإفادة والإفهام، في حين يشترط في الخطاب مجموعة من الأمور منها:

- أن يكون ملفوظاً فلا تعتبر الإشارات و التنيهات من قبيل الخطاب عنده.
  - أن يكون ذا فائدة.
  - وجود متلق متهيء لفهمه، فلا يسمى اللفظ المفيد خطاباً إلا إذا وجه إلى متلق واع قادر على استيعابه، فلا يسمى ما يوجه إلى المجنون والنائم والمغمى عليه خطاباً، ومن ذلك خطاب "الشارع" إذ تتوفر فيه كل مواصفات الخطاب السابقة..
- وعليه فإن الخطاب في الموروث الثقافي العربي يشير إلى تلك الفعالية الفردية التي تهدف إلى إقامة جسر التواصل وتحقيق الأغراض التبليغية مهما تنوعت هذه الأغراض.

### 3-2-2- الختاطب في الدراسات اللسانية الحديثة:

مصطلح خطاب هو ترجمة للمصطلح الأجنبي (Discour) المأخوذ من الأصل اللاتيني (Discursere) والذي يعني الجري هنا وهناك أو الجري ذهاباً وإياباً، وهو فعل يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي، وإرسال الكلام والمحادثة الحرة والارتجال، وغير ذلك من الدلالات التي أفضت في اللغات الأوربية الحديثة إلى معاني العرض والسرد<sup>2</sup>.

أما في الجانب الاصطلاحي فإن الحقيقة التي يجب أن نسلم بها في هذا المقام هي كون الخطاب من المفاهيم المحورية في الدرس اللساني المعاصر، وقد أجمع الدارسون على أن مفهوم الخطاب قد تكوّن في حضن الدراسات

<sup>1</sup> علي بن مجّد الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تح: سيد الحميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1986، ج1، ص136.

<sup>2</sup> ينظر: جابر عصفور: آفاق العصر، دار الهدى للثقافة والنشر، سوريا، ط1، 1997، ص 47.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

اللغوية الغربية المعاصرة، خاصة بعد ظهور مؤلف دي سوسير (F. De saussure) ، إلا أن المتتبع لمسار هذا المفهوم والمصطلح معا سيلاحظ بلا شك الاختلاف الواضح في صياغة هذا المفهوم تبعا لاختلاف المدارس اللسانية وزوايا النظر إلى المصطلح في حد ذاته.

وعلى الرغم من التعدد الذي سنراه في مفهوم الخطاب في الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة فإنه " يطلق إجمالا على أحد مفهومين؛ يتفق في أحدهما مع ما ورد قديما عند العرب، أما في المفهوم الآخر فيتسم بجذته في الدرس اللغوي الحديث، وهذان المفهومان هما:

- الأول: أنه ذلك الملفوظ الموجه إلى الغير بإفهامه قصدا معينا.

- الآخر: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة"<sup>1</sup>.

إن هذا التعريف قد يخلق نوعا من الخلط بين حدود الجملة والنص والخطاب - كما سيحييء- إلا أنه يوضح لنا الجزئية التي توقف عندها الفكر اللغوي العربي بتركيزه على الفعالية الفردية التي يمثلها الخطاب والتي تتمثل في إقامة جسر التواصل بين المشاركين في العملية التواصلية، أما أن نحصر الخطاب في شكل بنية لغوية تتعدى حدود الجملة فقط فهذا مما نرى الباحث قد جانب الصواب فيه، لأنه وقع -مثل كثير من الباحثين- في مطبات عدم التفريق بين النص والخطاب.

ومن أجل تقديم مفهوم واضح للخطاب علينا تتبع مفهومه وتطوره في الدراسات الغربية، حيث يرجع كثير من الباحثين الحديث عن الخطاب في الدراسات اللسانية إلى دي سوسير (F. De saussure) في حديثه عن الكلام، حيث يعد الكلام والخطاب مترادفين وقد جاء في "معجم تحليل الخطاب" في هذا الشأن " اللغة طبقا لتحديدها بأنها نسق قيم مقدرة تقابل الخطاب، واستعمال اللغة في مقام خاص استعمالا ينتقي القيم ويمكن أن يحدث قيمة جديدة، ونحن هنا أقرب إلى المقابلة السوسيرية بين لسان وكلام"<sup>2</sup>، أما إميل بنفنيست (E.

<sup>1</sup> عبد الهدي بن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص36،37.

<sup>2</sup> باتريك شارودو، دومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، دط، 2008، ص180.



(Benveniste) فيفرق بين الخطاب وفعل التلفظ إذ يرى بأن الخطاب هو " الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، والمقصود بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين، وهذا الفعل هو عملية التلفظ، وبمعنى آخر يحدد بنفنست (E. Benveniste) الخطاب بمعناه الأكثر اتساعا بأنه كل تلفظ يفترض متكلمًا ومستمعًا وعند الأول هدف التأثير في الثاني بطريقة ما"<sup>1</sup>.

فالخطاب بهذا هو كل ملفوظ يفترض عنصري العملية التواصلية (المتكلم والمستمع) يهدف إلى إحداث تأثير في المتلقي، وهو ما تم التأكيد عليه في معجم تحليل الخطاب إذ جاء في هذا الشأن: " إن إلقاء نظرة على نص من حيث هيكلته في اللسان يجعل منه ملفوظًا والدراسة اللسانية لظروف إنتاج النص تجعل منه خطاباً"<sup>2</sup>، فإن النظر في ظروف إنتاج لنص تجعل منه خطاباً وهذا ما تنفرد به المدرسة الفرنسية. أما هاريس (z. Harris) فيرى أن الخطاب هو مجموعة من الجمل وهذا ما جاء في معجم مصطلحات تحليل الخطاب "يمثل الخطاب وحدة لسانية متكونة من جمل متعاقبة، وهذا المعنى الذي يقصده ز.س. هاريس (1952) عندما يتحدث عن تحليل الخطاب، ويتحدث بعضهم عن نحو الخطاب"<sup>3</sup>، والملاحظ من كل هذا أن هاريس (z. Harris) يتحدث عن النص لا عن الخطاب وهو الإشكال الذي وقع فيه كثير من المترجمين، وإن كان المعجم نفسه يعقب على هذا بالأمر بالعبارة: " واليوم نفضل الحديث عن لسانيات نصية"<sup>4</sup>، وهو الأمر ذاته في معجم المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، وهو الذي قدم تعريفات متنوعة للخطاب موافقا فيها كثيرا مما جاء في معجم تحليل الخطاب ومنها<sup>5</sup>:

- الخطاب بالمعنى الذي بناه دي سوسير (F. De saussure) بخصوص الكلام، وهو المفهوم المتداول في اللسانيات البنوية.

<sup>1</sup> سعيد يقطين: المرجع السابق، ص 19.

<sup>2</sup> باتريك شارودو، دومنيك منغونو: المرجع السابق، ص 131

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 180.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 180.

<sup>5</sup> ينظر، دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط 1، 2008، ص 39.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

- الإحالة على الوحدة اللسانية بصفتها موضوعا للخطاب يتجاوز إطار الجملة إلى الوحدة اللسانية الكبرى (رسالة) أو الملفوظ العام.

- دمج تحليل الخطاب ضمن التحليل اللساني على خلفية أن الملفوظ يتكون من قواعد ومتواليات من الجمل.

- التمييز بين الخطاب والملفوظ الذي هو متوالية Séquence من الجمل من ناحية بنائه اللغوي ملفوظا، أما إذا كان موضوع الدراسة اللغوية هو ظروف إنتاج النص فإن هذه الدراسة تجعل منه خطابا، وقد جاء في هذا الشأن: " إن النظر الملقى على النص من حيث بناؤه (اللغوي) يجعل منه ملفوظا، أما الدراسة اللغوية لظروف إنتاج هذا النص فتجعل منه خطابا"<sup>1</sup>.

- التمييز بين الملفوظ والتلفظ.

- التمييز بين اللسان والخطاب من وجهة التعارض فيما بينهما، حيث ينظر إلى اللسان بكونه يتضمن عناصر ثابتة في حين ينزع الخطاب إلى إنتاج قيم جديدة لوحداث اللسان.

هذه بصورة عامة بعض مفاهيم الخطاب في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة وهي كما مر بنا تفصل بشكل واضح بين النص والخطاب والجملة والملفوظ ، وإن كان بعض الدارسين يحل بعض المفاهيم محل بعضها الآخر كما هو الشأن بالنسبة للخطاب والنص، إلا أن معظم هذه البحوث اللسانية الغربية تفصل بينهما على اعتبار أن النظر إلى البنية اللغوية مربوطة بسياقها وظروف إنتاجها يجعل من هذه البنية خطابا، أما عزل هذه البنية عن سياقها فيجعل منها نصا خالصا.

أما إذا انتقلنا إلى الدراسات العربية الحديثة في هذا المجال فإننا نجد معظمها متأثر بما صدر عن البحوث الغربية في هذا المجال، ومن ذلك ما جاء في كتاب "استراتيجيات الخطاب" لصاحبه عبد الهادي بن ظافر الشهري

<sup>1</sup> باتريك مونغونو: المرجع السابق، ص 39، باتريك شارودو، دومينيك منغونو: المرجع السابق، ص 38 .

الذي بدا واضحا في تأثره بالباحثة الأمريكية "ديبورا شيفرن (Deborah Schiffrin)<sup>1</sup> التي أقرت بالتعدد والتنوع في تحديدها لمفهوم الخطاب على الرغم من أن هذا التعدد لا يخرج عن عدّ الخطاب واحدا من الأمور الآتية:

- اعتبار الخطاب وحدة أكبر من الجملة.

- وصف الخطاب بكونه استعمال أي وحدة لغوية.

- عدّ الخطاب ملفوظا.

وهذه التعريفات والحدود تشكل في الحقيقة الاتجاهات العامة والرئيسة في تحديد مفهوم الخطاب، إذ يشير التحديد الأول إلى المنهج الشكلي في مقارنة الخطاب، فإن عناية الباحث في ظل هذا الاتجاه ستنصب بلا شك على تتبع وبحث عناصر انسجام الخطاب وترايطه وتركيبه ومعرفة العلاقات التي تجمع عناصره ووحداته بعضها ببعض، ومدى ملاءمتها لبعضها البعض وذلك على مستوى الإنجاز أو البنية المنجزة<sup>2</sup>.

أما التحديد الثاني فإنه يمثل المنهج الوظيفي والذي ينصّ على تحديد مفهوم الخطاب باعتباره استعمالا للغة، فإن هذا الاتجاه لا يقف عند حدود الوصف الشكلي للوحدات اللغوية والعلاقات التي تؤلف بينها، والعوامل الجامعة بينها، وإنما يتعدى إلى البحث في عناصر أخرى لها دور في إنتاج الخطاب وفهمه وتأويله، والعلاقة بين طرفي الخطاب (المرسل والمتلقي) وغيرها من العناصر المحيطة بعملية إنتاج الخطاب.

أما التعريف الثالث فإنه يقارب بين الخطاب والملفوظ "إذ يمثل هذا التعريف نقطة التقاطع بين المنهجين السابقين أي بين الشكلية والوظيفية"<sup>3</sup> فالخطاب مكون من جمل سياقية، بمعنى يتعدى حدود الوصف الشكلي للجمل والعلاقات التي تجمع بينها، وتجمع في الوقت ذاته العناصر السياقية ولا تلغي دورها، والباحث مع إلمامه بكل الاتجاهات السابقة وتركيزه على اتجاهات تحديد مفهوم الخطاب، نراه يورد تعريفا جامعا استقاه من الباحث

<sup>1</sup> باحثة أمريكية ولدت بتاريخ 30 ماي 1951 وتوفيت بتاريخ 20 جويلية 2017 مهتمة بتحليل الخطاب. (وكيبديا)

<sup>2</sup> ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص38.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص38.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

طه عبد الرحمن الذي يعرف الخطاب بكونه: " كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إيفهامه مقصودا مخصوصا"<sup>1</sup>، إلا أن الباحث عبد الهادي بن ظافر الشهيري يضيف عبارة " مع تحقيق أهداف معينة"<sup>2</sup> وهو بهذا يجمع بين الاتجاهات السابقة (الشكلية والوظيفية) .

أما الباحثة "خلود العموش" فتري أن الخطاب "كلمة تستخدم للدلالة على كل كلام متصل اتصالا يمكنه من أن ينقل رسالة كلامية من المتكلم أو الكاتب، وليس كل خطاب نصًا، وإن كان كل نص بالضرورة خطاب"<sup>3</sup>، وإذا كان هذا هو مفهوم الخطاب عندها فإنها تؤكد على المظهر الكلامي (اللغوي) للخطاب الذي يتطلب حضور مجموعة من العناصر المكونة له هي المرسل ، والمستقبل أو الجمهور، والرسالة أو الموضوع والهدف<sup>4</sup> . ويتوافق مفهوم الباحثة خلود العموش مع مفهوم الباحث أحمد المتوكل للخطاب، في التركيز على الوظيفة والبناء اللغوي إذ يعد خطابا عنده " كل ملفوظ مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات"<sup>5</sup> ، فإن الباحث يركز في هذا المقام على الجانب الوظيفي للبنية اللغوية وهي الوظيفة التواصلية، وهذا بناء على المنهج الوظيفي الذي لطالما تبناه الباحث في أعماله والذي يقوم أساسا على ربط البنى اللغوية بالوظائف التي تؤديها في سياقاتها، وهذا التحديد الدقيق لمفهوم الخطاب يجرنا إلى استنتاج أمور رئيسة هي<sup>6</sup>:

- تجييد وتجاوز الثنائية التقابلية جملة/ خطاب، حيث أصبح الخطاب شاملا للجملة، وإن هذا يعني تجاوز التحديد الشكلي والمفهوم الهيكلي ، إلى مفهوم آخر أكثر تعبيرا عن جوهر الخطاب/ النص.

-اعتماد الوظيفة التواصلية معيارا لتحديد الخطاب مما ليس خطابا.

<sup>1</sup> طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص215.

<sup>2</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهيري: المرجع السابق، ص39.

<sup>3</sup> خلود العموش: المرجع السابق، ص24.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص23.

<sup>5</sup> أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف، المغرب، ط1، 2010، ص24.

<sup>6</sup> المرجع نفسه: ص31.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

- تجاوز المعيار الكمي (الحجم) في تحديد مفهوم الخطاب، وهي ملاحظة تتداخل كثيرا مع النقطة الأولى (الشكلية) ، حيث أصبح من الممكن أن يعد خطابا نصّ كامل أو جملة، أو مركب (شبه جملة)، فإن المعيار الأساس هو تحقيق الوظيفة التواصلية.

ومما سبق يتضح جليا الاختلاف والتنوع في تحديد مفهوم الخطاب، إلا أننا سنحاول جمع مختلف الخصائص التي أشارت إليها التعريفات السابقة لصياغة تعريف شامل يلم بكامل خصائص الخطاب، وهذا لن يتأتى إلا من خلال الارتكاز على مختلف الاتجاهات السابقة في تحديد ماهيته، لذلك نقول إن جوهر الخطاب يتحدد بمقابلته بما ليس خطابا تأسيا بالمثل الشهير " تعرف الأشياء بأضدادها"؛ فإذا قارنا الخطاب بالجملة فإنه يبدو أكبر منها شكلا وحجما، بحسب التعريفات الشكلية السابقة، وإذا قارنا الخطاب بالنص يبدو الخطاب بنية لغوية مع سياقاتها المختلفة، وبمقاربة الخطاب بالملفوظ يظهر جليا أن الخطاب وحدة لغوية منظورا إليها مع ظروف إنتاجها، وعليه فإننا مضطرون إلى جمع كل هذه العناصر في تعريف واحد فنقول: إن الخطاب هو-على الأقل من وجهة نظر لغوية- بنية لغوية (رسالة) مكتوبة أو منطوقة، من باث إلى متلق تحمل وظيفة ما .

### • بين النص والخطاب:

من خلال العرض السابق للمفهومين المحوريين في لسانيات النص وهما النص والخطاب ، نلمح بيسر تداخلا واضحا بين النص والخطاب إن على المستوى التنظيري أو في مستويات إجرائية أخرى، ولا غرابة في هذا الأمر إذا علمنا أن كثيرا من الباحثين يعاملون المصطلحين على أنهما وجهان لعملة واحدة، ويمكن بالعودة إلى المصطلحين تحديد أهم الفروق الجوهرية بينهما.

يقدم فان دايك (V.Dijk) محاولة للتمييز بين النص والخطاب، فينظر إلى النص على أنه بنية عميقة ، بينما يمثل الخطاب بنية سطحية، أو ينظر إليهما بوصفهما مظهرين: المظهر التجريدي والمظهر الحسي، فالنص مظهر تجريدي بينما يجسد الخطاب وحدة لسانية تتجلى في ملفوظ لغوي، فالنص وحدة مجردة لا تتجسد إلا من

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

خلال الخطاب كفعل تواصلية، وفي هذا الإطار يتم الربط بين النص وسياقه التداولي<sup>1</sup>، فالنص وفق هذا الطرح هو المادة الخام والشكل المجرد، أما الخطاب فهو التجسيد الفعلي للنص، أو ممارسة النص في مقام تواصلية أي مقرونا بملاساته. أما غريماس (Greimas) وكورتيس (Courtès) فلهما وجهة نظر خاصة فيما يتعلق بالمصطلحين، إذ يرتبط النص عندهما بفعل الكتابة، بينما يتميز الخطاب بمظهره الشفوي النطقي.

وإذا كان هؤلاء يميزون بين المصطلحين، فإن بعض الباحثين يجمع بينهما إلى درجة يصعب معها الفصل بين المصطلحين، كما هو الحال في القاموس الموسوعي للتداولية، وفي دراسات جيرار جينيت (G.Genette) ورومان جاكسون (R.Jakobson) وتودوروف (Todorov) وفاينرش (Weinrich)، والحقيقة التي لا يمكن إغفالها أن بين المصطلحين فرق دأب اللسانيون المحدثون على تحديد نقاط التقاطع ونقاط الافتراق بينهما، وإن كانت الفروق التي حددها الدارسون تبدو ضئيلة قد لا تصمد على مستوى الإجراء التطبيقي ومن الفروق التي حددها الدارسون المحدثون نجد:

- يربط بعضهم النص بالكتابة والخطاب بالنطق أو الصوت.

- يفترض الخطاب وجود طرفي التواصل (مرسل ومرسل إليه)، إذ الخطاب موجه إلى متلق حاضر يتلقاه، بينما يوجه النص إلى قارئ/ متلق قد يكون غائبا.

- يرتبط الخطاب بلحظته، أي أنه مرتبط بلحظة إنتاجه لأنه معتمد أساسا على المشافهة، في حين يتميز النص بالاستمرارية لأن له ديمومة الكتابة. ويرجع الباحثون سبب هذا التداخل بين المصطلحين إلى أسباب رئيسة لعل أهمها:<sup>2</sup>

- ربط النص والخطاب بالإنتاج فكلاهما يمكن أن يطلق على قدر من الكلام يؤدي به غرض بين متخاطبين في موقف تبليغي معين قد يعلو الجملة وقد يكون أقل منها.

<sup>1</sup> ينظر: خلود العموش: المرجع السابق، ص 24

<sup>2</sup> ينظر: يحيى بحيطيش: المرجع السابق، ص 303.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

- يضم كل من الخطاب والنص وجهين أو جانبيين: لغوي (يتعلق بالبنية اللغوية) وآخر غير لغوي يتعلق بالملازمات الخارجية أو السياق المحيط بالبنية اللغوية والذي يمثله: المرسل والمتلقي، والمستوى الثقافي والاجتماعي والظروف الخارجية المحيطة بالبنية...

- كل من النص والخطاب يحوي بنى معقدة متشابكة (صوتية، صرفية، دلالية، تركيبية، تداولية..).

- كل منهما يفسر الآخر على مستوى الممارسة النظرية أو التطبيقية لكثير من الباحثين والدارسين، فالنص يعرف أو يفسر على أنه خطاب مثبت بالكتابة، والخطاب نص متحقق بالنطق أو الكتابة لذلك تتشابه الأمثلة الموضحة لهما مما يخلق نوعا من الغموض.

وعليه يمكن القول مما سبق إن التداخل واضح وبيّن بين المصطلحين فرضته مجموعة من العوامل المنهجية والإجرائية، والبحث في هذا المقام مضطر إلى التفريق بين المصطلحين وإن كنا لا نعتمده كثيرا في ثنايا البحث إلا أننا سنتبع ما أجمع وما تعارف عليه الباحثون وهو أن الخطاب "يكون في مستوى أوسع من النص ربما لأن النص كانت إجراءاته نصية محايدة تقصي الخارج (السياق الخارجي) والخطاب إجراءاته تداولية تعتبر السياق من أهم إجراءاته"<sup>1</sup>.

### 3-3- النصية:

قد بينا سابقا مفهوم النص والتداخل الحاصل بينه وبين الخطاب، ولا حظنا أهم العناصر المشكلة له، فالنص لا يسمى نصا إلا إذا توفرت فيه مجموعة من الشروط الشكلية/البنوية، والوظيفية/التواصلية، أو من خلال شبكة من العلاقات التي يقيمها النص بين أجزائه الداخلية، أو العلاقات التي يقيمها النص مع العناصر الخارجية كمنتج النص ومتلقيه والسياق المحيط به، وإن البحث في مثل هذه الأمور التي تشكل النص، وتجعلنا نحكم على بنية لغوية ما بأنها نص هو في الحقيقة بحث في "النصية"؛ أي بحث يروم تحديد النص من غير النص، أو بحث في كل ما يجعل

<sup>1</sup> سعد بولنوار: آليات تحليل الخطاب في أضواء البيان للشقنيطي: تحديد المفاهيم النظرية، أطروحة دكتوراه العلوم في اللغة والعربية وآدابها تخصص الأدب العربي ونقده، جامعة ورقلة، 2011-2012، ص 65.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

من بنية لغوية ما نصا، وقد عرّف الدارسون والباحثون هذه الخاصية -أي النصية - في بحثهم فهي " السمة الرئيسة في تحديد كون النص نصًا، فالنصية هي ما يميز النص عن غير النص أو عن الأنماط والأشكال اللغوية وغير اللغوية غير المكتملة"<sup>1</sup> أو هي "قواعد صياغة النص"<sup>2</sup> فالنصية هي ما يجعل من نص ما نصا.

إن أهم محاولة لرصد ما به يقوم النص، أو تتحقق به النصية هي محاولة دي بوجراند (D.Beaugrande) من خلال المعايير السبعة، حيث جاء في كتابه "النص الخطاب والإجراء" ما نصّه: " وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصية Textuality أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها"<sup>3</sup> أما هذه المعايير فهي: الاتساق، الانسجام، القصد، القبول، السياق، التناص، الإعلامية. حيث تتوزع هذه المعايير على مختلف مكونات النص اللغوية وغير اللغوية وقد حاول بعضهم توزيع هذه المعايير على الشكل التالي<sup>4</sup>:

1- ما يتصل بالنص في ذاته Text centred وهما معيارا السبك والحبك .

2- ما يتصل بمستعمل النص سواء أكان المستعمل منتجا أم متلقيا User centred وذلك معيارا القصد والقبول.

3- ما يتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص وذلك معايير الإعلام، والمقامية والتناص.

فالملاحظ من خلال هذه المعايير التي أوردها دي بوجراند (D.Beaugrande) أن التقابل بين النص والجملة يلقي بظلاله في هذا التقسيم، وفي اختياره للمعايير التي تحدد النص من اللانص " ،ولاشك أن أعمال تلك المعايير السبعة في تحديد ما به يكون الكلام نصا، إنما يعود -في نظرنا- إلى التقابل المفترض بين مفهومي الجملة والنص، ومن ثم يكون معيار التمييز بين ما صدق المفهومين بعيدا من أن تنحصر في الكم أو مطلق البنية النحوية،

<sup>1</sup> رانيا فوزي عيسى: علم اللغة النصي، رسائل الجاحظ أنموذجا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2014، ص54

<sup>2</sup> نعمان بوقرة: المرجع السابق، ص142.

<sup>3</sup> روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص103.

<sup>4</sup> ينظر: سعد مصلوح: "نحو آجرومية للنص الشعري"، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،، جويلية 1991 المجلد 10، العدد: الأول والثاني ، ص154.



## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

وتكون الجملة التي تتوافر لها هذه المعايير السبعة نصًا، أما سلسلة الجمل التي يتخلف عنها أحد هذه المعايير المذكورة فلا تعد نصًا حتى وإن تحققت لها سلامة التركيب النحوي"<sup>1</sup>، وسنعرض لهذه المعايير بشيء من الاختصار.

### 3-3-1- الاتساق (السبك) Cohesion :

يتعلق بالعناصر الشكلية والسطحية المشكّلة لظاهر النص " وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية (Surface) على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق (Progressive accuracy) بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي ((Sequential Connectivity) بحيث يمكن استعادة هذا الترابط"<sup>2</sup>، والمقصود بظاهر النص " الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني والتي نخطّها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، ولكنها لا تشكل نصًا إلا إذا تحققت لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظاً بكيونته واستمراريته"<sup>3</sup>. أما وسائل تحقق الاتساق فقد لخصها روبرت دي بوجراند (R. Beaugrande) في مجموعة من الإجراءات البنوية الشكلية سماها وسائل التضام والتي تشتمل على " هيئة نحوية للمركبات Phrases والتراكيب Clauses والجمل، وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية Pro-forms والأدوات والإحالة المشتركة Co-reference والحذف والروابط Junctions"<sup>4</sup>، ويفضّل سعد مصلوح تسمية كل هذه الوسائل بمصطلح "الاعتماد اللغوي" (Grammatical Dependence) ويتحقق هذا الاعتماد النحوي من خلال شبكة متداخلة من الأنواع:

<sup>1</sup> رانيا فوزي عيسى : المرجع السابق، ص 154.

<sup>2</sup> روبرت دي بوجراند: المرجع السابق، ص 103.

<sup>3</sup> سعد مصلوح: المرجع السابق، ص 154.

<sup>4</sup> روبرت دي بوجراند: المرجع السابق، ص 103.

- الاعتماد في الجملة Intra-sentential، و الاعتماد فيما بين الجمل Inter-sentential، و الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة، الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات، الاعتماد في جملة النص<sup>1</sup>. فهو يبين مستوى العلاقات النحوية في نسيج النص التي قد تكون على مستوى الجملة؛ أي بين عنصر من الجملة وعنصر آخر من الجملة ذاتها، أو بين الجملة والجملة داخل النص، أو بين مكونات النص ككل، وعليه فإن الاتساق (السبك) متعلق بالعلاقات والأدوات النحوية الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص وأجزائه الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة به، هذه العلاقات هي المشكلة لأي إنتاج لغوي، ولا يتشكل النص إلا من خلال هذه العلاقات<sup>2</sup>.

### 3-3-2- القصد (القصدية) L'intentionnalité:

وهو معيار يدخل ضمن المجموعة الثانية من المعايير التي صنفها روبرت دي بوجراند ( R.de beaugrande) والمتعلقة بمنتج النص ومستعمله، وقد عرفه بقوله: " هو يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد فيها أن تكون نصًا يتمتع بالسبك والالتحام، وأن مثل هذا النص وسيلة Instrument من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها"<sup>3</sup>، وعليه فإن هذا المعيار مرتبط بطرف العملية التواصلية الأول وهو الباث أو المرسل، فكل نص لابد وأن يكون من ورائه غاية أو هدف يبغي منتج النص أن يوصله إلى متلقيه، وبالتالي يتضمن هذا المبدأ " مجموعة الصور والأحداث اللغوية المعبرة عن اعتقاد منشئ النص وموقفه ومقاصده التي يهدف إلى إبلاغها إلى المتلقي"<sup>4</sup>، ويرى بعض الدارسين أن صفة النصية تنتفي عن النصوص

<sup>1</sup> روبرت دي بوجراند: المرجع السابق، ص 154.

<sup>2</sup> رانيا فوزي عيسى: المرجع السابق، ص 93، 94.

<sup>3</sup> روبرت دي بوجراند: المرجع السابق، ص 103.

<sup>4</sup> يحيى بعبطيش، المرجع السابق، ص 394.

التي لا ينوي منتجها إيصال فكرة أو غرض إلى المتلقي فهذا الأخير يتفاعل في الغالب تفاعلا إيجابيا أو سلبيا مع المقاصد التي يستخلصها بصورة مباشرة أو غير مباشرة من الأفعال اللغوية المختلفة المكونة لبنية النص<sup>1</sup>.

### 3-3-3- المقبولية (القبول) L'acceptabilité:

إذا كان معيار القصدية متعلق بمنتج النص أو الرسالة فإن مبدأ المقبولية أو القبول متعلق بالمتلقي ومدى تقبله للنص وحكمه عليه بالتماسك من عدمه، حيث يعرفه دي بوجراند (R.de beaugrande) بقوله: " وهو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام"<sup>2</sup>، بمعنى أن المقبولية مرتبطة بمستقبل النص ومدى حكمه على النص، وبالتالي فإن الحديث في هذا الإطار - إطار لسانيات النص- عن المقبولية يذكرنا بمبدأ المعيارية في إطار لسانيات الجملة الذي يمكن من خلاله الحكم على جملة ما، وتعبير آخر " تكون المقبولية في نحو النص في مقابل مطابقة القاعدة في نحو الجملة، غير أنها مع الجملة قد تسمح بالاحتمال الدلالي وتعدد الأوجه الإعرابية، لكنها مع النص تنخفض درجة الاحتمال إلى الصفر، ويرجح الوجه الإعرابي المناسب مع النصوص العادية بصفة خاصة"<sup>3</sup>، فالمقبولية وفق هذا الطرح هي قدرة المتلقي المشاركة في صنع الخطاب والنص، والحكم على تماسكه انطلاقا من الخلفية اللغوية والمعرفية والثقافية التي يتمتع بها هذا الأخير، لذلك قيل في تعريفها: هي رغبة نشطة للمشاركة في الخطاب، فالقارئ بقراءته للنص يصنع تماسكا من نوع مختلف لما يقرره علم القواعد ( أي أنه يخلق معيارا غير المعيار الذي دأبت عليه لسانيات الجملة) حيث يقوم بعمل سياق من أجل تفسير المعلومات الجديدة لكي يصنع التماسك والاستمرارية في النص<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يحي بعبطيش، المرجع السابق، ص 394.

<sup>2</sup> روبرت دي بوجراند: المرجع السابق، ص 104.

<sup>3</sup> يحي بعبطيش: المرجع السابق، ص 394.

<sup>4</sup> ينظر: عزة الشبل : علم لغة النص، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009، ص34.

### 3-3-4- رعاية الموقف (السياق) : *situationnalité*

ينتمي هذا المعيار إلى المجموعة الثالثة ضمن معايير دي بوجراند (R.de beaugrande) والخاصة بكل ما يحيط بالنص من ملابسات وظروف خارجية، والحقيقة أن هذا المعيار قد نال حظه من الدرس سواء في الممارسة النقدية واللسانية الغربية، أم في الممارسة العربية، لما لهذا الأخير من دور سواء في فهم النص، أو في توجيه دلالاته وتحديد معناه، وقد أولت اللسانيات النصية عناية بالغة لهذا المبدأ وجعلته عنصراً فاعلاً في بناء وإنتاج وحتى تقبل واستقبال النص وصنع نصيته، ذلك أن البنى اللغوية لا يمكن أن تكون بأي حال من الأحوال معزولة عن بعضها البعض أو معزولة عن ظروف إنتاجها.

عرف دي بوجراند (R.de beaugrande) في كتابه "النص والخطاب والإجراء" هذا المبدأ بقوله: "هي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه"<sup>1</sup>، أما الحكم على نصية النص انطلاقاً من هذا المبدأ فإنه يكون انطلاقاً من مدى ملاءمة النص وتوافقه مع المبدأ السائد الذي يمكن أن يظهر أو يسترجع من خلال جملة من المؤشرات اللغوية كالضمائر الشخصية والظروف الدالة على الزمان والمكان وأسماء العلم والمضافة التي يتضمنها أي نص<sup>2</sup>، وإن غياب عناصر المقام سيعرض النص بلا شك إلى سوء الفهم والتأويل، فهي مجموع الشروط التي تعمل على إزالة اللبس الذي قد يصاحب استقبال البنى اللغوية ويكشف المعاني المضمرة، ويحدد القصد والغاية من العبارة اللغوية.

### 3-3-5-التناص *Intertextualité*

نال هذا المصطلح حظه الوافر من البحث وهو يتعلق بعلاقة النص بغيره من النصوص وهو عند دي بوجراند "يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير

<sup>1</sup> روبرت دي بوجراند، المرجع السابق ص104.

<sup>2</sup> ينظر: يحيى بعيطيش، المرجع السابق: ص27.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

وساطة"<sup>1</sup>، أما عن كيفية تحقيق النصية انطلاقاً من مبدأ التناص فيمدى انصهار المنقول وتفاعله بما نقل له وتآلفه، بمعنى أن اندماج النص الأصلي بما قبله من عناصر النصوص في بنية واحدة مؤشر على نصية النص.

### 3-3-6- الإعلامية Informativité:

وهو مصطلح يستعمل للدلالة على ما يجده مستقبلو النص في عرضه من جودة وعدم توقع، وموضوعها "مدى التوقع الذي تحضى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقع أو المعلوم في مقابل المجهول"<sup>2</sup>، فكلما كان هناك ابتعاد عن التوقع وكثرة المعتاد والمألوف زادت الكفاءة الإعلامية للنص، فإنه لا يكون نصاً ما لم يكن قادراً على أداء الوظيفة الإعلامية فينقل محتوى من المحتويات.

هذا وإن اجتماع هذه العناصر أو بعضها في أي نص من النصوص هو مؤشر من مؤشرات نصية النص بحسب رأي روبرت دي بوجراندي (R.de beaugrande)، وهي محاولة جادة من أجل حصر علامات النصية وتمييز النص من اللانص.

### 3-3-7- الانسجام (الحبك) coherence<sup>3</sup>:

لا يمكن الحديث عن "نص" بالمفهوم الاصطلاحي للكلمة، ما لم يتوفر في هذا الأخير مجموعة من الخصائص والمقومات التي يستند إليها ويقوم عليها، وقد سعى الدارسون والباحثون المشتغلون بميدان تحليل النصوص والخطابات إلى استجلاء هذه الخصائص والعناصر، ولعل تلك المحاولة التي قام بها روبرت دي بوجراندي (R.de beaugrande) في تحديد مقومات النص هي أشهر تلك المحاولات على الإطلاق، إذ حاول أن يضع من خلال هذه المعايير مجموعة من المقاييس المعيارية التي يتم على أساسها التمييز بين أشكال الإنتاج اللساني (النص/اللانص).

<sup>1</sup> روبرت دي بوجراندي: المرجع السابق، ص 104.

<sup>2</sup> عزة الشبل: المرجع السابق، ص 68.

<sup>3</sup> قمنا بالتفصيل في هذا المبدأ أكثر من غيره نظراً لكونه بحثنا يتركز أساساً على بحث كيفية تحقق معيار النصية من خلال مختلف آليات الانسجام.

إن الحقيقة التي لا يجب أن نغفلها في هذا المقام هي أن البحث في نصية النصوص عمل قديم، إذ تكفي عودة سريعة إلى تراثنا العربي لنكتشف جزءاً من هذا الجهد الضخم الذي قام به النحاة ومفسرو القرآن، والمشتغلون ببلاغة وعلوم القرآن وحتى المهتمين بنقد الشعر والأدب عامة<sup>1</sup>.

لا يخفى علينا أن هذه المحاولات في مجملها كانت تروم البحث عن الآليات الخفية الكامنة وراء تماسك النص وتشكله، ويبدو أن مبحث الانسجام قد نال عناية بالغة عند هؤلاء الدارسين المحدثين، وأولئك، وهو المبحث الذي يقوم على اكتشاف العلاقات والآليات التي تترابط بها أجزاء النص ليشكل وحدة وكلاً متكاملًا، إلا أن هذه العلاقات والآليات الخفية والظاهرة التي تجعل النص منسجماً متماسكاً قد اختلفت من بيئة معرفية إلى أخرى، ومن نظرية إلى أخرى، وقبل أن نشير إلى هذا التنوع والتعدد في تحديد آليات الانسجام، حري بنا بداية أن نعرض على مفهوم الانسجام لغة واصطلاحاً.

#### أ- الانسجام لغة:

قبل أن نشير إلى المعاني اللغوية العربية وغير العربية للانسجام، ينبغي بداية أن نشير إلى أن الانسجام في هذا البحث هو المقابل الأجنبي للمصطلح الغربي (Cohérence) وهو المصطلح الذي استقر عليه هذا البحث واعتمده معظم الدارسين العرب المحدثين وعلى رأسهم محمد خطابي في كتابه "لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب".

بالعودة إلى لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ) في مادة (س ج م) فإننا نعثر على المعاني الآتية: "سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجمه وتسجمه سجما وسجوما وسجمانا، وهو قطران الماء والدمع وسيلانه قليلاً كان أو كثيراً، وكذلك الساجم من المطر، والعرب تقول: دمع ساجم ودمع مسجوم (...). وانسجم

<sup>1</sup> سنذكر جانباً من هذا الاهتمام في المباحث اللاحقة، خاصة عند الجرجاني والسكاكي والجاحظ وحازم القرطاجني ويدر الدين الزركشي وغيرهم.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

الماء والدمع فهو منسجم إذا انسجم أي انصب، وسجمت السحابة مطرها تسجيما وتسجاما إذا صبته<sup>1</sup>، وهو المعنى نفسه الذي أورده ابن فارس (ت 329هـ) من قبل في "مقاييس اللغة" إذ قال: "السين والجيم والميم أصل واحد وهو صب الشيء من الماء والدمع، يقال سجت العين دمعها، وعين سجوم، ودمع مسجوم، ويقال أرض مسجومة أي ممطرة"<sup>2</sup>.

أما الجوهري (ت 393هـ) في معجمه "الصحاح" فلم يبتعد كثيرا عن هذا المعنى إذ جاء في باب (س ج م) ما نصّه: "سجم الدمع سجوما وسجاما، سال وانسجم، وسجمت العين دمعها وعين سجوم، وأرض مسجومة، أي ممطرة، وأسجمت السماء صبّت مثل اثجمت، والأسجم: الجمل الذي لا يرغو..."<sup>3</sup>.

والمعنى نفسه تقريبا نجده تقريبا في "معجم الوسيط" الحديث، إذ أورد المعاني السابقة نفسها في باب "س ج م"، وهو ما يجعلنا نتساءل في هذا المقام عن العلاقة الجامعة بين المعنى اللغوي الذي يدور حول انسكاب الماء وجريانه وبين المعنى الاصطلاحي المتعلق بتراطب النصوص والخطابات، وقد نجد لهذا الوضع تخریجا معينا يتمثل في وجه العلاقة بين النص المنسجم المترابط أوله بآخره بسلاسة، وبين الماء المتدفق المتتابع، ولعل "ابن أبي الأصبغ المصري (ت 654هـ)" كان يقصد هذا الأمر في حديثه عن الانسجام بين الألفاظ، إذ استعار هذا المعنى اللغوي، فقد جاء في باب الانسجام ما يأتي: "وهو أن يأتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم، سهولة سبك و عذوبة ألفاظ"<sup>4</sup>، فوجه العلاقة إذن هو تلك السيولة والسهولة بين الماء و الكلام المتناسق.

أما "معجم العربية المعاصرة" فقد تناول المادة من زوايا مختلفة، وإن اهتم بداية بإيراد المعاني القديمة المتوارثة من سيلان الماء وانسكابه، إلا أنه زاد على هذه المعاني فيما جاء فيه: "انسجم ينسجم فهو منسجم، انسجم الكلام:

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، ج 12، ص 280، مادة (س ج م)

<sup>2</sup> أبو الحسن أحمد ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، دط، 1979، ج 3، ص 136-137، باب (س ج م).

<sup>3</sup> إسماعيل بن حماد الجوهري: كتاب الصحاح: تاج اللغة و صحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1987، ج 5، ص 946، 947، باب (س ج م).

<sup>4</sup> ابن أبي الأصبغ المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر و بيان إعجاز القرآن، تح: حنفي محمود شرف، مطابع شركة الإعلانات المصرية، القاهرة دط، 1997، ص 429.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

انتظم ألفاظا وعبارات من غير تعقيد، كان سلسا أنيقا متوافقا في الأفكار والشعور والميول، انسجام الأنغام انسجام الألحان، انتظامها وتوافقها بطريقة تلذ للأذن (...). انسجم الأمر مع غيره، اتفق معه ولم يتعارض، انسجمت القرارات المتخذة مع مبادئنا، انسجمت الفتاة مع الآخرين. هذه الألوان غير منسجمة مع بعضها، هما في قمة الانسجام: متوافقان تماما سمن على عسل<sup>1</sup>، وهي كما نلاحظ معان اصطلاحية أكثر منها لغوية، ودليل ذلك ما جاء في العبارة التي جاءت بعدها في المعجم نفسه في قوله: "الانسجام الصوتي: تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض تأثرا يهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينهما يزداد مع مجاورتها وقربها في الصفات أو المخارج"<sup>2</sup>. وهو معنى اصطلاحى متعلق بجانب من جوانب الاتفاق والتماثل على المستوى الصوتي.

وعليه إجمالاً يمكن القول إن المعاجم العربية قد أجمعت على أن الانسجام هو سيلان الماء وجريانه بشكل منتظم، وهذا الجريان والانتظام هو وجه الشبه بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحى للانسجام، الذي يعنى التناسق بين أجزاء النص، وبهذا يتحقق أهم شرط من شروط الاصطلاح والمتمثل في ضرورة وجود علاقة بصورة ما بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحى، أثناء عملية الاصطلاح كما نص على ذلك الشريف الجرجاني (ت816هـ) في كتابه التعريفات في حديثه عن الاصطلاح<sup>3</sup>.

### ب- الانسجام اصطلاحاً:

#### • إشكالية المصطلح:

قبل أن نشير إلى مفهوم الانسجام من الناحية الاصطلاحية ينبغي علينا أن نشير بداية إلى قضية المصطلح في هذا الباب، إذ يمكن للدارس المتخصص وغير المتخصص أن يكتشف دون عناء حجم الفوضى التي تطبع عملية وضع وترجمة وتداول المصطلحات اللغوية واللسانية الحديثة في البيئة العربية، وهو الأمر الذي ينطبق تماماً على

<sup>1</sup> أحمد مختار عمر: معجم العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة ط1، 2008، ص1037.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص1037.

<sup>3</sup> يقول الشريف الجرجاني في هذا الشأن: "الاصطلاح إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما"، ولمزيد من التفصيل ينظر: كتاب التعريفات، ص28.



## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

مصطلح (انسجام)، هذه الفوضى تتجلى بصورة واضحة في التداخل بينه وبين مصطلح (اتساق)، كما تتجلى أيضا في الخلط الكبير الذي وقع فيه كثير من المترجمين، وهو ما جعلنا نقف حقيقة على أشكال الفوضى المصطلحية من ترادف مصطلحي، وتداخل مصطلحي، وقد يتعد الأمر كثيرا حين نجد الباحث الواحد يستعمل أكثر من تسمية للدلالة على المفهوم الواحد، وهو ما يعيدنا دائما إلى الإشكالية التي تفرق البحث اللساني العربي الحديث وهي إشكالية المصطلح.

وبالعودة إلى مصطلح " انسجام " فقد حاول غير واحد من الباحثين رصد هذا الاختلاف في وضع المصطلح واستعماله ويمكن أن نوضح الأمر من خلال الجدول الآتي:

صاحب المصطلح	المصطلح	المصطلح المعتمد	المرجع
صلاح فضل	Cohésion	الترايط	بلاغة الخطاب وعلم النص
	Cohérence	الانسجام/ التماسك الدلالي	
سعد مصلوح	Cohésion	السبك	نحو آجرومية للنص الشعري
	Cohérence	الحبك	
مُجد خطابي	Cohésion	الاتساق/ التماسك	لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب
	Cohérence	الاتساق/ الانسجام	
إلهام أبو غزالة	Cohésion	التضام	مدخل إلى علم لغة النص
	Cohérence	التقارن	
حسن بحيري	Cohésion	الربط/ الربط النحوي/ السبك	علم لغة النص

الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

	التماسك / التماسك الدلالي / الحبكة	Cohérence	
النص الخطاب الإجراء	السبك / التضام	Cohésion	تمام حسان
	الالتحام / التعليق	Cohérence	
نحو النص	التماسك / الربط / الاتساق / التضام / الترابط الرصفي	Cohésion	أحمد عفيفي
	التماسك / الانسجام / الترابط المفهومي	Cohérence	
المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب	الاتساق / الربط	Cohésion	نعمان بوقرة
	التماسك / الانسجام	Cohérence	
علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق	التماسك النصي	Cohésion	إبراهيم الفقي
	التماسك الدلالي	Cohérence	
مدخل إلى علم النص	الانسجام	Cohésion	محمد الأخضر الصبيحي
	الاتساق	Cohérence	

جدول يبيّن اختلاف استعمال مصطلحي اتساق وانسجام عند الدارسين العرب.

فإذا عدنا إلى هذا الجدول بشيء من التفصيل، وحاولنا تتبع مسار هذا المصطلح واستعماله في البيئة العربية، وبحث علاقته بالمصطلحات الأخرى ضمن حقل لسانيات النص وتحليل الخطاب، أمكننا القول بداية إن الاختلاف بيّن وواضح بين الدارسين، في ترجمة المصطلح والخلط بينه وبين مصطلح (اتساق Cohésion).

فقد اختار "سعد مصلوح" مصطلح "السبك" كمقابل للمصطلح الأجنبي (Cohésion) و"الحبك" كمقابل للمصطلح (Cohérence)، ووافق في ذلك "أحمد عفيفي" وإلى حد بعيد "سعيد حسن بحيري"، ففي معرض حديث "سعد مصلوح" عن النص والنصية - باعتبارها مجموعة من المعايير التي تجعل من بناء لغوي ما نصًا - أثر أن يعتمد معايير (دي بوجراند R. de beaugrande) السبعة المعروفة والتي حددناها سابقا، لكنه في هذا الموضوع وضع المقابل العربي لمختلف المصطلحات التي وظفها، وفي هذا الشأن يقول: "آثرنا أن نعتمد تعريف آلان دي بوجراند (R. de beaugrande) وولفجانغ أولرخ درسلار (Ulrich wolfgang dresslar) (لفهوم النص من حيث إنه حدث تواصلية Communication occurrence يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف عنه واحد من هذه المعايير : السبك Cohésion / الحبك Cohérence / القصد Intentionality / القبول Acceptability / الإعلام Informativity / المقامية Situationality / التناس Intertextuality"<sup>1</sup>.

ويعود سبب اختيار "سعد مصلوح" لهذه المقابلات العربية إلى مراعاة أحد أهم مبادئ الاصطلاح الذي دعت إليه المجامع اللغوية العربية، وذلك من خلال السعي ما أمكن إلى البحث عن مصطلحات يمكنها أن تكون معادلا موضوعيا ومكافئا تاما للمصطلح الوافد من الثقافة الغربية، فلم يجد أحسن من مصطلحي "السبك والحبك" فهما أقرب وأكثر شيوعا في الاستعمال العربي التراثي خاصة، وفي هذا الشأن يقول: "بذلت محاولات كثيرة لترجمة مصطلحي Cohésion وCohérence أشهرها ترجمتها بالتماسك والالتحام، وقد توصلنا بعد طول تفكير وإنعام نظر إلى السبك مقابلا لمصطلح Cohésion والحبك مقابلا ل: Cohérence ونحسب أنهما مقابلا عربيان يتسمان بالإفصاح والإبانة والتساوق، كما أنهما أقرب إلى المفهوم المراد"<sup>2</sup> وقد استدل على ذلك بإدراج المعنى اللغوي للمصطلحين، وهو أيضا استجابة لشرط مهم من شروط الاصطلاح؛ أي ضرورة أن يكون هناك رابط بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي .

<sup>1</sup> سعد مصلوح: المرجع السابق، ص154.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص166.

أما مُجّد خطابي فإنه قد وقع في خلط واضح في استعماله للمصطلحين، فقد وظف مصطلحي: "الاتساق والتماسك" كمقابلين للمصطلح الأجنبي (Cohésion)، ووظف كذلك مصطلحي "الاتساق والانسجام" كمقابلين للمصطلح الأجنبي (Cohérence) حيث جاء في مقدمة دراسته: "يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك بين الأجزاء المشكلة لنص/ خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"<sup>1</sup>، فجعل الاتساق مرادفاً للتماسك، وقد وافقه في ذلك كل من "أحمد غنفي، إبراهيم الفقي"، في حين وظف كل من "سعيد حسن بحيري" و "أحمد غنفي" و "صلاح فضل" التماسك كمقابل للمصطلح الأجنبي (Cohérence)، وقد تواصل الاضطراب مع "مُجّد خطابي" عندما ترجم عنوان كتاب "هاليداي ورقية حسن" (Halliday. Hasan Ruqaiya) الموسوم ب: (Cohésion in English) إلى "الاتساق في الإنجليزية" وأورد في المقابل مصطلح "الترايط" مقترناً "بالانسجام" و"البنيات الكبرى" ثم يجعل من مصطلح "الترايط" عنواناً لفقرة يتحدث فيها عن رأي فان دايك (Van Dijk) في مفهوم ترايط القضايا التي يعبر عنها جملة أو متتالية نصية<sup>2</sup>، وهذا هو مفهوم الاتساق كما حدده بداية على أنه ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/ خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي من شأنها أن تربط بين المتتاليات النصية أو الجمل.

أما صلاح فضل فقد استعمل مصطلح "الترايط" كمقابل للمصطلح الأجنبي (Cohésion)، ووظف أيضاً مصطلحي "التماسك الدلالي والانسجام" كمقابلين للمصطلح الأجنبي (Cohérence) ويبرز ذلك في حديثه عن الأبنية النصية، ذلك أن التحليل السليم للنص لا بد أن يتم عنده بالنظر إلى النص على أنه مجموع أبنية، والقراءة السليمة للنص يجب أن تنطلق من البنيات الكبرى وصولاً إلى البنيات الصغرى، وفي معرض حديثه عن هذه المنهجية تناول مصطلح "انسجام" وقابله بالمصطلح الأجنبي (Cohérence) إذ يقول: "فالتحليل النصي يبدأ إذن من البنية الكبرى (Macro-structure) المتحققة بالفعل، وهي تتسم بدرجة قصوى من الانسجام

<sup>1</sup> مُجّد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2006، ص05.

<sup>2</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: ميلود مصطفى عاشور، إباد عبد الله: "فوضى تعريف مصطلحي (Cohesion- Cohérence) في لسانيات النص وتحليل الخطاب"، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، العدد 10، أبريل 2016، ص115.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

والتماسك "Cohérence"<sup>1</sup>، ويعزز هذا الطرح حين يعطي لمفهوم التماسك صبغة دلالية "فالتماسك يتحدد على مستوى الدلالات عندما تكون العلاقات قائمة بين المفاهيم والذوات، والمشابهات والمفارقات في المجال التصوري، كما يتحدد أيضا على مستوى المدلولات أو ما تشير إليه النصوص من وقائع ومجالات"<sup>2</sup>.

إلا أنه وجب علينا أن نشير إلى نقطة أساسية في تحليل "صلاح فضل"، وهي متعلقة باستعماله مصطلح "التماسك" في مواضع عديدة وبمفاهيم متنوعة، وهو ما استنتجه أحد الدارسين إذ يقول: "يتضح لنا أن صلاح فضل قد وضع مصطلح الانسجام مقابلا (Cohérence)، أما مصطلح التماسك فلا ندري على وجه التحديد ماذا أراد به هنا؟ لأنه استعمله مرات عدة وكان في كل مرة يأتي بمفهوم"<sup>3</sup>، فتارة ينسب مفهوم التماسك إلى مجال الفهم والتفسير، وتارة أخرى يصبغه بصبغة دلالية - كما مرّ بنا - وأحيانا يصبغه بطابع خطي شكلي.

هذا التخبط جعله يصرح بقوله: "يمكن القول بأن التماسك النصي ليس مجرد خاصية للأقوال ينبغي أن نعالجها في علم الدلالة، أو في نظرية الخطاب، أو في نحو النص، ولكنه ظاهرة تأويلية ديناميكية من الفهم المعرفي تتدخل فيه أنواع عديدة من المعارف الذاتية"<sup>4</sup>، وقد تعدى به الأمر إلى التصريح بأن تحديد مفهوم عام للتماسك أمر عسير، وليس من السهولة بمكان نظرا لتشابك هذا المفهوم واتساع مجال استعماله وحدود تطبيقاته وقد تجلّى هذا التخبط الذي وقع فيه "صلاح فضل" أكثر حين استعمل مجموعة كبيرة من المصطلحات في دراسة واحدة، جعلت القارئ يتيه في اختيار التسمية المحددة لكل مصطلح والترجمة التي اعتمدها "وبناء على ما تقدم فإن صلاح فضل استعمل مصطلحات الترابط والانسجام والتماسك والاتساق وأيضا التناغم في كتاب واحد مؤسس لعلم النص وتحليل الخطاب، ولا ندري على وجه الدقة متى أراد بها مفهوم (Cohésion) ومتى أراد بها مفهوم (Cohérence)"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> صلاح فضل: المرجع السابق، ص 235، 236.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 236.

<sup>3</sup> ميلود مصطفى عاشور: المرجع السابق، ص 117.

<sup>4</sup> صلاح فضل: المرجع السابق، ص 240.

<sup>5</sup> ميلود مصطفى عاشور: المرجع السابق، ص 120.

أما "سعيد حسن بحيري" فقد استعمل أكثر من مقابل عربي في مواجهة المصطلح الأجنبي الواحد؛ إذ استعمل بداية مصطلحي "الربط النحوي، والتماسك الدلالي" في مقابل المصطلحين الأجنبيين ( Cohésion- Cohérence)، وذلك في سياق حديثه عن معايير النصية التي جاء بها "دي بوجراند" ( R. de beaugrande) وخص كل مفهوم منهما بمستوى معين من النص، فإذا كان الربط النحوي يعنى بكيفيات الربط الشكلية على المستوى السطحي للنص، فإن التماسك الدلالي يعنى ببحث أشكال ترابط الوظائف "فالأول ربط بين علامات لغوية، والثاني ربط بين تصورات عالم النص Textwelt"<sup>1</sup>، إلا أنه استعمل مصطلحين آخرين في دراسة لاحقة له وهما السبك والحبك مرادفين للربط النحوي والتماسك الدلالي، وهي محاولة منه للبحث عن مقابل عربي تراثي " وقد كان هذا الأمر يحسب ضمن جهود توحيد المصطلح ذي الجذور التراثية؛ لو أنه اكتفى بذكر المصطلحين: السبك والحبك، ولأسهم في عملية تأصيل المصطلحين التي بدأها مصلوح"<sup>2</sup>.

ويتواصل إشكال المصطلح مع تمام حسان الذي اعتمد في البداية مصطلحي سعد مصلوح "السبك والحبك"، لكنه عدل عن ذلك إلى مصطلحين آخرين هما "التضام والالتحام" في مقابل ( Cohésion- Cohérence)، وذلك في ترجمته لكتاب: النص الخطاب الإجراء، بل واستعمل مصطلحا آخر للتعبير عن الانسجام هو التعليق وذلك في دراسة لاحقة وعرفه بالشكل الآتي: " يتصل التعليق بالطريقة التي يحدث بها الوصول إلى ما يتم به عالم النص، وهو مجموع الأشياء التي يدور حولها النص"<sup>3</sup>.

ويبدو الأمر أكثر تعقيدا مع أحمد عفيفي الذي يترجم مصطلح (Cohésion) إلى ثلاثة مصطلحات معطوفة ب: أو التي تفيد التنوع هي: السبك أو الربط أو التضام<sup>4</sup>، في حين يستعمل مصطلحات "الانسجام والترابط المفهومي والحبك " كمقابل للمصطلح (Cohérence)، حيث جاء في حديثه عن المصطلح (Cohésion): "السبك أو الربط أو التضام (Cohésion) هو معيار يهتم بظاهر النص ودراسة الوسائل

<sup>1</sup> سعيد حسن بحيري: المرجع السابق، ص 145.

<sup>2</sup> ميلود مصطفى عاشور: المرجع السابق، ص 121.

<sup>3</sup> تمام حسان: اجتهادات لغوية، القاهرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2001، ص 370.

<sup>4</sup> ينظر: عد الكريم جمعان: "مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية" مجلة علامات، ج 61، مع 16، ماي 2007، ص 209.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي"<sup>1</sup>، وأما المصطلح الثاني فإنه على ما يبدو لم يكن متأكدا من المقابل العربي المناسب بدليل أنه أورد مجموعة من المصطلحات متبوعة بنقاط حذف (الحبك أو التماسك أو الانسجام أو الاتساق...) وهو بدون شك يعبر عن أزمة كبيرة تمس المنظومة الاصطلاحية العربية خاصة في مجال البحث اللساني تتمثل في أزمة الترادف المصطلحي، وهو ما ينتفي وشروط الاصطلاح التي تنص على ضرورة وجود تسمية واحدة للمفهوم الواحد داخل الحقل المعرفي الواحد.

أما الباحث الجزائري "محمد الأخضر الصبيحي" في دراسته "مدخل إلى علم النص" فقد أوقعته الترجمة في مأزق واضح، حين ترجم مصطلح (Cohésion) بالانسجام، ومصطلح (Cohérence) بالاتساق، وقد حافظ على نفس المباحث المدرجة في كل مجال، فجعل الانسجام معنيا ببحث الوسائل الخطية الشكلية المنوطة بضمان الترابط الشكلي لأجزاء النص، في حين جعل الاتساق منوطا ببحث الآليات الدلالية التي تعمل إلى تماسك النص في مستوياته الدلالية والتداولية، وهو بهذا قد خالف جل الدارسين العرب المحدثين الذي ترجموا المصطلحين الغربيين المذكورين سلفاً<sup>2</sup>.

وعليه فإننا أمام فوضى اصطلاحية حقيقية تمس أهم مصطلحين في هذا الاتجاه اللساني الحديث، إذ إننا نقف على مجموعة كبيرة من المقابلات العربية للمصطلح الواحد فنجد مصطلحات: الاتساق / السبك / التماسك / التضام / الربط / الترابط / الترابط الرصفي / الربط النحوي... في مقابل المصطلح (Cohésion)، كما نعثر على مقابلات كثيرة أخرى للمصطلح (Cohérence) منها: الانسجام / الحبك / التماسك الدلالي / التقارن / الاتساق / التعليق / الترابط المفهومي.

وما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام هو أن الفوضى الاصطلاحية في استعمال مصطلحي الاتساق والانسجام، ليست مقتصرة فقط على البيئة العربية فقد أورد الباحث "مفتاح بن عروس" جانبا من هذا التداخل في استعمال المصطلحين عند رائد اللسانيات النصية في فرنسا "جون ميشال آدام" (J.M. Adam) وذلك في

<sup>1</sup> أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001، ص90.

<sup>2</sup> للوقوف أكثر على هذه القضية ينظر: محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص، ص 82.

مؤلفه : (Linguistique et discours litteraire ) وفي دراسات أخرى حيث ورد عنه استخدام مصطلح الانسجام للتعبير به عن مفهوم الاتساق، ويتجلى هذا التداخل حينما يربط دور الروابط المنطقية (connecteurs) بالانسجام، وبذلك يتم الانزلاق من مستوى تحليل يتعلّق بنظام القواعد اللسانية الشكلية (formelles) إلى مستوى آخر يتعلق بظروف إنتاج الخطاب والتشكيلات الخطابية (formation discursives)<sup>1</sup>.

ولكننا أمام هذه الفوضى الاصطلاحية علينا أن نشير إلى أن معظم الدارسين المحدثين الآن يجمعون على استخدام مصطلح "انسجام" في مقابل المصطلح الأجنبي (Cohérence) ، وأن معظم الدراسات الحديثة كذلك تنحو إلى استعمال مصطلح "اتساق" في مقابل المصطلح الأجنبي الآخر (Cohésion)، وهو الأمر الذي سيسير عليه هذا البحث.

#### • المفهوم الاصطلاحي للانسجام:

قد لاحظنا الخلط الواضح في استعمال مصطلح "انسجام" في الثقافة الاصطلاحية العربية، وذلك بسبب ارتباط استخدام هذا المصطلح بفعل الترجمة، واختلاف منابع الترجمة في حد ذاتها، لكننا لن نعدم إيجاد مفهوم شامل يجمع مختلف الاستعمالات السابقة، وعليه فإننا نطلق من فرضية أساسية في تحديد مفهوم الانسجام النصي تتمثل في كون: الانسجام ظاهرة كونية شاملة وعامة ليست خاصة بالنصوص والخطابات فحسب؛ بل تشمل مختلف أجزاء الكون، وبالتالي فإن أي بحث يروم الانسجام يجب عليه أن ينصب على بحث آليات الانسجام وكيفية تحققه، وهذا ما أكد عليه أحد الدارسين إذ يقول: " الانسجام ظاهرة أنطولوجية تسود مختلف الظواهر الأدبية وغير الأدبية، إن مباشرة وإن إضماراً"<sup>2</sup>، وهي فرضية عامة ليست مختصة بالنصوص/الخطابات التي لا تختلف

<sup>1</sup> ينظر: مفتاح بن عروس: المرجع السابق، ص 15.

<sup>2</sup> جمال بندحمان: الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري والشعب والانسجام، منشورات top Edittion، الدار البيضاء، ط1، 2009، ص 13.



## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

عن ظواهر الوجود الأخرى، لذلك فهو يقدم فرضيات أخرى لانسجام الخطاب/ النص تنبثق من العبارة السابقة تقوم أساسا على تصور وجود ثلاثة مكونات في كل خطاب:

1-المكون الأول: كل خطاب مكون من جمل.

2-المكون الثاني: كل خطاب مكون من قضايا ودلالات.

3-المكون الثالث: كل خطاب مكون من علاقات.

وبناء على هذه المكونات يرى أن الانسجام هو الآلية الوحيدة القادرة على إبراز تفاعل كل هذه المكونات مع بعضها وتفاعلها؛ فهو بحث في مستوى التركيب عندما يجعله الباحث بحثا في كيفية ترابط الجمل فيما بينها، وهو أيضا بحث في مستوى الدلالة حين يجعله الباحث بحثا في كيفية ترابط القضايا والدلالات على مستوى النصوص والخطابات، وهو بحث في المستوى التداولي حين يجعله الباحث بحثا في كيفية ترابط وتفاعل العلاقات داخل النص وخارجه، وهو أيضا بحث في تفاعل هذه العناصر فيما بينها (تركيب دلالة وتداول) وهو ما يسميه الباحث بالمستوى العمودي، في مقابل المستوى الأفقي الذي يمثل كيفية الترابط ضمن المستوى الواحد<sup>1</sup>.

وعليه فإن الانسجام وفق هذا المفهوم يتسع أكثر ليشمل مختلف مستويات الخطاب من التركيب إلى التداول عكس ما شاع في تحديد هذا المفهوم في اقتضاره فقط على العناصر الدلالية والتداولية، فالانسجام عند بعضهم هو: "العلاقات المنطقية التصورية التي تجعل النص مترابطا وإن خلا من الروابط الشكلية، وهو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل الانسجام على:

-العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص.

-معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

<sup>1</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: جمال بن دحمان: المرجع السابق، ص 14.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

-السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية<sup>1</sup>.

وهو ما نجده عند كثير من الدارسين فالانسجام " هو الترابط الذي يتحقق من خلال وسائل دلالية في المقام الأول ويتمثل في بنية عميقة على المستوى العميق للنص تقدم إيضاحا لطرائق الترابط بين تراكيب تبدو غير متسقة أو مفككة على السطح، فهو ذو طبيعة دلالية تجريدية تظهر من خلال علاقات تعكسها العناصر اللغوية في النص"<sup>2</sup>، فالانسجام بهذا المعنى لا يعني مطلقا ببحث العلاقات الشكلية التي تربط سطح النص أو الخطاب وإنما يعني ببحث العلاقات الثاوية خلف الأشكال النصية، والتي يمكن من خلالها البرهنة على تماسك النص وترابط أجزائه.

ويرى باحث آخر أن "الانسجام يتضمن حكما عن طريق الحدس والبدية، وعلى درجة من المزاجية حول الطريقة التي يشتغل بها النص، فإذا حكم قارئ على نص ما بأنه منسجم فلأنه عثر على تأويل يتقارب مع نظرتة للعالم، لأن الانسجام غير موجود في النص فقط لكنه نتيجة ذلك التفاعل مع مستقبل محتمل"<sup>3</sup>، فهو كما نرى يوسع من مفهوم الانسجام ويجعله لا يكتفي فقط بالعناصر اللغوية ضمن النص فقط، وإنما قد يتحقق بعناصر من خارج البنية النصية، تتمثل في تفاعل النص مع متلقيه، أو مع سياقه أو غيرها من الملابسات التي قد تعطي للنص معنى ودلالة.

أما رؤية صاحب قاموس "المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب" فهي رؤية جامعة أيضا، أقحم فيها العناصر الشكلية التي تمثل عناصر الاتساق في بناء النص المنسجم كما مر بنا في التحديد الأول إذ جاء في المعجم: "يعتقد بأن الاتساق ينتج عن تسلسل الجمل وخطية النص Linéarité، في حين أن الانسجام يعتمد على الاتساق، غير أنه يقحم قيودا عامة غير خطية، مرتبطة خاصة بالسياق ونوع الخطاب"<sup>4</sup>، إلا أن الشيء

<sup>1</sup> بحية بلعربي: الانسجام النصي في التعبير الكتابي- دراسة في اللسانيات النصية، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013، ص 47.

<sup>2</sup> مُجَّد شاكر ناصر الربيعي، أحمد جاسم مسلم الجنابي: "الأشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن"، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل ع 14، أيلول 2014، ص452.

<sup>3</sup> نعمان بوقرة: المرجع السابق، ص92.

<sup>4</sup> دومينيك مانغونو: المرجع السابق، ص18.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

الأكثر أهمية في تحديد مفهوم الانسجام النصي هو تركيزه على العناصر الخارجية ممثلة في المتلقي في الحكم على انسجام النص، وهو بالتالي لا يكتفي بالعناصر الشكلية وإنما يتعدى إلى عناصر أخرى دلالية وتداولية إذ يقول: " إن الانسجام ليس ثابوا في النص، بل إن المتلفظ المشارك هو الذي يتولى بناءه (...). إن الحكم الذي يقضي بأن النص منسجم أو غير منسجم قد يتغير وفق الأفراد ووفق معرفتهم بالسياق والحجة التي يحولونها للمتلفظ"<sup>1</sup> وهي الرؤية التي بنى عليها كل من "براون ويول" نظريتهما في تحليل الخطاب - كما سنرى - حين أوكلا للمتلقي كل السلطة في الحكم على انسجام الخطاب أو عدم انسجامه من خلال الطاقة القرائية / التأويلية التي يمتلكها هذا المتلقي وبفعل العناصر السياقية التي يستعين بها المتلقي في عملية التأويل.

وهي تقريبا الفكرة نفسها التي جاءت في "القاموس الموسوعي للتداولية"؛ فالانسجام يحيل "على خصائص النص أو الخطاب التي تضمن قابليته للتأويل، وكي يكون النص منسجما ليس من الضروري أن تشير خصائصه الشكلية صراحة إلى العلاقات بين الأقوال، فهذه العلاقات يمكن الحصول عليها عن طريق الاستدلال، إما بمقدمة ضمنية، وإما بفرضية سياقية، وإما بخطاطة أعمال منمطة (سكربيت أوخطة أوسيناريو)"<sup>2</sup>، وهي الفكرة التي راجت لاحقا والتي تنفي التأثير الكامل للروابط الشكلية في بناء الانسجام، إذ قد يتحقق في النص مع الغياب التام للروابط الشكلية، ويضيف في موضع آخر في معرض حديثه عن الاتساق فيقول: "إذا كان الانسجام البعد التأويلي للخطاب، فإن الاتساق بعده اللساني والدلالي"<sup>3</sup>؛ أي أن الانسجام هو نتاج فعل التأويل الذي يصدر من المتلقي، وبالتالي تعطى الأهمية والأولوية القصوى في الحكم على النص من حيث انسجامه وعدم انسجامه للمتلقي الذي يتولى انطلاقا من معارفه السابقة، ومجموع العمليات الذهنية المركبة التي يقوم بها في لاوعيه من الحكم على النصوص والخطابات، وعليه يسير هذا التعريف مع التعاريف السابقة التي تنفي صفة الشكلية عن الانسجام، وتجعله أمرا

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 21.

<sup>2</sup> جاك موشر، أن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عز الدين المجدوب، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010، ص 500.

<sup>3</sup> جاك موشر، أن ريبول: المرجع السابق، ص 500.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

أعمق من البنية الشكلية المكونة من الأدوات النحوية والروابط...، إلى مستوى العلاقات الدلالية والتداولية المرتبطة بمنتج النص / الخطاب ومتلقيه.

وفي السياق ذاته يسير معجم "تحليل الخطاب" في تحديد مفهوم الانسجام على أنه خاصية غير لسانية إذ إنه " ينتج عن حكم يعتمد على معرفة الذوات بالمقام وعلى معارفها المعجمية والموسوعية"<sup>1</sup>؛ إذ لا تكفي عناصر الربط في الحكم على انسجام النص، ذلك أن هذه الأدوات النحوية المختلفة لا تكفي وحدها لتبرير انسجام النصوص من عدمه، وهذا بتعبير المعجم الموسوعي للتداولية: "فالخطاب الذي يعقد علاقات دلالية وغرضية وإحالية يكون إذن متسقا، ولكن في المقابل من الممكن جدا أن يكون الخطاب منسجما دون أن يكون متسقا كما هو الشأن في حالات الإجابة المباشرة"<sup>2</sup>.

والأمر نفسه نجده عند "جون ماري سشايفر" (Jean-Marie Schaeffer)<sup>3</sup> في تحديده لمفهوم الانسجام إذ يقول: " إنه لا يتعلق بمستوى التحقق اللساني، ولكنه يتعلق بالأحرى بتصوير المتصورات التي تنظم العالم النصي بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية: يضمن الانسجام التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام، وهذا يفترض قبولا متبادلا للمتصورات التي تحدد صورة عالم النص المصمم بوصفه بناء عقليا، ويمكن للروابط بين المتصورات أن تكون من طبيعة مختلفة: سببية غائية، قياسية. يبدو من جهة أخرى أن العلاقات بين المتصورات لا تنشطها دائما التعابير اللسانية الفوقية، ولكنها تسلتزم دائما اللجوء إلى الاستدلال"<sup>4</sup>، فالانسجام النصي يبنى عن طريق مجموعة من العلاقات، هذه العلاقات قد لا تؤديها الأدوات اللسانية المعتادة، وإنما يستدل عليها بعناصر أخرى غير لسانية قابعة في ذهن مستقبل النص، أو في السياق المصاحب لعملية إنتاج واستقبال

<sup>1</sup> باتريك شارودو، دومنيك مانغونو: المرجع السابق، ص100.

<sup>2</sup> جاك موشلر، آن ريبول: المرجع السابق، ص501.

<sup>3</sup> باحث وفيلسوف فرنسي ولد بتاريخ: 18 ماي 1952، ينتمي إلى المعهد الوطني للبحث العلمي، ومدير الدراسات بمدرسة البحوث المعمقة في العلوم الإنسانية. (وكيبيديا)

<sup>4</sup> جون ماري سشايفر: النص، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2004، ص133.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

النص، فلا تكفي أحيانا أدوات الاتساق الشكلية في البرهنة على انسجام النص لأنها قد تغيب أحيانا في نصوص منسجمة.

وفي هذا السياق يسير كثير من الدارسين حين يجعلون الانسجام معطى ثاويا بين ثنايا الخطاب، ويحملون المتلقي مسؤولية بنائه وتشبيده بقدراته التأويلية ومعطياته التداولية؛ " فمحمد مفتاح يتحث عن (الكشف في حالة الخفاء) وبراون ويول G Brown and yule يلحان على دور المتلقي في تشييد الانسجام"<sup>1</sup>، فتأويل المتلقي للخطاب هو وحده الكفيل بالبرهنة على انسجام النصوص من عدمها، وبالتالي فإن الانسجام ليس أمرا معطى في النص/ الخطاب، وإنما تسهم المعرفة الخلفية والتجارب السابقة للمتلقى والمشارك في العملية التواصلية في بناء الانسجام والبرهنة عليه، وذلك من خلال عمليات ذهنية معقدة تقرب الإنسان من الحاسوب.

إن هذا التصور الذي أقامه الباحثان يبرر تركيزهما على "انسجام التأويل" بدل "انسجام الخطاب" لأنه مرتبط بالعمليات التأويلية التي يقوم بها المتلقي<sup>2</sup>، وكأتهما يقصدان بذلك ما عناه أيزر (Wolfgang-Isère) بالقارئ الضمني" وذلك في إشارته إلى "عملية بناء المعنى وطرائق تفسير النص حين يفترض أن النص ينطوي على عدد من الفجوات التي هي بحاجة إلى رتق من أجل الوصول بالخطاب إلى غايته القصوى"<sup>3</sup>.

وعليه يمكن إجمالاً القول إن الانسجام عملية عقلية أكثر منها عملية لسانية تسعى إلى الإمساك بعلاقات النص الخفية عبر مجموعة من العمليات العقلية والمنطقية التي يقوم بها مستقبل النص فهو " مجموعة من الإجراءات التي تستهدف تحقيق الترابط، لكن هذا الترابط يتم على الصعيد المفهومي؛ فالمنطلق هو أن مرسل النص يمتلك مفاهيم وأفكارا وتصورات عن العالم ينقلها إلى المتلقي عبر النص باعتباره التحقق الفعلي للمفاهيم والتصورات والأفكار، والمتلقي حينما يستقبل النص ينشط المفاهيم والتصورات والأفكار المتطابقة أو المقاربة لما لدى المنتج،

<sup>1</sup> جمال بندحمان: المرجع السابق، ص 18.

<sup>2</sup> ينظر: محمد خطابي: المرجع السابق، ص 50.

<sup>3</sup> فتحى رزق الخوالدة: تحليل الخطاب الشعري: ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكبا، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2006، ص 33.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

وبطبيعة الحال هذه المفاهيم والتصورات توجد في الذهن وفقا لنظام وترتيب معينين، وعندما تتم إثارتها لا يتم عزلها، ولكن يتم استدعاء ترابطاتها وأشكالها وتنظيمها، وهذا ما يشكل سندا وخلفية للترابط<sup>1</sup>.

إن الانسجام بهذا المفهوم ليس خاصية لسانية خالصة، بقدر ما هو عمليات عقلية، تتطلب استدعاء مجموعة من العمليات الذهنية أساسا، ويتطلب الحكم حضور مجموعة من العمليات والعناصر المنطقية، واسترجاع المواقف السابقة والأحداث المنقضية، لأن النص نظام من الترابطات بتعبير الدارسين، فالانسجام إذن ليس خاصية لسانية خالصة، ولكنه يتلخص في حكم يستند على معرفة المقام، وعلى المعارف المعجمية الموسوعية للمتخاطبين، فهو ينفلت من البنية النصية المنغلقة<sup>2</sup>.

وفي السياق نفسه يجعل باحث آخر الانسجام مكونا من مكونات التواصل البشري، وذلك حين يقدم مفهوما عاما للانسجام بقوله: " مبدئيا يمكن تقديم تعريفين اثنين:

1- الخطاب المنسجم هو الخطاب الحامل لمعنى ودلالة المتفاعل مع نفسه، ومع متلقيه ومع محيطه.

2- الخطاب المنسجم هو الخطاب غير المتناقض في ذاته أو بواسطة غيره (المتلقي).

وبذلك يكون الخطاب المنسجم هو الخطاب الحامل لمعنى من جهة، وغير المتناقض من جهة أخرى<sup>3</sup>،

فالخطاب المنسجم حامل لمعنى ودلالة، والتواصل البشري لا يمكن أن يتم إلا بما يحمل دلالات ومعان، وهذا ما أشار إليه التعريف الأول، أما التعريف الثاني فإنه يشير إلى مكون منطقي لعملية الانسجام التي تقتضي عدم التناقض، ليس فقط في مستوى الخطاب بأشكاله اللغوية وغير اللغوية، وإنما في مختلف الظواهر على اعتبار أن الانسجام ليس خاصا بمجال الإبداع أو النصوص بل هو مفهوم أنطولوجي كما مر بنا سابقا، ومن أجل ذلك - أي تحقيق عدم التناقض - حدد فان دايك (Van dijk) شروط الانسجام فيما يأتي:

- وحدة الهوية أو الذات المرجعية.

<sup>1</sup> رشيد بركان: آليات ترابط النص القرآني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2015، ص54.

<sup>2</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: المرجع نفسه، ص 55.

<sup>3</sup> جمال بن دحمان: المرجع السابق، ص 17.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

- وجود علاقات: التضمنين، أو الانتماء أو الجزء والكل أو الملكية.

- الإطار.

- التكرير.

- تعالق المحمولات.

- تطابق الإحالة.

- علاقات المواضيع<sup>1</sup>

وهي كما نرى في مجملها مجموعة من الآليات والعلاقات الدلالية التي تقوم على ربط أجزاء النص بعضها ببعض وتحقق طابع الاستمرارية فيه، وتضمن التلاحم بين أجزائه.

وفي هذا السياق دائما ينحو مُجد خطابي في كتابه " لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب" في عدّه الانسجام أمرا معنويا، يقوم على إعادة بناء شبكة العلاقات التي تحكم أجزاء النص/ الخطاب، فالانسجام عنده أعمق من الاتساق، " بحيث يتطلب بناء الانسجام من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده، بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا (أو غير المتحقق) أي الاتساق، إلى (الكامن) ومن ثم، وتأسيسا على هذا التمايز تصبح بعض المفاهيم مثل موضوع الخطاب والبنية الكلية والمعرفة الخلفية بمختلف مفاهيمها، حشوا إن أردنا توظيفها في مستوى اتساق النص/ الخطاب، والعكس صحيح، أي أن الوسائل التي يتجلى بها اتساق النص عاجزة عن مقارنة (بناء) موضوع الخطاب والبنية الكلية...لمعطى لغوي"<sup>2</sup>، فإن طرقي العملية التواصلية يصنعان انسجام الرسالة التواصلية "ذلك أن المرسل ينطلق من خلفيات وتصورات قبلية محكومة بسياقات ثقافية وتاريخية،

<sup>1</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: رشيد برقان: المرجع السابق، ص 56.

<sup>2</sup> مُجد خطابي: المرجع السابق، ص 5، 6.

## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

ويريد إبلاغ رسالة تحمل معنى ودلالة، والمتلقي يستند إلى خلفيته المعرفية من أجل إدراك وفهم هذا القصد المباشر وفتحه على مقاصد أخرى، يحتاج في التدليل على صحتها إلى التقيد بشروط تجنبه كل تأويل إسقاطي"<sup>1</sup>.

وفي هذا السياق يسير باحث آخر في محاولة الفصل بين مفهومي الاتساق والانسجام استنادا إلى أبحاث كل من إمبرتو إيكو (Umberto Eco)<sup>2</sup>، وراسيتي (François Rastier)<sup>3</sup> إذ يقول: " والفرق بينهما هو أن تماسك نص ما يتوقف على علاقاته الدلالية الداخلية، بينما انسجامه يتوقف على علاقاته مع المحيط الخارج لساني الذي يمكن تعريفه بأنه مجموع الظواهر السيميائية التي ترتبط بالنص، فالانسجام إذن يدخل السياق بمعناه الواسع، أي المقام، الخارج لساني، إضافة إلى معارف العالم أو بتعبير إيكو الموسوعة الثقافية المرتبطة بالنص"<sup>4</sup>، وبهذه الرؤية تغدو كل الملابس المحيطة بالنص ومنتجه ومنتقيه عوامل مساعدة وفعالة في الحكم على نص ما بأنه منسجم أو غير منسجم.

أما فان دايك (Van dijk) فإنه يربط الانسجام بمدى الإمساك بالعلاقات الدلالية بين الجمل والقضايا والمقاطع، وقد أورد لذلك مثلا من تحليله لثلاثة مقاطع من قصة بوليسية محاولا إيجاد طبيعة العلاقات التي تجعل من النص أو المقطع كلاً متماسكا هذه العلاقات هي : التطابق الذاتي (Individual Identity) ، علاقات التضمن والعضوية (Membership) ، علاقة التكرير، تعالق المحمولات<sup>5</sup>، وغيرها من العلاقات التي قد تكون في مقطع ما وتغيب في مقاطع أخرى، هذا بالإضافة إلى وسائل أخرى سنعرض لها لاحقا في موضعها.

وبناء على التصورات السابقة التي قدمناها في بناء مفهوم الانسجام النصي يمكننا القول إن الانسجام مظهر من مظاهر النصية يعني ببحث العلاقات الثابوية خلف النسق اللغوي والتي تجعل من النص نصا ومن الخطاب خطابا، هذه العلاقات تتطلب من المشارك في عملية التواصل قدرا من الكفاءة من أجل اكتشافها والحكم عليها،

<sup>1</sup> جمال بن دحمان : المرجع السابق، ص19.

<sup>2</sup> فيلسوف وباحث إيطالي من مواليد 05 جانفي 1932، توفي في 19 فيفري 2016. (وكيبيديا)

<sup>3</sup> لساني فرنسي من مواليد 12 فيفري 1945، حاصل على دكتوراه في اللسانيات، وهو مدير بحث في المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا.

<sup>4</sup> رشيد الإدريسي: سيمياء التأويل، الحريري بين العبارة والإشارة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص62-63.

<sup>5</sup> للمزيد من التفصيل ينظر: مُجد خطابي: المرجع السابق، ص34.



## الفصل الأول: لسانيات النص (الأصول والمفاهيم):

ذلك أنها تعتمد عناصر لغوية وفي أحيان كثيرة تعتمد على عناصر دلالية وسياقية ومقامية تداولية، وبالتالي فإن القبض على مظاهر الانسجام يتطلب بلا شك متلقيا كفءًا، ملما بظروف النص/ الخطاب، وقد لاحظنا اختلاف مظاهر الانسجام وأأسسه من باحث لآخر، وذلك بين من ينظر إلى الانسجام نظرة شمولية لا تكتفي فقط بالقبض على العلاقات الدلالية والتداولية وإنما تتأسس على العلاقات التركيبية بين الجمل والمقاطع، وبين من يلغي هذه العلاقات الشكلية الموجودة على ظاهر أو سطح النص، والاكتفاء فقط بما هو ثابو خلف النسق اللغوي؛ من علاقات منطقية ودلالية وتداولية قادرة على البرهنة على انتظام أجزاء النص/ الخطاب، وإعطاء تبرير وتفسير كافٍ ووافٍ عن انتظام عناصر النص والتحامها وائتلافها، وهو ما سنفصل فيه في المباحث اللاحقة من خلال مناقشة مبادئ الانسجام وآلياته بين الاتجاهات اللغوية الكبرى.

وفي ختام هذا الفصل تبين لنا أن النظرية النصية تمثل الثورة الرابعة في تاريخ الثورات اللسانية الكبرى الحديثة، وهي تسعى إلى الإحاطة بالمستويات التواصلية العليا ممثلة في النص/ الخطاب من أجل وضع آليات اشتغال النصوص/ الخطابات واستنباط النحو العام الذي يجمع بين عناصرها، وضبط كيفية ترابط أجزائها، كما قد تبين لنا دور الانسجام في تحقيق معيار النصية باعتبارها كل ما يجعل من بنية لغوية ما نصًا، حيث تغدو المعايير التي ذكرنا ذات أهمية قصوى في تحقيقها، ويبدو مبدأ الانسجام أهمها على الإطلاق.

## الفصل الثاني:

# الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

المبحث الأول: الانسجام النصي من المنظور الوصفي.

المبحث الثاني: الانسجام النصي من منظور لسانيات الخطاب.

المبحث الثالث: الانسجام اللانصي من منظور تحليل الخطاب.

الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة<sup>1</sup>:

يحتل الانسجام في اللسانيات النصية الحديثة مركزا محوريا، لما له من أهمية قصوى في إبراز نصية النصوص، ونظرا لتشعب هذا المفهوم وتعدد مقارباته، فقد تعددت تبعا لذلك الآليات المنبثقة عن هذه المقاربات بين اتجاهات وصفية تسعى إلى إقحام العناصر الشكلية اللغوية في إثبات انسجام النصوص من عدمها، وبين اتجاهات أخرى تبحث في البنيات النصية العميقة من أجل الإمساك بشبكة العلاقات الدلالية التي تضمن تماسك النصوص وانسجامها في المستويات العميقة الخفية، واتجاهات أخرى لا ترى بدا من الاستعانة بعناصر أخرى خارجة عن إطار النص/ الخطاب من سياق ومتلقٍ، في سبيل الوصول إلى تأويل منسجم للنص/ الخطاب، وبالتالي تقحم العناصر التداولية والملايسات المحيطة به في سبيل الحكم على انسجام النصوص من عدم انسجامها، وعليه سنحاول إبراز أهم المقاربات التي تناولت الانسجام النصي في اللسانيات الغربية تحديدا.

<sup>1</sup> استأنس البحث في تقسيم هذه الاتجاهات بدراسة الباحث محمد خطابي الموسومة بـ: "لسانيات النص: مدخل إلى انسجام النص".

1- المبحث الأول: الانسجام النصي من المنظور الوصفي<sup>1</sup>:

1-1- الانسجام النصي عند هاليداي ورقية حسن (Halliday. Hasan Ruqaiya)

يستند هذا المنظور أساسا على مؤلف "هاليداي ورقية حسن" (Halliday. Hasan Ruqaiya) المعنون بـ: "الاتساق في الإنجليزية" (Cohesion in English)<sup>2</sup>، وقد سماه "مُجَدَّ خطابي" بالاتجاه الوصفي بناء على معطيات اشتمل عليها مؤلفهما من ذلك:

1- نعت الباحثين عملهما بأنه وصفي من خلال تصريحهما بأنهما سيناقشان أشياء يعرفها متكلم اللغة الناشئ مسبقا لكن دون أن يعلم أنه يعرفها .

2- قام عملهما بشكل أكبر على التصنيف والتقسيم وهو أقرب إلى الوصف منه إلى شيء آخر حيث يعلق مُجَدَّ خطابي على هذا الأمر بقوله: "بدا لنا، من خلال قراءتنا للمؤلف المذكور آنفا أن الباحثين صنفا وسائل الاتساق إلى وسائل إحالية وأخرى استبدالية وهلم جرا، مع تفريع كل وسيلة إلى أنواعها، من ذلك مثلا تقسيمهما للإحالة إلى إحالة مقامية وإحالة نصية ثم تفريع هذه الأخيرة إلى قبلية وبعديّة وهكذا دواليك"<sup>3</sup> .

قد ينتبه الباحث بكل يسر إلى اهتمام الدارسين بالعناصر الشكلية والسطحية للخطاب، وهذا انطلاقا من عنوان هذا المؤلف "الاتساق في الإنجليزية"، حيث جاءت معظم أبواب الكتاب تبحث في وسائل تحقق مبدأ

<sup>1</sup> يفضل مُجَدَّ الشاوش أن يسمي هذا الاتجاه بالنحو النظامي والذي يمثل مؤلف الباحثين: رقيه حسن، وهاليداي "الاتساق في الإنجليزية"، بينما اعتبره مُجَدَّ خطابي في مؤلفه "لسانيات النص" منظورا وصفيا حيث أقام تصنيفه هذا على أساس التقابل بين اللسانيات الوصفية واللسانيات النظرية، وهو الأمر الذي خالفه فيه مُجَدَّ الشاوش على اعتبار أن نظريات هاليداي تندرج ضمن ما يسمى بالنحو النظامي وهو نحو ينتمي إلى النظرية النظامية الوظيفية، وسميت هذه المدرسة بالنظامية نسبة إلى مفهوم النظام، وهي مدرسة تقدم الجانب الوظيفي الدلالي على الجانب التركيبي الشكلي، وتعتمد النص موضوعا للدراسة أكثر من اعتمادها على الجملة. لمزيد من التفصيل ينظر: مُجَدَّ الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ص 123.

<sup>2</sup> أدرجنا مبحث الانسجام النصي في الاتجاه الوصفي، على الرغم من كون هذا الاتجاه قد اكتفى بمستوى وصف الظواهر الشكلية للنصوص، ولم يتعمق أكثر في بحث آليات اشتغال النصوص العميقة التي تتلاءم ومفهوم الانسجام، وإنما قمنا بهذا تماشيا مع بعض التعريفات التي تعطي للانسجام بعدا شكليا تركيبيا من خلال العلاقات الشكلية التي تقيمها الوحدات اللغوية في سطح النص.

<sup>3</sup> مُجَدَّ خطابي: لسانيات النص، ص 11، 12.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

الاتساق كالإحالة والاستبدال والحذف والوصل والاتساق المعجمي...، إلا أن التدقيق أكثر في هذا العمل يكشف لنا عن قضية في غاية الأهمية وهي: "اهتمامهما -بموازاة مع الاتساق- بالخصائص التي تجعل من عينة لغوية نصاً؛ إن هدفهما إذن هدف مزدوج يرتبط طرفاه أشد الارتباط، بل إن الطرف الأول يعتبر مقراً بالنسبة للثاني. بتعبير أدق: حين يبحثان وسائل الاتساق يبحثان في الوقت نفسه ما يميز النص مما ليس نصاً"<sup>1</sup> أي أن بحثهما هذا لم يقتصر على مبدأ الاتساق الذي يعتبر عاملاً فاعلاً في تحقيق ما يعرف بالنصية، وإنما يتعدى الأمر إلى بحث كل ما من شأنه تحقيق هذه الخاصية باعتبارها كل ما يجعل من بنية لغوية ما نصاً.

وينطلق المؤلفان في تناولهما للاتساق في الإنجليزية من تحديد مفهوم النص الذي يشير عندهما إلى مجموعة من الجمل المترابطة فيما بينها بعلاقات مختلفة تؤلف في اجتماعها ما يعرف بالنص "مبدئياً تشكل كل متتالية من الجمل نصاً شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وبارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة"<sup>2</sup>، ولا يفهم من هذا الكلام أن النص هو انتظام مجموعة من الجمل كيفما اتفق، فهو -وإن تكوّن من جمل - فإنه يختلف عنها نوعياً "إن النص وحدة دلالية وليست الجملة إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص"<sup>3</sup>، وهو ما أكده غير واحد من الدارسين "تطلق كلمة نص على أي جزء من الكلام الشفوي أو المكتوب يكون كلاهما كان طوله، والنص وحدة من وحدات الكلام في الاستعمال، وهو ليس وحدة نحوية مثل الجملة أو الجزء من الجملة، ومن الأفضل أن يعتبر النص وحدة دلالية، أي أنه ليس وحدة شكلية، بل وحدة معنوية، وعلاقته بالجملة أو بالجزء من الجملة لا تقوم على الجزء بل تقوم على الإجراء والإنجاز realization، بتشفير نظام علامي في آخر، فالنص لا يتكون من جمل، إنما ينجز بجمل ويشفر بالجملة"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> مُجَّد خطابي: المرجع السابق، ص 12.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 13.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 13.

<sup>4</sup> مُجَّد الشاوش: المرجع السابق، ج 1، ص 144.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

لقد أبدى نفس الباحث استغرابه من هذا التحديد غير الواضح لمفهوم النص المبني على مفهوم الجملة ، إذ يظهر فيه نوعا من الاستغراب في تحديد ماهية النص بالنظر إلى علاقته بالجملة، في قولهم: النص لا يتكون من جمل، لكنه ينجز بجمل وهو -أي النص- عندهم ليس بنية نحوية ولا يتكون بناء على كم الجمل التي يقوم عليها "وبما أن النص ليس وحدة نحوية، وبما أنه لا يتكون من جمل، فإنه لا يرتبط بالجملة باعتبارها الحد الأدنى لصور إنجازها، فكم من نص مألوف يكون منجزا في بنية نحوية أقل من الجملة، تظفر بمثل تلك النصوص في لافتة أو شعار أو عنوان يكون في صيغة مركب اسمي أو مركب فعلي أو مركب حرفي كما هو الشأن في اللافتات التالية: للبيع/ البنك المركزي التونسي...، وليس للنص حد أقصى، فيمكن أن يكون كتابا كاملا أو قل يمكن أن يكون الكتاب نصا واحدا... وما سميناه بالاتساق يمكن أن يمتد على مقطوعات لا متناهية في الطول"<sup>1</sup> على أنهما لم يكتفيا بالحديث عن البنية الداخلية الذاتية في تحديد نصية النص، وإنما ربطا هذه البنية النصية بالسياق أو المقام الخارجي، وموقف المتلقي منها؛ أي الحكم على النصية باستدعاء البنيتين الداخلية (اللغوية) والخارجية (المقامية).

إن هذا التمييز بين البنيتين غير وارد منطقيا عند المتلقي، وإنما يمكن الاستئناس به بالنسبة للدارس فقط، وبالتالي "تتضافر العلاقات التماسكية الدلالية والشكلية مع السياق في تحقيق التماسك النصي للنص، فالنص يحتوي على علاقات داخلية وأخرى خارجية مرتبطة بالسياق، وهذه وتلك تحققان التماسك النصي (...). فالنص إذن تتجاذبه علاققتان، داخلية وخارجية كي يتماسك. ومن ثم فهو واقع كذلك بين التأثير والتأثر من قبل البيئة المحيطة"<sup>2</sup>

### 1-2- الاتساق عند هاليداي ورقية حسن (Halliday. Hasan Ruqaiya) :

يلعب الاتساق النصي دورا مهما في النظرية النصية كما تصورها هاليداي ورقية حسن في مؤلفهما، وقد يبدو لنا من الوهلة الأولى أن الباحثين يعطيان للاتساق طابعا دلاليا معنويا صرفا كما أشار إلى ذلك بعض الدارسين حين أشاروا إلى صنيع هاليداي ورقية حسن فجاء عندهم أن المؤلفين اعتبروا "مفهوم الاتساق مفهوما دلاليا

<sup>1</sup> محمد الشاوش: المرجع السابق، ج 1، ص 146، 147.

<sup>2</sup> صبحي إبراهيم الفقي: المرجع السابق، ص 107.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

قوامه العلاقات المعنوية الموجودة في النص، وهو في الآن نفسه ما يكون به النص نصا، ويكون الاتساق متى اعتمد تأويل جزء من أجزاء النص على تأويل عنصر آخر منه، فلا يتسنى الأول إلا بالثاني<sup>1</sup>، والحقيقة أن الاتساق لا يتوقف مفهومه عند الجانب الشكلي وإنما يتعدى الأمر إلى الجوانب النحوية والمعجمية وهذا الأمر مرتبط بتصور الباحثين للغة إذ هي " نظام ذي ثلاثة أبعاد/ مستويات: الدلالة (المعاني)، والنحو- المعجم (الأشكال)، والصوت والكتابة (التعبير).

يعني هذا التصور أن المعاني تتحقق كأشكال، والأشكال تتحقق كتعايير، وبتعبير أبسط: تنقل المعاني إلى كلمات والكلمات إلى أصوات أو كتابة<sup>2</sup>، وهكذا يغدو الاتساق بحثا في الآليات التي تنتظم بها أجزاء النص والعلاقات التي تربط بين عنصر لغوي وآخر ضمن النسيج النصي، أو بين الجمل المكونة للنص، فإنه - في رأيهما- لا يمكن الحديث عن نص أو وجود النص مع إغفال الآليات التي تجمع بين أجزائه، أو بتعبير آخر لا يمكن الحديث عن وجود النص دون الحديث عن العلاقات التي تجمع عناصره والآليات التي بها انتظمت عناصره السابقة واللاحقة .

اعتبر المؤلفان أن الجمل "تكوّن نصا متى قامت بينها أو بين بعض عناصرها علاقات، وهذه العلاقات نوعان: إما علاقات قبلية تقوم على ارتباط لاحق بسابق، وإما علاقات بعدية تقوم على ارتباط سابق بلاحق"<sup>3</sup> وقد لخص المؤلفان وسائل هذا الاتساق في عناصر هي: الإحالة الاستبدال الحذف أدوات الربط والاتساق المعجمي:

### 1-2-1- الإحالة:

تعد الإحالة من بين أهم وسائل الاتساق في الاتجاه الوصفي وقد أعطاها الباحثان حقا من الدراسة والتفصيل وهما في حديثهما عن هذا المعيار ينطلقان من فرضية أساسية تتمثل في كون " العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا

<sup>1</sup> مجّد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص 124.

<sup>2</sup> مجّد خطايي: المرجع السابق، ص15.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 125.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها"<sup>1</sup>، ويرى بعض الدارسين أن مصطلح الإحالة يثير إشكالا اصطلاحيا "إذ هي تعني تارة العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على الشيء الموجود في العالم أي ما كان يسميه القدامى "الخارج" وهي تعني تارة أخرى إحالة اللفظة على لفظة متقدمة عليها، ولذلك نجدهم يميزون بين نوعين من الإحالة:

- الإحالة المقامية وهي إحالة على خارج النص exophora.

- والإحالة المقالية endophora وهي إحالة على عنصر داخل النص وهي تنفرع بدورها إلى إحالة مقالية قبلية anaphora وإحالة مقالية بعدية cataphora"<sup>2</sup>.

وتعتبر الإحالة والإشارة من أكثر القضايا التي شغلت اهتمام المفكرين والفلاسفة واللغويين كذلك، واهتمام اللغويين بهذه الظاهرة نابع من كون الظاهرة اللغوية ككل لا تخلو منها، فاللغة في حد ذاتها نظام إحالي إشاري، إذ يحيل النظام اللغوي في أغلب الأحيان إلى أمر خارج إطار اللغة، ولم يهتم اللغويون بالإحالة والإشارة إلا بربط هذين العنصرين بالسياق أو المقام<sup>3</sup>، وذلك لأهمية هذا الأخير في تحديد العنصر المحيل والمحال إليه وفي هذا يقول أحد الباحثين: " فتحديد المحال والمحال عليه يجب أن يعتمد على السياق أو المقام الذي يرد فيه كل منهما، وهذا صحيح لأن تحديد الإحالة يعتمد على سياق ورودها، ولا يمكن فهمها إلا في ضوء المقام الواردة فيه"<sup>4</sup>.

وعليه فإن الباحثين قد قسما الإحالة إلى قسمين كبيرين هما: الإحالة المقامية: أي إذا كان مرجع العنصر المحيل أمرا غير موجود في البنية النصية الشكلية، وإنما أمرا موجودا في سياق النص، وإحالة مقالية نصية، وتعني كون العنصر المحيل يشير إلى عنصر لغوي سابق أو لاحق ضمن النسيج النصي الشكلي، هذا وتجدر الإشارة إلى أن الباحثين قد أوليا أهمية كبرى للإحالة النصية الداخلية باعتبارها أكثر مساهمة في اتساق النص.

<sup>1</sup> مُجَّد خطابي: المرجع السابق، ص 17.

<sup>2</sup> مُجَّد الشاوش، ج1، ص125،

<sup>3</sup> ينظر: الأزهر الزناد: نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1993، ص113.

<sup>4</sup> رانيا فوزي عيسى: المرجع السابق، ص 119.



إن العناصر الإحالية عند هاليداي ورقية حسن ثلاثة أنواع وهي: الضمائر وأسماء الإشارة وصيغ المقارنة، وهي في مجملها " أدوات نعتند في فهمنا لها لا على معناها الخاص، بل على إسنادها إلى شيء آخر، فهي تجبر القارئ على البحث في مكان آخر عن معناها، أو هي كلمات ليس لها معنى في ذاتها، ولتحديد معناها المقصود يجب أن تحيل إلى كلمات أخرى"<sup>1</sup>

### أ- الضمائر:

قسم الباحثان الضمائر من حيث دورها في تحقيق الاتساق إلى قسمين :

1- ضمائر ليس لها دور في عملية الاتساق وهي الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب إذ هي تشير بطبيعتها إلى خارج النص بصفة منطقية، وإذا كانت بهذا الشكل أي ذات إحالة مقامية فإنه لا دور لها في تحقيق اتساق النص، إلا إذ كانت في الكلام المستشهد به أو كانت في الخطاب المباشر أو حين يتقاطع السرد مع الحوار...

2- ضمائر لها دور في تحقيق الاتساق وهي ضمائر الغائب بأنواعها، فهي المعول عليها في تحقيق الاتساق إذ تشير بصورة نمطية منطقية إلى عنصر سابق عليها في النسيج النصي.

وقد فصل مُجد الشاوش في هذه المسألة حين قال: "صنف المؤلفان الضمائر بحسب دورها في عملية التخاطب إلى: ضمائر لها دور في عملية التخاطب وهي ضمائر المتكلم والمخاطب، وهي بالأساس عناصر ذات إحالة مقامية، وبالتالي لا دور لها في تحقيق تناسق النص، وقد تكون عرضاً ذات إحالة مقالية وبالتالي يصبح لها دور في تحقيق اتساق النص، وضمائر لا دور لها في عملية التخاطب، وهي ضمائر الغائب ( اعتبر هاليداي ورقية حسن المتكلم قابلاً للتعدد: المتكلم أكثر من واحد...) وهي بالأساس عناصر ذات إحالة مقالية وبالتالي لها دور في تحقيق تناسق النص، وقد تكون عرضاً ذات إحالة مقامية، وبالتالي يبطل دورها في تحقيق اتساق النص"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عزة الشبل: المرجع السابق، ص 119.

<sup>2</sup> مُجد الشاوش: المرجع السابق، ص 126

ب- الإحالة الإشارية (أسماء الإشارة):

اختلفت نظرة الباحثين للضمائر وأنواعها في مؤلفهما، وهي في كل الحالات تمثل الوسيلة الثانية الأساسية من وسائل الإحالة التي تشكل في مجملها عناصر الاتساق في النسيج النصي، وقد حاول الباحثان التمييز بين أدوات الإشارة من خلال تقسيمها إلى أقسام: منها الظرفية وغير الظرفية، والحيادية والقريبة والبعيدة، ولكل منها دورها الفعال في عملية الإحالة حيث يقول مُجّد خطابي: " ويذهب الباحثان إلى أن هناك إمكانيات لتصنيفها: إما حسب الظرفية: الزمان ( الآن، غدا... )، والمكان ( هنا، هناك... )، أو حسب الحياد (the)، أو الانتقاء (هذا، هؤلاء...)، أو حسب البعد ( ذاك، تلك... ) والقرب ( هذه، هذا... )...<sup>1</sup>، وقد عدّ كل من هاليداي و رقية حسن في مؤلفهما هذا الضرب من الإحالة بكونها إشارة لفظية verbal pointing وصنفاها صنفين: صنف الإشارة المحايدة وتكون بـ the أي ما يوافق أداة التعريف، وصنف الإشارة الانتقائية وتصنف عناصرها حسب القرب والبعد في الزمان والمكان، وتستعمل لها أدوات من قبيل this و that<sup>2</sup>.

وغني عن الذكر أن الباحثين قد وسعا من مفهوم الإشارة حين جعلوا أداة التعريف منها، وهذا قائم على ما يسميه مُجّد الشاوش " إجراء التسمية " أي ذكر اسم الشيء قصد الحديث عنه، وفي هذه الحالة ينعلم مقياس الفصل بين التسمية بالنكرة والتسمية بالمعرفة، إذ يمكن اعتبار النكرة أي ما لم يقترن بأداة التعريف ضربا من الإشارة أيضا، تحصل بإطلاق الاسم على الشيء المسمى<sup>3</sup>؛ فأداة التعريف -في نظرهما- تقوم بالربط بين جملتين استنادا إلى السياق " فإذا قرأنا الحوار التالي : (Don't go now , the train is coming)، لاحظنا أن المتكلم استخدم أداة التعريف (the) للإحالة إلى قطار معين كان قد سبق الحديث عنه<sup>4</sup>، وأسماء الإشارة مثلها مثل الضمائر قد تحيل على عنصر موجود ضمن النص أو خارجه، كما قد يكون المحال إليه عنصرا مفردا أو عناصر متعددة متنوعة.

<sup>1</sup> مُجّد خطابي: المرجع السابق، ص19.

<sup>2</sup> مُجّد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص128.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج1، ص128،

<sup>4</sup> إبراهيم محمود خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، الأردن، ط2، 2009، ص193.

ت- الإحالة القائمة على المقارنة:

وهي النوع الثالث من أدوات الإحالة، وهي مثلها مثل الضمائر، وأسماء الإشارة لا تسهم في اتساق النص إلا إذا كانت إحالتها نصية، وقد صنف المؤلفان المقارنة صنفين: "عامة (وتكون إشارية) وخاصة (وتكون غير إشارية)". وذكر أن التشابه أو المماثلة خاصية إحالية، فالشيء الواحد لا يمكن أن يكون مثل شيء آخر، وبالتالي فإن المقارنة ضرب من الإحالة إلى جانب الإشارة والإضمار<sup>1</sup>؛ وقد فصل "مُجَّد خطابي" في هذه الأنواع أكثر حين قسم المقارنة العامة إلى ثلاثة أنواع هي: التطابق الذي يتم باستعمال عناصر مثل (same)، والنوع الثاني هو: التشابه والذي يتم باستعمال عناصر مثل (similar)، والنوع الثالث هو الاختلاف والذي يتم باستعمال عناصر مثل (other, otherwise..). أما المقارنة الخاصة فهي بدورها قسمها "مُجَّد خطابي" إلى نوعين: النوع الأول هو ما سماه المقارنة الكمية والتي تتم باستعمال وعناصر مثل: (more)، والنوع الثاني هو ما سماه المقارنة الكيفية والتي تتم باستعمال عناصر مثل (أجمل من، جميل مثل..)<sup>2</sup>

1-2-2- الاستبدال:

يعد الاستبدال من أهم العناصر المحققة للاتساق في مستوى النص، إذ إنه من العمليات التي تحدث داخل النص، وبالتالي تدخل في إطار العناصر المشكّلة والمحقّقة لاتساقه وفق الرؤية التي بسطناها سابقاً، فهو عملية نصية وعلاقاته تتحدد ضمن هذا الفضاء لا تتعداه إلى المستوى الخارجي كما هو الشأن بالنسبة للإحالة، وإن مفهوم الاستبدال يبدو على شيء من البساطة ذلك أنه قائم على تعويض عنصر لغوي ضمن النسيج النصي بعنصر آخر ضمن النسيج نفسه، سواء كان هذا العنصر اسماً أم فعلاً، أم تركيباً برمته، وذلك لزيادة الصلة بين العنصرين<sup>3</sup> وبتعبير آخر فهو: عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر بتعبير مُجَّد خطابي.

<sup>1</sup> مُجَّد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص129

<sup>2</sup> مُجَّد خطابي: المرجع السابق، ص19.

<sup>3</sup> ينظر: إبراهيم محمود خليل: المرجع السابق، ص194

## الفصل الثاني: اللانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

ينقسم الاستبدال في نظر هاليداي ورقية حسن (Halliday. Hasan Ruqaiya) إلى ثلاثة أقسام :  
استبدال اسمي، واستبدال حرفي، واستبدال قولبي، وفي هذا الشأن يقول مُجّد الشاوش: "قسم المؤلفان الاستبدال بحسب نوع العنصر المستبدل إلى:

أ- استبدال الأسماء ومنه استعمال one و same، في الإنجليزية.

ب- استبدال الأفعال ومنه استعمال do في الإنجليزية.

ت- استبدال الجمل ومنه استعمال "so"<sup>1</sup>

أما عن كيفية تحقيق الاتساق عن طريق الاستبدال، فإنه يتحقق من خلال الاستمرارية التي تخلقه العلاقة بين العنصرين المستبدل والمستبدل، كما يتحقق الاتساق من ذلك الجهد الذي يبذله القارئ في البحث عن العنصر الذي يملأ الثغرة أو الفجوة التي خلفتها عملية الاستبدال، على اعتبار أن هذا العنصر موجود بشكل آخر في موضع آخر من النسيج النصي، يضاف إلى كل هذا فإن عملية الاستبدال "تمكّن كاتب النص من عرض أفكاره دون تكرار كلمات بعينها، ودون الاستعمال المفرط للضمائر، الأمر الذي قد ينعكس على مقروئية النص"<sup>2</sup>

قد يجرنا هذا البسط إلى الحديث عن العلاقة بين الإحالة والاستبدال، والفرق بينهما، وهي القضية التي تنبه لها الدارسون، إذ يكمن الاختلاف برأيهم في طبيعة العلاقة والمستوى الذي تتم فيه، فإذا كانت الإحالة علاقة معنوية تتم على المستوى الدلالي للنص، فإن الاستبدال في المقابل علاقة نحوية -معجمية تتم بين كلمات أو جمل ضمن النص، " فالاستبدال علاقة مجالها الصيغ اللغوية من قبيل المفردات والمركبات، وهو يتم في المستوى المعجمي، أما الإحالة فهي علاقة معنوية وهي تتم في المستوى الدلالي"<sup>3</sup>، كما أن الفرق بين الإحالة والاستبدال يكمن أيضا في العناصر المشكلة لكل ظاهرة: (محيل - محال إليه)، (مستبدل - مستبدل) ؛ ذلك أن العلاقة بين عنصري

<sup>1</sup> مُجّد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص 133.

<sup>2</sup> مُجّد الأخضر الصبيحي: المرجع السابق، ص 92.

<sup>3</sup> مُجّد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص 132.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

الإحالة قائمة على التطابق، أما بين عنصري الاستبدال فهي قائمة على إما على التقابل، أو الاستبعاد، ولكي نوضح هذا الأمر نكتفي بالمثال الذي قدمه مُجّد خطابي:

My axe is too blunt. I must got a sharper one ( فأسي جد مثلومة. يجب أن أقتني (فأساً) أخرى حادة) " يتجلى التقابل في هذه الجملة بين الوصفية (blunt) و (sharper)، فالوصفان مختلفان، وعن هذا الاختلاف نتج التقابل مما أدى إلى إعادة التحديد (أي تحديد الفأس) الذي ترتب عنه الاستبعاد ( أي استبعاد وصف وإحلال وصف آخر محله). وبناء عليه فإن المستبدل يحتفظ بجزء من المعلومة السالفة فحسب، أي الفأس، مستبعداً جزءاً آخر وهو الوصف (جد مثلومة)"<sup>1</sup>.

كما تختلف الإحالة عن الاستبدال في كون العنصر المحيل قد يحيل إلى أشياء خارج النص في حين يتميز الاستبدال بكونه عملية نصية تحدث ضمن النسيج النصي، ويضاف إلى هذا أن معظم حالات الاستبدال قبلية، وذلك أن العلاقة بين الكلمات قد تكون بين عنصر متأخر وعنصر متقدم، في حين تكون الإحالة قبيلة وبعديّة<sup>2</sup>

### 1-2-3- الحذف:

يعد الحذف أيضاً من العمليات التي تتم على مستوى النص مثل الاستبدال، فهو من العلاقات النصية التي تتم على سطحه، ولا يمكن الحديث عن الحذف "إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنياً في الدلالة كافياً في أداء المعنى"<sup>3</sup>؛ فالحذف ليس عملية اعتباطية يقوم بها منشئ النص كيفاً اتفق، وإنما له شروط كما ذكرها الدارسون وهي أن يكون ما بقي من الكلام في سطح النص مجزئاً عن العناصر المحذوفة، مع أن هناك حالات أخرى للحذف ينوب فيها السياق أو القرائن المعنوية أو المقالية بمهمة الدلالة على العناصر المحذوفة، وهو ما يسميها

<sup>1</sup> مُجّد خطابي: المرجع السابق، ص 21.

<sup>2</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: مُجّد الاخضر الصبيحي، المرجع السابق، ص 90.

<sup>3</sup> مُجّد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2003، ص 259.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

علماءنا "بالحذف الجائر"<sup>1</sup>، إلا هذا لا يغنينا عن الشرط السابق الذي أشرنا إليه وهو ضرورة أن يكون في النص ما يدل على العنصر المحذوف فلا يترك فجوة أو فجوات فيه .

إن الحذف علاقة قبلية بلا شك مثلها مثل الاستبدال، وهما يختلفان عن الإحالة في هذا الجانب في كون الإحالة قد تكون بعدية، في حين لا يكون الحذف والاستبدال إلا قبلين، إلا أنهما يتمايزان في كون الحذف استبدالاً بعنصر صفري (استبدال بالصفري) " أي أن علاقة الاستبدال تترك أثراً، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تترك أثراً، ولهذا فإن المستبدل يبقى مؤشراً يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلفه الاستبدال، بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف، إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء، ومن ثم نجد في الجملة الثانية فراغاً بنيويًا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق"<sup>2</sup>؛ فهو بتعبير مفتاح بن عروس "خلو موقع من البنية ويتم ملؤه بالسياقات قبلية"<sup>3</sup>، مع ضرورة الإشارة إلى أن الحذف الذي يتحدث عنه الباحثان في هذا السياق والذي يشكل عاملاً فعالاً في تحقيق اتساق النص هو الحذف الذي يتعدى حدود الجملة الواحدة إلى الحذف في علاقات الجمل بعضها ببعض.

قسم الباحثان الحذف إلى ثلاثة أقسام مثله مثل الاستبدال، فهو ينقسم إلى حذف فعلي، واسمي وقولي، "قام المؤلفان بتصنيف أنواع الحذف بحسب نوع العنصر المحذوف فكان: حذف الأسماء، حذف الأفعال، حذف الأقوال"<sup>4</sup>

### 1-2-4- أدوات الربط (الوصل):

يعد الوصل العلاقة الرابعة المحققة لاتساق النصوص وفق رؤية الباحثين هاليداي ورقية حسن (Halliday، Hasan Ruqaiya)، وهو يختلف نوعاً ما عن العلاقات السابقة في كونه علاقة شكلية تتعلق برؤوس الجمل

<sup>1</sup> محمد حماسة عبد اللطيف: المرجع السابق، ص 259.

<sup>2</sup> محمد خطايي: المرجع السابق، ص 21.

<sup>3</sup> مفتاح بن عروس: المرجع السابق، ص 239.

<sup>4</sup> محمد الشاوش: المرجع السابق، ج 1، ص 136.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

وعلاقتها بعضها ببعض، وتعبير آخر فإن العلاقات السابقة " تتحقق فيها جميعا العلاقة الاتساقية من داخل الجملة إلى داخل الجملة، أما الوصل فإن العلاقة فيه تتم في الحدود بين الجمل"<sup>1</sup>، وعليه فإن وظيفته هي الربط بين الجمل وإقامة العلاقات بينها في نسيج النص، وعادة ما يتم حصر علاقة الربط هذه في العطف، " ويقابل غياب هذه العلاقة الشكلية علاقة دلالية تعوض هذا الغياب وهي التي يجسدها مفهوم الوصل"<sup>2</sup>

وتأكيدا لهذا الرأي ذهب الباحثان إلى " أن أبسط صيغ الربط هي الواو، وميزا بين الواو العاطفة (coordinate and) وهي التي تربط بين مكوي مركب العطف، واعتبرا أنها تعلق العنصر اللاحق بالسابق؛ أي المعطوف على المعطوف عليه تعليقا بنويويا، والواو الرابطة (conjunctive and) وهي التي تحقق الربط بين الجمل، واعتبرا أنها لا تعلق الجمل بعضها ببعض تعليقا بنويويا لأن العلاقة أصبحت بين الجمل، والجمل يتلو بعضها بعضا، ولا تخضع لبنية خاصة بخلاف مكونات مركب العطف، واعتبرا أن من خصائص "الواو" العاطفة إمكانية تجميع العناصر التي تربط بينها ونفيا ذلك عن "الواو" الرابطة بين الجمل"<sup>3</sup>.

غير أن أدوات الوصل في الحقيقة لا تقتصر فقط على "الواو" وحدها، فما هي إلا واحدة من مجموع الأدوات التي تحقق ذلك، وهو ما حدا بالباحثين إلى تقسيم أنواع الوصل إلى أنواع متعددة منها الإضائي والعكسي والسببي والزمني..، وذلك بالنظر إلى الأداة التي تقوم بعملية الوصل؛ فالربط بالوصل الإضائي يتم بواسطة الأدوات: (و، أو)، والوصل العكسي يتم بواسطة أدوات مثل (yet. but) أو بواسطة تعابير بعينها مثل: (nevertheless. however)، والوصل السببي يتم بواسطة الأدوات (so. Thus. Hence. )، والوصل الزمني يتم بواسطة أدوات أخرى مثل (then)<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> مفتاح بن عروس: المرجع السابق، ص 248.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 248.

<sup>3</sup> مجّد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص136، 137.

<sup>4</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: مجّد خطايي، المرجع السابق، ص 23-24.





## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

وإذا عدنا إلى العنصر الثاني من عناصر الاتساق المعجمي وهو التضام collocation فهو "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"<sup>1</sup>، كالارتباط بين الذكر والأنثى أو الليل والنهار.... فهذه الكلمات ليست مترادفة ولا تحيل إلى شيء واحد ولكنها بتعبير مُجَد خطابي: ورودها في خطاب ما يساهم في النصية، وهو ما يشير إليه مُجَد الشاوش حين يشير إلى دور الطابع المعجمي للتضام، ودورها في تحقيق اتساق النص حين يقول: "ولعل أهم خاصية تميز عمل الوحدات المعجمية من عمل الوحدات النحوية في تحقيق الترابط النصي تتمثل في أن كل وحدة معجمية يمكن أن تدخل في علاقة اتساقية، لكنها لا تحمل في ذاتها ما يدل على قيامها بهذا الدور، أو عدم قيامها به، وإنما يكون ذلك بحسب موقعها من النص. وبخلاف ذلك الطرق النحوية المحققة للاتساق، فإن الأمر فيها أكثر انتظاما وأشد وضوحا ويمكن التكهن مسبقا بدورها الرباطي"<sup>2</sup>.

أما عن القواعد والكيفيات التي يتحقق بها الاتساق من خلال الآليات المعجمية السابقة ( تكرارها، أو تواردها) فقد حدد الباحثان قاعدتين أساسيتين لذلك هما:

أ- كلما ازدادت الوحدات المعجميتان قربا في النص ازداد الاتساق الذي تحققه قوة ومتانة.

ب- كلما ارتفع تواتر الوحدتين المعجميتين في الاستعمال عامة، لا في النص المعني بالأمر،

قل الاتساق الذي تحققه قوة ومتانة.<sup>3</sup>

وفي ختام بسطنا لهذا الاتجاه الوصفي ومساهمته في بلورة مفهوم للانسجام النصي، يمكن القول إن نظرة الباحثين: هاليداي ورقية حسن (Halliday. Hasan Ruqaiya) قد تبدو كما أسلفنا سابقا نظرة سطحية شكلية، لكننا آثرنا الحديث عنها في مقام حديثنا عن الانسجام النصي لأن عملهما لم يكن بحثا فقط في هذه العناصر الشكلية وحدها بقدر ما هو في عناصر النصية، أي ما يجعل من بنية ما نصًا، مع عدم إغفالها لعناصر أخرى كالسياق، بالإضافة إلى هذا فإن الحديث عن الانسجام لا يمكن مطلقا فصله عن الاتساق، فالنص

<sup>1</sup> مُجَد خطابي: المرجع السابق، ص 25.

<sup>2</sup> مُجَد الشاوش: المرجع السابق، ج 1، ص 142.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج 1، ص 143.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

المنسجم هو بلا شك نص متسق، لكننا ننبه إلى قضية أخيرة في هذا السياق وهو ملاحظة عامة حول تناول الباحثين لمسألة الاتساق وهي كونهما ينظران إليه كأمر طارئ يلحق بالنص، وليس متحققاً مع تحقق النص في ذاته، فالانساق "أمر طارئ على النص وليس من صلبه، فهما يتصوران حالة يكون فيها الكلام ليس نصاً، تليها حالة ثانية تضاف فيها مظاهر الاتساق فيصبح الكلام نصاً، فكأن الاتساق أمر يسلب على الكلام من الخارج، يضاف إليه ليصلح به أمراً فاسداً، إذ به يصبح ما لم يكن نصاً نصاً"<sup>1</sup>، ومهما يكن من أمر فإن جهدهما في سبيل إبراز الوسائل التي يتحقق بها الاتساق لا يمكن إنكاره.

<sup>1</sup> محمد الشاوش: المرجع السابق، ص 151.

2- المبحث الثاني : الانسجام النصي من منظور لسانيات الخطاب:

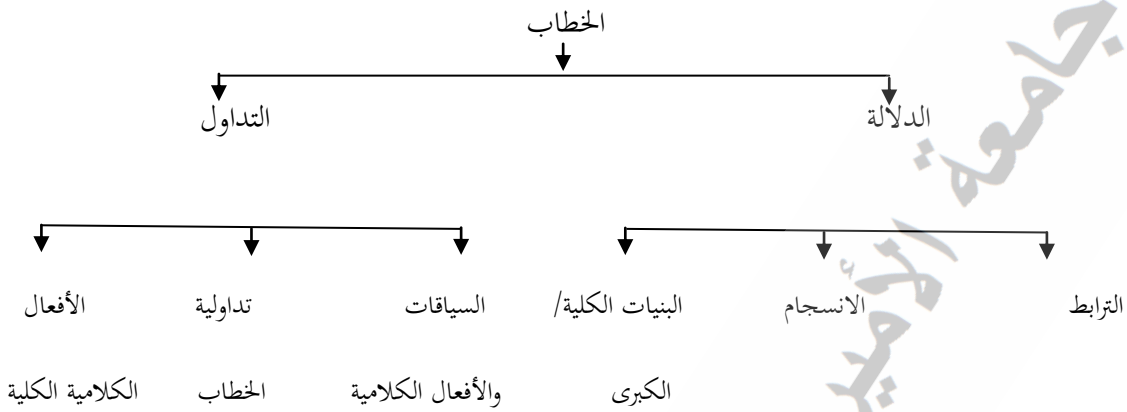
2-1- الانسجام النصي عند فان دايك Van Dijk:

يعد فان دايك (van dijk) أحسن ممثل لهذا الاتجاه، القائم على المقاربة اللسانية لمستوى الخطاب، بدل المقاربات السابقة المرتكزة أساسا على مفهوم الجملة، وهذا التصنيف أو التحديد لا يلغي مطلقا مختلف النظريات التي تناولت مفهوم الانسجام، ذلك أن مقاربة الانسجام تقتضي بالضرورة العودة إلى الخطاب وقضاياها، وبالتالي تشترك كلها مع فان دايك (van dijk) في مجال الدراسة.

إن تزعم فان دايك (van dijk) لهذا الاتجاه جاء بناء على جهده الواضح الذي برز في مؤلفه الشهير ( النص والسياق، text and context) والذي حاول من خلاله " بناء نظرية لسانية للخطاب كافية تستطيع تحليل وتفسير كثير من المظاهر الخطابية التي تقف لسانيات الجملة عاجزة أمامها من هذه المظاهر: موضوع الخطاب، الانسجام، البنية الكلية... إلخ، وإن شئنا الدقة قلنا الاهتمام بهذه المظاهر في مستويي الدلالة والتداول"<sup>1</sup>.

كي نفهم الأطروحة التي قدمها فان دايك (van dijk) في مؤلفه، ينبغي أن نضعها في إطارها التاريخي والموضوعي الذي ظهرت فيه، ذلك أن ما جاء في مؤلفه المذكور سابقا ما هو إلا تطوير لما جاء في دراسته السابقة الموسومة ب: بعض مظاهر نحو النص some aspect of text grammars، حيث بنى تصورا خاصا لجوانب الدراسة اللسانية للخطاب قائمة على زاويتين أو مبحثين رئيسيين هما (الدلالة والتداول)؛ فأدرج عناصر كالترابط والانسجام والبنىات الكلية ضمن المباحث الدلالية، وصنف بالمقابل السياق والأفعال الكلامية، والأفعال الكلامية الكلية، وتداوليات الخطاب ضمن المباحث التداولية وذلك وفق الشكل الآتي:

<sup>1</sup> محمد خطابي: المرجع السابق، ص 27.



الشكل رقم 2: مخطط يبين جوانب الدراسة اللسانية للخطاب عند فان دايك

وبهذا الشكل والرؤية يبدو أن مبحث الانسجام في نظر فان دايك (van dijk) ما هو إلا مظهر من المظاهر الدلالية للنص ، " فقد جعله مرتبطاً بالدلالة، وذلك من خلال التعالقات التالية وهي: تطابق الذوات، والكل والجزء والملكية، ووجود الإطار، والحالة العادية والمفترضة للعوامل، وتعلق المحمولات، والتذكر والاسترجاع"<sup>1</sup> وغيرها من العلاقات التي سيأتي التفصيل فيها في محلها، وهي رؤية قد لا يوافقها كثير من الدارسين الذين يوسعون مجال الانسجام إلى المباحث التداولية أيضاً.

وغني عن الذكر في هذا الموقف أن نشير إلى السمة التي تميز بها فان دايك (van dijk) في معالجته لهذا الموضوع وهي نمله من كثير من العلوم والمشارب المعرفية فقد استعار من " الفلسفة والمنطق الفلسفي وعلم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي، ويبدو تأثير هذه المجالات جلياً في معالجته لبعض الخطابات المدروسة طوال مؤلفه، إذ كثيراً ما يلجأ إلى الصياغة المنطقية لبعض القواعد أو القيود التي تحكم مظهرها معينا من مظاهر الخطاب، أو في اتكائه على مفاهيم مثل معرفة العالم أو العوامل الممكنة أو الإطار"<sup>2</sup>، ولا يخفى علينا أن الباحث متعدد المناهل والاختصاصات حيث " مرت أعماله بمراحل وتطورت بديهة من 1968 (...) حيث أولى اهتماماً في البداية بنظرية

<sup>1</sup> عثمان أبو زنيد: نحو النص، ص 88.

<sup>2</sup> محمد خطايي: المرجع السابق، ص 28.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

الأدب خاصة، لتبدأ رحلته مع نحو النص ونظرية البنية الكبرى والمنطق، والانسجام بداية من 1970، ثم تصبح أعماله أكثر نضجا بداية من 1980 لربطه علم النص بعلوم إنسانية مختلفة...<sup>1</sup>.

وإذا عدنا إلى أعمال فان دايك (van dijk) في مجال علم النص، وبجته في سبيل تأسيس مباحث هذا العلم، أمكننا بيسر تحديد الأسس التي يبني عليها تصوره لعلم النص، وهذا التصور أفصح عنه بشكل جلي في مؤلفه (النص والسياق text and context) وخاصة في مقدمة الكتاب، وبدرجة أقل أيضا في مؤلفه الآخر (علم النص: علم متداخل الاختصاصات) ويمكن أن نجمل هذه الخصائص والأسس فيما يأتي:

1- هدف علم النحو - برأيه - هو إعادة صياغة القواعد النظرية المجردة التي يستبطنها أفراد العينة اللغوية (المجتمع اللغوي)، ثم إعادة ربطها بالجوانب الدلالية (المعنى)، والتداولية كذلك وبتعبير آخر صياغة القواعد والمقولات وربط هذه القواعد والمقولات بالمعنى ثم توسيع هذا الشكل بإضافة المستوى الوصفي الثالث وهو المستوى التداولي أو ما يسميه ( العمل أو فعل الكلام)، وهو ما نص عليه فان دايك (van dijk) في كتابه (النص والسياق) حين يقول: "... ذلك أن كل عبارة متلفظ بها ينبغي ألا توصف فقط من وجهة تركيبها الداخلي والمعنى المحدد لها، بل ينبغي أن ينظر إليها كذلك من جهة الفعل التام، والإنجاز المؤدي إلى إنتاج تلك العبارة، ووصف هذا المستوى التداولي من هذا القبيل هو الذي يهيء شروطا حاسمة لغاية إنشاء وتركيب جزء من ضروب التواضع والاتفاق مما يجعل العبارات مقبولة، أعني أن يصير تركيبها مناسبا لمقتضى الحال بالنظر إلى السياق التواصلي"<sup>2</sup>. وبالتالي فإن مهمة النحو في رأيه هو تقديم وصف شامل للمستويات اللغوية الكبرى (تركيب - دلالة - تداول)؛ "وتبرز قيمة إضافة المكون التداولي إلى المكونين النحوي والدلالي في أن المكون التداولي لن يحدد فقط شروط المناسبة بالنسبة للجمل بل سيحدد أيضا شروط المناسبة بالنسبة لأنواع الخطاب. والمقصود بالمناسبة هنا - سواء فيما يتعلق بالجمل أو بأنواع الخطاب -

<sup>1</sup> نوال لخلف: الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أمودجا، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، دط، 2012، ص25.

<sup>2</sup> فان دايك: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دط، 2000، ص 18، 19.

مناسبة الخطاب للسياقات التواصلية التي تنجز فيها"<sup>1</sup>، وعليه فقد وسع مفهوم النحو الذي اقتصر في مفهومه التقليدي على مجرد صياغة القيود والقواعد الصورية، فقد استعان بمفاهيم للنحو موسعة " تتيح له تجاوز الأطر الضيقة التي تعجز عن تفسير دقيق للنصوص، وتقتصر على السلامة النحوية بوصفها هدفاً نهائياً، وقد مكنته تلك الرؤية الموسعة من الإلمام إلى حد كبير بجوانب كثيرة يضمها النص أو الخطاب"<sup>2</sup>، والمقصود بالرؤية الموسعة في هذا السياق تلك المفاهيم الدلالية والتداولية التي أقحمها في صلب الجهاز المفاهيمي للنحو بالمفهوم الموسع الذي صاغه على غرار: التطابق الإحالي، الحالة العادية المفترضة للعوامل، التطابق الذاتي، تعالق المحمولات... إلخ.

2- إن الوحدة الأساسية للوصف ليست الجملة بل هي النص، فإذا كانت بعض النظريات (النظريات اللسانية التي يمكن تصنيف بحوثها ضمن لسانيات الجملة) تعتبر الجملة هي أعلى وحدة لغوية يمكن أن يطالها الوصف فإن فان دايك (van dijk) يرفض هذا الطرح " حيث اعتبر النص هو الوحدة الأساسية للوصف لذلك نراه يدعو إلى "إعادة بناء الأقوال ليس على شكل جمل، وإنما على شكل وحدة أكبر هي النص"<sup>3</sup>، وذلك كما أشرنا مرده عدم كفاية نحو الجملة للوصف " ولقد جرت العادة في معظم النظريات اللسانية أن تعتبر الجملة كما لو كانت الوحدة الكبرى من نوع التركيب الصرفي والتركيب النحوي، ومن نوع مراتب الدلالة والمستويات السيمانطيقية على حد واحد (...). ونحن نتمنى أن نبين في هذا الكتاب بأن هذه الطريقة في تناول أو هذه المقاربة غير سليمة ولا كافية"<sup>4</sup>، فقد أسس لدراسة أعم وأشمل تتخذ لنفسها النص مجالاً للممارسة والتطبيق " وبهذا يكون فان دايك قد خرج بالنحو من الانكفاء

<sup>1</sup> سعيد حسن بحيري: المرجع السابق، ص 231.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 243.

<sup>3</sup> محمد خطايي: المرجع السابق، ص 29.

<sup>4</sup> فان دايك: النص والسياق، ص 19.

على دراسة البنية الصغرى ممثلة بالجملة إلى العناية ببنية أكبر مكونة من جمل متصلة طويلة تؤلف وحدة معنوية هي النص<sup>1</sup>.

3- ربط فان دايك (van dijk) بين البنية والوظيفة، أي بين البنية اللغوية ووظيفتها التواصلية، لذلك حدد مهمة النحو كما ذكرنا سابقا في ضرورة الوصف والتفسير ليس فقط للقواعد النظرية المجردة والقوالب الصورية الشكلية، بل يجب أن تتعدى مهمة النحو إلى ضرورة تقديم وصف وتفسير لقواعد الاستعمال (المكون التداولي)، وقد عدها فان دايك (van dijk) من المسلمات حين قال: "... والنتيجة المهمة لهاتين المسلمتين تكمن في المسلمة الإضافية القائلة بأن كل خطاب مرتبط على وجه الاطراد بالفعل التواصلية، وبعبارة أخرى فإن المركب التداولي ينبغي ألا يخصص الشروط المناسبة للجمل ومقتضى الحال فيها، بل يخصص هذا المركب ضروب الخطاب أيضا<sup>2</sup>، والمقصود بالمناسبة هنا - كما أشار مُجدّ خطابي - هي مناسبة الجمل والخطابات للسياقات التواصلية التي تنجز فيها.

وإذا كانت هذه هي الأسس العامة التي بنى عليها تصوره للبحث النصي فإنه في سبيل بناء نظرية عامة وواضحة للانسجام النصي يشير إلى مجموعة من العوائق قد تعترض مهمة الباحث في هذا المجال ومن ذلك: قضية الدلالة وأي نوع الدلالة هي المقصودة بالبحث والتنقيب، ووجود بعض البنيات في الخطاب تستعصي على النحو بالمفهوم الذي حددها سابقا، فلا يجد لها تفسيرا، فيعزوها فان دايك (van dijk) إلى نظريات أخرى قادرة على إعطاء تفسير شامل لها، لأنها تخرج عن مدار الوصف والتفسير المنوط بالنحو بالمفهوم الذي بناه فان دايك (van dijk)، ويضيف كذلك مشكلة أخرى تتعلق بكفاية النحو المصاغ في إطار الجملة لتفسير الظواهر الموجودة على مستوى النص/ الخطاب، وإن كنا نراه يجيب على هذا التساؤل بكون اختلاف وحدة الوصف (جملة/ نص) لا يعني

<sup>1</sup> إبراهيم محمود خليل: المرجع السابق، ص 195.

<sup>2</sup> فان دايك: النص والسياق، ص 19، 20.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

بالضرورة اختلاف القواعد والمستويات والمقولات<sup>1</sup>، إلا أن هذه العوائق لم تثن الباحث عن تقديم رؤيته الخاصة للانسجام النصي والتي قسمها إلى ركنين أساسيين هما: مباحث الدلالة، ومباحث التداول وهي كما يأتي:

### 2-2- مباحث الانسجام عند فان دايك Van Dijk:

#### 2-2-1- مباحث الدلالة:

أولى فان دايك (van dijk) عناية كبيرة لعنصر الدلالة "لأنه يبرز عددا ضخما من السمات النصية، كما أن الكلمات لا تظهر وظائفها بشكل جليّ إلا من خلال العلاقات الدلالية الخاصة بمركب ما أو جملة ما"<sup>2</sup>، فالعلاقات بين الجمل - كما يرى- هي علاقات دلالية بالأساس قبل أن تكون علاقات مورفولوجية أو تركيبية، ويمكن حصر المباحث الدلالية المحققة للانسجام - كما تصورها- فيما يلي:

#### أ- الترابط:

يفضل فإن فان دايك (van dijk) في هذا السياق مصطلح "قضية" بدل جملة، في حديثه عن العلاقات الدلالية بين الجمل لأن كل مضمون لجملة يدل على قضية (proposition) أو ما يسمى أيضا بالبنية العميقة، والترابط بمفهوم فان دايك (van dijk) يشير إلى العلاقة بين الجمل أو القضايا "ولما كانت الجملة مقولة تركيبية والترابط علاقة دلالية فقد فضل الباحث الحديث عن العلاقة بين قضيتي (أو قضايا) جملة ما أو جمل ما"<sup>3</sup>، وبالعودة إلى الترابط فإنه يشير إلى "وجود علاقة سبب ونتيجة في التركيب، وتكون الجمل مترابطة بالقدر الذي تكون فيه النتائج متعلقة مع المقدمات تعالقا مباشرا، ويضعف الترابط كلما كان التعالق غير مباشر أو غامض"<sup>4</sup>، ولا يكتفي فان دايك (van dijk) بهذا التحديد وإنما يضع شروطا عامة لتحقيق الترابط على مستوى الخطاب/ النص تتمثل في مجموعة من الشروط يتحقق بوجودها ما يسميه بالترابط هذه الشروط تتمثل أساسا في وجود

<sup>1</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: فان دايك: النص والسياق، ص 20 وما بعدها، مُجد خطايي: لسانيات النص، ص 30.

<sup>2</sup> نوال لخلف: المرجع السابق، ص 30.

<sup>3</sup> مُجد خطايي: المرجع السابق، ص 32.

<sup>4</sup> عمر مُجد أبو خرمة: نحو النص، نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004، ص 87.



## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

الروابط، ووجود علاقات معنوية بين الكلمات داخل الجملة أو مجموع الجمل، توفر التطابق الإحالي<sup>1</sup>، وكذلك تعالق الوقائع<sup>2</sup>، وارتباط الجمل بموضوع التخاطب.

ومن أجل بيان دور هذه العناصر في تحقيق الترابط الدلالي في النص يورد مجموعة من الجمل تختلف درجة مقبوليتها من جملة إلى أخرى، وتحقق مقبولية هذه الجمل نابع من مدى تحقق بعض أو كل العناصر المذكورة سابقا، وأما الأمثلة التي ذكرها فإن فان دايك (van dijk) من أجل إبراز الترابط الدلالي فيمكن أن نذكر بعضها:

أ- جون أعزب، إذن هو غير متزوج.

ب- جون أعزب، وعلى ذلك فهو يشتري أغاني كثيرة.

ث- جون أعزب، إذن أمستردام هي عاصمة نيرلاندا.

يحاول فان دايك (van dijk) من خلال هذه المجموعة الأولى من الأمثلة إبراز درجة مقبولية هذه الجمل بالنظر إلى توفر أو عدم توفر العلاقات الدلالية فيها حيث يرى فان دايك (van dijk) أنه يمكن ترتيبها بالنظر إلى درجة مقبوليتها وعدم مقبوليتها فالجملة الأولى (أ) مقبولة، والثانية (ب) أقل مقبولة، وأما الثالثة (ج) فهي غير مقبولة، وغني عن الذكر في هذا المقام أن نشير إلى أنه قد قدم مجموعة كبيرة من الأمثلة تختلف طبيعتها من جمل معقدة، وجمل متسلسلة متوالية، وحوارات متتابعة، وكان في كل مرة يضع تحت (أ) الجمل المقبولة، وتحت رمز (ب) الجمل الأقل مقبولة، وتحت الرمز (ج) الجمل غير المقبولة وفي هذا يقول: "وفي كل زمرة (أ) يظهر أن أمثلتها سائغة تماما، وفي أمثلة (ب) يشبه أن تكون أقل قبولا أو أنها جائزة في أحوال مخصوصة، ويشبه أن تكون أمثلة (ج) غير سائغة على الإطلاق"<sup>3</sup>، لكن ألا يحق لنا التساؤل - كما يشير الباحث نفسه - إلى المعيار المحتكم إليه في تحديد

<sup>1</sup> المقصود بالتطابق الإحالي: أن يكون نفس الشخص متحدثا عنه بين طرفي الجملة.

<sup>2</sup> المقصود بتعالق الوقائع: التطابق بين الوقائع والأحداث بين الجملتين.

<sup>3</sup> فان دايك: النص والسياق، ص75.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

درجة مقبولة أو عدم مقبولة هذه الجمل على الرغم من كونها من الناحية التركيبية سليمة التركيب والإنشاء كما يقول مُجدّ خطابي.

يتجاوز فان دايك (van dijk) بصورة سريعة إمكان تحقيق الترابط بالنظر إلى الروابط الشكلية، توفرها أو عدم توفرها، لأننا نرى على سبيل المثال الجملة (ج) غير مقبولة مع وجود الرابط فيها، وبالتالي فإنه يعوّل على قضايا الدلالة أكثر من اعتماده على عناصر التركيب النحوي في الحكم على الترابط من عدمه " ينبغي أن نلاحظ أن هذه القيود راجعة في الحقيقة إلى الدلالة السيمانطيقية لا إلى التركيب النحوي، ذلك أن جمل أمثلة (ج) من حيث هي كذلك صياغتها سليمة البناء على نحو كامل"<sup>1</sup> ومع هذا فهي غير مقبولة كما أسلفنا سابقا في حديثنا عن جمل المجموعة (ج).

ومن أجل تقديم العناصر الدلالية المساهمة في ترابط الجمل السابقة ، يشرع فان دايك (van dijk) في إبراز السمات الدلالية الجامعة بين الجمل وأول هذه السمات الدلالية هو وجود علاقة واضحة أو علاقات بين دلالة المفردات في الجملة الواحدة أو في جمل متعددة، وكمثال على ذلك يشير الباحث إلى المثال (جون أعزب، إذن هو غير متزوج) ذلك أن مفهوم أعزب في الجملة الأولى يقتضي بالضرورة مفهوم غير متزوج في الجملة الثانية "فتصور (الأعزب) ينطوي على مفهوم (غير المتزوج) تبعا للمعنى المقتضى في اللغة الطبيعية"<sup>2</sup> ، إلا أن مثل هذه العلاقة قد لا تبدو كافية تماما في البرهنة على ترابط الجملتين (القضيتين)، خاصة إذا واجهناها بجملتين أخريين مختلفتين نوعا ما عما هو مذكور في المثال السابق، وهو ما ذكره فان دايك (van dijk) في معرض بسطه للقضية :

(جون رجل أعزب وكذلك بيتر غير متزوج)

<sup>1</sup> فان دايك: النص والسياق، ص75.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص75.

## الفصل الثاني: اللانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

وهو مثال غير مترابط لأن المتحدث عنه مختلف في الجملتين بما يجعل المثال يفتقد إلى ما يسميه الباحث بـ: "التطابق الإحالي" والذي يعني أن "يكون نفس الشخص متحدثا عنه في طرفي الجملة"<sup>1</sup>، وهو ما أكد عليه فان دايك (van dijk) في مناسبة أخرى حين قال: "سنقول ترتبط الجملتان ارتباطا (مرجعيا) الواحدة بالأخرى عندما يحيل عنصر أو عدد من عناصرها المكونة إلى عناصر (مراجع) هي نفسها تربطها بعضها ببعض علاقة تطابق"<sup>2</sup>.

ويتابع فان دايك (van dijk) عرضه لهذه العلاقات التي تحقق الترابط، ذلك أن وجود الروابط، وتطابق معاني الكلمات والمفردات وتطابق الإحالات لا يؤدي بالضرورة إلى تحقق الترابط، ومن أجل توضيح هذا الأمر يسوق المثال (ب) السابق (جون أعزب، وعلى ذلك فهو يشتري أغاني كثيرة)، فقد توفرت فيه الروابط الشكلية وتوفر فيه ما يسمى بتطابق الإحالة (جون، هو) ومع ذلك يفتقد للترابط، وهي جملة كما يصرح فان دايك (van dijk) غريبة، ووجه غرابتها - كما يعبر مُجد خطابي - يكمن في "أنا لا ندري من أي منظور يمكن أن يتعالق واقع كون جون أعزب، وواقع شرائه كثيرا من الأسطوانات"<sup>3</sup> وهذا الاستنتاج الذي خلص إليه مُجد خطابي كان بناء على الملاحظة التي أشار إليها فان دايك (van dijk) حين قال: "فإن الجملة من نحو (ب) يشبه أن تكون غريبة، إذ نحن لم نتبين (مباشرة) على أية جهة يجوز أن نقول: إن كون جون أعزب، يصح أن يترتب عنه كونه يشتري الأغاني المسجلة الكثيرة، على الأقل ليس بالمعنى الذي تحصل فيه القضية الثانية مرتبة عن القضية الأولى ولازمة عنها"<sup>4</sup>.

وبالتالي فإن حدوث الترابط بهذا الوصف يتطلب شرطا آخر إضافيا يتمثل في "تطابق وترابط الحوادث" التي تشير إليها الجمل؛ ذلك أن واقعة كون جون أعزب، لا تنسجم البتة مع واقعة كونه يشتري أغاني كثيرة، فليس

<sup>1</sup> مُجد خطابي: المرجع السابق، ص 32.

<sup>2</sup> فان دايك: النص بنى ووظائف، مدخل أولي إلى علم النص، ضمن كتاب: العلاماتية وعلم النص، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2004، ص 154.

<sup>3</sup> مُجد خطابي، المرجع السابق، ص 32.

<sup>4</sup> فان دايك: النص والسياق، ص 76.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

بين المعنيين أو الواقعتين علاقة يمكن البرهنة على وجودها من جهة من الجهات، وعليه فإن حدوث الترابط يقتضي انسجاما بين القضايا والوقائع التي تعبر عنها الجمل وهو ما يسميه تعلق الأحداث، أو تعالق الوقائع بتعبير مُجد خطابي.

إن شرط تعلق الأحداث أو تعالق الوقائع بالمعنى الذي صاغه فان دايك (van dijk) يحتاج هو الآخر بنفسه إلى مجموعة من الشروط على رأسها الترتيب الزمني بين الوقائع، وكذلك وجود علاقة السبب والنتيجة بينها؛ فالترتيب الزمني يعني كون الوقائع الواردة في الجمل مرتبة ترتيبا زمنيا يفضي آخرها إلى أولها، وعلى هذا الأساس لا تعد مقبولة جملة من مثل ( أمس كان الطقس حارا جدا، فذهبنا إلى الشاطئ في الأسبوع الماضي) وذلك على الرغم من توفر الشروط السالفة الذكر كلها؛ من توفر الروابط وتطابق الإحالة وارتباط معاني المفردات اللغوية، إلا أنها على مستوى دلالة الوقائع فإنها تفتقر إلى الترتيب الزمني بينها وبالتالي فهي غير مقبولة " وعلى الأقل في هذه الأمثلة فإن تجانس تعلق الأحداث يشبه أن يكون مقتضيا مجانسة التعلق في العوالم الممكنة كالتعاقب الزمني من تنالي نقاط الزمان في العالم والواقعي"<sup>1</sup>.

أما بالنسبة لعلاقة السبب بالنتيجة التي تعد أحسن وسيلة للتعبير عن تعالق الوقائع بتعبير فان دايك ، (van dijk) فيمكن أن نوضحها من خلال المثال التالي: "جون أعزب، إذن هو غير متزوج"، فإن العبارة الأولى تفضي الضرورة إلى الثانية وكلما كانت العبارة السابقة شرطا لتحقيق الثانية كانت الوقائع متعاقبة، وقد وضع فان دايك (van dijk) المقصود بالسبب والنتيجة حين قال: "نقول إن الحادثة (أ) تنتج الحادثة (ب) إذا كانت (أ) شرطا كافيا لحصول (ب)"<sup>2</sup>، إلا أن مُجد خطابي قد أشار في سبيل تمهيده للشرط الثالث من شروط تعالق الوقائع وهو "موضوع الخطاب"، إلى أنه قد يتوفر في الجمل الترتيب الزمني، وعلاقة السبب بالنتيجة ولكن مع ذلك لا يمكن الحديث عن تعالق الوقائع وذلك في جملة من مثل:

(حلمت أن الطقس حار جدا، فذهبت إلى الشاطئ)

<sup>1</sup> فان دايك: النص والسياق، ص 77.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 77.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

فهذه الجملة غير مترابطة "لأن واقع كون الطقس في عالم حلم، ليس سببا عاديا في الذهاب إلى الشاطئ في عالم فعلي"<sup>1</sup> وهو قيد يضاف إلى الوقائع بالمفهوم السابق، وهو ضرورة أن تكون هذه العوالم أو الوقائع ممكنة، فالحديث عن واقعتين الأولى في الحلم، والثانية في الواقع ومحاولة الجمع بينهما في مستوى واحد يبدو فيه نوع من التنافر وعدم التجانس.

أما العنصر الآخر من عناصر الترابط الدلالي وهو ضرورة ارتباط الوقائع بموضوع الخطاب "فإن الوقائع التي تشير إليها القضايا تكون متعاقبة بقدر ما تكون مرتبطة بموضوع التخاطب"<sup>2</sup>، بمعنى ارتباط القضايا بموضوع عام واحد يجمعها هو الكفيل يجعل القضايا مترابطة فيما بينها.

إن تحديد مقبولة الجمل بما هي قضايا بالمفهوم الذي أسلفنا، قائم على مدى تحقق الترابط بين هذه القضايا، هذا الأخير يتحقق بفعل مجموعة من العوامل على رأسها تطابق الإحالة بين القضايا، والتطابق المعنوي أو وجود صلات معنوية بين المفردات والعبارات اللغوية، بالإضافة إلى تحقق شرط تعالق الوقائع بإحدى أو بكل الوسائل التي ذكرنا (الترتيب الزمني، انسجام القضايا مع موضوع الخطاب...)، وكل هذه العناصر تشير حقيقة في فهم فان دايك (van dijk) أن الترابط خاصة دلالية بالأساس ذلك أنه لا يركز على العناصر التركيبية النحوية بقدر ما يركز على خواص دلالية (سيمانتية) بتعبير فان دايك (van dijk) وهو ما يجعلنا نجزم أن الترابط هو خاصة دلالية بامتياز.

### ب- الانسجام:

اعتبر فان دايك (van dijk) الانسجام خاصة دلالية كما أسلفنا في موضع سابق، وقبل أن نبين مفهوم الانسجام عنده ينبغي أن نشير إلى أن مترجم كتاب فان دايك (van dijk) النص والسياق، "عبد القادر

<sup>1</sup> نُجْد خطايي: المرجع السابق، ص 32.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 34.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

قنيني " لم يطلق على المصطلح لفظ انسجام بل ترجمه بلفظ اتساق<sup>1</sup>، وهو خطأ وقع فيه المترجم. وهي الملاحظة التي أشارت إليها الباحثة: "حياة مختار أم السعد" أي سوء ترجمة الكتاب وهذا من زاويتين رئيسيتين: " من جهة في ضبطه للمصطلحات، فنجد مثلا أنه يترجم coherence بالاتساق عوض الانسجام كما فعل ذلك الخطابي (...). ومن جهة أخرى قد نرجع سوء الترجمة لصعوبة الكتاب في حد ذاته، ذلك لاستعانة فان ديك بالعديد من الميادين المعرفية المتشعبة"<sup>2</sup>.

يعد الانسجام أهم من الترابط وهو خاصية سيمانطيقية كما يقول فان دايك (van dijk)، ذلك أن الترابط بالمفهوم السابق لا يشكّل إلا جانبا من جوانب الانسجام، أي يمكن أن ترتبط الجمل بعضها ببعض وتكون منسجمة، وإن لم يتوفر فيها الترابط بالمفهوم السابق "... وبالرغم من ذلك فإن الجمل أو القضايا في كل خطاب قد تشكل كلا متسقا (منسجما) حتى ولو كانت جميعها لا ترتبط بكل جملة على حدة (...). وقد ترتبط على وجه خاص بأزواج دون أن يكون هناك تعلق بالمعنى الذي حددناه آنفا"<sup>3</sup>، أما الانسجام بالمفهوم الذي حدده فيشير إلى تعلق تأويل الجمل بعضها ببعض، أي العلاقة الجامعة بين جملة وأخرى، وفي هذا الشأن يقول: " والاتساق (الانسجام) في بدهة الفكر عبارة عن خاصية سيمانطيقية للخطاب، قائمة على تأويل كل جملة مفردة متعلقة بتأويل جملة أخرى"<sup>4</sup>، فهو - كما نرى - يولي أهمية كبرى لفعل التأويل في سبيل إدراك العلاقة بين الجمل.

ومن أجل إبراز دور التأويل في تحديد العلاقة الجامعة بين الجمل يورد مجموعة من الأمثلة هي في الأصل مأخوذة من قصة بوليسية، وقبل أن نشير إلى المقاطع التي استعان بها فان دايك (van dijk) لاستنتاج العلاقات الجامعة بين هذه المقاطع وتأويلها ينبغي بداية أن نشير إلى طبيعة هذه العلاقات، فهي ذات صبغة دلالية

<sup>1</sup> بالعودة على المؤلف في لغته الأصلية (الإنجليزية) نجد أنه يعنون الفصل الرابع من مؤلفه ب: (coherence) وقد ثبت أن المقابل العربي للمصطلح هو انسجام، فضلا عن المحتوى اذي ضمّنه المؤلف لهذا الفصل.

<sup>2</sup> حياة مختار أم السعد: تداولية الخطاب الروائي، من انسجام الملفوظ على انسجام التلفظ، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2015، ص23.

<sup>3</sup> فان دايك: النص والسياق، ص 137.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 137.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

بالنظر إلى طبيعة الانسجام "فقد جعله مرتبطا بالدلالة وذلك من خلال التعلقات التالية وهي: تطابق الذوات، والكل والجزء والملكية، ووجود الإطار، والحالة العادية المفترضة للعوامل، وتعلق المحمولات، والتذكر والاسترجاع"<sup>1</sup>.

1- التطابق الذاتي (**individual identity**): ويعبر عنه أحيانا بالتطابق الإحالي، ويعني ضرورة أن

أن تكون كل عناصر الإحالة تشير إلى عنصر بعينه، "وهو ما يعرف في الثقافة العربية بدلالة المطابقة في

المبهم والمضمر"<sup>2</sup>، ومن أجل إبراز هذه العلاقة يورد فان دايك (van dijk) المثال الآتي:

"اتخذت كلير راسل طريقها إلى المكتب في (كلاريون) في هذا الصباح الباكر، وهي تشعر بالعياء والكآبة، واتجهت

توا إلى غرفة العمل فوضعت قبعتها وزينت وجهها بأن ذرت عليه مسحوقا ثم جلست إلى الطاولة. لقد كانت

حقيبتها ممددة في ترتيب، وكانت منشفتها باردة كالثلج، والمحبرة مملوءة؛ إلا أنها لم تكن راغبة في العمل"<sup>3</sup>.

وقد تحقق التطابق الإحالي في هذا المقتطف؛ فالمقصود بالضمير "هي" ( اتخذت، تشعر، اتجهت ...) هي

نفسها (كلير راسل)، وبالتالي حدث تعلق في هذا المقطع بين الاسم الظاهر وبين الضمير المعبر عنه، أما بقية

العناصر الأخرى ( مكتب، غرفة العمل، قبعة، وجه، الطاولة، ...) فهي متعلقة أيضا وإن بطريقة غير مباشرة كما

يرى مُجدّ خطابي<sup>4</sup>.

## 2- علاقات التضمن والعضوية (Membership) / الجزء من الكل / الملكية :

تعرف علاقة التضمن التي طرحها فان دايك (van dijk) في ثقافتنا العربية بنفس المسمى، وتتعدد

تسمياتها في علم الدلالة بين الاندراج والتجانس والتضمن، وهي أن ترتبط العناصر اللغوية في هذه العلاقة على نحو

تسلسلي فيشتمل العنصر الأول العنصر الثاني لأن العنصر الأول أعلى في التقسيم التصنيفي أو التفرعي وهذا ما

أكده أحمد مختار عمر في حديثه عن هذه العلاقة إذ يقول: " تعد علاقة الاشتمال أهم العلاقات في السيমানتيك

<sup>1</sup> عمر مُجدّ أبو خرمة: المرجع السابق، ص 88.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 88.

<sup>3</sup> فان دايك : النص والسياق، ص 143.

<sup>4</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: مُجدّ خطابي: المرجع السابق، ص 35.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

التركيب، والاشتمال يختلف عن الترادف في أنه تضمن من طرف واحد . يكون (أ) مشتملا على (ب) حين يكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي أو التفريعي (Toxonomic) مثل (فرس) الذي ينتمي إلى فصيلة أعلى (حيوان) . وعلى هذا فمعنى (فرس) يتضمن معنى (حيوان)<sup>1</sup>.

وبالعودة إلى المثال السابق يمكن أن نتلمس أوجه هذه العلاقة في الرابطة التي تجمع بين غرفة العمل والمكتب، والطاولة والمحبرة ..، فإن غرفة العمل تقتضي بالضرورة وجود مكتب العمل والمحبرة ...، وهذه العناصر الأخيرة تتناسب مع مفهوم غرفة العمل .

أما علاقة الجزء من الكل فهي تختلف عن علاقة التضمن في كون العلاقة بين الجزء والكل علاقة حقيقية كالعلاقة بين الوجه والإنسان، في حين لا تكون العلاقة حقيقية بالضرورة في حالة التضمن<sup>2</sup>، ومثال هذه العلاقة في النص السابق كما يشير إلى ذلك مُجد خطابي : "يمكن أن تكون غرفة العمل جزءا من مكتب كما أن المنضدة يمكن ان تكون جزءا من غرفة مكتب"<sup>3</sup>، أما علاقة الملكية "فتتجلى العناصر التي يمكن أن تمتلكها امرأة (أنثى) في هذا السياق على غرار (قبعة، حقيبة، مسحوق...).

### 3- الحالة العادية المفترضة للعوامل (Assumed Normality):

يقر فان دايك (van dijk) أن العلاقات السابقة ووجودها في النص لا يعني مطلقا أن يكون النص منسجما، وعلى هذا الأساس يضيف شرطا آخر أو علاقة أخرى تتمثل في معرفة الحالة العادية المفترضة للعالم والتي تعني " أن ضروب توقعنا بشأن البنيات السيمانطيقية للخطاب تحددها معرفتنا بترتيب العوامل في أعم أحوالها وأخصها، أو معرفتنا بجريان الأحداث"<sup>4</sup>، إلا أن معرفتنا بالعوامل غير العادية أو إن صح التعبير السياق غير المناسب، يقتضي منا أولا معرفة العالم الممكن أو السياق المناسب ، وقد عمل فان دايك (van dijk) إلى إبراز هذه

<sup>1</sup> أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب الحديث، القاهرة، ط5، 1998، ص 98.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 101، حسام البهنساوي: التوليد الدلالي، دراسة في المادة اللغوية في كتاب شجر الدر لأبي الطيب اللغوي في ضوء نظرية العلاقات الدلالية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ط1، 2003، ص20.

<sup>3</sup> مُجد خطابي: المرجع السابق، ص35.

<sup>4</sup> فان دايك: النص والسياق، ص144.



## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

العلاقة ( الحالة غير العادية) والتي تتمثل في رفض ( كلاير راسل) العمل في الظروف المساعدة المتوفرة ( مكتب طاولة محبرة..)، وقد أشار إلى هذه الحالة غير العادية بتوظيف الرابط (لكن) الذي يشير إلى حالة غير عادية و غير منسجمة مع ما ينبغي أن يكون.

ويبدو من خلال هذا البسط أن دور المتلقى واضح في اكتشافها، بل كل المهمة ملقاة على عاتقه فهو متلق " له معرفة مسبقة بالأفكار والأشياء مخزنة في الذهن ، وهذا حسب تجاربه السابقة، فهو قارئ موهوب قادر على الاحتفاظ بالعناصر الأساسية للنصوص حين معالجتها وتحليلها"<sup>1</sup>.

ومن أجل تقديم توضيح شاف وكامل لهذا الشرط، يقدم فان دايك (van dijk) مجموعة من الأمثلة تعبر عن خرق حقيقي لمفهوم الحالة العادية وهي كالتالي:

ت- (...) كانت تخلع ملابسها (...)

ث- (...) قذفت الطاولة من النافذة (...)

ج- (...) كانت الحقيبة معلقة على الحائط (...)

ح- (...) إنها شربت مداد الدواة (...)<sup>2</sup>

فالملاحظ أن مجموع الخطابات السابقة غير مقبولة تماما لأنها لا تنسجم مطلقا مع الحالة الاعتيادية للأحداث، فكيف تنسجم منظومة الأحداث وسيورتها، بالشكل المذكور في المثال السابق الرئيسي مع هذه النماذج المذكورة؛ كأن ترمي " كلاير راسل" طاولتها من النافذة أو تقوم بفعل آخر لا يتوافق مع الحالات العادية، وقد توسع أكثر فان دايك (van dijk) في هذا الأمر حين ربط بين مفهوم الحالة العادية للعالم، وبين الإطار الذي يعني السياق العام المنظم للأحداث والذي يعني الخروج عنه بالضرورة اختلال الخطاب؛ فالإطار العام لهذا الخطاب هو المكان/ المكتب، وأي خروج أو تناقض مع هذا السياق العام سيؤدي بالضرورة إلى تفكك الخطاب.

<sup>1</sup> ربيعة بن مخلوف: الانسجام النصي في الرسالة الهزلية لابن زيدون، مذكرة ماجستير مرقونة، جامعة الحاج لخضر نباتنة، 2009/2008، ص99.

<sup>2</sup> فان دايك: النص والسياق: ص144.

4- تعالق المحمولات:

تشير هذه العلاقة إلى وجود صلة دلالية بين أشياء "لا تنتمي إلى حقل دلالي واحد، ولكنها تستلزم وجودها في إطار قريب أي علاقة بين إطارين قريبين وهو ما يدخل في دلالة الالتزام"<sup>1</sup> والإطار بهذا المفهوم هو السياق العام أو الحيز الذي تكون فيه الأحداث قابلة للتفسير لأنها في عالم ممكن، وتعالق هذه الأشياء نابع من تقارب الإطارين الذي وردت فيها هذه الأشياء، ومن أجل توضيح هذه العلاقة يقدم فان دايك (van dijk) مقتطفات أخرى من القصة البوليسية السابقة وهي كالتالي:

" لقد دفعت الحقيبة بعيداً، وجعلت تحملق بعينها خارج النافذة. لقد كانت الشمس آنذاك حارة جداً، وظهرت الشوارع كأنها مليئة بالغبار وكان المنظر الجميل Fairview (وهو اسم علم لمدينة) في حاجة للمطر، فلقد كانت هذه المدينة تبدو وكأنها محترقة، وألقت بنظرة احتقار على المدينة الصغيرة الممتدة في غير نظام..<sup>2</sup>

أما المقطع الثاني فجاء فيه: " وبينما هي جالسة هناك، جعلت تفكر في هاري دوك، ولقد كانت تفكر فيه معظم ليلتها، وفي الحقيقة إنها تتأمل شخصين على التوالي: هاري دوك وبيتر، بيتر وهاري دوك، وكانت قد ألقت بنفسها على سرير ضيق محدقة في الظلام الدامس، متذكرة جميع التفاصيل لما كان وقع لها، حتى أنها كان يمكنها أن ترى هاري دوك رأي العين: إذ كانت تتمثل قوة كتفيه، ورأسه الأسود الدقيق، وشاربه المقصوص بعناية، ولقد ذهب بما خيالها حتى أنها شعرت بالقوة مجسمة فيه"<sup>3</sup>.

يحق لنا ان نتساءل بعد إيراد هذين المقطعين المأخوذين من قصة بوليسية مع المقطع الأول المذكور سابقاً، عن الكيفية التي تتعالق بها وتترابط العناصر الموجودة فيها، وقد يبدو لنا جلياً وواضحاً اختلاف الإطار الذي وردت فيه أحداث كل مقطع ، وإن كانت المحمولات متعلقة ضمن الإطار الواحد مثلاً المقطع الأول فالإطار هو (المكتب) فالمحمولات متعلقة ( دخلت إلى المكتب، نزعت قبعتها، جلست إلى طاولتها...) فالتأويل الذي يقوم به

<sup>1</sup> عمر مجد أبو خرمة، المرجع السابق، ص 87.

<sup>2</sup> فان دايك: النص والسياق، ص 145.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 147.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

المتلقي في هذا المقطع قائم على ربط هذه المحمولات بإطارها، وما قيل عن المحمولات الموجودة في المقطع الأول أو الإطار الأول يقال عن المحمولات الموجودة في المقاطع والأطر اللاحقة، إلا أن الأمر الذي يتساءل عنه فان دايك (van dijk) يكمن في إمكانية تعالق المحمولات الموجودة في هذه المقاطع التي يبدو فيها اختلاف الإطار العام للأحداث خاصة وأنه يأخذ هذا الواقع الجديد بعين الاعتبار ممثلاً في تغير موضوع الخطاب (Change in the topic of discourse)<sup>1</sup>؛ أي أنه يدرك تمام الإدراك أن ظاهر النص يشير إلى غياب العلاقة -أي نوع من العلاقات- بين هذه المقاطع.

يشير فان دايك (van dijk) إلى أن هذه المقاطع مترابطة وإن اختلفت الأطر التي وردت فيها أحداثها، ومحمولاتها متعلقة ومترابطة في الوقت نفسه، وذلك وفق دلالة الالتزام بالمعنى الذي حددناه سابقاً، بمعنى وجود أشياء تسلتزم بعضها، فالمقطع الأول والثاني متعلقان وموضوعهما مترابط والرابط بينهما هو: "المحمول (حدث خارج النافذة)، وهذا يستلزم أنها رأيت شيئاً ما في الخارج أثناء التحديق، ثم إذا كانت البناية التي يوجد فيها المكتب جزءاً من مدينة، وإذا كانت للمدينة شوارع... إلخ، فإن إدراج مقولة (خارج البناية) يسمح بإدراج إطراري: الطقس (المطر الشمس إلخ) والمدينة. ومن ثم فإن العلاقة التي مكّنت من الوصول إلى الموضوع الجديد المؤسس في (عالم) مختلف مكاناً هي علاقة النظر إلى الخارج، وهي علاقة تبرر الحديث عن ذوات جديدة"<sup>2</sup>.

أما عن العلاقة بين المقطعين الثاني والثالث، فيشير بداية إلى أنهما متماسكان متعلقان ويمكن تبرير هذا التعلق بوسائط متعددة<sup>3</sup>:

1- بواسطة الإشارة (هناك) وهي إشارة إلى الموضوع الأول (جلوس المرأة في المكتب).

<sup>1</sup> مجّد خطاي: المرجع السابق، ص 36.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 36، 37.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 37.

2- الذوات الواردة فيه تتمركز حول إطارين: إطار الليل وتندرج فيه الذوات: الليل الظلمة، السرير، كما أن

المحمول (التقلب في الفراش) يعد استلزاما ممكنا للأرق المرتبط بإطار الليل. ثم إطار الإنسان الذكر: الكتفان، الشارب، الرأس، القوة.

وعليه يبدو الانسجام كما تصوره فان دايك (van dijk) مبحثنا دلاليا، وذلك من خلال مجموع العلاقات الدلالية التي تشكل في مجموعها وسائل انسجام الخطاب في رأيه، إلا أن الملاحظ على هذه العلاقات المذكورة آنفا أنها تتعدى حدوده الدلالية، إلى حدود أخرى تداولية خاصة في حديثه عن الحالات العادية والمفترضة للعالم، والتي يعول فيها أكثر على معرفة المتلقي وخبرته، ودور السياق الخارجي في تحديد العوامل العادية وغير العادية.

ويمكننا من خلال عرضنا لمبحث الانسجام عند فان دايك (van dijk) تسجيل ملاحظة هامة حول جهده المبذول في إبراز وسائل الانسجام، حيث نرى ذلك الاضطراب في تحديد نوع وطبيعة العلاقات التي تؤسس للانسجام، ويبين ذلك التخبط ما لاحظناه من تعدد العلاقات بداية، وإضافة علاقات أخرى تفرضها طبيعة الأمثلة التي وظفها، فهي علاقات غير ثابتة ولا محدودة، وهو الأمر الذي تنبه إليه حسن بحيري حين قال: " ونلاحظ هنا أن قيود التماسك غير محدودة، إذ إنه يضيف باستمرار قيودا جديدة حين يلحظ عدم كفاية القيود السابقة. ويعني ذلك أن القيود التي وضعها هنا ليست نهائية، بل هي مجرد كشف عن بعض القيود التي أمكنه أن يستخرجها من خلال تتبعه لعدد من الأمثلة"<sup>1</sup>.

### ج- البنيات الكبرى / موضوع الخطاب (Les macrostructures):

تعد عملية تحديد البنيات الكبرى للنص أو موضوع الخطاب، عملية بما يتم إبراز الانسجام النصي، وإذا كانت العمليات السابقة خاصة الترابط هي عمليات خطية أفقية تسعى إلى ضبط العلاقات بين الجمل / القضايا، فإن تحديد الأبنية الكبرى أو الأبنية الكلية هي عملية معقدة نوعا ما، ذلك أنها ستفضي إلى نتائج أكثر شمولا، لأنها انتقال من تحديد العلاقة بين الجمل / القضايا البسيطة إلى تحديد البنيات الشاملة للنص، باعتبارها " تمثيل

<sup>1</sup> سعيد حسن بحيري: المرجع السابق، ص 246.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

دلالي إما لقضية ما، أو لمجموعة من القضايا، أو لخطاب بأكمله"<sup>1</sup>، وبالتالي يبدو مؤسسا للانتقال من تحديد العلاقة بين الجمل إلى تحديد البنيات على مستوى الخطاب/ النص برمته "إننا لن نحلل نصا فقط على مستوى تتابعات الجمل، ولكننا سنفعله على مستوى إجمالي أكثر"<sup>2</sup>.

يتساءل فان دايك (van dijk) عن مفهوم البنية الكبرى في كتابه "علم النص" فيجيب بعض عرضه لنماذج هي في الأصل عبارة عن سرد لأحداث بقوله: "وللتعبير عن ذلك بصورة مجازية نقول إن البنية العليا هي نمط من شكل النص، موضوعه/ ثيمته، ويعني ذلك أن البنية الكبرى هي مضمون النص"<sup>3</sup>، وبالتالي فإن البنية الكبرى بالمفهوم الذي حدده فان دايك (van dijk) لا يختلف كثيرا عن مفهوم "موضوع الخطاب" بالمفهوم الذي حددناه سابقا، ذلك أن كلا منهما هو في النهاية تمثيل دلالي إما لقضية ما، أو لمجموعة من القضايا، أو لخطاب بأكمله<sup>4</sup>، وهي تعبير عن المعنى العام الموحد للنص، أو مضمون النص كما صرح فان دايك (van dijk) بنفسه، ووسيلة لإثبات أن انسجام النص لا يتم فقط على مستوى العلاقات النحوية التركيبية في سطح النص، وإنما أيضا على مستوى البنية العميقة له" فعن طريق مفهوم البنية الكبرى استطاع علماء النص مقاومة الفكرة الشائعة عن أن التماسك النصي لا يتحدد فحسب على مستوى علاقات الترابط بين المتتاليات والجمل لأن هذا المستوى الأخير لا يقدم سوى الأبنية الصغرى"<sup>5</sup>.

إن البنية الكبرى هي في الحقيقة حاصل اجتماع مجموعة من القضايا الجزئية التي تشكل موضوعا عاما موحدًا مشتركًا بينها، وعملية التحديد هذه ملقاة على عاتق القارئ أو المتلقي الذي يستعين بمجموعة من القواعد والآليات من أجل اكتشاف العناصر العامة المشتركة بين القضايا المشكلة للنص، وهذا ما أكده غير واحد من الباحثين؛ "تتألف البنية الكبرى من مجموعة من القضايا التي تشكل موضوعا محددًا، ويضرب فان ديك مثالًا على

<sup>1</sup> مُجَّد خطابي: المرجع السابق، ص44.

<sup>2</sup> فان دايك: النص بني ووظائف، ص 158.

<sup>3</sup> فان دايك: علم النص، ص 209.

<sup>4</sup> لمزيد من التفصيل في هذه القضية ينظر: مُجَّد خطابي: المرجع السابق، ص 42.

<sup>5</sup> صلاح فضل: المرجع السابق، ص 246.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

هذا فيقول: يمكن أن نصف حدثا انطلاقا من متتالية من القضايا، مثلا: ذهبت إلى المحطة، اشترت تذكرة، وقفت على الرصيف، صعدت إلى القطار، فيمكن أن نلخص كل هذا في قضية واحدة فقط لنقول (قمت برحلة)، هذه القضية هي موضوع ما حكي سابقا<sup>1</sup>، أو هي بتعبير آخر "بنية تجريدية كامنة تمثل منطوق النص"<sup>2</sup>، وهي بنية مكونة من مجموع الجمل / القضايا متجانسة فيما بينها "فالبنية الكبرى لا بد أن تكون الجمل المؤلفة لها متحدة في الزمن والصيغ الفعلية، وفي المادة المكتوبة توجد في العادة علامات غرافيكية graphical تميز البنية الكبرى بفقرة خاصة تبدأ بسطر جديد وتنتهي بموقف معين، في الحديث المنطوق، تبدأ البنية الكبرى -في العادة- بعد وقفة كافية تشعر المستمع بأن موضوع الحديث قد تغير"<sup>3</sup>، وهذا التحديد الأخير نراه قاصرا عن فهم فكرة البنية الكبرى للنص، لأن الاعتماد على المقياس الكمي أو الصوتي ليس هو المعيار المناسب -في نظرنا- لتحديد البنية الكبرى أو البنيات الكبرى للنص.

إن دور القارئ يبرز بشكل واضح من خلال القواعد التي يقوم بها في سبيل استخلاص البنيات الكبرى وربطها بالقضايا الموجودة في النص، هذه القواعد تسمى بالقواعد الكبرى (Macro règles) وهو ما عبر عنه فان دايك (van dijk) بقوله: "تربط جمل النص البنية الكبرى بالقضايا المعبر عنها بواسطة ما نسميه الضوابط الكبرى، وتحدد هذه الأمور الأكثر جوهرية إذن بعض التفاصيل وتختزل في النتيجة معلومة النص إلى الجوهري منها"<sup>4</sup>، وهي بتعبير بسيط تلك العمليات الذهنية التي بها يستطيع المتلقي بناء البنيات الكبرى في النص، وأهم هذه القواعد ما يلي:

### 1- الحذف أو الانتخاب (Suppression ou sélection):

وتقوم هذه القاعدة على إقصاء كل القضايا التي قد لا تبدو ذات أهمية وفي هذا السياق يقول فان دايك

(van dijk): "هو حذف في تتابع القضايا لكل القضايا التي لا تعد شروطا لتأويل قضايا تالية في النص أو

<sup>1</sup> حياة مختار أم السعد: المرجع السابق، ص 36.

<sup>2</sup> صلاح فضل: المرجع السابق، ص 246.

<sup>3</sup> إبراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1997، ص 146.

<sup>4</sup> فان دايك: النص بني ووظائف، ص 159.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

اختيار القضايا التي تعد شروطاً للتأويل<sup>1</sup>، أي هو حذف من جهة لكل القضايا/ الجمل التي لا يؤثر حذفها في المعنى العام للنص ( البنية الكبرى) وفي المقابل اختيار الجمل / القضايا المناسبة التي يعد وجودها مهما في سبيل تأويل مناسب للنص.

### 2- التعميم (généralisation):

وهي القاعدة التي تنص على استخلاص المعلومات الهامة والأساسية عن طريق الانتقال من العام إلى الخاص، أو من خلال استبدال مجموعة متعددة من الجمل/ القضايا بعدد أقل منها، وذلك من خلال محاولة إيجاد القاسم المشترك بينها، وقد عرفها فان دايك (van dijk) بقوله: " تعويض متوالية من القضايا بقضية تتضمنها كل قضية من قضايا المتوالية، مثال ذلك: ماري تلعب الكرة، جان يلعب الكوريات، ميشل يلعب بالدمية = الأطفال يلعبون بلعبهم"<sup>2</sup>، أو هي " كل تتابع قضوي، يرد في التصورات التي يستوعبها تصور علوي جامع، تحل محله قضية بهذا التصور العلوي"<sup>3</sup>، فهي قاعدة تقوم على اختصار القضايا/ الجمل المتعددة في قضية كبرى أو أقل عدد منها.

### 3- البناء Construction :

وتعني هذه القاعدة " تعويض متوالية من القضايا بقضية تحيل إجمالاً على الوقائع نفسها التي تحيل عليها قضايا المتوالية في مجملها"<sup>4</sup> أي تعويض كم من القضايا المشتركة دلاليًا بقضية واحدة تختصرها وتعبر عن مضمونها، ويقدم فان دايك (van dijk) كمثال لهذه القاعدة مثال القطار السابق: " ذهبت إلى المحطة، اشترت تذكرة، وقفت على الرصيف، صعدت إلى القطار"، فهذا المثال عبارة عن مجموعة من القضايا يمكن تعويضها بقضية واحدة هي: "قمت برحلة"، لتعبر عنها .

<sup>1</sup> فان دايك: النص بني ووظائف، ص 159.

<sup>2</sup> فان دايك وآخرون: نظرية الأدب في القرن العشرين، تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دط، 1996، ص 60.

<sup>3</sup> كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر: سعيد حسن مجيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2005، ص 69.

<sup>4</sup> فان دايك وآخرون: نظرية الأدب في القرن العشرين، ص 60..

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

إن القواعد التي يطرحها فان دايك (van dijk) في سبيل تحديد البنى الكبرى للنص لا يمكن أن تؤتي أكلها، وتؤدي النتائج المرجوة منها ما لم تؤسس وتبنى على ما يعرف: " معرفة العالم " أي معرفة العالم الذي يؤول فيه النص / الخطاب وفي هذا الشأن يقول: " إن هذه القواعد التي اخترناها هنا لا يمكن أن تعمل إلا على قاعدة من معرفتنا بالعالم، فمعرفتنا بأن السفر بالقطار يتضمن الذهاب إلى المحطة وشراء بطاقة سفر إلخ هي التي تسمح بتعويض مجموع التفاصيل بمفهوم السفر في القطار"<sup>1</sup>.

إلا أن المتتبع لعمل فان دايك (van dijk) فيما يخص الجانب الدلالي المتمثل في محاولة تحديد البنية الكلية والكبرى للنصوص ودورها في تفعيل وتحقيق مبدأ الانسجام أنه لم يقتنع تمام الاقتناع بهذا المبدأ ذلك أنه في نفس السياق يقترح مفهوما آخر لا يختلف عنه كثيرا وهو مفهوم البنية العليا أو الخطاطة الإجمالية للنص، فإذا كان مفهوم البنية الكبرى ينصب على مضمون النص ومحتواه، فإن مفهوم البنية العليا يقوم على شكل النص وهذا ما عبر عنه فان دايك (van dijk) بقوله: " وللتعبير عن ذلك بصورة مجازية نقول إن البنية العليا هي نمط من شكل النص (Textform)، موضوعه / تيمته، ويعني ذلك أن البنية الكبرى هي مضمون النص (Textinhalt)"<sup>2</sup>، وعبر عنها في موضع آخر فقال: " لأننا قد انتهينا من الحديث عن البنية الدلالية الإجمالية للنص، فإننا سنقترح أولا نوعا آخر من البنيات الإجمالية سندعوه: البنيات العليا، وهي بنيات لا تهتم مباشرة بمحتوى النص بقدر ما تهتم بتمفصله الداخلي العام، وسيكون بالوسع التحدث عن الأشكال النصية أو الخطاطات النصية على حدّ سواء ، النمطان الأكثر شهرة من البنيات العليا هما دون شك الخطاطة السردية وخطاطة الحجاج"<sup>3</sup>، والحقيقة أن هذا التجاوز كان نتيجة تشبع هذا الأخير بنظرية الرواية والحجاج ، والبلاغة، وقد

<sup>1</sup> فان دايك وآخرون: نظرية الأدب في القرن العشرين ، ص 60.

<sup>2</sup> فان دايك: علم النص، ص 209.

<sup>3</sup> فان دايك وآخرون: نظرية الأدب في القرن العشرين، ص 61.



## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

عبر عن هذا التجاوز بقوله: " وقد طورت هذه النظريات انطلاقاً من البلاغة التقليدية والشعرية ونظائرها المعاصرة مثل نظرية الحكيم ونظرية الحجاج إلخ"<sup>1</sup>.

إن مفهوم البنية العليا مفهوم شكلي كما هو واضح أمامنا، فهو قائم على وضع تخطيط شكلي للنص، ولا علاقة له بمضمون النص ولا بقضاياها، وكمثال لذلك شكل القصة والرواية في حالاتها البسيطة التقليدية مثلاً: تتطور أحداثها لتصل إلى مرحلة تعقد الأحداث ثم انفراجها لاحقاً، فهذه بنية عليا أو ترسيمة كما يحلو للبعض تسميتها، تسير عليها معظم القصص، ويمكن أن تنطبق على معظمها، مع أن محتواها مختلف بطبيعة الحال، وبالتالي فإن البنية العليا هي الشكل أو الإطار الذي يوظف المضمون أو الموضوع " تكمن أهمية البنية الفوقية لا في كونها تلعب دوراً في تنظيم المحتوى الشامل للنص فقط، بل لأنها تحدد في نفس الوقت جنس النص، ولهذا فهي تلعب دوراً مهماً في التعامل المعرفي للنصوص ( إنتاجاً، وفهماً وتذكراً وإعادة إنتاج)، مثلها مثل البنية الكبرى"<sup>2</sup>، وهذا مع الإشارة إلى أن مفهوم وشكل البنية العليا مفهوم غير قار ولا ثابت، ذلك أنه خاضع للتحويل والتغير، ولا أدل على ذلك من شكل الرواية أو القصة التي قد يتغير شكلها من رواية لأخرى فتبدأ بالحل ثم تنتقل إلى مرحلة التأزم.

إن مفهوم البنية الكبرى والبنية العليا مفهومان دلاليان حاول عبرهما فان دايك (van dijk) مقارنة جوانب تماسك النص وذلك من خلال الإمساك بتمفصلات النص وقضاياها العامة والكلية أو صورته الشكلية، ولا يخفى علينا أن دور السياق (معرفة العالم)، ودور المتلقي بارز في عملية تحديد هذه البنية، وبالتالي فإننا نرى فان دايك (van dijk) لا يلتزم بالطابع الدلالي لهذين المعيارين، ومع هذا يبقى هذان المعياران مهمان جداً في تحديد وإبراز مدى تماسك والنص وانسجامه، أو عدم انسجامه.

<sup>1</sup> فان دايك وآخرون: نظرية الأدب في القرن العشرين، ص 61.

<sup>2</sup> حياة مختار أم السعد: المرجع السابق، ص 38.

2-2-2- قضايا التداولية:

مرّ بنا سابقا في بسطنا للرؤية التي ميزت هذا الاتجاه (لسانيات الخطاب) والذي تزعمه فان دايك (van dijk)، أن هذا الأخير قد قسم رؤيته لانسجام النص وتماسكه إلى معيارين رئيسيين هما (الدلالة والتداول)، وتحت كل معيار رسم مجموعة من المباحث، وينبغي التذكير في هذا المقام أن البسط الذي قدمناه سابقا في عناصر الدلالة (البنى الكبرى، الانسجام، الترابط) لا يعني مطلقا إهمال فان دايك (van dijk) للعناصر التداولية المساهمة في انسجام النص، وهذا الاهتمام واضح عنده منذ البداية، حين حدد مفهوم النحو عنده فربط بين التركيب والدلالة والتداول، فليست قواعد النحو عنده وصفا أو تفسيرا للمقولات الصورية الشكلية التركيبية، وليست ربطا فقط للشكل بالدلالة؛ وإنما هو حاصل تفاعل هذين العنصرين السابقين مع عناصر السياق وشروط الاستعمال، فقد أعطى فان دايك (van dijk) أهمية قصوى للبعد التداولي في الدراسة النصية، وجعل تحديد عناصره من أهم ركائز البحث عن انسجام النصوص، ويمكن أن نلخص العناصر التداولية المساهمة في انسجام النص/ الخطاب عند فان دايك (van dijk) فيما يأتي:

أ- السياق:

قد تبين لنا فيما سبق أن فان دايك (van dijk) لم يكتف بوصف البنى التركيبية والسطحية فقط، وإنما سعى جاهدا إلى ربط هذه البنى بسياقها الذي يؤطرها، وقد بنى مفهومه للنص على هذا التصور، وبتعبير آخر فإن وجود متتالية من الجمل لا يعني مطلقا توفر معيار النصية فيها، ذلك أنه يثور على معيار الكمية في تشكل النص فقد يكون النص جملة واحدة، ودليل ما قدمناه هو بحثه المتواصل في عناصر الانسجام، إذ لاحظ أن الانسجام الخطي الذي يمكننا أن نستنتجه من العلاقات الدلالية بين الجمل، لا يكفي وحده للحكم على نصية متتالية من الجمل، وإنما يتطلب الأمر شروطا أخرى إضافية ضمنية (Implicite) تتعلق أساسا بـ: "المقامات أو الوضعيات

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

والأحداث والعادات"<sup>1</sup> والتي تشكل في مجملها معرفتنا بالعالم أو حضور العناصر المقامية في شروط انسجام النص وبالتالي تحقق معيار النصية.

يقدم فان دايك (van dijk) تصوره للنص على مجموعة من التصورات تلخص رؤيته الخاصة له، وهي قائمة على ربط البنية السطحية بالجوانب الدلالية والتداولية بالمفهوم الواسع، حيث يغدو السياق عنصرا واحدا من هذه العناصر السابقة ويمكن أن نلخص هذه المبادئ فيما يأتي<sup>2</sup>:

- ليس الأدب مجموعة نصوص فقط، إنه بالأحرى مجموعة من الممارسات النصية.
- النص الأدبي يجب أن يعتبر في آن واحد (نتاجا) لعملية الإنتاج، وأساسا لأفعال وعمليات ( تلق) و (استعمال) داخل نظام التواصل والتفاعل.
- هذه العمليات التواصلية الأدبية تقع في عدة "سياقات" تداولية ومعرفية وسوسيو-ثقافية، وهذه السياقات هي التي تحدد الممارسات النصية وتتحدد بواسطتها.
- إن السياقات الأدبية تتمفصل بحسب جماعة المشاركين وأدوارهم وبحسب ( المقامات) والمؤسسات ، وأحيانا بحسب التعاقبات والقواعد والاستراتيجيات التي تنظم الممارسات النصية في سياقات تتأسس على قاعدة مجموعة من القيم و الأحكام المحددة (الإيديولوجيا) الأدبية.

وعليه يبدو جليا أمامنا اهتمام فان دايك (van dijk) بكل العناصر الدلالية والتداولية المرتبطة بالنص، إذ ربط - كما هو واضح- بين البنية كشكل لغوي من جهة وبين الدلالة والتداول كعناصر ضرورية لوصف شامل للنص فهو " يأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد الدلالية والتداولية المكونة للنص، ويحدده بأنه بناء نظري مجرد لا يتجسد إلا من خلال الخطاب باعتباره فعلا تواصليا، وفي إطار هذه العلاقة يتم الربط بين النص وسياقه التداولي، كما يدعو "فان دايك" إلى تجاوز الخصائص الداخلية التي تتصف بها النصوص، إلى الخصائص الخارجية والشروط التي يخضع

<sup>1</sup> حياة مختار أم السعد: المرجع السابق، ص35.

<sup>2</sup> علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص77، 78.

لها ضمن سياقات معينة"<sup>1</sup>، فيبدو اهتمامه واضحاً بعناصر السياق في تناول النص، الذي يكتسب سمة الخطاب بحضوره في سياقات محددة، وقد قسم السياق إلى أقسام متعددة منها:

### 1- السياق التداولي (contexte pragmatique):

لخص فان دايك (van dijk) نظرتة الشاملة لعناصر السياق في مقاله " النص بنى ووظائف: مدخل أولي لعلم النص"، وضمنه رؤيته الشاملة للأقسام المشكلة للسياق، وأول قسم من أقسام السياق عنده هو "السياق التداولي" أو عندما ينظر إلى النص كفعل كلامي حيث يقول في هذا الشأن: " إن السياق الأول الذي سنحلله هو السياق التداولي، فالدراسة التداولية للنصوص تستند إلى تأويل للنص بوصفه فعلاً للسان أو بوصفه سلسلة من أفعال اللسان، ونجد أن من أفعال اللسان مثلاً الوعود، والتهديدات، والأسئلة، والمطالب، إلى آخره. فنحن ننجز فعلاً لسانياً إذ نعر بجملة أو عدد من الجمل في سياق يكون ملائماً لها"<sup>2</sup>، وقد ضرب من أجل ذلك المثال التالي: "أستطيع مساعدتي في دفع السيارة" وهو في الحقيقة عبارة عن فعل الطلب، ولا يمكن أن يتحقق هذا الفعل إلا إذا توفرت شروط السياق المناسبة لحدوث الفعل كأن يكون المرسل راغباً في شيء ما، والمستقبل له القدرة على الاستجابة لهذا الطلب، فإن لم تتحقق هذه الشروط فحينئذ لا يمكن الحديث عن فعل كلامي أو لسانياً كما يسميه، لأنه فعل فاقده لشروطه السياقية.

وتعزى مهمة بحث شروط تحقق فعل اللسان إلى التداولية التي " تحدد الشروط التي يجب أن تتوفر في كل فعل كلامي حتى يكون ملائماً لسياق معين، كالتالي يجب أن تتمتع بما الملفوظات"<sup>3</sup>، وعليه فإن السياق التداولي

<sup>1</sup> هو الحاج ذهبية: "النص بين السياق والتلقي في الفكر الأدبي"، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث العلمي، كانون الأول، 2014، ص 70.

<sup>2</sup> فان دايك: النص بنى ووظائف، ص 171.

<sup>3</sup> علي آيت أوشان: المرجع السابق، ص 82.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

بهذه الرؤية هو حاصل الظروف الاجتماعية والنفسية التي تحدد مدى ملاءمة الفعل الكلامي، وتمثل هذه العوامل في: المعرفة التي يملكها مستعملو اللغة، ورغبتهم وإرادتهم وأشياءهم المفضلة، وآراؤهم وكذلك علاقاتهم الاجتماعية.<sup>1</sup>

إن هذه الوظيفة المنوطة بالتداولية في هذا المقام تجعلنا نتصور النص مجموعة من الأفعال الكلامية المتتالية، بدل مجموعة من الجمل المتتالية أو القضايا، "... كما أنه إضافة إلى اعتبار النص متتالية من الجمل، فيمكن من هذه الزاوية وصفه على أنه متتالية من أفعال اللغة، ويمكن لهذه الأمثلة أن تقول على هذا الأساس: (أعطني إذا قطعة من الخبز، غمري جوع شديد) فبتلفظ الجملة الأولى أتوجه بالطلب، وعن طريق الجملة التالية لها أحفز طلي وأعرض الأسباب"<sup>2</sup> وهكذا يغدو النص عبارة عن أفعال كلامية، وإذا أخذنا النص كبنية كبرى أمكننا أيضا الحديث عن فعل كلامي كبير، فقد تكون رسالة طويلة سوى رسالة طلب واحدة... وهذه الأفعال الكلامية الكبيرة مشتقة من متتاليات أفعال<sup>3</sup>. وعموما يمكن القول إن السياق التداولي بمفهومه العام هو حاصل الملازمات الاجتماعية والنفسية التي تحيط بالنص، والتي بها تكتسب متواليته من الجمل صفة الخطاب.

### 2- السياق المعرفي/ الإدراكي (contexte cognitif):

يحاول فان دايك (van dijk) توضيح هذا النوع من السياق من خلال العودة إلى عمليات "فهم النص" وإدراكه، وهي بلا شك عمليات معقدة وعقلية/ نفسية بالدرجة الأولى، فلكي يستعمل القارئ/ المتلقي نصا معينا، فإنه ينبغي عليه أولا أن يفهم هذا النص، وعملية الفهم هذه عملية مركبة؛ ذلك أن " مستعمل اللغة سوف يفهم بالدرجة الأولى الكلمات ومجموعة الكلمات والجمل، ومن ثم متتاليات الجمل، وبالإجمال يمكن القول إن سياق الفهم يؤول إلى تحليل المعلومة المنقولة بواسطة بنية النص السطحية وترجمتها إلى مضمون"<sup>4</sup>، وعليه فإن عملية الفهم بهذا الطرح عملية تنطلق من فهم وتحصيل المستويات اللغوية الدنيا ممثلة في المفردات إلى المستويات العليا ممثلة في التابع الجملي أو النص، ووصولاً إلى إدراك البنية الكبرى للنص، وهي في مجملها يسميها فان دايك (van

<sup>1</sup> ينظر: علي آيت أوشان: المرجع السابق، ص 83.

<sup>2</sup> حياة مختار أم السعد: المرجع السابق، ص 40.

<sup>3</sup> ينظر: علي آيت أوشان: المرجع السابق، ص 83.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 83، 84.

dijk بالعمليات المعرفية (les dispositions cognitives) وهي عوامل لها دورها الفعال في فهم النص إلا أنها "لا تعمل إلا أثناء الفهم، ويمكن أن تتغير من قارئ لآخر، بل القارئ نفسه يتغير فهمه عندما يكون في وضع آخر، أما عن عناصر العمليات المعرفية بالدرجة الأولى فهي: المعرفة والآراء (أثناء القراءة)، والأفكار"<sup>1</sup>، وهي كما نرى عمليات منها ما يرتبط بذات القارئ من أفكار وآراء، ومنها ما هو مرتبط بمعرفته الخارجية ( معرفة العالم) بالمفهوم الذي حددناه سابقا، والأمر لا يتحقق بطبيعة الحال إلا من خلال التجارب السابقة للقارئ، وقد حاول فان دايك (van dijk) وضع إطار عام لعملية الفهم من خلال توضيح شروطها وهي كالآتي<sup>2</sup>:

- استعانة المستعمل بمعرفته للعالم انطلاقا من مكتسباته المعرفية المخزونة في الذاكرة.
- تخزين القضايا في الذاكرة طويلة الأمد، فلنستطيع أن نفهم نصا معيننا علينا أن نقيم بين جملة (طويلة) وأخرى الروابط الضرورية في الذاكرة العملية، ثم نحرر هذه الأخيرة جزئيا من حملتها، ثم ندخل فيها مجددا معلومات جديدة. وعليه فإن سياق الفهم ذو طابع دوري.
- لكي نتمكن من إضفاء ترابط خطي على نص معين يجب أن تحفظ بعض المعلومات في الذاكرة العملية، وهكذا لا يكون علينا باستمرار أن نسجلها في الذاكرة طويلة الأمد.
- لأجل فهم النص، من الضروري أن تكون كميات المعلومات الكبرى التي يمكن استخلاصها من نص ما منظمة ومبنية ومختصرة، ولهذا السبب تلعب البنى الكبرى دورا رئيسا في المعالجة الإدراكية لأحد النصوص، فالقارئ لا يستطيع أن يكرر النص كلمة كلمة ولا حتى جملة جملة عمليا، فبعد أسابيع قليلة من قراءة النص فلن يتذكر سوى أهم موضوعات هذا الأخير، وتعبير آخر: إن بنية النص الكبرى هي التي تقاوم النسيان بوجه خاص.

<sup>1</sup> حياة مختار أم السعد: المرجع السابق، ص 41، 42.

<sup>2</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: فان دايك: النص بنى ووظائف، ص 176، 177، علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري، ص 84، 85، حياة مختار أم السعد: تداولية الخطاب الروائي، ص 41، 42.

وبهذا الشكل يوضح فان دايك (van dijk) عناصر السياق الإدراكي، وهذه الخطوات التي ذكرها هي التي تجعل المتلقي يختار ما يراه مناسباً وملائماً في النص، وهي في الحقيقة خطوات وعمليات معرفية أكثر منها شيء آخر.

### 3- السياق النفسي - الاجتماعي (Contexte socio-psychologique):

وهو النوع الثالث من أنواع السياق في رؤية فان دايك (van dijk) ، ويقوم على بحث مدى تأثير النص في القارئ أو مجموع المتلقين، وهو بهذا الوضع أقرب إلى ميدان علم النفس الاجتماعي ، وميدان الاتصال الجماهيري ، ويقصد به " المفعول الذي تحدثه النصوص على مستعملي اللغة سواء فردياً أو جماعياً، فلم يعد المقصود الآن هو التساؤل عما يفعله أحد القراء أو المستمعين بنص ما، وإنما ما هي العوامل الاجتماعية التي تلعب دوراً في فهم النص؟ وبالعكس ما هي جوانب الفهم السطحي التي يمكن أن تكون لها مضاعفات اجتماعية"<sup>1</sup> وهي كلها عوامل كما نرى تصب في مجال اهتمام علم النفس الاجتماعي، وكل ما له علاقة بدراسة أشكال التواصل الإنساني وتأثير التواصل اللفظي أو غير اللفظي في المتلقين.

### 4- السياق الاجتماعي (contexte social):

تناول فان دايك (van dijk) في هذا النوع الرابع من أنواع السياق العلاقة بين النص والمؤسسة (Institution) بالمفهوم الشامل لها، "حيث اعتبر أن الأفعال الكلامية هي أفعال اجتماعية لأنها أنتجت في سيرورات التفاعل التواصلية، وهذا التفاعل يجد مكانه داخل مواقف اجتماعية وهناك أنواع من المواقف في المجتمع: مواقف عامة وخاصة، عائلية، وقانونية... وفي كل هاته المواقف لكل مشارك دوره وموقفه والطبقة التي ينتمي إليها، وفي كل موقف وأمام كل مشارك هناك أفعال ممكنة"<sup>2</sup>، ويعد هذا المجال نقطة التقاء بين اللسانيات الاجتماعية وبين سيكولوجية اللغة، لأن كليهما يولي اهتماماً " للعلاقات القائمة بين السياق الاجتماعي واستعمال اللغة"<sup>3</sup>، ويشير

<sup>1</sup> علي آيت أوشان: المرجع السابق، ص 86.

<sup>2</sup> حياة مختار أم السعد: المرجع السابق، ص 43، 44.

<sup>3</sup> علي آيت أوشان: المرجع السابق، ص 87.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

فان دايك (van dijk) إلى هذا التزاوج بين هذين المجالين أو الحقلين، فليس السياق الاجتماعي وحده هو الذي يؤثر في البنية النصية، وإنما يتأثر السياق الاجتماعي هو الآخر ببنية اللغة "فإن النص بوصفه فعلا من أفعال اللسان لا يحدده الوضع الاجتماعي فقط (أو لا يحدده بالأحرى المستعمل / المشارك): إن الوضع الاجتماعي نفسه يحدده الاستعمال الذي صنع من اللغة"<sup>1</sup>، فبنية الوضع الاجتماعي (أو السياق الاجتماعي)، وبنية اللغة يتفاعلان بشكل واضح في هذه الرؤية الخاصة التي تقدم بها فان دايك (van dijk) وهذا التفاعل يتم عبر ما يسميه بـ : الاستعداد الإدراكي للمستعمل " ذلك أن تفسير هذا الأخير للواقع الاجتماعي مهما كان اصطلاحيا هو الذي يمارس تأثيرا على توجيه الإنتاج النصي وفهم النص من خلال آرائه ومواقفه ورغباته ومصالحه"<sup>2</sup>.

### 5- السياق الثقافي (Contexte culturel):

وهو النوع الأخير من أنواع السياق عند فان دايك (van dijk)، حيث ينظر إلى النص كظاهرة ثقافية (Le texte comme phénomène culturel)، وهي رؤية توازي النظر إلى النص كظاهرة اجتماعية، هذه الرؤية تمكننا من استخلاص بعض "الاستنتاجات حول البنية الاجتماعية للجماعات الثقافية غالبا ما يمكن أن نستخرج من النصوص والحوارات المستعملة في المقامات دور أعضاء المجتمع وحقوقهم وواجباتهم والقواعد والأعراف السائدة بينهم... وباختصار فإن تحليل النص هو طريقة ذات فعالية كبيرة في إطار التحليل العام للثقافة"<sup>3</sup>.

وعليه فإن السياق وفق هذا التصور الذي قدمه فان دايك (van dijk) يساهم بلا شك في تحقيق انسجام النص، فمعرفة السياق الذي ينتج فيه النص أو يستقبل أمر ضروري في عملية التأويل، والملاحظ لعمل فان دايك (van dijk) سيجد تلك الأهمية البالغة التي يوليها لهذا العنصر إيمانا منه بالدور الكبير الذي يلعبه هذا الأخير في مستوى تحقيق انسجام النص / الخطاب، وفي مستويات أخرى.

<sup>1</sup> فان دايك: النص بني ووظائف، ص 184.

<sup>2</sup> علي آيت وشان: المرجع السابق، ص 87، 88.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 88.



ب- أفعال الكلام:

بنى فان دايك (van dijk) رؤيته العامة للانسجام النصي على زاويتين أساسيتين هما الدلالة والتداول، وقد أشرنا إلى المباحث الدلالية المساهمة في انسجام النص، أما مباحث التداولية فإنه قد ركز كثيرا على السياق وفق الرؤية السابقة التي قدمناها، واهتم في نفس المجال ب: الأفعال الكلامية، إذ لا يخفى علينا أن نشير في هذا المقام إلى الجهد الكبير الذي قام به فان دايك (van dijk) في تطوير نظرية الأفعال الكلامية كما استقرت عند "جون أوستين" (Jean austin) وغيره حيث طورها من مجال الجملة إلى مجال النص، وتحول الكلام معه من أفعال كلامية جزئية مبنية على جمل جزئية، إلى الحديث عن أفعال كلامية كلية مرتبطة بالبنى الكبرى/ الكلية للنص، أي الفعل الكلامي الكلي المستنبط من النص ككل " فالفعل الكلامي الأكبر عند فان دايك هو فعل الكلام الإجمالي الذي يؤديه منطوق الخطاب الكلي والذي تنجزه سلسلة من أفعال الكلام المختلفة"<sup>1</sup>.

يرى فان دايك (van dijk) أن الدراسة التداولية للنص لن تتم إلا بالنظر إلى النص بوصفه فعلا كلاميا، أو مجموعة من الأفعال الكلامية حيث يقول: " الدراسة التداولية للنصوص تستند إلى تأويل النص بوصفه فعلا للسان أو بوصفه سلسلة من أفعال اللسان"<sup>2</sup>، ولا يمكن بأي حال من الأحوال فصل السياق عن الفعل الكلامي؛ فلا يمكن الحديث عن فعل كلامي ما لم يكن واردا في سياق مناسب له " فنحن ننجز فعلا لسانيا إذ نعبر بجملة أو بعدد من الجمل في سياق يكون ملائما لها"<sup>3</sup>؛ فإنجاز أي فعل كلامي مرهون دائما بتوفر العناصر السياقية المساهمة في نجاحه، فحين تقول: "هل يمكنك مساعدتي؟" فإن المقصود هو طلب العون والمساعدة، لا ما يدل عليه ظاهر الكلام، إلا أن تحقيق هذا الطلب يستلزم حضور بعض الشروط السياقية التي تحيط بعملية التلفظ، فيفترض بداية أن يكون القائل محتاجا أصلا للمساعدة، وأن يكون المتلقي له القدرة على مد يد العون... وغيرها من المؤشرات السياقية التي تسهم في نجاح الفعل الكلامي، وبعبارة أخرى فإن " الأفعال اللغوية تنجز داخل الجماعة اللغوية وفق قواعد قد تعلمها كل شريك لغوي في عملية تكيّفه الاجتماعي تعلمنا تاما بدرجة أكثر أو أقل. يمتلك

<sup>1</sup> مجّد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، دط، 2014، ص 217.

<sup>2</sup> فان دايك: النص بني ووظائف، ص 171.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 171.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

شركاء الاتصال إذن معرفة مشتركة عن أي الشروط ووفق أي قواعد يمكن أن تجرى أفعال لغوية معينة في مواقف التواصل<sup>1</sup>، وهو ما يمكن أن نعبر عنه بانسجام الفعل اللغوي مع سياقه.

إن الفعل الكلامي عند فان دايك (van dijk) هو "كل حدث حاصل بواسطة الكائن الإنساني، وحدوث الفعل يجر إلى تغيير العوامل الممكنة، كما أن نجاح الأفعال مشروط بعدة شروط من بينها: خصائص العالم الذي يتحرك فيه الفاعل، وقدراته ومهاراته، في حين أن المهارات تتعلق بالزمان لأنها تشمل سلوكيات، كما أن هناك فعل إنجاز قد يقوم به عدة فاعلين أي قوة جماعية ما، توحدهم نفس المقاصد للحصول على النتيجة نفسها وإن لم تكن الأغراض نفسها، وتحقيق هذه الأغراض يؤدي إلى الانسجام"<sup>2</sup>، وعليه فإن بحث الانسجام في النص وفق هذه الرؤية ينصب على بحث مدى تحقق أغراض المشاركين في عملية التواصل، ويضاف إلى هذا تلك النظرة التي تفرد بها فان دايك (van dijk) في تحديده للفعل الكلامي الكلي الذي يوازي البنية الدلالية الكبرى للنصوص، وبالتالي تتعالق البنيات الدلالية بالبنيات التداولية لأن عملية الفصل في الحقيقة بين البنيات غير ممكن إلا على المستوى النظري أما عمليا فإن الأمر يبدو غير ممكن " يمكن ربط البنيات السيمانطيقية الكبرى بالبنيات البراغماتية الكبرى ذلك أنه يمكن تعيين اتساق الخطاب وانسجامه من خلال إطار فعل كلامي كلي كأن يكون الخطاب حوارا منسجما لأنه يقتضي إنجاز فعل كلامي واحد"<sup>3</sup>.

وفي ختام هذا العرض الموجز لقضايا انسجام النص في "لسانيات الخطاب" الذي تزعمه فان دايك

(van dijk) بمجموع الأطروحات التي قدمها يمكننا أن نحصل أهم النتائج :

أولا: إن الانسجام بالمفهوم الذي حدده فان دايك (van dijk) لا يمكن أن يكون مبحثا مستقلا من مباحث الدلالة يوازي ويقارب مباحث الترابط والبنيات الكلية، وإنما هو مبحث متشعب ومتداخل تتطافر فيه الآليات الدلالية والتداولية والشكلية التركيبية والصوتية والمعجمية أيضا، لأنه لا يمكن الحديث عن الانسجام في

<sup>1</sup> كلاوس برينكر: المرجع السابق، ص 110.

<sup>2</sup> حياة مختار أم السعد: المرجع السابق، ص 28.

<sup>3</sup> نوال لخلف: المرجع السابق، ص 50.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

مستوى واحد دون غيره من المستويات وعليه فإن " الانسجام لا يمكن أن يكون مظهرا خطابيا واحدا من مظاهر خطابية أخرى في المستوى الدلالي بل هو مظهر خطابي متعدد الجوانب والأبعاد"<sup>1</sup>.

ثانيا: أولى فان دايك (van dijk) في جل أعماله عناية بالغة لعنصري الدلالة والتداول، وإن كان تناوله لهذين العنصرين يبدو مختلفا نوعا ما عن غيره فقد جعل مجال الدلالة محصورا في دراسة الروابط والانسجام بالمفهوم الضيق الذي حددناه وكذا البنيات الكلية الكبرى، أما التداولية فحصر مباحثها في تتبع السياق والأفعال الكلامية، وقد ضيق من مجال التداولية حين جعل مجالها محصورا في بحث العلاقة بين الفعل الكلامي والسياق؛ " فيحدد مجالها بمساحة ضيقة؛ فهو يفهم التداوليات على أنها دراسة الأفعال الكلامية وتتابعات الأفعال الكلامية"<sup>2</sup> وبالتالي فإن مهمة التداولية ليست دراسة شروط الاستعمال اللغوي بقدر ما هي تتبع لشروط الفعل اللغوي برأيه.

ثالثا: جعل فان دايك (van dijk) مجال الدراسة النصية نقطة اشتراك مجموعة من الحقول المعرفية كالدراسة النفسية والاجتماعية والمنطقية، وقد تجلّى ذلك من خلال القيود والقواعد والأمثلة التي كان يقدمها في مقارنته للنص والخطاب، الذي لا يمكن مقارنته إلا بتداخل اختصاصات عديدة.

رابعا: أولى فان دايك (van dijk) عناية قصوى في أبحاثه لعنصر السياق باعتباره عنصرا فعالا في تحديد النص من غيره، وفي تحديد كثير من العوامل النصية الأخرى على غرار الانسجام.

وإجمالا يمكن القول إن مقولة الانسجام عند فان دايك (van dijk) تتميز بنوع من التشعب وتداخل مجالات الدراسة، ولعل التركيز على جوانبها الدلالية والتداولية بما يحمله هذان الجانبان من مفاهيم ( روابط، بنيات، علاقات، سياق، أفعال كلامية) كفيل بتقديم تصور له في الفكر اللغوي ل: فان دايك (van dijk).

<sup>1</sup> نوال لخلف: المرجع السابق، ص50.

<sup>2</sup> خالد حميد صبري: اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015، ص62.

3- المبحث الثالث: الانسجام النصي من منظور تحليل الخطاب:

يعد مجال تحليل الخطاب مجالاً واسعاً وخصباً في الوقت ذاته، ذلك أن مجال بحثه لا يقتصر فقط على مظاهر الخطاب اللسانية وإنما يتعداها إلى المظاهر الأخرى غير اللسانية، هذا التشعب يفرض على الباحث نوعاً من الحذر في التعامل مع كثير من المفاهيم التي تندرج في هذا الحقل الدراسي، ومظاهر التشعب هذه تتجلى واضحة في إجراءات المنهجية التي يعتمدها، وهي موضوعه أيضاً إذ قد يتداخل عمل محلل الخطاب مع المشتغل في مجال علم الاجتماع أو علم النفس أو اللسانيات أو غيرها وهي الحقيقة التي أقرها مانغونو (D. maingueneau) في مؤلفه: "المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب" حين قال: "ولما كان تحليل الخطاب يقف في مفترق طرق العلوم الإنسانية فهو عرضة لعدم استقرار جم، ذلك أنه يوجد محللون للخطاب هم بالأحرى علماء اجتماع، وآخرون هم بالأحرى لسانيون، والبعض الآخر علماء نفس"<sup>1</sup>.

يعتبر "مُجد خطابي" الباحثين (براون ويول G. Yule . G. brown) الممثلين الأساسيين لهذا الاتجاه وذلك في مؤلفهما الشهير (تحليل الخطاب، Discourse analysis) حيث يعتبره "نقطة نوعية في مجال تحليل الخطاب وذلك بما يحتويه من اقتراحات ومناقشات لوجهات نظر متعددة تنتمي إلى تخصصات متنوعة تهتم هي أيضاً بتحليل الخطاب من زاوية تخصصها"<sup>2</sup>، فمقاربة (براون ويول G. Yule . G. brown) للخطاب في رأيه تتميز بنوع من التفرد؛ ذلك أنها وإن كانت تندرج ضمن مجال تحليل الخطاب إلا أنها تختلف عن بقية الممارسات أو المقاربات التي تندرج هي الأخرى ضمن المجال ذاته، وهذا ما جعل الباحث يقف مطولاً عند العناصر الأساسية التي تميز مقاربة الباحثين للخطاب، ومن ثم مقاربتهم لمفهوم الانسجام وعناصره، ويمكن أن نجمل هذه الخصائص فيما يلي:

1- تتميز مقاربة كل من (براون ويول G. Yule . G. brown) للخطاب عن المقاربات الأخرى في كون

مقاربتهم تنظر إلى الخطاب نظرة شاملة فتعتبره مادة، وموضوعاً وغاية في الوقت نفسه، فمجال الدراسة هو

<sup>1</sup> دومينيك مانغونو: المرجع السابق، ص 10، 11.

<sup>2</sup> مُجد خطابي : المرجع السابق، ص 47.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

الخطاب وغاية الدراسة تنصب بلا شك على الخطاب ذاته، في حين تتخذ كثير من المقاربات (النفسية أو الاجتماعية أو غيرها..). الخطاب مادة أو وسيلة لبلوغ غايات أخرى فهو في هذه المقاربات الأخيرة "مجرد محطة أو مرحلة اضطرارية يمر بها الدارس للانتقال إلى ما يعتبر أهم منها، فقد كان الخطاب عند غيرهما منطلقا للبحث، وهو بالنسبة إليهما غايته ونهايته"<sup>1</sup>.

2- تتميز مقارنة (براون ويول G. Yule . G. brown) بنظرتها المتميزة للغة ووظائفها التي تم حصرها في وظيفتين اثنتين هما الوظيفة النقلية، والوظيفة التفاعلية، وهما يشيران إلى أن هاتين الوظيفتين توازيان الثنائيات الأخرى التي نجدها عند كارل بوهلر (Karl Buhler)<sup>2</sup>: (التمثيلية/ التعبيرية)، و جاكبسون (R. Jakobson) (المرجعية/ الانفعالية)، وهاليداي (الفكرية/ التبادلية)، وجون لاينز (john linz)<sup>3</sup> (الوصفية/ التعبيرية- الاجتماعية)<sup>4</sup>، إلا أنهما يقران أن للغة وظائف أخرى تتعدى مجرد النقل والتفاعل، واقتصارهما على هذين الوظيفتين هو من أجل إعطاء نوع من العلمية والصرامة على الدراسة التي يجريانها؛ ذلك أن الدراسات التي اهتمت بمحاولة حصر الوظائف اللغوية قد أنتجت لنا كما هائلا من المصطلحات الغامضة - برأيهما- وسعيهما إلى ذلك كان بهدف بلوغ الغاية التحليلية، وليس إنكارا للوظائف الأخرى إذ يقولان: "... كما أن المحاولات الهادفة إلى وضع مجموعة -ولو عامة- من المصطلحات لتحديد الوظائف الأساسية للغة لم تنتج سوى عدد من المصطلحات الغامضة التي يغلب عليها طابع اللبس، ولهذا فلن نستعمل هنا سوى مصطلحين نحدد بهما الوظيفتين الأساسيتين للغة"<sup>5</sup>، وبالعودة إلى الوظيفتين السابقتين نجد أنهما يحددانها كما يلي:

● الوظيفة النقلية/ التفاعلية: أي كون اللغة وسيلة من وسائل نقل المعلومات والمعارف، ووسيلة من وسائل التواصل العلمي والحضاري بين الأجيال حيث جاء في مؤلفهما: "إن تعليق قيمة الاستعمال اللغوي بمدى

<sup>1</sup> محمد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص153.

<sup>2</sup> عالم نفسي ولغوي ألماني الجنسية (1879-1963) تكلم عن وظائف اللغة في الثقافة الغربية سنة 1918م وحددها بثلاث وظائف هي: الوظيفة التعبيرية، التأثيرية، التمثيلية. (وكيبديا)

<sup>3</sup> باحث إنجليزي وأستاذ اللسانيات بجامعة عديدة في إنجلترا (لندن، كامبردج، أدنبرة) من مواليد: 1932. (وكيبديا)

<sup>4</sup> ج.ب براون، ج. يول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي، منير التركي، منشورات جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، دط، 1997، ص 1، 2.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص1.

قدرته على نقل المعلومات مترسخ جدا في إرثنا الثقافي. فكلنا يؤمن بأن تلك هي ميزة اللغة التي مكنت بني الإنسان من تطوير ثقافات متنوعة، لكل منها تقاليدھا الاجتماعية المتميزة، وممارساتھا وقوانينها الدينية وإبداعاتھا الشفهية، وأنماط معاملاتها التجارية (...). كما أننا نؤمن جميعا بأن هذا التطور لم يكن ليتحقق لولا القدرة على نقل المعلومات بواسطة اللغة<sup>1</sup>.

● الوظيفة التفاعلية: أي أن وظيفة اللغة هي إقامة نوع من التواصل والتفاعل بين أفراد الجماعة اللغوية ذلك أن " قدرا كبيرا من المعاملات اليومية بين الناس إنما يقوم على اللغة، بوصفها بالدرجة الأولى أداة اتصال بين الأفراد، أكثر من قيامه على اللغة بوصفها أداة تعامل"<sup>2</sup>، وهي بهذا أهم من الوظيفة السابقة لأنها لا تكفي بمجرد نقل المعلومات أو المعرفة وإنما تهدف إلى إقامة الصلات والروابط الاجتماعية، وهذه الأهمية التي تكتسبها هذه الوظيفة جعلت الدارسين على اختلاف اهتماماتهم ومشاريهم يولونها أهمية بالغة من علماء الاجتماع والنفس إلى اللسانيين وغيرهم.

3- اهتم الباحثان بأقطاب العملية التواصلية (المرسل والمتلقي) اللذان يعتبران الركيزة الأساسية في عملية التواصل، ويأتي هذا الاهتمام كرد فعل غير مباشر على المقاربات السابقة خاصة الشكلية منها التي أوغلت كثيرا في صرامتها المنهجية أثناء مقاربتها للخطاب/ النص فألغت مكونات النص غير اللغوية من مرسل ومستقبل وسياق، وبالتالي فإن عملهما نابع من ضرورة إشراك كل العناصر المساهمة في عملية التواصل بهدف الوصول إلى نتائج أكثر مصداقية أثناء التحليل، " وبالتالي يمكن أن يبدو النموذج الذي قدمه يول وبراون (G.brown . G. Yule) إعادة اعتبار لمكونات زهد فيها الحرص على تخلص موضوع الدراسة اللغوية مما يربطها بالظواهر الخصوصية والسعي إلى إرجاع الظواهر اللغوية إلى مجرد أشكال مجردة، قيمتها النظرية مناسبة طردا لبعدها عن الاستعمالات الخاصة"<sup>3</sup>.

وقد انعكست هذه الرؤية على عملهما وبختمها خاصة في موضوع الانسجام، حين يسندان للمتلقي أو المشاركين في عملية التواصل مهمة التأويل واستخلاص المعنى، وعليه فإننا لا نستغرب مطلقا من تركيزهما على "

<sup>1</sup> ج. ب. براون، ج. يول: المرجع السابق، ص 2.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 3.

<sup>3</sup> محمد الشاوش: المرجع السابق، ج 1، ص 154.

## الفصل الثاني: اللانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

المتكلم/ الكاتب، والمستمع / القارئ الذي يقوم بعملية التأويل/ الفهم والاستنتاج، فضلا عن سياقات التواصل، بزمانها ومكانها والمشاركين فيها"<sup>1</sup>، وعليه فإن الباحثين يعيدان للإنسان السلطة اللغوية التي فقدتها مع مقاربات سابقة بتعبير مُجد خطابي إذ يقول: " يفهم من هذا الذي تقدم أن الباحثين يعيدان إلى الإنسان، بوضعه في قلب عملية التواصل، سلطته اللغوية التي جردته منها بعض الاتجاهات اللسانية بتركيزها على اللغة كأشكال، أي باتخاذها اللغة هدفا أولا وأخيرا للبحث"<sup>2</sup>.

وبالتالي فهما في هذا السياق يؤسسان لعمل محلل الخطاب الذي يهتم بكل ملابسات الخطاب وعناصره، وهو ما يختلف مع عمل اللساني المجرد الذي يتعامل مع المعطيات اللغوية الماثلة أما عينيه والتي تكون من إنجاز سعي لتقعيد علمي صارم ومعيارى، وهو ما يختلف تمام الاختلاف عن مهمة محلل الخطاب الذي لا يسعى إلى " وضع قواعد صارمة وإنما إلى تتبع مظهر خطابي معين للوقوف على درجة تكراره من أجل صياغة أطراده، بمعنى أن هدفه هو الوصول إلى اطرادات وليس إلى قواعد معيارية"<sup>3</sup>، وإن كان اتهام اللسانيين باصطناع مادة التحليل (اللغة) فيه نوع من التجاوز، فإن له ما يبرره على الصعيد العملي، فهو اتهام مقصود كما يرى مُجد الشاوش حين يقول: " إن في اتهام المؤلفين الدارسين اللسانيين بوضع المادة اللغوية المدروسة والجمع بين دور الدارس ودور المنتج قدرا كبيرا من المبالغة، وإن كانت هذه المبالغة مقصودة للغرض، فاللسانيون قد اتفقوا في قلة الاكتراث بالمقام المادي وطبيعة المتكلم والمخاطب والدقائق المعنوية الناتجة عنها"<sup>4</sup>.

وبالتالي فإن تعامل محلل الخطاب يتم مع حركية اللغة، واختلاف المتفاعلين مع الخطاب، وليس من نص جامد معزول وساكن، وهو ما يبدو جليا في قولهما: "إن اهتمام محلل الخطاب يتصرف إلى فحص العلاقة بين

<sup>1</sup> حياة مختار أم السعد: المرجع السابق، ص 50.

<sup>2</sup> مُجد خطابي: المرجع السابق، ص 49.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 49.

<sup>4</sup> مُجد الشاوش: المرجع السابق، ج 1، ص 155، 156.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

المتكلم والخطاب في مقام استعماله خاص، بدرجة أكبر من تتبعه للعلاقة الممكنة بين جملة وأخرى بصرف النظر عن واقع استعمالها<sup>1</sup> وكل هذا الأمر يتم من خلال الانفتاح على المقاربات الأخرى نفسية اجتماعية ثقافية...

حظي مبحث الانسجام بأهمية بالغة في اهتمام الباحثين، وقد تميزت رؤيتهما لهذا المبحث بشيء من التميز ذلك أنهما يلقيان مهمة استنتاج هذه الخاصية الخطابية/ النصية للمتلقي/ المستمع، من خلال عمليات التأويل الذهنية التي يقوم بها هذا الأخير وسنحاول فيما يلي إبراز الآليات والعمليات التي تحقق الانسجام في الخطابات/ النصوص وفق الرؤية التي بناها الباحثان.

### 3-1- الانسجام النصي عند براون ويول (G.brown . G. Yule):

أشرنا فيما سبق إلى الاهتمام الكبير الذي أولاه الباحثان للمتلقي في سبيل تحقيق مبدأ الانسجام، وهو بلا شك مبدأ معقد تتطافر فيه مجموعة من الآليات العقلية واللغوية من أجل تحقيقه، لكن خبرة المتلقي وتجربته هي المعيار الرئيس الذي عوّل عليه الباحثان ، على اعتبار أن الباحثين يتميزان عن غيرهما ممن حاول تحديد آليات الانسجام، في عدّ الانسجام يصنعه القارئ بوعيه وتجربته وتأويله، فهو أمر غير معطى في النص/ الخطاب بل هو " شيء يبنى، أي ليس هناك نصّ منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي، بل إن المتلقي هو الذي يحكم على نص بأنه منسجم وعلى آخر بأنه غير منسجم"<sup>2</sup>، وهو يعطي تبريرا لانتقال مجال الدراسة إلى بحث مدى انسجام عملية تأويل الخطاب/ النص وليس بحث واستقصاء مدى انسجام النص ، أي الانتقال من انسجام النص إلى انسجام التأويل، هذا الاستنتاج الذي بينه معظم الباحثين مبني على ما جاء في مقدمة كتابهما " تحليل الخطاب" إذ يقولان: " أما نحن فمقاربتنا لتحليل الخطاب في هذا الكتاب مقارنة لسانية بالدرجة الأولى. فنحن

<sup>1</sup> ج ب براون، ج يول: المرجع السابق، ص36.

<sup>2</sup> محمد خطابي: المرجع السابق، ص51



## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

نعالج فيه كيفية استعمال الناس اللغة أداة لتواصل، وكيف يؤلف المتكلم رسائل لغوية يوجهها إلى المتلقي، فيقوم هذا بمعالجتها لغويا على نحو خاص لتفسيرها"<sup>1</sup>.

لقد بين الباحثان قصور المقاربات السابقة التي سعت إلى تحديد مفهوم الانسجام وآلياته خاصة تلك التي ربطت بينه وبين الأدوات النحوية واللغوية، فهذه الأخيرة مهمة فعلا في تحقق الانسجام لكن دورها يبقى ثانويا إلى حد ما إذا ما قورن بمهمات المتلقي والقارئ وآلياته التأويلية والقرائية "فما يجعل نصا من النصوص منسجما لا صحة بنائه النحوي فقط، بل هناك عناصر تبني انسجامه تفوق حدوده النحوية والصرفية. وبالتالي يركز براون ويول (G.brown . G. Yule) على طريقة فهم/ تأويل الرسالة، التي ربطها بسياق ورودها، وظروف إنتاجها، مع الاهتمام بالقارئ أو المستمع الذي يحدد فهمه للرسالة مدى انسجامها"<sup>2</sup>.

إن هذا الطرح يقوض بلا شك ما جاء به كل من " هاليداي ورقية حسن " ( Halliday. Hasan ) في مؤلفهما " الاتساق في الإنجليزية " ، فقد شككا في "كون الترابط المشكّل بواسطة الأدوات التماسكية هو الدعامة الفعلية للنصّية خصوصا وأنهما يدعمان قولهما بكون الترابط يتحقق حتى مع انعدام الأدوات"<sup>3</sup>، وعليه فإذا استطعنا تحديد الإطار العام الذي صاغ فيه الباحثان مفاهيم الخطاب والانسجام وغيرها أمكننا بكل يسر تتبع كل مفهوم مهما تنوع وتشعب.

إن سلطة القارئ / المتلقي في عمل الباحثين جليلة ظاهرة في بناء الانسجام، إذ يبني على فهم القارئ وحسن تأويله، ولا يقتصر فقط على البنى اللغوية وحدها لذلك نجد هاتين بيناتين تصورهما للعمليات التي يقوم بها المتلقي في سبيل بناء مفهوم الانسجام على أمرين رئيسيين هما:

أ- لا يملك الخطاب في ذاته مقومات انسجامه، وإنما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقومات.

<sup>1</sup> ج ب براون، ج يول: المرجع السابق، مقدمة الكتاب.

<sup>2</sup> حياة مختار أم السعد: المرجع السابق، ص 45.

<sup>3</sup> رشيد برفان: المرجع السابق، ص 66.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

ب- كل نص قابل للفهم والتأويل فهو نصّ منسجم، والعكس صحيح.<sup>1</sup>

وعليه فإن الأدوات النحوية الشكلية ليست هي معيار تحديد انسجام نص من عدم انسجامه ، لأن معيار الانسجام بينه المتلقي من خلال تشغيل خبرته السابقة، هذه الخبرة تتشكل من خلال مجموعة من المبادئ والعمليات التي يقوم بها القارئ وقد أطلقا عليها مصطلح: مبادئ وعمليات الانسجام.

ينبغي علينا قبل الإشارة إلى هذه المبادئ والعمليات أن نشير إلى نقطة مهمة تتعلق بالافتراضين السابقين أو الافتراضين اللذين قدمهما الباحثان، والمتعلقان بدور المتلقي في عملية الانسجام، وخلق الخطاب من مؤشرات الانسجام ماعدا تلك التي يحتملها القارئ للخطاب، فمن ناحية قد أهملنا سلطة الباث أو المنتج/ المرسل وطريقة صياغته للنص، ومن جهة ثانية تبدو دعوة الباحثين إلى افتراض وجود الانسجام في نصوص مفككة مبعثرة فيها نوع من التطرف، وذلك في سياق ردهما على أصحاب الاتجاه الشكلي، وهي الفكرة التي صرح بها محمد الشاوش حين يقول: " تلاحظ أولاً أن ما اعتبر من قبيل تجاوز مكونات نص الخطاب أمر مفرط في البداهة، وهو لإفراطه فيها يفقد كل قيمة، ولم يدع أي دارس خلاف ذلك، ولم يدع إلى النظر في نصّ تكون أجزاؤه مبعثرة غير مجمعة (...). ثم إنه رغم الدور الذي جعلاه للمخاطبين والمقام في نظريتهما فإن ما ذهبنا إليه يعيب إلى حد كبير دور منشئ النص في اختياره للصيغة التي يراها مناسبة لخطابه، كما أنه يطمس اقتضاء المقام لصياغة النص على نحو دون آخر، اقتضاء يكاد يكون داخلاً في قواعد اللغة التي كتب بها الخطاب"<sup>2</sup> وكل هذا الأمر نابع بلا شك من تغليبهما لسلطة القارئ وقدرته التأويلية التي تمكنه من تجاوز غياب عناصر الربط الشكلية، وإلغاء سلطة المرسل أو منتج الخطاب، وعليه فإن هذه السلطة التي منحها الباحثان للقارئ تبرز من خلال مبادئ وعمليات الانسجام.

<sup>1</sup> محمد خطايي: المرجع السابق، ص 52.

<sup>2</sup> محمد الشاوش: المرجع السابق، ص 158.

2-3-2 - مبادئ وعمليات الانسجام النصي عند براون ويول (G. Yule . G. Brown):

3-2-1 - مبادئ الانسجام:

لخص الباحثان مبادئ الانسجام في أربعة عناصر هي: السياق ، التأويل المحلي ، التشابه والتعريض:

أ - مبدأ السياق:

يعد السياق عاملاً مهماً في تأويل النص/الخطاب، وذلك كونه يحمل كل المعلومات المصاحبة له، والمؤثرة. في بته وتلقيه معاً، "فالخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه (...). إذ كثيراً ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية (من حيث لغته) ولكنه قد يتضمن قرائن تجعله غامضاً غير مفهوم بدون الإحاطة بسياقه، ومن ثم فإن للسياق دوراً فعالاً في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس"<sup>1</sup>، والمقصود بالسياق في هذا المقام كل ما يحيط بالعبارة اللغوية من عناصر لغوية في حد ذاتها (سياق لغوي) وعناصر غير لغوية (المحيط الثقافي والاجتماعي...) وهو ما جاء في معجم تحليل الخطاب: "إن سياق عنصر ما (س) هو مبدئياً كل ما يحيط بهذا العنصر، وعندما تكون (س) وحدة لغوية (من طبيعة وكَم متغيرين: صوت، صرف، كلمة، جملة ملفوظ) فإن محيط (س) يكون في الآن نفسه من طبيعة لغوية (المحيط اللغوي) وغير لغوية (السياق المقامي الاجتماعي الثقافي)"<sup>2</sup>، ومهما اختلفت مكونات هذا السياق من دارس لآخر فإنهم يجمعون على ضرورة توفر الحد الأدنى من هذه العناصر وهي المرسل والمرسل إليه والرسالة وغيرها كما نجد ذلك في محاولة هيمس (D. Hymes) الذي صنف عناصر السياق إلى ما يلي<sup>3</sup>:

- الباث والمتلقي: فالباث هو المتكلم أو الكاتب الذي يحدث القول، والمتلقي هو السامع أو القارئ الذي يستقبل القول.

- الموضوع المتحدث عنه، أو ما يسميه "هيمس" (محور الحديث) .

<sup>1</sup> مُجَّد خطابي: المرجع السابق، ص 56.

<sup>2</sup> باتريك شارودو، دومينيك منغوتو: المرجع السابق، ص 133.

<sup>3</sup> لمزيد من التفصيل ينظر ب : براون ، ج يول: المرجع السابق. ص 47 .

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

- الظرف: السياق الزماني والمكاني للحدث.
  - الوضع الجسمي للأطراف المشاركة من حيث هيئة الجسم وطبيعة الحركة وتقاسيم الوجه.
  - القناة أي كيفية ربط حلقة الوصل بين الأطراف المشاركة في الحدث الكلامي لفظاً أم كتابة أم إشارة أم باستعمال الدخان ...
  - الشفرة: أي اللغة أو أو اللهجة أو الأسلوب المستعمل.
  - صيغة الرسالة: هل هي حديث عابر غير رسمي أم مناظرة أم خطبة أم حكاية شعبية أم قصيدة ...
  - الحدث: أي طبيعة الحدث التواصلية الذي يمكن أن نضمن داخله نمطا خطابيا معينا. مثلا (الدعاء جزء من الصلاة).
  - الغرض: ما تنوي الأطراف المشاركة التوصل إليه كنتيجة للحدث التواصلية .
- ويبقى هذا التصنيف تصنيفا واحدا وأوليا لعناصر السياق قد تختلف معه تصنيفات أخرى على غرار ما فعل الفيلسوف " دافيد لويس " (David Lewis)<sup>1</sup> الذي صنف عناصر السياق إلى ما يلي: (العالم الممكن، الزمن، المكان، المتكلم، المستمعين، الشيء المشار إليه، الخطاب السابق، الإسناد)<sup>2</sup>، أما من أجل إبراز دور كل هذه العناصر في انسجام الخطاب وتأويله فإن براون ويول يقدمان مجموعة من الأمثلة، وسنكتفي بعرض المثال الأخير الذي درج الدارسون على شرحه والوقوف عنده باعتباره يمثل حقيقة لدور السياق في تأويل النص وفهمه، أما هذا المثال فهو العبارة الانجليزية الشهيرة :

squashed insects don't bite mad mental rule

<sup>1</sup> فيلسوف أمريكي ولد بتاريخ 28 سبتمبر 1941، وتوفي في 14 أكتوبر 2001، من رواد الفلسفة التحليلية. (ويكيبيديا)

<sup>2</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: ج ب براون، ج يول: تحليل الخطاب، ص 51، مُجدّ خطايي: لسانيات النص، ص 54.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

وقد جاءت ترجمتها في مؤلفهما "تحليل الخطاب" بترجمة "مُجد لطفي الزليطي" "منير التريكي" على النحو التالي: "الحشرات المجنونة لا تعض الحكم للعقل الجنوبي"<sup>1</sup>، فإن المدقق للعبارة السابقة لا يعثر على علاقة واضحة بين العناصر اللغوية المشكّلة للكلام على الرغم من وضوح المعاني المعجمية لكل عنصر، "فالكلمات التي يتشكل منها هذا الخطاب معلومة معجميا للقارئ، ولكن تجميعها على هذا النحو يوحي بالغرابة والغموض"<sup>2</sup>.

إن هذا الغموض سرعان ما يزول بمعرفة الظروف الملازمة والمحيطية بالنص والتي صاحبت عملية إنتاجه وتلقيه، فقد "ظهر هذا الخطاب على أحد جدران مدينة كلاسكو (مدينة في اسكتلندا)، وهذا مكان الخطاب، أما زمنه فهو السبعينات التي اشتهرت بظهور خطابات ماثلة على جدر هذه المدينة، مما يعني أن المتلقي لديه تجربة فيما يخص نوع الخطاب (هذا المتلقي هنا ساكن مدينة كلاسكو أو على الأقل السكوتلاندي أو البريطاني عموماً) ومن ثم فإن شكل الخطاب وزمانه ومكانه قد يوحيان للمتلقي إن كانت لديه تجربة مع هذا النوع من الخطابات، بأن هذا الخطاب يعبر عن تفاعل بين عصابات ما"<sup>3</sup>؛ فإن (the insects و mad mental) عبارة عن عصابتين في مدينة كلاسكو، وأن هذا الخطاب عبارة عن خطاب تحذير من العصابة الأولى إلى العصابة الثانية، وما كان للمتلقي البسيط غير الملم بجزئيات هذا الأمر أن يفهم الخطاب، لأنه موجه إلى متلق خاص "ومن الصعب على عامة الناس أن يفهموه دون أن يكون لديهم علم بالفرضيات المشتركة والتجربة السابقة"<sup>4</sup>.

ومن هنا تبدو واضحة فعالية الخبرة السابقة والمعارف الخلفية والتجارب في تأويل الخطاب وفهمه، والملاحظ أن هذا المبدأ يسير في الاتجاه الذي يجعل الحكم على انسجام النص/ الخطاب من عدم انسجامه بيد المتلقي أو القارئ الذي بإمكانه الحكم من خلال تفعيل آلياته التأويلية سواء المقامية أو اللغوية أو غيرها، فالنص لا يملك في حد ذاته مقومات انسجامه، وإنما يبقى الأمر بيد المتلقي الذي يستنتج هذه المقومات.

<sup>1</sup> ج ب براون، ج يول: المرجع السابق، ص 54.

<sup>2</sup> خلود العموش: المرجع السابق، ص 38.

<sup>3</sup> مُجد خطايي: المرجع السابق، ص 54، 55.

<sup>4</sup> ج ب براون، ج يول: المرجع السابق، ص 55.

ب- مبدأ التشابه:

يشير هذا المبدأ إلى أهمية الخلفية المعرفية، والتجربة الشخصية التي يتمتع بها القارئ من خلال تشغيل آلياته التأويلية المنصبة على النص، والعودة إلى خبراته السابقة ومعارفه المخزنة في تجربته، فالقارئ " يفهم الخطاب استنادا إلى الخطابات السابقة، أي أن القارئ يبني فهمه انطلاقا من معارفه السابقة التي تولدت من احتكاكه بنصوص عدة"<sup>1</sup>، هذا الاحتكاك ليس مقتصرًا فقط على المتلقي بل يمس أيضا المرسل، ذلك أنه "لا يعقل أيضا أن يتكلم متكلم دون أن يعتمد على سابق تجربة في الكلام"<sup>2</sup> وبما أن مهمة التأويل ملقاة على عاتق المتلقي فإن هذه الآلية تبرز أكثر عنده أكثر من المرسل صاحب الخطاب، إذ يمكنه الاحتكاك بأنواع مختلفة من الخطاب في بناء منظومة تأويلية قائمة على مجموع الخبرات السابقة تمكنه من القدرة على التوقع أي "توقع ما يمكن أن يكون اللاحق بناء على وقوفه ( أي المتلقي) على السابق"<sup>3</sup>، وعليه فإن فهم الخطاب/ النص وتأويله ليس مبنيا دائما على حضور المعطيات النصية أمام القارئ، فقد لا تكون كافية عنده للوصول إلى تأويل مناسب له، وإنما يحتاج أحيانا إلى تجارب سابقة ومتشابهة مع خطابات/ نصوص سابقة، من خلال ربط الخطاب الراهن بالخطابات السابقة وفق آليات الاستدعاء .

ولا يبتعد هذا المبدأ كثيرا عن المبدأ السابق؛ ذلك أنه يركز على الفعاليات التي يقوم بها المتلقي في فهم وتأويل النص، من خلال البحث في الآليات التي يتبعها في سبيل الوصول إلى تأويل مناسب وسليم للخطاب/ النص، فقد لاحظنا في المبدأ السابق اعتماد المتلقي على عناصر السياق في تقييد وتحديد القدرة التأويلية لمتلقي الخطاب/ النص، أما هذا المبدأ فلا يختلف كثيرا عن المبدأ السابق ذلك أنه تقييد هو الآخر لهذه الطاقة من خلال حصرها في التجارب السابقة التي مرت بالمتلقي، وهذا عبر الإمساك بعناصر التشابه بين الخبرة الحالية والخبرات السابقة وبالتالي تعميم الخبرات السابقة على الخبرة الحالية، والحقيقة أن هذا المبدأ اعتمد فيه الباحثان على ما جاء به عالم النفس

<sup>1</sup> حياة مختار أم السعد: المرجع السابق، ص 56.

<sup>2</sup> محمد الشاوش: المرجع السابق، ص 169.

<sup>3</sup> محمد خطابي: المرجع السابق، ص 57، 58.

"فردريك بارتليت" (Frederic Charle Bartlett)<sup>1</sup> الذي يرى أن مختلف العمليات المعرفية من أبسطها إلى أكثرها تعقيدا هي محاولة لربط أمر حاضر بأمر غير معطى، وفي هذا يقول مُجّد خطابي: "وتتجلى أهمية التجربة السابقة في المساهمة في إدراك المتلقي للاطرادات عن طريق التعميم، ولن يتأتى له ذلك إلا بعد ممارسة طويلة نسبيا، وبعد مواجهة خطابات تنتمي إلى أصناف متنوعة مما يؤهله إلى اكتشاف الثوابت والمتغيرات. وعلى هذا النحو يمكنه الوصول إلى تحديد الخصائص النوعية لخطاب معين"<sup>2</sup>.

إن مبدأ التشابه بهذا التحديد يعتمد أشد الاعتماد على خبرة المتلقي السابقة واحتكاكه المتواصل بأنواع وأشكال الخطابات/ النصوص، هذا الاحتكاك يخلق لدى المتلقي قدرات جديدة في التعامل مع أنواع الخطابات/ النصوص الجديدة، وذلك باستخدام الآليات المكتسبة من هذا التعامل وعلى رأسها آلية التعميم والتوقع، أي تعميم التجارب السابقة على التجربة الحاضرة، وتوقع التجارب اللاحقة بناء على ما صدر من تجارب، وهذا بعد التسليم بأن هناك تناصبا بشكل أو بآخر بين الخطابات والنصوص،

#### ت- مبدأ التأويل المحلي:

إن مبدأ التأويل / الفهم المحلي ليس إلا جزءا من الاستراتيجية السابقة "مبدأ التشابه" والتي تنتمي كلها إلى فضاء أوسع يجمعها هي ما يسمى بـ "معرفة العالم" ذلك أن هذا المبدأ لا يختلف كثيرا عن المبدأ السابق، إذ يقومان معا على استحضار المعطيات السابقة من أجل الحكم على النص الحاضر، هذا المبدأ يقوم أساسا على إلزام المتلقي بأن لا ينشئ سياقاً أكبر مما يحتاجه من أجل الوصول إلى تأويل ما<sup>3</sup>، وعليه يحاول هذا المبدأ تقييد عملية فهم/ تأويل النص وذلك من خلال التقييد بالمعطيات السياقية التي يحملها النص معه، ومن هنا "يتبين أن وظيفة التأويل المحلي تقييد البعد التأويلي للنص/ الخطاب وذلك اعتمادا على خصائص السياق التي من شأنها حصر القراءات

<sup>1</sup> باحث بريطاني في مجال علم النفس المعرفي، وقد عرف ببحوثه المركزة على الذاكرة، من مواليد: 20 أكتوبر 1886، توفي في 30 سبتمبر

1969. (ويكيبيديا)

<sup>2</sup> مُجّد خطابي: المرجع السابق، ص 57.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 56.

## الفصل الثاني: (الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة)

والتأويلات الممكنة للنص، واستبعاد القراءات التعسفية التي تفرض على النص؛ فالتأويل إذن هو القراءة الممكنة للنص<sup>1</sup> وهو مذهب سطره "براون ويول" (G.brown . G. Yule).

ولتوضيح هذا المبدأ ضرب الباحثان هذا المثال: " كان رجل وامرأة جالسين في غرفة الجلوس ... وكانت المرأة تقرأ وهي جالسة بكل سرور...، شعر الرجل بالملل فقام إلى النافذة ونظر إلى الخارج...، ثم غير ثيابه وذهب إلى النادي ...، أخذ قدحا وتحديث مع الساقى"<sup>2</sup> يعلق مُجّد خطابي على هذا النص بقوله: "إن المقام الأول للخطاب السابق يحدد امتداد السياق الذي سيؤول فيه المستمع ما يلحق، ومن ثم فهو يفترض أن ما تمت الإشارة إليه سابقا، أشخاصا وزمنا ومكانا، سيقى هو هو، ثابتا ما لم يشر المتكلم إلى أي تغيير يمس الأشخاص والزمان والمكان الخ، وبناء عليه فإن المتكلم يفترض أن الرجل الذي اتجه نحو النافذة هو نفس الرجل الذي جالس المرأة سابقا وأن "النافذة" التي اتجه نحوها هي نافذة الغرفة المشار إليها سابقا وليست نافذة غرفة أخرى أو نافذة أخرى..."<sup>3</sup> وبتعبير آخر فإن المتلقي يجب عليه الاعتماد على العناصر السياقية والمقامية المتوفرة في كلام المرسل أثناء عملية القراءة/ التأويل، وأن لا يلجأ إلى قراءة ثانية أخرى ما لم تتغير عناصر السياق الدالة على ذلك وهذا هو المقصود من كلام مُجّد خطابي سابقا "تقييد الطاقة التأويلية بالاعتماد على خصائص السياق، "إن الشكل الأولي للسياق النصي يحدد المجال السياقي الذي سيمكن المتلقي من فهم ما يقال لاحقا، فهو يفترض أن الكيانات المشار إليها ستبقى ثابتة، وأن الإطار الزمني سيظل قارًا، وأن الإطار الزمني لن يتغير، اللهم إذا عبر المتكلم عن حدوث تغيير في أي واحد من هذه الأطر، حينئذ سيوسع المتلقي دائرة السياق بشكل محدود"<sup>4</sup>.

وبهذا الطرح يتضح لنا الفرق بين مبدأ التأويل المحلي ومبدأ التشابه، ذلك أنهما أمران " ليسا من قبيل واحد: فالأول يتعلق بوجه من وجوه ظاهرة التأويل والفهم ذاتها، أما الثاني فيتعلق بإحدى الطرق التي يتحقق بها، فأحدث ذلك تضاربا في التصنيف، زاد منه إقامة الأول على الروابط النصية والتجارب السابقة، وإقامة الثاني على المعرفة

<sup>1</sup> الطيب العزالي قواوة: المرجع السابق، ص 69.

<sup>2</sup> ج ب براون، ج يول، تحليل الخطاب، المرجع السابق، ص 72.

<sup>3</sup> مُجّد خطابي: المرجع السابق، ص 56.

<sup>4</sup> ج ب براون، ج يول: المرجع السابق، ص 71.



## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

النصيّة الحاصلة مما تجمع للسامع من سابق معرفة بالنصوص"<sup>1</sup>، إلا أن ما يجمع بينهما هو حضور المتلقي سواء في استحضار عناصر السياق، أو في استحضار التجارب السابقة.

### ث- مبدأ التغريض:

وهو المبدأ الرابع الذي يعول عليه المتلقي في سبيل استنتاج الانسجام في الخطابات/ النصوص ويسميه مُجّد الشاوش " مبدأ وحدة الموضوع والغرض " والذي يعني عنده "أن يتوفر في النص الواحد قدر من وحدة الموضوع ووحدة الغرض"<sup>2</sup>، وذلك بعد أن لاحظ أن هذين المبدأين (وحدة الموضوع ووحدة الغرض) متوفران في مكونات السياق كما حددها هايمس (d. hymes) وذلك في حديثه عن الموضوع والغرض ضمن عناصر السياق.

ويقوم هذا المبدأ على افتراض أن هناك عناصر مفتاحية في الخطاب/ النص هي المعول عليها في توجيه دلالة الخطاب/ النص، فهي التي تتحكم في تأويله، وفي هذا الشأن يقول مُجّد خطابي: " ولما كان الخطاب ينتظم في شكل متتاليات من الجمل متدرجة لها بداية ونهاية، فإن هذا التنظيم -أي الخطيّة- سيتحكم في تأويل الخطاب بناء على أنّ ما يبدأ به المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه"<sup>3</sup>، وبهذا المنطلق يشير التغريض إلى العناصر المحورية في الخطاب، والتي يعتمد عليها في تأويله، فهي مراكز جذب تحوم حولها بقية عناصر الخطاب بتعبير مُجّد خطابي، ويعتبر كل من براون ويول (G.brown . G. Yule) العنوان في الخطاب/ النص أهم وسيلة من وسائل التغريض "لأنه يثير لدى القارئ توقعات قوية حول ما يمكن أن يكونه موضوع الخطاب، بل كثيرا ما يتحكم العنوان في تأويله، وكثيرا ما يؤدي كذلك تغيير عنوان نص ما إلى تأويله وفق العنوان الجديد، بمعنى أن القارئ يكتيف تأويله مع العنوان الجديد"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> مُجّد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص 170.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص174.

<sup>3</sup> مُجّد خطابي: المرجع السابق، ص59.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص60.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

وعليه فإنّ العنوان هو أهم العناصر المحورية التي يعتمد عليها المتلقي في تأويل الخطاب وهذا لأهميته القصوى في توجيه فهمه وتأويله، " وعلى هذا الأساس فالتهريض يربط بين العنوان وموضوع الخطاب، ويجعل الخطاب متماسكا عموديا والعنوان معبرا عن الموضوع، لأن العنوان هو أول ما يدهم بصيرة القارئ، وهو عمل في الغالب عقلي يتولد من النص، وكثيرا ما يكون اقتباسا محرفا لإحدى جمل النص أو آخر الحركات إذا كان النص قصيدة مثلا، فالعنوان يرتبط دلاليا بالنص وإليه يتجه تأويل الخطاب"<sup>1</sup>.

إن هذا الربط بين العنوان وبين التهريض لا يعني مطلقا أن العنوان هو وحده الوسيلة الوحيدة التي بإمكانها تحديد وحدة الموضوع وغرضه، ذلك أن التهريض كما يرى الدارسون قد يتم بطرق أخرى متنوعة منها: " تكرير اسم الشخص، استعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية"<sup>2</sup>، وقد سعى مُجَدُّ الشاوش في مقاربة غريبة إلى تشبيه التقابل بين الثنائيتين (وحدة الموضوع والغرض) على مستوى الخطاب، بالتقابل بين الموضوع والمحمول على مستوى التمثيل المنطقي للقضايا، حيث جعل لكل خطاب موضوع وهو ما يسميه مُجَدُّ خطابي "التيمة"، وله أيضا غرض تساهم أجزاء النص في التعبير عنه باعتباره محمولا، وهو تشبيه لا يصمد أمام النقد البناء لاعتبارات عدّة بينها مُجَدُّ الشاوش ومنها عدم وجود مناسبة أو شبه بين الأمرين أو بين البنيتين (بنية الخطاب/ النص وبنية القضية)، ثم إن التسليم بهذا الطرح سيجعل القارئ أمام مجموعة من القضايا ولكل قضية موضوع ومحمول...<sup>3</sup>

وعليه إجمالا يمكن القول إن مبادئ الانسجام التي قدمها الباحثان يتبوأ فيها المتلقي/ القارئ المنزلة الأولى، ذلك أنها تعتمد على نشاطه التأويلي، وهذا لا يمنع من ارتباط هذه المبادئ أيضا بأبعاد النص المختلفة لغوية وغير لغوية.

<sup>1</sup> بن الدين بخولة: الاتساق والانسجام النصي، ص 38.

<sup>2</sup> مُجَدُّ خطابي: المرجع السابق، ص 59.

<sup>3</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: مُجَدُّ الشاوش، ص 174.

### 3-2-2- عمليات الانسجام:

قد أشرنا سابقا إلى أن الانسجام خاصية متعلقة بالمتلقي " فهو الذي يحكم على نص بأنه منسجم وعلى آخر بأنه غير منسجم"<sup>1</sup> وذلك من خلال المبادئ التي يهتدي إليها والعمليات التي يقوم بها، إذا كانت المبادئ كما بينها كل من براون ويول (G.brown . G. Yule) منحصرة في: " السياق التشابه التأويل المحلي والتعريض" فإن عمليات الانسجام هي تلك الآليات التي تساعد المتلقي على بلوغ هذه الغاية وهي الانسجام<sup>2</sup>، وهي ممثلة في: المعرفة الخلفية والأطر، والسيناريوهات والمدونات، وقد تبدو غريبة نوعا ما إذا ما ربطناها بجوهر الخطاب/ النص، إلا أن وجه الغرابة فيها يمكن أن يزول إذا علمنا تأثر الباحثين بمباحث الذكاء الاصطناعي القائمة على بعض الأدوات الآلية التي كان يرمج بها الحاسوب من أجل فهم النصوص وقراءتها<sup>3</sup>، وهي في المجمل العمليات التي سبقت الإشارة إليها وهي ( المعرفة الخلفية الأطر السيناريوهات والمدونات) والتي سيأتي تفصيلها.

#### أ- المعرفة الخلفية:

إن المتلقي وهو يواجه الخطاب/ النص لا يواجهه خالي الوفاض من المعارف والتجارب والمعلومات، إنما يتلقى النص وهو مسلح بسيل من المعرفة الخلفية التي تسهم بشكل أو بآخر في تقديم تأويل للخطاب/ النص، فكما أن منشئ الخطاب لا ينشئ خطابه من العدم، فكذلك مستقبل الخطاب/ النص لا يستقبله خالي الذهن، وبالتالي فإن مسألة الاستيعاب في هذا السياق ليست متعلقة فقط بمدى فهم النص، وإنما تتعلق بمسألة إدراكية تتمثل في الربط بين المعلومات التي يقدمها الخطاب/ النص وبين المعارف السابقة<sup>4</sup>، هذه المعارف تمتاز بنوع من التنظيم والتشفير يستدعي منها المتلقي ما يتناسب والخطاب/ النص الذي بين يديه، وقد سعت أبحاث علم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي إلى بحث أشكال التمثل المعرفي في ذهن المتلقي والباحث معا، وذلك تماشيا مع تطور أبحاث الحاسوب،

<sup>1</sup> محمد خطابي: المرجع السابق، ص 51.

<sup>2</sup> فتيحة بوسنة: انسجام الخطاب في مقامات جلال الدين السيوطي مقارنة تداولية، دار الأمل، منشورات مخبر تحليل الخطاب، الجزائر، دط، 2012، ص 33.

<sup>3</sup> حياة مختار أم السعد: المرجع السابق، ص 56.

<sup>4</sup> نوال خلف: المرجع السابق، ص 42

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

ومهما قيل عن هذا التشبيه بين ذاكرة الإنسان والحاسوب إلا أن استعانة الباحث والمتلقي بمعرفتهما الخلفية أثناء إنتاج/ استقبال النص أمر بديهي ولا خلاف فيه، "فالمعرفة الخلفية المشتركة ضرورية إذن لإنتاج النص كما أنها ضرورية لاستقباله، وقد قدمنا قبل أن الوسيلة الأساسية للحصول على المعرفة هي الحواس"<sup>1</sup>.

### ب- الأطر:

يقصد بالإطار في هذا السياق طرق تمثل المعرفة في ذهن المتلقي، وهي من المفاهيم المستنبطة كما أشرنا سابقا من ميدان الذكاء الاصطناعي، وقد اعتمد الباحثان في هذا المفهوم على أعمال الباحث مارفن مينسكي<sup>2</sup> (Marvin Minsky) الذي يرى أن "معلوماتنا مخزنة في الذاكرة في شكل بني مخصصة للبيانات يسميها إطارات معرفية تمثل مواقف نموذجية"<sup>3</sup> أي أن معارفنا مخزنة في الذاكرة على شكل بنيات معطيات جاهزة يسميها الأطر، وهي "تمثيلات نموذجية جاهزة لوضعية ما بحيث أن المتلقي لا يحتاج إن صادف كلمة "منزل" في خطاب ما أن يذكر بأن لهذا المنزل سقفا وبابا إلخ، باعتبار أن هذه المعلومات جاهزة لديه؛ بمعنى أن في الإطار فراغات لاصقة يمكن أن تملأ بعبارات"<sup>4</sup>، وقد حددها محمد الشاوش بقوله: "هي جمل من المعلومات المنظمة سلفا تمكن من القيام بالاستدلال على المعنى المناسب Inferences في وضعيات نمطية جاهزة"<sup>5</sup> مع أنه يجمع تحت هذا المفهوم كل من الإطار والسيناريو والمدونة، لأن القاسم المشترك بينها -برأيه- واحد وهو كونها نماذج متروحة بين الآلة والدماغ البشري.

<sup>1</sup> محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1990، ص47.

<sup>2</sup> باحث أمريكي ولد سنة 1927، وتوفي في 09 أوت 2016، مختص في العلوم الإدراكية والمعرفية والذكاء الاصطناعي، وله عدة أبحاث في هذا المجال. (ويكيبيديا)

<sup>3</sup> ج ب براون، ج يول: المرجع السابق، ص 285.

<sup>4</sup> محمد خطايي: المرجع السابق، ص 63

<sup>5</sup> محمد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص 176.

ت- المدونات:

يرجع الفضل في إرساء هذا المفهوم "المدونة" إلى الباحث الأمريكي "روجي شانك" (Roger schank)<sup>1</sup> وهو مفهوم وضع أساسا للتعامل مع سلاسل الأحداث المتعاقبة، وتتبع العلاقة بين السلوك والمواقف الإنسانية، أما إذا استعمل في فهم النصوص وتأويلها فإن هذا المفهوم يقتضي حينئذ تحليلا للمواقف اللغوية وعملية الفهم كذلك، وهذا المفهوم موضوع أساسا لتتبع القصص ذات الأحداث المتعاقبة وفي هذا الشأن يقول الباحثان: " لتمثيل معاني الجمل تصوريا، جعل شانك لكل جملة من الجمل شبكة تصورية سماها المخطط التصوري، ويضم هذا المخطط تصورات أو دلالات تربط بينها علاقات تعرف بالعلاقات التبعية، وهناك نظام مفصل جدا لكنه سهل الاستعمال من الأوليات الدلالية لضبط التصورات، كما أن هناك إشارات سهمية مصنفة تمثل العلاقات التبعية"<sup>2</sup>، وتعبير آخر يستعمل هذا المفهوم للربط بين شبكة المفاهيم والأحداث المتعاقبة إذ يمكن للمتلقي توقع الأحداث، بناء على سلسلة من المؤشرات السابقة، وهي تقريبا نفس العملية التي قد يقوم بها الحاسوب إذا زوّد بمعطيات كافية.

ث- السيناريوهات:

يعود الفضل في هذا المفهوم إلى كل من سانفورد (A. J. Sanford) وكاروود (S. C. Garrod)<sup>3</sup> حيث يشير هذا المفهوم عندهما إلى "المجال المرجعي الموسع الذي نعود إليه في تأويل النصوص المكتوبة، إذ نستطيع

<sup>1</sup> باحث أمريكي ولد سنة 1946، مختص في مجال علم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي وعلوم التربية، رائد ما أصبح يعرف لاحقا بنظرية التبعية المفاهيمية في سياق فهم اللغة الطبيعية، وخاصة في كتابه المشترك مع روبرت أبلسون (Robert Abelson) وهو باحث أمريكي ولد سنة 1928 وتوفي سنة 2005 أستاذ علم النفس بجامعة يال الأمريكية الخاصة، وهو مختص في مجال علم النفس والعلوم السياسية، ومهتم أيضا بعلم النفس الاجتماعي والمعرفي، وقد اجتمعا في كتابهما الذي نشر سنة 1977 بعنوان: *Scripts, plans, goals and understanding: An inquiry into human knowledge structures*. (ويكيبيديا)

<sup>2</sup> ج ب براون، ج يول: المرجع السابق، ص 289.

<sup>3</sup> باحثان أمريكيان اشتغلا كثيرا على آليات فهم الخطاب ولهما عديد المؤلفات في هذا الشأن من ذلك: الكتاب الموسوم بـ (L'iderstanding written language) وذلك سنة 1981. (ويكيبيديا)

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

أن ننظر إلى معرفتنا بالظروف المحيطة والمواقف على أنها تمثل المخطط الذهني الذي يكمن وراء تأويلنا للنص<sup>1</sup>، ولا يتعد هذا المفهوم كثيرا عن المفاهيم السابقة ذلك أنه يبدو فيه جليا التأثير بمباحث الذكاء الاصطناعي وعلم النفس المعرفي، فإن القارئ أثناء تلقيه الخطاب/ النص يشغل ذاكرته بالوضعيات والسيناريوهات المشابهة للوضعيات الحالية، وهو ما يمكنه في النهاية من ملء الفراغات الموجودة في الخطاب " فإذا كان القارئ أمام نص (الذهاب إلى المطعم) فإنه ليس في حاجة إلى أن يذكر بأن في المطعم نادلا وكراسي ... وحتى إن لم تذكر في النص فهي موجودة قبلا في سيناريو المطعم الجاهز"<sup>2</sup>.

### ج- الخطاطة:

يشبه مفهوم الخطاطة مفهوم التأويل النمطي حيث تهيئ المتلقي إلى فهم وتأويل جاهز للخطاب/ النص، فهي " بنيات معرفية تضم توجيهات حتمية تهيئ الجرب لتأويل تجربة ما بطريقة ثابتة، وكمثال على ذلك الأحكام العنصرية المسبقة التي يصدرها جنس بشري معين على جنس آخر بناء على خطاطة موجودة سلفا من أفراد ذلك الجنس"<sup>3</sup> فقد ساهمت البنيات المعرفية السابقة والجاهزة في إيجاد تأويل نمطي جاهز يصدره المتلقي، وذلك في حالة خضوعه لهذه البنيات، ويعرفها الباحثان براون ويول (G.brown . G. Yule) بقولهما: "وتعد الأنساق الذهنية هياكل معرفية مركبة تمثل مسرحا للأفكار في عملية تنظيم التجربة وتأويلها. وهناك من يذهب إلى أبعد من ذلك فيرى أن لتلك الأنساق وظيفة حتمية تعد الفرد مسبقا لممارسة تجربته بشكل محدد"<sup>4</sup>.

وبالمجمل يبدو واضحا وجليا التأثير الواضح بمباحث الذكاء الاصطناعي وعلم النفس المعرفي في صياغة هذه العمليات (المعرفة الخلفية، الأطر، السيناريوهات..). وهو تأثير يبدو أكثر في طريقة اشتغال هذه العمليات واعتمادها على القدرات الذهنية للمتلقي بدرجة أكبر، وهو ما جعلها تبدو متداخلة إلى أبعد حد مما جعل "مُجد الشاوش" يتناولها في مبحث واحد بل وحاول صياغة مفهوم واحد جامع لها على الرغم من اختلاف بعضها في الأساس

<sup>1</sup> ج ب براون، ج يول: المرجع السابق، ص 293.

<sup>2</sup> مُجد خطاي: المرجع السابق، ص 66.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 67.

<sup>4</sup> ج ب براون، ج يول: المرجع السابق، ص 296.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

المعري المنبثقة منه " الذكاء الاصطناعي / علم النفس المعري " فعرّفها بقوله " هي جمل من المعلومات المنظمة سلفاً تمكّن من القيام بالاستدلال على المعنى المناسب Inferences في وضعيات نمطية جاهزة"<sup>1</sup>، ودعا في السياق ذاته إلى عدم التعمق أكثر في تتبع الفروق المعرفية بين هذه المفاهيم، وترك تحديدها إلى المختصين في المجالين: علم النفس المعري والذكاء الاصطناعي، والاعتماد أكثر على ماهو واضح وجليّ، وأقل تعقيداً، وعلى هذا الأساس يرى أن تعاملنا مع النصوص ينبغي أن يبنى على أمرين اثنين:

3- أولهما: جملة القواعد والأصول التي يعمل بمقتضاها الفكر وهي أصول متناهية كمّاً وكيفاً ولا يكاد يختلف الناس فيها.

4- ثانيهما: جملة المعارف الموسوعية التي حصلناها وهي معارف شديدة التفاوت والاختلاف من شخص إلى آخر، وهي غير متناهية يمكن الزيادة إليها أو تعديلها.<sup>2</sup>

### ح- الاستدلال:

وهو آخر العمليات التي قدمها براون ويول (G.brown . G. Yule) ويقصدان به " معنى أوسع مما هو متعارف عليه في المنطق، لذا يعتبران كل العمليات الذهنية السابقة يقوم خلالها المتلقي بنوع من الاستدلال الذي يحددانه بأنه تلك العملية التي يجب على القارئ القيام بها للانتقال من المعنى الحرفي لما هو مكتوب (أو مقول) إلى ما يقصد الكاتب (المتكلم) إيصاله"<sup>3</sup>، وعليه فإن الاستدلال هو تلك العمليات الذهنية التي يقوم بها المتلقي لفهم الخطاب/ النص، وذلك من خلال افتراض وجود العناصر التي لم تذكر فيه ولعل أهم صور الاستدلال ما يعرف "بالاعتماد على الرابط المفقود" وقد اصطلح عليه مُجّد خطابي "بالافتراض التجسيري" والذي يدل على صنيع

<sup>1</sup> مُجّد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص 176.

<sup>2</sup> لمزيد من التفصيل: المرجع نفسه، ص 176.

<sup>3</sup> مُجّد خطابي: المرجع السابق، ص 69.

## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

المتلقي عند تدبير معنى الخطاب/ النص بافتراض ما ليس فيه وإنما سمي بهذه التسمية تشبيهاً بالذي " يستعين بالجسر لينتقل من ضفة إلى أخرى"<sup>1</sup>.

إن ما يمكن أن نستخلصه في تتبعنا لمفهوم الانسجام في هذا الاتجاه (لسانيات الخطاب) هو مجموعة من النقاط يمكن أن نلخصها فيما يلي:

1- الاعتماد الكلي على نشاط المتلقي وفعالياته الخاصة في بناء الانسجام النصي، فليس الانسجام أمراً

موجوداً بالفعل في النص/ الخطاب، وإنما يعزى بناؤه إلى المتلقي بفعل جملة الآليات والمبادئ والعمليات

التي يقوم بها في سبيل بلوغ تأويل مناسب للنص/ الخطاب من جهة وبناء الانسجام من جهة أخرى.

2- لا يملك النص من حيث هو بنية لغوية صرفة أن يكون منسجماً أو غير منسجماً وإنما يكتسب النص هذا الأمر من تأويل المتلقي.

3- اعتمد أصحاب هذا الاتجاه وخاصة براون ويول (G.brown . G. Yule) كثيراً على مباحث

علم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي مما حول عملهما في أحيان كثيرة إلى إجراءات رياضية وعقلية

معقدة قد لا تنطبق على اللغة الإنسانية فضلاً عن المستوى الخطاب/ النص.

4- اعتمد الباحثان كثيراً في أمثلتهما - وقد لاحظنا هذا الأمر كذلك عند "فان دايك" (Van Dijk))

- على اللغة البسيطة والأمثلة البسيطة اليومية وهي الملاحظة التي أشار إليها كثير من الدارسين ومنها

ما ورد على لسان الباحثة "حياة مختار أم السعد" في معرض حديثها عن مبادئ وعمليات الانسجام

ومدى صلاحية هذه المبادئ المستنتجة لتطبيقها على نص روائي إذ تقول: " وإن بدت المبادئ التي

وضعها من أجل بناء انسجام النص منطقية وضرورية إلا أن الأمثلة التي استندا إليها في تحديدهما

وصياغتهما لهذه المبادئ لم تخرج عن إطار ما يتداول من نصوص في الحياة اليومية وهذا ما يوقعنا في

<sup>1</sup> محمد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص177.



## الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة

إشكال، وهو أننا إذا استثمرنا ما وضعه من مبادئ الانسجام فكيف سيتم صياغتها لتصبح أدوات

إجرائية تساعدنا على البحث في آليات انسجام نص روائي"<sup>1</sup>.

5- كان حضور السياق بارزا في هذا الاتجاه وتم توظيفه كثيرا في نشاط المتلقي من خلال الاستعانة به في

عملية التأويل.

ومع هذا تبقى رؤية بروان ويول (G.brown . G. Yule) من أكثر المقاربات التي لامست جوهر النص/

الخطاب، وإن غلّبت سلطة القارئ/ المتلقي.

لا يعني وقوفنا عند هذه الاتجاهات الثلاثة التي ذكرناها في مقاربتنا للانسجام أنها هي وحدها التي قاربت

هذا المفهوم، وإنما ركزنا عليها لأنها من أكثر الاتجاهات التي بينته ووضحته، وفي هذا السياق لا يمكن بأي حال من

الأحوال أن نغفل جهود علماء الذكاء الاصطناعي ولا جهود جون ميشال آدام (J M Adam)<sup>2</sup> وميشال

شارول (M CHAROLLES)<sup>3</sup> ولا روبرت دي بوجراند (R de beaugrande).

وفي ختام هذا البسط للانسجام وآلياته في اللسانيات الحديثة وخاصة الاتجاهات الغربية، يمكننا أن نستنتج

بكل يسر وسهولة أن هذا المبحث قد نال أهمية بالغة في مختلف الاتجاهات المهمة بتحليل النصوص والخطابات،

وهو بلا شك أحد المعايير التي تجعل من النص نصا ومن الخطاب خطابا، وإذا كانت الاتجاهات الوصفية والشكلية

لم تكن كثيرا بالتدقيق في هذا المبحث على اعتبار عنايتها بالوسائل الشكلية المتحكمة في تماسك النصوص/

الخطابات، وكون الانسجام يتعلق أكثر بالوسائل المعنوية في سبيل تحقيقه، فإن الاتجاهات الحديثة خاصة منها تحليل

الخطاب ولسانيات الخطاب قد أولته عناية بالغة، وجعلته قائما على العناصر الدلالية والتداولية على غرار السياق،

والعلاقات المنطقية والدلالية، وأقحمت المتلقي والظروف المحيطة بمنتج النص/ الخطاب في عملية تأويله وبالتالي في

تحقيق انسجامه.

<sup>1</sup> حياة مختار أم السعد: المرجع السابق، ص 57.

<sup>2</sup> باحث متخصص في اللسانيات يدرس بجامعة لوزان. (ويكيبيديا)

<sup>3</sup> باحث متخصص في لسانيات النص بجامعة باريس. (ويكيبيديا)

## الفصل الثالث:

# الانسجام النصي في الدراسات العربية

المبحث الأول: الانسجام النصي عند البلاغيين والنقاد.

المبحث الثاني: الانسجام النصي عند المفسرين وعلماء القرآن.

الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية.

لم يخلّ الدرس العربي من محاولات جادة يمكن إدراجها في صلب اهتمام لسانيات النص، وهذا الأمر لا يجعلنا نغفل مسألة أساسية وهي أن الدارسين المحدثين قد درجوا على اعتبار التراث العربي وخاصة ما تعلق منه بمسائل النحو كله ضمن حدود الجملة، وهو أمر غير صحيح، ذلك أن "النشاط اللغوي عند العربي القديم ينقسم إلى "لسانيات الجملة" و"لسانيات الخطاب" (البلاغة التفسير أصول الفقه) أي أن المباحث الأخيرة تواجه "تتخذ لها موضوعاً" وحدة لغوية أكبر من الجملة رغم تفاوتها في استحضار مقتضيات التواصل أثناء مواجهة الخطاب"<sup>1</sup>.

إن العودة الفاحصة للمسائل البلاغية من فصل ووصل، والعلاقات الدلالية الجامعة بين الجمل والتي أولها البلاغيون أهمية قصوى، كفيلة بالبرهنة على اتساع أفق علمائنا القدامى لتجاوز حدود البنية اللغوية الصغرى (الجملة) إلى فضاء أوسع وأرحب هو (النص/ الخطاب)، وما يقال عن مباحث البلاغة يقال أيضاً عن مباحث النحو الذي هو شديد الصلة بالبلاغة ذلك أن المباحث البلاغية لم تكن بمعزل أبداً عن مباحث النحو وما مسائل (النظم، التقديم والتأخير...) إلا شواهد على ذلك، فهي بلا شك تؤسس فعلاً لنظرة أشمل ورؤية أوسع لمجال الدراسة اللغوية تتجاوز إطارها الضيق (الجملة).

والشيء نفسه يقال عن مباحث علوم القرآن والتفسير والنقد الأدبي؛ فقد أدرك علماؤنا الصلات المتنوعة بين أجزاء النص الأدبي وتناولوا النصوص في صورتها الكلية مدركين أسباب بنائها ووسائل هذا البناء، ونفس الشيء بالنسبة للنص القرآني، فلم تغب عنهم النظرة الكلية للنص، وما مباحث المناسبة وأسباب النزول والمكي والمدني والسياق إلا دليل على ذلك.

وعليه فإن البحث النصي في التراث العربي أمر وارد لا مفر منه، ولا يمكن إنكاره، وإن غابت الأدوات الإجرائية اللازمة، والإطار النظري الذي يوطر هذه الممارسات الفردية، فإن هذا لا ينفي مطلقاً غياب المحاولات التي يمكن أن ندرجها في صلب النظرية النصية، والتي تؤسس لممارسة عربية نصية واعية، وسنحاول تقصي بعض أشكال

<sup>1</sup> محمد خطابي: المرجع السابق، ص 95.

### الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

الدراسة النصية العربية عامة من خلال العودة إلى مختلف المفاهيم ( البلاغية والنقدية والدينية ... ) التي تبين حقيقة الوعي العربي بالبعد النصي، ونركز أكثر على الآليات التي استخلصها أئمة تراثنا في سبيل إثبات انسجام النصوص العربية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- المبحث الأول: الانسجام النصي عند البلاغيين والنقاد:

1-1- الانسجام النصي عند البلاغيين:

يجب أن نشير في بداية الأمر إلى أن كل الدراسات الحديثة التي انصبّت على محاولة استجلاء مظاهر البحث النصي في التراث العربي لم تفصل أبداً مباحث النحو عن مباحث البلاغة، لأن المعالجة التراثية لم تكن تفصل هذين المبحثين عن بعضهما وهي القضية التي أشار إليها مُجّد الشاوش حين قال: "أما عدم الفصل في عملنا بين المادة التي تقدمها المؤلفات النحوية والمادة التي تقدمها المؤلفات البلاغية فهو راجع إلى ما بدا لنا من كون التقسيم إلى نحو وبلاغة تقسيماً طارئاً وليس تقسيماً أصلياً في المنوال النظري الذي أسسه النحاة العرب"<sup>1</sup>.

إن الحديث عن مباحث البلاغة ومحاولة ربطها بالدرس اللساني النصي الحديث، قد يوقعنا في مزلقٍ يّ عنق النصوص والمقولات والآراء التي صاغها البلاغيون القدامى في سبيل إيجاد مخرج أو مسوغ للدارس من أجل البرهنة على وجود منحى نصي في الدراسة البلاغية العربية، وهي المزالق التي لطالما وقع فيها الدارسون المحدثون، إلا أن الزاوية التي نحاول من خلالها البرهنة على المنحى النصي في الدرس البلاغي ننتقل من المسلمة التي انطلق منها مُجّد خطابي حين قال: "... فالبلاغة تتعامل مع الخطابة والشعر والقرآن، وهي كما نعلم أنواع خطابية لكل منها سماتها، ولكنها مع ذلك تشترك في المظاهر الخطابية (البلاغية) الموظفة من أجل الرقي بالخطاب إلى مستوى تعبيرى قادر على شد انتباه المتلقي والتأثير فيه، أي الإقناع، إضافة إلى استغلال سمات جمالية تضيف على الخطاب سمة الجمال أي الإمتاع"<sup>2</sup>.

فالمباحث البلاغية تسعى إلى استجلاء العناصر النصية المشتركة بين أنواع الخطاب المختلفة (نثر، شعر، قرآن)، وكذا بحث الصلات وأشكال التأثير التي تمارسها هذه الأشكال والأنواع الخطابية على المتلقي، وعليه فإن البحث في هذه العناصر هو بلا شك بحث يتقاطع مع اهتمام اللسانيات النصية الحديثة التي تسعى إلى بحث أسس

<sup>1</sup> مُجّد الشاوش: المرجع السابق، ج1، ص 18.

<sup>2</sup> مُجّد خطابي: المرجع السابق، ص 95.

اشتغال النصوص والخطابات وبحث العلاقات التي تقيمها عناصرها الداخلية مع بعضها البعض من جهة، والعلاقات التي تقيمها عناصر النص/ الخطاب مع العناصر الخارجية عنها وعلى رأسها المتلقي.

### 1-1-1- آليات علم المعاني:

#### أ- الفصل والوصل:

يعد مبحثا الفصل والوصل من أكثر المباحث البلاغية تعبيرا عن الإدراك المبكر لأشكال الترابط في الكلام العربي، فهو يمثل إحدى التجليات " السطحية/ العميقة لانسجام الخطاب واتساقه"<sup>1</sup>، ولقد قدمنا مبحث الفصل على الوصل لأن "أكثر البلاغيين قدموا في الترجمة لهذا الباب ذكر الفصل على الوصل فقالوا: (الفصل والوصل)، لأن الفصل مرجعه إلى عدم العطف والوصل مرجعه إلى العطف، أو لأن الفصل هو الأصل، والوصل طارئ أي عارض عليه حاصل بزيادة حرف من حروف العطف"<sup>2</sup>، وقبل أن نشير إلى هذين المفهومين ينبغي أولاً أن نوضح قضية مهمة في هذا الباب تتعلق بتوافق كبير بين البلاغيين في تحديد المفهومين، وهذا التوافق راجع - كما يقول أحد الدارسين- إلى التأثير الواضح بأصحاب المعاجم اللغوية وما حملته من معان لغوية للفظتين " ويتجلى تأثيرهم هذا في توافق تعريفاتهما في خطوطها العامة، وإن اختلفت طرائق تعبيرهم تبعاً لتباين اختصاصهم ونظرتهم إلى هذا الموضوع من التخصيص والتعميم، والتوسع في الباب والتضييق فيه أو اختلاف فهمهم لبعض المصطلحات الواردة فيه"<sup>3</sup>

وإذا عدنا إلى محاولة التأصيل للمصطلحين في التراث البلاغي يمكننا القول إن المصطلحين (الفصل والوصل) قد استقرا مع الجاحظ (ت 255 هـ) وذلك في سياق تعريفه للبلاغة، وثبت ذلك الرواية التاريخية التي

<sup>1</sup> مجّد خطاي: المرجع السابق، ص 100.

<sup>2</sup> شكر محمود عبد الله: الفصل والوصل في القرآن الكريم، دار دجلة، الأردن، ط1، 2001، ص 23.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 23.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

يذكرها في مؤلفه البيان والتبيين: "خبرني أبو الزبير كاتب مُجَدِّ بن حسان، وحدّني مُجَدِّ بن أبان- ولا أري كاتب من كان- قال: قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل..."<sup>1</sup>،

وتناول عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) هذا المصطلح في مؤلفه "دلائل الإعجاز" حيث خصه بباب مستقل سماه: "القول في الفصل والوصل" وهو المؤسس الفعلي - كما يرى بعض الدارسين - لهذا العلم "فقد وضع أسسه وعرفه وتحدث عن أهميته، لكنه قصر الوصل على الجملة دون وصل المفردات"<sup>2</sup>، ومعنى هذا الكلام أن الجرجاني لم يهمل قط الوصل بين المفردات وإنما جعله مطية وسبيلا إلى الحديث عن الجملة<sup>3</sup>، فجاء في حديثه عن الباب قوله: "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى، من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص، وإلا قوم طبعوا على البلاغة، وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بما أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفة الفصل من الوصل، ذلك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كمل لسائر معاني البلاغة"<sup>4</sup>.

غير أن كتب البلاغة تنبئ أن السكاكي (ت 626 هـ) هو أول من حاول وضع مفهوم واضح للفصل والوصل حيث جاء في تحديد مفهوم الفصل قوله: "هو ترك العاطف وذكره على هذه الجهات، وكذا طي الجمل عن البين ولا طيها، وإنما لمحك البلاغة، ومنتقد البصيرة، ومضمار النظائر، ومتفاضل الأنظار، ومعيار قدر الفهم، ومسبار غور الخاطر، ومنجم صوابه خطئه، ومعجم جلائه وصدائه، وهي التي إذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى، وأن لك في إبداعها وشيها اليد الطولى"<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1968، ج 1، ص 88.

<sup>2</sup> مُجَدِّ الأمين: الفصل والوصل دراسة بلاغية في إعجاز القرآن، مطبعة أنفو، فاس، ط1، 2003، ص 14.

<sup>3</sup> لمزيد من التفصيل: ينظر: شكر محمود عبد الله: الفصل والوصل في القرآن الكريم، ص 38.

<sup>4</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق: محمود مُجَدِّ شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دط، دت، ص 222.

<sup>5</sup> يوسف بن أبي بكر السكاكي: مفتاح العلوم، لبنان: ضبط: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1987، ص 249.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

وإذا عدنا إلى جهود البلاغيين في تحديد المفهومين قلنا إنّ "الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والاتصال اتحاد الأشياء بعضها ببعض كاتحاد أطراف الدائرة، والقول الموصّل هو الذي لا يتم معناه، ولا يفهم على حقيقته إلا إذا وصلت كلماته بما بعدها"<sup>1</sup>، "والفصل ضد الوصل، وهو في اللغة بعد ما بين الأشياء، والفصل من الجسد موضع المفصل، والفصل القضاء بين الحق والباطل، والمفصل السبع الأخير من القرآن الكريم، وذلك للمفصل بين القصص بالسور القصار، والفواصل أواخر الآي، وفي اصطلاح أهل المعاني: ترك عطف بعض الجمل على بعض بحروفه، والقول المفصل هو الذي يستغني به السامع إذا أخبر به، فلا يحتاج إلى وصل الكلمة بغيرها من الكلام"<sup>2</sup>.

لقد أدرك الدارسون القدامى أهمية "الفصل والوصل" في الكلام العربي، وينبئ عن ذلك الأهمية المبكرة التي أولاهها الدارسون لهذين المبحثين، ويمكن أن نقسم هذا الاهتمام إلى مرحلتين "نسمي أولاهما (تسجيل أهميته) في الكلام، والثانية مرحلة الوصف المنظم للفصل والوصل"<sup>3</sup>، وعليه فإن ما يهمننا من هذا التقسيم هو المرحلة الثانية التي تمثل بحث البلاغيين عن القواعد التي تحكم عملية الفصل والوصل في كلام العرب، وبالتالي فهي تمثل مظهرا من مظاهر إدراك البلاغيين لأشكال الصلات بين هذا الكلام العربي، وهي المحطة التي تجلت عند البلاغيين المتأخرين كالسكاكي (ت 626هـ) والجرجاني (ت 471هـ)، أما المرحلة الأولى التي ذكرها الدارسون فهي مرحلة تأسيسية تمهيدية لم تتجاوز حدود إبراز أهمية الوصل والفصل في كلام العرب، دون النفاذ إلى القواعد التي تحكمه ولا الآليات التي يشتغل بها، وقد لخص "أبو هلال العسكري (ت 395هـ)" في كتاب "الصناعتين" هذه الأهمية بناء على آراء سابقه، فذكر روايات متعددة في هذا الباب تبين أهمية معرفة مواضع الفصل و الوصل في كلام العرب ومن ذلك<sup>4</sup>:

<sup>1</sup> مجّد الأمين: المرجع السابق، ص5.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص5

<sup>3</sup> مجّد خطايي: المرجع السابق، ص100.

<sup>3</sup> لمزيد البحث والاستقصاء في فائدة الوصل والوصل ينظر: أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، تح: علي مجّد البجاوي، مجّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1952، ص438.



## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

- قال أبو العباس السفاح لكاتبه: (قف عند مقاطع الكلام وحدوده وإياك أن تخلط المرعي بالهمل. ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل).

- كان يزيد بن معاوية يقول: إياكم أن تجعلوا الفصل وصلا فإنه أشد وأعيب من اللحن.

- قال الحسن بن مهمل لكاتبه الحراني: ما منزلة الكاتب في قوله وفعله؟ قال: أن يكون مطبوعا محتكا بالتجربة، عالما بحلال الكتاب والسنة وحرامها، وبالدهور في تداولها وتصرفها (...). ومقاطع الكلام ومعرفة الفصل من الوصل؛ فإن كان ذلك كذلك فهو كاتب مجيد.

هذه بعض النصوص التي أوردها أبو هلال العسكري تبرز الأهمية التي أولاها العرب القدامى للفصل والوصل ومعرفة مواضع كل منهما، لكن الملاحظ على هذه النصوص أنها لم تتعد إبراز القيمة الجمالية للوصل والفصل في الكلام العربي، دون الغوص في محاولة الوصف والتفصيل للظاهرتين " وأهم شيء في هذه النصوص هو الاهتمام المبكر إلى المواطن التي ينبغي أن يفصل فيها كلام عن كلام، أو أن يوصل. والداعي إلى الفصل أو الوصل حسب ما ورد في هذه النصوص أمر معنوي فيما يبدو"<sup>1</sup>. إلا أن ما يهمنا في هذا المقام هو المرحلة اللاحقة التي تم فيها تحليل الظاهرتين وتفصيلهما وسنقف تحديدا عند الجرجاني (ت 471 هـ) والسكاكي (ت 626 هـ).

### ب- الفصل والوصل عند الجرجاني (ت 471 هـ) والسكاكي (ت 626 هـ):

يعتبر عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) معرفة مواضع الفصل والوصل دليلا على إتقان فنون العربية، وبلوغ أعلى المراتب فيها، ولا يتأتى ذلك إلا للأعراب الخالص حيث يقول: " اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص، وإلا قوم طبعوا على البلاغة، وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق

<sup>1</sup> محمد خطايي: المرجع السابق، ص 99.

الكلام هم بها أفراد"<sup>1</sup>، إلا أن ما يهمننا في معالجة الجرجاني (ت 471 هـ) للفصل والوصل هو تلك القواعد التي اهتدى بها في تفسير عطف الجملة على الجملة أو ترك العطف.

ينبغي أن نشير بداية إلى أن الجرجاني (ت 471 هـ) انطلق في حديثه عن ربط الجمل، بقياس ذلك على ربط المفردات حيث يقول: "واعلم أن سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد، ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرف حالها"<sup>2</sup>، إذ يخضع -برأيه- عطف الجملة على الجملة أو ترك العطف، لنفس القيود التي تحكم عطف المفرد على المفرد، وهي كما يقول مبنية على مبدأ الإشارك؛ أي إشارك المعطوف مع المعطوف عليه في الإعراب والحكم معا " ومعلوم أن فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب"<sup>3</sup>، إلا أن الأمر يختلف نوعا ما بالنسبة للجمل؛ فقد تكون للجملة المعطوف عليها محل من الإعراب، وقد لا يكون لها محل من الإعراب، فإن كان لها محل من الإعراب فلا إشكال في ذلك لأنها تنزل منزلة المفرد، أما إذا لم يكن لها محل فإننا أمام إشكال، إذ يستلزم الأمر العلم بوظيفة الواو في الجملة، التي لن تكون بطبيعة الحال للإشارك، وفي هذا يقول: "وإذا كان هذا أصله في المفرد، فإن الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين: أحدهما أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب، وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد (...). والذي يشكل أمره هو الضرب الثاني ذلك أن تعطف على الجملة العاربية الموضع من الإعراب جملة أخرى كقولك (زيد قائم، وعمرو قاعد) و (العلم حسن والجهل قبيح) لا سبيل لنا إلى أن ندعي أن "الواو" أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه"

وعليه فإننا نرى الجرجاني (ت 471 هـ) يقدم مجموعة من المسوغات التي تسوغ هذا العمل منها ما هو نحوي خالص، ومنها ما هو معنوي تداولي .

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 222.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 222.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 223.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

وقبل أن نتطرق إلى تحليل الجرجاني (ت 471 هـ) للوصل والفصل ومسوغات ترك أو ذكر أحدهما ينبغي

أولا أن نشير إلى ما استقرت عليه آراء البلاغيين في الوصل والفصل؛ إذ يجب الفصل بين الجمل في مواضع هي<sup>1</sup>:

● كمال الاتصال: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى، أو بيانا لها، أو بدلا منها.

● كمال الانقطاع: أن يكون بين الجملتين تباين تام، وذلك بأن يختلفا خبرا وإنشاء، أو بالأ تكون بينهما مناسبة معنوية.

● شبه كمال الاتصال: أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الأولى.

ويجب الوصل بين الوصل بين الجملتين في مواضع هي<sup>2</sup>:

● إذا قصد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي.

● إذا اتفقت الجملتان خبرا أو إنشاء، وكانت بينهما جهة جامعة، أي مناسبة تامة، ولم يكن هناك سبب للفصل بينهما.

● إذا اختلفت الجملتان خبرا وإنشاء وأوهم الفصل خلاف المقصود.

إلا أن ما سنركز عليه في هذا المقام هو مختلف القواعد والمبادئ التي اهتدى إليها الجرجاني (ت 471 هـ) في وصف هذه الظاهرة باعتبارها "إحدى التجليات السطحية/ العميقة لانسجام الخطاب واتساقه"<sup>3</sup>.

### ت- مبررات الفصل والوصل عند البلاغيين:

#### ● الأساس النحوي:

ونقصد به " مجموعة من القواعد والقيود النحوية التي بلورها النحاة من أجل ضبط العطف (كامتناع ذكر الواو

بين الوصف والموصوف، أو بين التأكيد والمؤكد، أو امتناع عطف جملة على أخرى لا محل لها من الإعراب، وتمييزهم

<sup>1</sup> ينظر: عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2009، ص 165.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 170.

<sup>3</sup> محمد خطابي: المرجع السابق، ص 100.

بين عطف المفرد على المفرد وبين عطف الجملة على الجملة... الخ<sup>1</sup>، ويمكن أن نحدد بعض المواضع التي قدم فيها الجرجاني الأساس النحوي في ترك العطف أو الإتيان به، ومن ذلك:

#### أ- عطف المفرد على المفرد:

حيث برر الجرجاني (ت 471 هـ) عطف المفرد على المفرد بمسوغ نحوي خالص وهو مبدأ الإشراك أي إشراك المعطوف عليه للمعطوف في الإعراب والحكم معاً، فالواو وظيفتها الإشراك أي إشراك المتعاطفين في نفس الحكم، أو نقل الحكم من الأول إلى الثاني وفي هذا يقول: "ومعلوم أن فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب"<sup>2</sup>.

#### ب- عطف الجملة على الجملة:

ينطلق الجرجاني (ت 471 هـ) في حديثه عن أحوال العطف في الجملة من المفرد، فيقيس أحوالها على أحوال المفرد، ولكنه في الوقت ذاته يميز بين نوعين من الجمل كما مر بنا؛ جمل لها موضع من الإعراب، وجمل عارية الموضع من الإعراب، وإذا كان النوع الأول لا يطرح إشكالا مطلقا في العطف، لأن الجملة التي لها محل من الإعراب يمكن تأويلها بمفرد، وبالتالي فإن حكمها هو حكم المفرد، فإن الإشكال برأيه حاصل في النوع الثاني فقولك مثلاً: "زيد قائم، وعمرو قاعد" كما يقول الجرجاني (ت 471 هـ) "لا سبيل لنا إلى أن ندعي أن (الواو) أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه، وإذا كان كذلك فينبغي أن تعلم المطلوب من العطف، والمعزى منه، ولم يستو الحال بين أن تعطف وبين أن تدع العطف فتقول: (زيد قائم، عمرو قاعد) بعد أن لا يكون هنا أمر معقول يؤتى بالعاطف ليشرك بين الأولى والثانية فيه"<sup>3</sup>، وعليه فإن عطف الجمل بعضها على بعض عند الجرجاني (ت 474/471 هـ) تحكمه شروط على رأسها أن يكون للجملتين موضع من الإعراب، وإذا كانت كذلك أمكننا معاملتهما معاملة المفرد، وأن يكون لحرف العطف (الواو) دور نقل الحكم من الجملة الأولى إلى الجملة الثانية.

<sup>1</sup> مجّد خطايي: المرجع السابق، ص 100.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 222.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 223.

إلا أن الجرجاني (ت 471 هـ) يشير في هذا السياق إلى مسألة في غاية الأهمية تتعلق بالعطف وأدواته، ذلك أن الإشكال الذي ذكره يقتصر فقط على (الواو) التي تفيد كما صدرنا مطلق الإشراك أي إشراك العنصر الثاني (جملة/مفرد) في حكم وجب للعنصر الأول (جملة/مفرد)، في حين لا يطرح استعمال حروف للعطف غير (الواو) أي إشكال؛ فهي إلى جانب إفادتها معنى الإشراك بين المتعاطفين، تفيد كذلك معاني أخرى ثانوية كالتعقيب والتراخي وغيرها، وفي هذا يقول الجرجاني (ت 471 هـ) "واعلم أنه إنما يعرض الإشكال في (الواو) دون غيرها من حروف العطف، وذلك لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني، مثل أن (الفاء) توجب الترتيب من غير تراخ، و(ثم) توجهه مع تراخ، و (أو) تردد الفعل/ بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه، فإذا عطفت بواحدة منها الجملة على الجملة ظهرت الفائدة"<sup>1</sup>.

#### ت- استغناء الصفة والتوكيد عن الصلة اللفظية مع الموصوف والمؤكد:

من المواضيع الأخرى التي برر بها الجرجاني (ت 471 هـ) حضور أو غياب العطف بين المفردات والجمل على أساس نحوي خالص ما يقع بين بعض التوابع كالصفة والموصوف، والتوكيد والمؤكد، سواء كان ذلك على مستوى المفرد، أم على مستوى الجمل، أي تبرير الفصل، على أساس نحوي خالص حيث يقول: "وكما أن الصفة لا تحتاج إلى رابط يربطها بموصوفها، والتأكيد بمؤكد، كذلك الحال بالنسبة إلى الجمل، إذا كانت الجملة مؤكدة للتي قبلها أو مبينة لها، وكانت إذا حصلت ليست شيئاً سواها"<sup>2</sup>، ومثال الجملة ما أورده الجرجاني (ت 471 هـ) في قوله تعالى ﴿الْمَ الَّذِي كَتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 1-2] حيث يقول: "قوله (لَا رَيْبَ فِيهِ) بيان وتوكيد وتحقيق لقوله (ذَلِكَ الْكِتَابُ) وزيادة تثبيت له، وبمنزلة أن تقول: (هو ذلك الكتاب، هو ذلك الكتاب) فتعيده مرة ثانية لتثبته وليس يثبت الخبر غير الخبر، ولا شيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضمٍّ يضمُّه إليه، وعاطف يعطفه عليه"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 224.

<sup>2</sup> خالد حمدي صبري: المرجع السابق، ص 172.

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 227.

أما السكاكي (ت 626 هـ) فقد اهتم هو الآخر بالمبادئ النحوية التي تحكم الفصل والوصل بل ويعتبرها المحك في تمييز موضع الفصل من الوصل فإذا كان الفصل والوصل " يتمحور حول ذكر الواو وعدم ذكره، فإن الأمر يحتاج في نظر السكاكي إلى استيعاب أصول نحوية منها ما له علاقة مباشرة بالعطف ومنها ما هو مؤثر فيه"<sup>1</sup>، ولذلك تحدث عن المبادئ النحوية التي تحكم الفصل والوصل وقد جمعها في استيعاب ثلاثة أصول هي: معرفة موضع الوصل، وفائدته، ومقبوليته.

#### أ- معرفة موضع الوصل:

وذلك يقتضي التمييز بين نوعين من الإعراب: نوع يتبع فيه الثاني الأول، ونوع آخر لا يتبع، والمقصود بهذا الأخير أنواع التوابع؛ كالبديل والوصف والتأكيد وعطف البيان، ذلك أن التابع فيها هو المتبوع عينه، ما عدا "عطف النسق" وفي هذا يقول السكاكي (ت 626): "وأتقنت أن الصنف الثاني منحصر في تلك الأنواع الخمسة: البديل والوصف والتأكيد واتباع الثاني الأول في الإعراب بتوسط حرف"<sup>2</sup>، فإن المتبوع في البديل (المبديل منه) يحل محله التابع، فهو على نية إحلال التابع محل المتبوع، وقد أشار إلى ذلك السكاكي (ت 626 هـ) في سياق حديثه عن التوابع حين أشار إلى أن "المتبوع في البديل في حكم المنحى والمضرب عنه" كما يقول النحاة، وأما شأن التوكيد والوصف وعطف البيان، فإن التابع هو عينه المتبوع، أما عطف النسق فإنه يختلف عن التوابع الأخرى في كون نية إحلال التابع محل المتبوع غير واردة، حيث يقول السكاكي (ت 626 هـ): "ثم رجعت فتحقق أن الواو يستدعي معناه ألا يكون معطوفه هو المعطوف عليه لامتناع أن يقال: جاء زيد وزيد، وأن يكون زيد الثاني هو زيد الأول"<sup>3</sup> وعليه فإن موضع العطف يقتصر فقط على هذا النوع الأخير، وذلك لاستحالة مجيء حرف العطف في الأنواع السابقة "وحصل لك أن الأنواع الأربعة من الصنف الثاني ليس واحد منها موضعاً للعطف بالواو، إما

<sup>1</sup> مجّد خطايي: المرجع السابق، ص 111.

<sup>2</sup> السكاكي: مفتاح العلوم، ص 250

<sup>3</sup> السكاكي: المرجع السابق، ص 250.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

لفوات شرط العطف حكما، كما في البدل (...). وإما لفوات شرط معناه كما في الوصف والبيان والتأكيد وإنما موضعه النوع الخامس<sup>1</sup>.

### ب- معرفة معاني حروف العطف:

وهو أصل نحوي مهم في التفريق بين مواضع الفصل والوصل، بل ويتعدى الأمر إلى استيعاب الأصول الثلاثة بمجرد معرفة معاني حروف العطف إذ يقول السكاكي (ت 626 هـ): " وأنت إذا أتقنت معاني الفاء وثم وحتى ولا وبـل ولكن وأو وأم وأما وأي على قولـي، حصلت لك الثلاثة، لدلالة كل منها على معنى محصل، مستدع من الجمل، بيّنا مخصوصاً مشتقاً على فائدته، وكونه مقبولا هناك"<sup>2</sup>، وهذا بالإضافة إلى الواو التي تفيد مشاركة المعطوف عليه مع المعطوف في المعنى والحكم الإعرابيين.

### ت- إدراك مدى مقبولية العطف:

والذي يكمن في ضرورة وجود مناسبة بين المعطوف والمعطوف عليه بالواو، أو جهة جامعة بينهما؛ " وإذا عرفت أن شرط كون العطف بالواو مقبولا هو أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة، مثل ما ترى بين الشمس والقمر، والسماء والأرض، والجن والإنس..."<sup>3</sup>

وبهذا نلاحظ الأساس النحوي الذي بنى عليه البلاغيون الأوائل مبحثي الوصل والفصل، إذ لا غنى للدارس من الإحاطة بمبادئ الإعراب، والمعاني النحوية التي تؤديها حروف العطف وغيرها، وقد تجلّى ذلك واضحا في الأسس التي بنى عليها كل من الجرجاني (ت 471 هـ) والسكاكي (ت 626 هـ) نظرتهما لمواضع الفصل والوصل، وإنما نتساءل في هذا السياق عن مدى كفاية الأسس النحوية التي اعتمدها البلاغيون في وصف مبحثي الفصل والوصل، وهل يمكن الاستئناس فقط بالقواعد النحوية لوحدها، أم أن الأمر يتعدى أيضا إلى شروط أخرى تداولية

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 250، 251.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 249.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 251.

ودلالية معنوية في سبيل تقديم وصف شامل للمبحثين؟ ولا شك أن البلاغيين قد اهتموا بالجانبين الأخيرين أكثر من عنايتهما بالجانب النحوي.

• الأسس المعنوية والتداولية:

والمقصود بها مجموع التبريرات التي صاغها البلاغيون لتبرير وجود العطف بين جملتين، الأصل أن يغيب بينهما حرف العطف كأن تكون الجملة معطوفة على أخرى ليس لها محل من الإعراب، فإن سبب وجود حرف العطف في الأصل اشتراك الجملتين في حكم وجب للأولى فانتقل بواسطة الحرف إلى الثانية، فلما كان الحكم أصلاً غائباً في هذه الحالة فإن الجرجاني (ت 471 هـ) قد اهتدى إلى تقديم تخريجات متعددة لهذا الوضع، وهي تخريجات معنوية في أكثرها نذكر بعضها:

أ- الجمع:

حيث وظف الجرجاني (ت 471 هـ) هذا المبدأ لتبرير وجود العطف في موضع، ما كان ليكون فيه في الأصل، وهو كون الجملة معطوفة على أخرى لا محل لها من الإعراب، وإذا علمنا أن مبرر العطف عنده هو إشراك الجملة الثانية في حكم إعرابي وجب للأولى، وإذا كان هذا المبرر قد انتفى في جملة من مثل (زيد قائم وعمرو قاعد) بسبب كون الجملة الثانية معطوفة على جملة لا موضع لها من الإعراب، وبالتالي لا مجال للحديث عن مبدأ الإشراك، لذلك سعى الجرجاني (ت 471 هـ) إلى إيجاد مسوغ يبرر به هذا الاستعمال وقد اختزله في مبدأ "الجمع" إذ يقول: " ... ثم إن الذي يوجب النظر والتأمل أن يقال في ذلك: إنا وإن كنا إذا قلنا: (زيد قائم وعمرو قاعد) فإننا لا نرى ههنا حكماً نزعاً أن (الواو) جاءت للجمع بين الجملتين فيه، فإننا نرى أمراً آخر نحصل معه على معنى الجمع، وذلك أننا لا نقول (زيد قائم وعمرو قاعد) حتى يكون عمرو بسبب من زيد وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين، وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني<sup>1</sup> فالظاهر من المثال أن لا شيء يبرر العطف بين الجملتين، إلا أن الجرجاني (ت 471 هـ) قدم مبرراً تداولياً بالأساس قائم على أحد عناصر السياق كما يقول -

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 224.



## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

مُجَّد خطابي - وهو المتلقي الذي بإمكانه استنتاج الصلة بين زيد وعمرو، وذلك لحاجته بمعرفة حال عمرو كما عرف حال زيد وهذا هو المقصود بالجمع في هذا المقام، وفي هذا يقول مُجَّد خطابي: " لا بد إذن من داع يبرر ذكر حال عمرو مع حال زيد عطفًا، والظاهر من كلام الجرجاني أن السامع - وهو أحد عناصر السياق - وحاجته إلى معرفة حال الثاني بعد معرفة حال الأول، لاقتراحهما في ذهنه، مبرر من مبررات العطف"<sup>1</sup>.

أما الجمع عند السكاكي (ت 626هـ)، فإنه يتخذ مفهوماً آخر أكثر اتساعاً وعمقاً، ذلك أن الجامع الذي يجمع بين جملتين أو أكثر قد يكون عقلياً أو وهمياً أو خيالياً، أي بتعبير آخر فإنه يجب أن يفصل بين الجمل بعضها عن بعض ما لم يكن بينها جامع يجمعها من الأوجه الثلاثة المذكورة؛ والمقصود بالجامع العقلي: " هو أن يكون بينهما اتحاد في تصور، مثل الاتحاد في المخبر عنه، أو في الخبر، أو في قيد من قيودهما، أو تماثل هناك، فإن العقل بتجريدته المثليين عن التشخص في الخارج، يرفع التعدد عن البين، أو يضيف كالذي بين العلة والمعلول، والسبب والمسبب، أو السفلى والعلو، والأقل والأكثر"<sup>2</sup>، وأما الجامع الوهمي " هو أن يكون بين تصوراتهما شبه تماثل، نحو أن يكون المخبر عنه في أحدهما لون البياض، وفي الثاني لون الصفرة (...) أو تضاد كالسواد والبياض، والهمس والجهارة، والطيب والنتن (...) أو شبه تضاد كالذي بين السماء والأرض، والسهل والجبل..."<sup>3</sup>، أي أن الذهن يميل إلى الجمع بين الأشياء المتقاربة والمتقابلة والتي تجمع بينها علاقة الضد، أما الجامع الخيالي فيقصد به: " أن يكون بين تصوراتهما تقارن في الخيال سابق لأسباب مؤدية إلى ذلك، فإن جميع ما يثبت في الخيال، مما يصل إليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتأدى إليه ويتكرر لديه"<sup>4</sup>، وقدم في ذلك مجموعة من الأمثلة تنبئ عن كيفية تمثل الصور في ذهن المتكلم اعتماداً على خبرته الشخصية، وتكوينه، ومعرفته الخلفية.

### ب- النظر والشبيه والنقيض:

<sup>1</sup> مُجَّد خطابي: المرجع السابق، ص 102.

<sup>2</sup> السكاكي: المرجع السابق، ص 253.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 253، 254.

<sup>4</sup> السكاكي: المرجع السابق، ص 254.

### الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

وهو مبدأ آخر صاغه البلاغيون لتبرير العطف في المواضع التي تخالف الأصل والقياس، وتجانب الطبيعة المعيارية للقاعدة، حيث نرى أن هذا المبدأ معنوي أكثر منه معياري، وهو يقتضى وجود علاقة ما بوجه معين بين الجملة المعطوفة ، والجملة المعطوف عليها، ولا يصح أن نعطف جملتين لا صلة للثانية منهما بالأولى، كقولك: (زيد طويل القامة وعمرو شاعر) فإنه- برأي الجرجاني (ت 471 هـ)- لا يجوز عطف الجملتين " لأنه لا مشكلة ولا تعلق بين طول القامة وبين الشعر"<sup>1</sup>، فينبغي أن تكون هناك علاقة بين الجملتين ويكون هناك تعلق بين المعنى في الجملتين ولو بوجه بسيط، وعليه كان الأجدد أن نقول في المثال السابق: (زيد كاتب وعمرو شاعر) أو (زيد طويل القامة وعمرو قصير) وفي هذا يقول الجرجاني (ت 471 هـ): "وجملة الأمر أنها لا تجيء حتى يكون المعنى في الجملة لفقاً لمعنى في الأخرى ومضاماً إليه، مثل أن (زيداً) و (عمراً) إذا كانا أخوين أو نظيرين أو مشتبكي الأحوال على الجملة، كانت الحال التي يكون عليها أحدهما من قيام أو قعود أو ما شاكل ذلك، مضمومة في النفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شك وكذا السبيل أبداً"<sup>2</sup>، والحقيقة أن هذا المبدأ متصل بسابقه كما يرى -مُحَمَّد خطابي- وهو ما يسميه الجرجاني (ت 471 هـ) "الإخبار عن الأول وعن الثاني"، والقيود المجوز للعطف في هذه الحالة هو أن يكون الخبران شبيهين أو نقيضين أو نظيرين<sup>3</sup>.

#### ت- التضام النفسي :

وهو مبدأ تداولي يبرز فيه اهتمام الجرجاني (ت 471 هـ) بعناصر السياق المصاحبة لإنتاج واستقبال عناصر الخطاب فهو " ينظر إلى الخطاب هنا من زاوية التلقي، أي من خلال علاقة المتلقي بالخطاب، بحيث تعود مقبولية العطف لا إلى أسباب معنوية، وإنما إلى أسباب تداولية"<sup>4</sup>، وينص هذا المبدأ على أن المتلقي تقترن في ذهنه المعلومات وتتصل فيما بينها، فإذا عرف حال "زيد" في قولك : زيد قائم" تاق إلى معرفة حال عمرو فهو أيضاً (قاعد) فالحال التي يكون عليها الأول من قيام أو قعود مضمومة في النفس إلى الحال التي يكون عليها الثاني-

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 225.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 225.

<sup>3</sup> مُحَمَّد خطابي: المرجع السابق، ص 103.

<sup>4</sup> مُحَمَّد خطابي: المرجع السابق، ص 103.

بتعبير الجرجاني- وبالتالي فإن المتلقي يعنيه معرفة حال الثاني كلما سمع حال الأول. إلا أن هذا المبدأ (خاص) لارتباطه بعينة محدودة من المتلقين التي تعرف (زيادا) ويعنيها أمر (عمرو) "فإن مبدأ التضام النفسي نسبي (خاص)، وذلك لأن شخصين أو مجموعة أشخاص تعتبر متضامة بالنسبة لمن يعرفهما ويعنيه حالهما فحسب، ولا يمكن أن تعتبر كذلك بالنسبة لجميع الناس"<sup>1</sup>.

### ث- التضام العقلي:

وهو مبدأ تداولي كذلك، إلا أنه يختلف عن التضام النفسي في كونه عاما؛ لأنه مرتبط بالمعاني والوقائع، وليس مرتبطا بالمتلقي فحسب، ومثال ذلك قولك: (العلم حسن والجهل قبيح)، فيمكن أن نعطف الثانية على الأولى - برأي الجرجاني- لأن " كون العلم حسنا مضموم في العقول إلى كون الجهل قبيحا"<sup>2</sup>، وتعبير آخر فإن ما جمع بين الجملتين هو كون المعنيين الموجودين في الجملتين غالبا ما يستدعي أحدهما الآخر، بالإضافة إلى العلاقة الدلالية القائمة على الضدية بين العلم والجهل " فالمبرر الدلالي للعطف هو كون الخبر عن الثاني مضادا للخبر عن الأول، والتداولي هو كون الواقعتين متضامتين عقليا بالنسبة لجميع الأمم التي أسست (حضارة معقدة) نظاما من القيم ناسبة إلى بعضها صفة الإيجاب وإلى الأخرى صفة السلب، لحث الأفراد على التشبث بالقيم الإيجابية ونبتذ السلبية"<sup>3</sup>.

وعليه يمكن القول إن العطف بين الجمل أو ترك العطف لا تحكمه فقط القواعد النحوية المعيارية، وإنما تتحكم فيه أحيانا معايير معنوية وشروط تداولية تحكم منطق الاستعمال اللغوي، وهي في مجملها ترجع إلى مبدأ أعم وهو الإشراك، أي اشتراك المتعاطفين سواء على مستوى المفرد أو على مستوى الجملة، في الحكم أو في المعنى.

ليست هذه المحطات التي ذكرنا سردا لكل المواضع التي يجب فيها الوصل أو الفصل وإنما هي محاولة لإبراز الحس النصي عند البلاغيين في ربط أجزاء الكلام بعضها ببعض من خلال الوقوف عند الوسائل المساهمة فيه،

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 103.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 226.

<sup>3</sup> محمد خطابي: المرجع السابق، ص 104.

وإبراز دور الروابط الشكلية، أو العلاقات المعنوية في ترابط النص، وإبراز أهمية حضورها أو غيابها، وهي كما نرى قد بناها البلاغيون على أساسين متينين: القاعدة النحوية المعيارية من جهة، والمعنى وشروط الاستعمال من جهة أخرى.

### 1-1-2- آليات علم البديع:

يمكن أن نلمس بكل سهولة دور الآليات البديعية في تحقيق تماسك النصوص وانسجامها وندرك أيضا بسهولة انتباه البلاغيين القدامى إلى دور المحسنات البديعية في تحقيق التماسك المطلوب بين أجزاء النصوص، وقد اختزل مُجد خطابي هذه الآليات كلها وجمعها تحت مبحث واحد سماه "مظاهر الاتساق المعجمي" وقد أطلق عليها هذه التسمية لأن العلاقات التي ترصدها واقعة في المستوى المعجمي<sup>1</sup>، وقد يتساءل القارئ عن دور الآليات البديعية في تحقيق الانسجام النصي، وهو تساؤل مشروع في ظل الإشارة التي ألمح إليها "مُجد خطابي" في كون الآليات البديعية تقتصر فقط على المستوى المعجمي، إلا أنه لا يجب علينا أن نغفل ما تؤديه من وظائف داخل النص تضمن به طابع الاستمرارية؛ ذلك أن "أغلب الأشكال البديعية تتسم بظاهرة التكرار، فالنظر إلى العمق البنائي لأساليب البديع يلحظ أنها ومن خلال سمتها التكرارية تضيف على النصوص طابع الاستمرارية، والتدرج المتجانس المستمر مع غياب القطيعة"<sup>2</sup>، وهي القضية التي لفتت انتباه الباحثين المعاصرين على غرار "سعد مصلوح" في تعليقه على معايير النصية التي صاغها "دي بوجراند R : de beaugrande" إذ يرى أنها موجودة في تراثنا البلاغي إذ يقول: "وجدير بالذكر أنك ربما وجدت بعضها أو جلها في التراث النقدي والبلاغي عند العرب أشتاتا وفرادى، لانصرافها إلى متابعة الشاهد والمثال والجملة، ولعل في التراث البديعي من الثراء والخصوبة من هذه الوجهة ما يحفز الجادين من الباحثين إلى استفراغ وسعهم في إعادة تشكيل هذا العلم من منظور نصي"<sup>3</sup>، والرأي نفسه تقريبا سار فيه الباحث "جميل عبد المجيد" حيث يرى أن كثيرا من المعايير التي تحقق انسجام النصوص أو

<sup>1</sup> مُجد خطابي: المرجع السابق، ص 130.

<sup>2</sup> مُجد شاکر ناصر الربيعي، أحمد جاسم مسلم الجنابي: المرجع السابق، ص 457.

<sup>3</sup> سعد مصلوح: المرجع السابق، ص 157.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

نصية النصوص، موجودة في تراثنا البلاغي والنقدي، وكذلك يقف علم البديع بمباحثه دليلاً آخر على هذا التشابه حيث يقول: " كما بحث علماء لغة النص أنماط العلاقات بين المفاهيم التي تؤدي إلى حبكة عالم النص Text world ، وقد استرعى انتباهي - أثناء البحث - أن كثيراً من هذه الأنماط موجود في البديع أيضاً"<sup>1</sup>.

قد حاول كثير من الدارسين الربط بين المحسنات البديعية والدور الذي تؤديه في النص، وبين المفاهيم النصية الحديثة، وصاغ عدد منهم بعض المحاولات لإيجاد شبه في الوظيفة التي تؤديها هذه المحسنات في النص، وبين ما تؤديه المفاهيم النصية الحديثة، وسنكتفي في هذا المقام بذكر بعض المحسنات وإبراز دورها في تماسك النصوص وانسجامه مع الإشارة إلى المفاهيم النصية الحديثة التي تتقاطع معها<sup>2</sup>.

### أ- التكرار:

يعد مبحث التكرار من المباحث التي لقيت اهتماماً من الدارسين القدامى سواء كانوا بلاغيين أم نحويين أم لغويين ومفسرين، وينقسم التكرار إلى أقسام متنوعة باعتبار العنصر المكرر فهو لفظي، ومعنوي، وجملتي.... وقد عرفه الدارسون بقولهم: "إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع، أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع في القول مرتين فصاعداً"<sup>3</sup>، وعليه فإن أشهر أنواع التكرار بلا شك هو التكرار اللفظي والمعنوي، ولكل نوع أغراض بلاغية ووظائف يؤديها في المتن اللغوي.

وإذا عدنا إلى التكرار اللفظي فإننا نجد البلاغيين قد جعلوه أنماطاً وأنواعاً، وهذا تبعاً لنظرهم التجزيئية التي طبعت الفكر اللغوي والبلاغي العربي القديم في عمومها، وهي في الحقيقة صور له وأجزاء منه حيث يقول أحد الدارسين: " ويأخذ التكرار اللفظي (تكرار اللفظ مع اتحاد المعنى) أشكالاً أو أنماطاً عديدة رصدتها البلاغيون العرب

<sup>1</sup> جميل عبد المجيد: المرجع السابق، ص 71.

<sup>2</sup> نشير للقارئ ببعض الدراسات التي حاولت إيجاد العلاقة بين علم البديع وفنونه وبين الدرس النصي الحديث ومنها:

جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 75 وما بعدها. محمد خطابي: لسانيات النص، ص 130. محمد شاکر ناصر الربيعي، أحمد جاسم مسلم الجنابي: الأشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن الكريم، ص 457، وخالد حميد صبري: اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، ص 183

<sup>3</sup> أبو القاسم السجلماسي: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح: علال الغازي، ط 1. الرباط: 1980، مكتبة المعارف، ص 476.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

فاصلين إياها -أولا- عن هذا التكرار وفاصلين -ثانيا- بين هذه الأنماط جاعلين لكل نمط مصطلحا خاصا، ومعدين كل نمط فنا برأسه، وهذان الفصلان يعكسان سيطرة النزعة التجزئية أو التفتيتية على البلاغيين العرب بصفة عامة، إذ أن هذه الأنماط - مع عدم إنكار تخصيص مصطلح لكل منها- وإن كان بينها وبين ما اختص بمصطلح (التكرار) فارق أو أكثر، فإنها في النهاية تندرج في إطاره<sup>1</sup>، وبهذا المنطق أدرج مباحث من مثل: الترديد<sup>2</sup>، والتعطف<sup>3</sup>، و رد العجز على الصدر<sup>4</sup>، وتشابه الأطراف<sup>5</sup>... وغيرها من الأنماط البديعية التي يمكن أن ندرجها بزاوية أو أخرى ضمن مبحث التكرار، ولكل مبحث من هذه المباحث المذكورة زاوية تسهم فيها في تماسك النص، فنشير مثلا إلى مبحث "تشابه الأطراف" ودوره في تحقيق التماسك المطلوب بين أجزاء النص ومن ذلك المثال الذي أورده الباحث جميل عبد المجيد في دراسته الخاصة بتتبع أشكال البديع ودورها في تحقيق الانسجام النصي، حيث ذكر في هذا الباب أبياتا ليلى الأخيلية في قولها (من الطويل):

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضةً      تتبّع أقصى دائها فشفاها  
شفاها من الداء العضال الذي بها      غلامٌ إذا هزّ القناة سقاها  
سقاها دماء المارقين وعلّها      إذا جمحت يوماً وخيف أذاها<sup>6</sup>

حيث يعلق على هذا بقوله: " وواضح ما في هذا النمط من تجاوز مستوى الجملة والبيت، وإحكام السبك بين أجزائه"<sup>7</sup>، وما قيل عن مبحث " تشابه الأطراف" يقال أيضا عن مبحث "الترديد" والذي يعني أن يأتي الشاعر

<sup>1</sup> جميل عبد المجيد: المرجع السابق، ص 94.

<sup>2</sup> هو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ثم يردّها بعينها متعلّقة بمعنى آخر في البيت نفسه.

<sup>3</sup> أن يأتي الشاعر في المصراع الأول من البيت بلفظة ويعيدها بعينها أو بما يتصرف منها في المصراع الثاني.

<sup>4</sup> وهو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها، وفي الشعر أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو في صدر الثاني.

<sup>5</sup> وهو أن يعيد الشاعر لفظ القافية في البيت الذي يليها

<sup>6</sup> ليلى الأخيلية : ديوان ليلى الأخيلية، تح: خليل إبراهيم العطية، خليل العطية، وزارة الثقافة والإرشاد، سلسلة كتب التراث، بغداد، د، ص 121.

<sup>7</sup> جميل عبد المجيد: المرجع السابق، ص 100.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ثم يوردها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه ومن ذلك ما أورده من قول زهير بن أبي سلمى (البيسط):

إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عِيَالَتِهِ هَرَمًا      تَلَقَّ السَّمَاخَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى حُلُقًا<sup>1</sup>

فقد تعلق الفعل "يلق" في بداية البيت بـ: "هرم بن سنان" ثم تعلق في البيت الثاني بالسماخة، أما عن دورها النصي فهو يحقق السبك المعجمي بين طرفي الترديد، كما يربط بين المسند إليه (الطرف الأول) والمسند إليه (الطرف الثاني)<sup>2</sup>.

وقد سعى نفس الباحث إلى ربط التكرار بالعلاقات الدلالية التي صاغها الدارسون المحدثون، فعلى سبيل المثال تتجلى علاقة "الإضافة المتكافئة"<sup>3</sup> في التكرار المعنوي ومن ذلك ما أورده في دراسته قوله: "وذلك مثل قولنا (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) لأن قولنا (لا إله إلا الله) مثل قولنا (وحده لا شريك له) وهما في المعنى سواء، وإنما كررنا القول فيه لتقرير المعنى وإثباته"<sup>4</sup>، كما قد تتحقق هذه العلاقة من خلال فن الجمع الذي يعني: أن يجمع بين متعدد لفظاً أو حكماً في حكم، حيث يعلق على هذا الأمر بقوله: "لأنه فيه جمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد كقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ قَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ [الكهف: 46]، فهنا التكرار في (المسند) ويتضح ذلك -أكثر- لو فك هذا الجمع: المال زينة الحياة الدنيا، والبنون زينة الحياة الدنيا وبذا يتضح -أيضاً- دور (الجمع) في الإيجاز"<sup>5</sup>.

ب- التدرج:

<sup>1</sup> زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988، ص77.

<sup>2</sup> ينظر: جميل عبد الحميد: المرجع السابق، ص94.

<sup>3</sup> تسمى أيضاً "العلاقات الإضافية المتكافئة" وهي التي يشتمل طرفاها على تعبيرين متماثلين. مثل (هو لم يمكث، هو غادر).

<sup>4</sup> جميل عبد الحميد: المرجع السابق، 148.

<sup>5</sup> جميل عبد الحميد: المرجع السابق، ص149.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

تعد علاقة التدرج من الآليات التي تحقق انسجام النصوص، حيث تشير إلى ضرورة تدرج وتحديد عنصر دلالي في النص، ينمو ويتطور مع النص ويربط أجزائه، إذ يعدها كثير من المهتمين بالبحث النصي أحسن علاقة محققة للانسجام، وتعرّف على أنها: "تحول في الإخبار فما جاء مخبراً به في المتتالية (أ) يصبح مخبراً عنه في المتتالية (ب)، والمخبر عنه في المتتالية (ب) يصبح مخبراً عنه في المتتالية (ج)، فيمضي النص قدماً ويحتل المخبر به (rhème) في كل مرة موقع الموضوع/ المخبر عنه (thème) في الجملة الموالية"<sup>1</sup>، وعادة ما يكون التدرج انطلاقاً من موضوع واحد (نواة) تنسلّ منه موضوعات ثانوية أخرى ذات صلة وثقى بالموضوع (النواة) إذ هو عبارة عن "موضوع عام ويكون عادة كلمة تحتل رتبة دلالية أعلى قياساً بالعناصر التي تشتق منها، أو مجموعة من الوحدات التي تحتل موقع المحمول في الجملة السابقة، ثم تصبح كل وحدة موضوعاً في الجملة اللاحقة"<sup>2</sup>.

وبالعودة إلى تراثنا البلاغي وخاصة ما تعلق منه بعلم البديع يمكننا أن نقف بيسر على كثير من المباحث التي يقوم مبدأ اشتغالها في النصوص على مبدأ التدرج، ومن ذلك المباحث البلاغية: الجمع مع التقسيم، صحة التقسيم، الاستقصاء، التتميم، التكميل، الاستدراج... إلخ<sup>3</sup> ويمكن أن نقدم أمثلة بسيطة عن إسهام هذه المحسنات في ترابط أجزاء النصوص من خلال مبدأ التدرج، فعلى سبيل المثال يشي مبحث "الجمع مع التقسيم" إلى جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو تقسيم متعدد ثم جمعه نحو قول الشاعر (من البسيط)<sup>4</sup>:

الرّوضُ يجمعُ معنَى في الحبيبِ فقلْ      إنْ رُمتَ يوماً بتقسيمٍ تعارضُهُ

الغصنُ قامتهُ والوردُ وجنتهُ      والطلُّعُ مبسمهُ والآسُ عارضُهُ<sup>1</sup>

<sup>1</sup> سعدية بن سالم: "نحو الص و انسجام الخطاب قراءة تطبيقية على مجموعة إبراهيم الكوني أساطير الصحراء"، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الثقافة، تونس، ع235، 2012، ص13.

<sup>2</sup> مفتاح بن عروس: المرجع السابق، ص82.

<sup>3</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: مُجّد شاکر ناصر الربيعي، أحمد جاسم مسلم الجنابي: المرجع السابق، ص458.

<sup>4</sup> تنسب الأبيات للشاعر ابن قرقماسن وهو شاعر مصري؛ هو ابن قرقماسن مُجّد بن قرقماسن بن عبد الله من أبناء المماليك بمصر، كانت ولادته ووفاته بمصر.



## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

وفي القرآن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُوزٍ ﴿١٠٧﴾ [هود: 105-108] فقد جمع المولى عز وجل في الآية الكريمة بين الشقي والسعيد ، وفرق بينهما ؛ فأما الشقي ففي النار ، وأما السعيد في الجنة ، بحيث تحول كل من الشقي والسعيد إلى موضوعات جديدة ناتجة عن نواة موضوع سابق.

وما قيل عن الجمع مع التقسيم يقال أيضا مع مبحث "التتميم" والذي يعني "الإتيان في الكلام نظما كان أو نثرا بكلمة أو جملة إذا طرحت منه نقص حسنه ومعناه"<sup>2</sup>، ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97]، "فقوله (مَنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى) تتميم، وقوله: (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) تتميم ثان، وحقق هذا التتميم بيان ما أجم عبر التدرج في بيان هذا المبهم، فلا يكفي أن يكون العمل صالحا كي يكون مقبولا عند الله، وإنما يجب أن يكون صاحبه مؤمنا، ولا فرق في أن يكون العامل ذكرا أم أنثى، وهذا التابع من أجل تتميم المعنى كان أداة رابطة حققت التماسك الدلالي المطلوب بين أجزاء النص"<sup>3</sup>، وهكذا يسعى الدارسون في محاولة ربط هذه المباحث البلاغية البديعة بمنجز الدرس اللساني النصي، خاصة إذا علمنا التشابه الواضح في كثير من المفاهيم بين الدرس البلاغي القديم والدرس اللساني المعاصر.

وفي ختام بسطنا لدور علم البديع في تحقيق الانسجام النصي وعناية البلاغيين المبكر به يمكننا القول: إن علم البديع والمباحث البلاغية المندرجة تحته يمكن أن تكون جانبا مهما من جوانب الدراسة النصية العربية المبكرة التي أيقن أصحابها - بلا شك - دور المحسنات في تلاحم النصوص، واستطاعت القبض على العلاقات الدلالية التي يمكن أن تنسجها هذه المحسنات في النص أيا كان نوعه، وإن حاول بعض الدارسين - كما أسلفنا - قصر هذه

<sup>1</sup> مرعي بن يوسف الحنبلي: القول البديع في علم البديع، تح: محمد بن علي الصامل، دار كنوز إشبيلية للتوزيع والنشر، السعودية، ط1، 2004، ص 142.

<sup>2</sup> علي صدر الدين بن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شاکر هادي شکر، مطبعة النعمان، العراق، ط1، 1968، ج3، ص52.

<sup>3</sup> محمد شاکر ناصر الربيعي، أحمد جاسم مسلم الجنابي: المرجع السابق، ص 459.

المحسنات على الجانب الشكلي ممثلا في المستوى المعجمي، فإن التدقيق في الأدوار التي تلعبها في النص يمكن أن يبرز عكس هذا؛ إذ يمكن من خلالها الإمساك بشبكة متينة من العلاقات الدلالية تصنعها في المستوى العميق للنصوص.

### 1-1-3- آليات علم البيان:

لا تختلف مباحث علم البيان كثيرا عن مباحث علم المعاني والبديع من حيث إسهامها في إبراز العناية المبكرة للبلاغيين القدامى بانسجام النصوص، وتلاحم أجزائها في المستويات العميقة منها، وقد وقف بعض الدارسين كثيرا مع مبحث التمثيل، باعتبار العناية المبكرة به هي وجه من أوجه الإدراك المسبق لدوره في تحقيق التلاحم المطلوب في النصوص، على الرغم من سيطرة النظرة التجزئية في الدراسات البلاغية القديمة القائمة على دراسة البيت والبيتين، أو الآية والآيتين، ومع هذا يمكن أن نستنتج من خلال هذا المبحث كيف استطاع البلاغيون القدامى إبراز التلاحم في النص انطلاقا من هذه الصورة البيانية البليغة.

والمقصود بالتمثيل في هذا المقام هو التشبيه التمثيلي وهو التشبيه الذي يكون فيه "وجه الشبه منزوع من متعدد، أو هو الذي يكون وجه الشبه فيه مركبا"<sup>1</sup>، حيث سعى بعض الدارسين إلى إبراز العملية العقلية المصاحبة لتشكيل وجه الشبه بين المشبه والمشبه به في خلق الانسجام المطلوب في الخطاب، وقد انطلق الدارسون تحديدا من تفصيل الجرجاني (ت 471 هـ) لهذا المبحث وتقسيمه التشبيه إلى قسمين على أساس وجه الشبه؛ فأولهما ما كان وجه الشبه قائما في طرفي التشبيه وسماه "التشبيه الحقيقي الأصلي"، وأما النوع الثاني فهو ما كان وجه الشبه غير متحقق في أحد الطرفين، فيوجد في أحدهما على وجه الحقيقة وفي الثاني على وجه التأويل وقد سمى هذا النوع "تشبيه التمثيل" حيث يقول: "اعلم أن الشيئين إذا شَبَّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين: أحدهما أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج إلى تأويل، والآخر أن يكون محصّلا بضرب من التأويل"<sup>2</sup>، والنوع الثاني أبلغ وأحسن.

<sup>1</sup> مُجَّد أحمد قاسم، محي الدين ديب: علوم البلاغة: البديع البيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2003، ص 167.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمود مُجَّد شاكر، دار المدني، جدة، دط، دت، ص 90.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

ومن أجل إبراز أهمية التمثيل في انسجام النصوص، وكيف تفتن البلاغيون للأمر، يكفي أن نعود إلى "أسرار البلاغة" للجرجاني (ت 471 هـ)، وذلك في تحليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنَاهَا أَمْرًا نَبِيًّا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: 24]، فوجه الشبه في هذه الآية منزوع من هذا التعدد والتنوع، ولا يمكن حذف جملة منها، ولو فعلنا لفسدت صورة التشبيه، لأن الجمل فيها متعلقة ببعضها حتى لكأنها آلة نسج، وكذلك يُنسج الخطاب وتتألف أجزأؤه، ويجب أن نفهم دور التمثيل في النص وفق هذا المنحى حتى يتحقق دوره في بناء النص وانسجامه " نعتقد أن فهم التمثيل على هذا النحو يجعله آلة لنسج خيوط خطاب ما مكون من عدّة أجزاء، لكون الجزء لا يعني شيئاً إلا بانتظامه في الكل الذي يصنعه التمثيل. بمعنى أن الخطاب في هذه الحالة سلسلة من العناصر المترابطة من أجل بناء الخطاب أولاً، وضمنان تماسكه وانسجامه ثانياً<sup>1</sup>، وهذا دون أن نغفل قضية أخرى شديدة الصلة بهذه تتمثل في أن نسج النص يتأثر أيضاً بالتقديم والتأخير في الجمل ولا تحصل معه الصورة المطلوبة، بخلاف التشبيه العادي البسيط، وهو ما يسميه الدارسون المحدثون "ترتيب الوقائع"، وبالتالي فإن تقديم أي جملة من الجمل الواردة في الآية على أخرى من شأنه أن يقدم صورة مشوشة عن المعنى المرغوب.

وعليه يمكن القول إجمالاً إن البلاغة العربية ومباحثها وفنونها المتنوعة كان فيها إدراك مسبق للعلاقات التي تجمع النصوص وتبنى عليها، واهتم البلاغيون بكل الوسائل التي تضمن تماسك النصوص وانسجامها، وبالتالي فإنه يمكن الاطمئنان إلى كثير من المباحث البلاغية العربية القديمة والاستئناس بها في سبيل تقديم رؤية عربية نصية تراثية.

### 1-2-2- الانسجام النصي عند النقاد :

أفرز المتن النقدي العربي القديم الكثير من المفاهيم والإجراءات التطبيقية التي يمكن الاطمئنان إليها والاستناد عليها في تقديم صورة عن وعي النقاد القدامى بآليات اشتغال النصوص الأدبية، فقد عالج النقاد الآليات التي يبنى عليه النص (القصيصة خاصة)، وحددوا العلاقات التي تجمع عناصر النص وأجزأؤه، وفي هذا السياق سنقف عند

<sup>1</sup> محمد خطابي: المرجع السابق، ص 127.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

بعض المفاهيم نراها أكثر قربا من مفهوم الانسجام في صياغته الحديثة، وأكثرها تجسيدا لإدراك النقاد بطبيعة النص كوحدة كلية متكاملة البناء هذه المصطلحات هي: "التحام الأجزاء - والتماسك".

### 1-2-1- التحام الأجزاء عند الجاحظ (ت 255هـ):

أعطى الجاحظ (ت 255هـ) للالتحام مفهوما تركيبيا صوتيا ولم يهتم بجوانبه الدلالية، على خلاف ما قد يبدو لنا من الوهولة الأولى؛ إذ ركز على إمكانية تجاوز الأجزاء المشكّلة للنص الشعري (أجزاء القصيدة - أجزاء البيت - أجزاء الشطر - أجزاء اللفظ) خاصة من وجهة نظر صوتية خالصة، حيث يقول في هذا الصدد "وأجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"<sup>1</sup>، فأحسن الشعر ما توافقت ألفاظه مع معانيه، وأصواته بعضها مع بعض، وسهلت مخارجه، حتى لكأنه كتلة واحدة، فالشعر الجيد هو الذي يجري على اللسان في سهولة وعدوبة كما يجري الدهان " فأجود الشعر ما كان الجزء يسلم إلى الجزء والكلمة تفضي إلى الكلمة والعبارة إلى العبارة حتى كأنه قطعة واحدة، فهو كالبنيان الذي تلاحم لبناته واتحدت وحداته"<sup>2</sup>، وفي هذا الصدد أورد الجاحظ (ت 255هـ) أمثلة تفتقر للتلاحم بين أجزائها ويغلب عليها التنافر إما صوتيا أو تركيبيا ومن ذلك ما أورده من كلام العرب قديما:

وقبرٌ حربٍ بمكانٍ فقيرٍ      وليسَ قربَ قبرٍ حربٍ قبرٌ

حيث تتنافر ألفاظ البيت ويستثقل نطقها على اللسان، بسبب تقارب مخارجها " ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض استكراه"<sup>3</sup>، فلما كان الأمر كذلك فقد غاب التلاحم بين أجزاء البيت وهي النقطة التي أشار إليها مُجدّ خطابي حين قال: "نستخلص من هذا أن تلاحم الأجزاء مترتب عن تلاؤم الأصوات المشكّلة للألفاظ، وتباعد المخارج المكونة للكلمات، مما يجعل تجاورها ممكنا،

<sup>1</sup> الجاحظ: المرجع السابق، ج 1، ص 67.

<sup>2</sup> زايدي فاطمة: الاتساق والانسجام في شعر رزاق محمود الحكيم دراسة في ديوان الأرق، أطروحة دكتوراه مرقونة، جامعة باتنة، 2012 - 2013، ص 127.

<sup>3</sup> الجاحظ: المرجع السابق، ج 1 ص 65.

وبالتالي يسهل على اللسان النطق بها وعلى المنشد إنشادها. بينما تفكك الأجزاء (التباين والتنافر) ينتج عن تقارب المخارج بل عن تكرر نفس الصوت في كلمات متجاورة في شطر واحد أو بيت<sup>1</sup> وهذا ما يعزز الرأي الذي أشرنا إليه سابقا وهو أن الجاحظ (ت 255هـ) قد أعطى للتلاحم مفهوما تركيبيا صوتيا أكثر من اهتمامه بجوانبه الدلالية.

### 1-2-2- تماسك النص عند حازم القرطاجني (ت 684هـ):

يعد حازم القرطاجني (ت 684هـ) من أكثر النقاد اهتماما بآليات تماسك النصوص في التراث النقدي العربي القديم، حيث تجلّى بوضوح في آثاره إبراز وسائل تماسك النصوص وكيفيات ذلك، وقد ساعده في ذلك إفادته من أعمال الفلاسفة المتقدمين أمثال الكندي (ت 256 هـ) والفارابي (ت 339 هـ) وابن سينا (ت 427 هـ) وابن رشد (ت 595 هـ)<sup>2</sup>، وسنقف في هذا السياق عند مفهوم الفصل أو الفصول وكيفية ترابطها الذاتي أو ترابطها فيما بينها.

ينبغي علينا أن نشير بداية إلى أن حازم القرطاجني (ت 684هـ) يقصد بالفصل اجتماع بيتين من الشعر إلى أربعة أبيات كحد أقصى، تجتمع فيما بينها لتؤدي معنى، وقد تجتمع فصول عدة في القصيدة الواحدة، ويشير بتعبير آخر إلى " أن بعض أبيات القصيدة تلتقي وترابط مؤلفة وحدة معنوية تكاد تكون مستقلة أو تستطيع أن تكون مستقلة عن بقية الفصول الأخرى في القصيدة"<sup>3</sup>، وقد رأى كثير من الدارسين أن مفهوم "الفصل" يتقاطع بشكل كبير مع مفهوم البنية الكبرى أو موضوع الخطاب عند فان دايك (van dijk)، فبحث القرطاجني (ت 684هـ) في كيفية تماسك أجزاء الفصول فيما بينها، وكذلك آليات تماسك الفصول فيما بينها في القصيدة الواحدة، وبهذا ينفرد عن غيره من النقاد بنظرة متميزة للنص/ القصيدة تجعله يختلف عن غيره من النقاد والبلاغيين الذين

<sup>1</sup> مجّد خطاي: المرجع السابق، ص 143، 144.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 146.

<sup>3</sup> إبراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص، ص 59.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

سبقوه " فهو أول من قسم القصيدة العربية إلى فصول زعم أن لها أحكاما في البناء، وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة وما سماه بالمقطع وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير والنهائي عن القصيدة"<sup>1</sup> وقد وقف جودة الشعر بجودة مكوناته، فجودة الفصل من جودة الحروف المشكلة له، وجودة القصيدة من جودة الفصول المؤلفة لها، حيث يقول: " اعلم أن الأبيات بالنسبة إلى الشعر المنظوم نظائر الحروف المقطعة من الكلام المؤلف، والفصول المؤلفة من الأبيات نظائر الكلم المؤلفة من الحروف، والقصائد المؤلفة من الفصول نظائر العبارات المؤلفة من الألفاظ. فكما أن الحروف إذا حسنت حسنت الفصول المؤلفة منها إذا رتبت على ما يجب ووضع بعضها مع بعض (...) وكذلك يحسن نظم القصيدة من الفصول الحسان إذا كان تأليفها منها على ما يجب"<sup>2</sup> وعلى هذا الأساس ينبغي علينا الوقوف على الحالتين: تماسك الأجزاء المكونة للفصول، وتماسك الفصول فيما بينها.

### أ- تماسك الفصل المفرد:

وضع القرطاجني (ت 684هـ) في هذا الصدد أربعة قوانين ضابطة للتماسك في الفصل الواحد وهي وفق

الشكل التالي:

- القانون الأول: في استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها.
- القانون الثاني: في ترتيب الفصول والموالاتة بين بعضها البعض.
- القانون الثالث: في ترتيب ما يقع في الفصول.
- القانون الرابع: في ما يجب أن يقدم في الفصول وما يجب أن يؤخر فيها وتحتتم به.

وقد فصل القرطاجني (ت 684هـ) في هذه القوانين تفصيلا بعد ذلك؛ فأما القانون الأول والمتعلق "

باستجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها" فقد فصل فيه بقوله: " فيجب أن تكون متناسبة المسموعات

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 57.

<sup>2</sup> حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981، ص 287.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

والمفاهيم حسنة الاطراد غير متخاذلة النسيج غير متميز بعضها عن بعض التمييز الذي يجعل كل بيت كأنه منحاز بنفسه لا يشمل غيره من الأبيات بنية لفظية أو معنوية يتنزل بها منه منزلة الصدر من العجز أو العجز من الصدر"<sup>1</sup>، والمتأمل لهذا المقطع البسيط من كلام القرطاجني (ت 684هـ) يرى أنه يبني جودة مادة الفصل على أربعة شروط رئيسة هي:

- ضرورة توفر تناسب بين المسموع والمفهوم ( الصورة السمعية والصورة الذهنية).
- أن تكون المواد حسنة الاطراد.
- ألا تكون المواد متخاذلة النسيج.
- ألا تكون مواد الفصل متميز بعضها عن بعض.

ففي هذه الشروط إلتحاح واضح على ضرورة الترابط اللفظي والمعنوي بين أجزاء الفصل؛ فكلامه " يقطر بضرورة الاتصال بين مكونات البيت أولاً، ثم بين البيت والبيت الذي يليه أو يسبقه"<sup>2</sup>، ويضيف القرطاجني (ت 684هـ) شرطين آخرين متعلقين بالأغراض الشعرية وحجم الفصول، فأما الأول فهو ضرورة أن يكون نمط الفصل مناسباً للغرض فتعتمد فيه الجزالة في الفخر والعدوية في النسيب، وهو مبدأ تداولي تحكمه أعراف اجتماعية كما يقول -مُجد خطابي-، وفي هذا المبدأ إلتحاح على التناسب بين الأغراض والألفاظ المنتقاة للتعبير عنها وأما الثاني فيتمثل في ضرورة أن تكون الفصول معتدلة المقادير بين الطول والقصر.

وأما القانون الثاني المتعلق "بترتيب الفصول والموالاتة بين بعضها وبعض" فإن القرطاجني (ت 684هـ) يبينه على أساسين اثنين:

### • أساس تداولي:

وهو ما يسميه "مبدأ الأهم فالأهم" حيث يقدم الشاعر من الفصول ما يكون للنفس به عناية بحسب الغرض المقصود بالكلام، بمعنى أن ترتيب الفصول ليس خاضعاً للصدفة بل خاضع لمبدأ الأهمية وهو شرط تداولي

<sup>1</sup> حازم القرطاجني: المرجع السابق، ص 288.

<sup>2</sup> مُجد خطابي: المرجع السابق، ص 151.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

محض<sup>1</sup>، وفي هذا الصدد يقول القرطاجني (ت 684هـ): " فأما القانون الثاني وهو ترتيب بعض الفصول إلى بعض فيجب أن يقدم من الفصول ما يكون للنفس به عناية بحسب الغرض المقصود بالكلام، ويكون مع ذلك متأنيا فيه حسن العبارة اللائقة بالمبدأ، ويتلوه الأهم فالأهم"<sup>2</sup>.

### • أساس معنوي:

حيث تحكم عناصر الفصل في اجتماعها مجموعة من العلاقات المعنوية التي تبرر اجتماع بيت مع آخر ضمن الفصل حيث يقول: " أن يردف البيت الأول من الفصل بما يكون لائقا به من باقي معاني الفصل مثل أن يكون مقابلا له على جهة من جهات التقابل أو يكون مقتضى له مثل أن يكون مسببا عنه أو تفسيراً له..."<sup>3</sup>.

وأما القانون الثالث والمتعلق بـ" تأليف بعض بيوت الفصل إلى بعض " ، فقد تناول فيه المعاني التي يبدأ بها الشاعر في فصله، فأحسن الأمر أن يبدأ الشاعر فصله بمعنى مناسب للفصل السابق، مع ضرورة أن يكون معنى شريفاً، على أنه يشير إلى اختلاف الشعراء في هذا الأمر إلى مذهبين فمنهم من يبدأ كلامه بالمعنى الأشرف ، ومنهم من يؤخره إلى نهاية الفصل، وفي كل الحالات سمي القرطاجني (ت 684هـ) المعنى الأشرف بـ:"عمدة بناء الفصل" للإشارة إلى أن لكل فصل "نواة معنوية تنشد إليها بقية المعاني أو على الأقل مركزاً معنوياً تشكل بقية المعاني المرتبطة مع محيطه"<sup>4</sup>، وفي هذا الصدد يقول القرطاجني (ت 684هـ): " فأما القانون الثالث في تأليف بعض بيوت الفصل إلى بعض فيجب أن يبدأ منها بالمعنى المناسب لما قبله وإن تأتي أن يكون ذلك المعنى هو عمدة معاني الفصل والذي له نصاب الشرف، كان أبهى لورود الفصل على النفس، على أنّ كثيراً من الشعراء يؤخرون المعنى الأشرف

<sup>1</sup> عثمان بريجة: بلاغة النص بين حازم القرطاجني وجون كوهين، مذكرة ماجستير مرقونة، جامعة ورقلة، 2010/2009، ص 136.

<sup>2</sup> حازم القرطاجني: المرجع السابق، ص 289.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 290.

<sup>4</sup> محمد خطايي: المرجع السابق، ص 154.



ليكون خاتمة الفصل<sup>1</sup> "و هو ما يعنيه تقريبا في القانون الرابع الخاص بـ:" ما يجب أن يقدم في الفصول وما يجب أن يؤخر فيها وتحتتم به".

#### ب- تماسك الفصول فيما بينها:

لاحظنا فيما سبق الآليات التي حددها القرطاجني (ت 684هـ) لكي يتماسك الفصل وتترابط أبياته وأجزأؤه من خلال القوانين التي حددها لأجل ذلك، وكما اهتم بالآليات التي تضمن تماسكها الذاتي، اهتم أيضا بالآليات التي تجمع الفصول فيما بينها في القصيدة الواحدة، فكما تتماسك الأبيات في الفصل الواحد تتماسك الفصول وتترابط في القصيدة الواحدة أيضا "ولا يحسن في نظر حازم القرطاجني (ت 684هـ) أن يكون الفصل من القصيدة منبثا عن الفصل الذي يليه، فهو وإن تم تأليفه من جمل وعبارات مترابطة متواشجة إلا أنه بحاجة إلى ما يصله بالذي يليه وهذا ما سماه حازم بالاطراد في تسويم رؤوس الفصول"<sup>2</sup> فالعلاقة بين الفصول لا تختلف بهذه الرؤية عن العلاقة بين البنات الكبرى كما تجلت في الدرس اللساني الحديث عند فان دايك (van dijk) وغيره. وقد بين القرطاجني (ت 684هـ) بعض أشكال العلاقات بين الفصول وضروب التماسك فيما بينها ويمكن أن نحصرها في مايلي:

#### ● فصول مترابطة متماسكة فيما بينها غرضا وعبارة:

حيث تكون العلاقة بين الفصل والذي يليه علاقة لفظية ومعنوية، فهما في نفس الغرض الشعري إضافة إلى العلاقة التركيبية التي تجمع بين مكونات الفصل الأول والفصل الثاني، أي بين آخر الفصل الأول وبداية الفصل الذي يليه، وفي هذا الصدد يقول القرطاجني (ت 684هـ): فأما المتصل العبارة والغرض فهو الذي يكون فيه لآخر الفصل بأول الفصل الذي يتلوه علقه من جهة الغرض وارتباط من جهة العبارة، بأن يكون بعض الألفاظ التي في أحد الفصلين يطلب بعض الألفاظ التي في الآخر من جهة الإسناد والربط"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> حازم القرطاجني: المرجع السابق، ص 289.

<sup>2</sup> إبراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص، ص 60.

<sup>3</sup> حازم القرطاجني: المرجع، ص 290.

• فصول متماسكة ومترابطة فيما بينها غرضا دون العبارة (اللفظ):

وفي هذا الضرب من العلاقة ترتبط الفصول فيما بينها وتجتمع على أساس معنوي فقط (الغرض) دون وجود علاقة تركيبية (إسناد- ربط) بين عناصر الفصلين المتجاورين وفي هذا الصدد يقول: "وأما المتصل الغرض المنفصل العبارة فهو الذي يكون أول الفصل فيه رأس كلام، ويكون لذلك الكلام علقة بما قبله من جهة المعنى"<sup>1</sup>، هو أفضل الضروب الأربعة كما يصرح بذلك القرطاجني (ت684هـ) وذلك "لكون النفوس تنبسط ويتجدد نشاطها بإشعارها الخروج من شيء إلى شيء واستئناف كلام جديد"<sup>2</sup>.

• فصول متماسكة ومترابطة فيما بينها عبارة دون الغرض (المعنى):

وهو أضعف أنواع الربط والتماسك بين الفصول في رأيه حيث يقول فيه: "فأما الضرب الثالث وهو ما كان منفصل الغرض متصل العبارة فإنه منحط عن الضربين اللذين قبله"<sup>3</sup>، والملاحظ أن هذا النوع تكون فيه العلاقة (تركيبية) شكلية لفظية فقط، وتغيب فيها العلاقة المعنوية، وهو ما جعل بعض الدارسين يستنتجون ميل القرطاجني (ت684هـ) وتفضيله المعنى "هل نفهم من هذا أن الناقد يميل إلى العلاقة العميقة بين الفصول المشكلة للقصيدة التي لا تعول على الروابط الشكلية في تماسك أجزائها؟ هل هي رغبة متحققة أو دعوة إلى نهج معين في الربط بين الفصول؟"<sup>4</sup>، على أنه لا يلغي دور الروابط الشكلية في تماسك الفصول.

• فصول يغيب فيما بينها التماسك غرضا وعبارة:

وهو الضرب الرابع من أشكال العلاقة بين الفصول، تغيب فيها الصلات الشكلية والمعنوية معا حيث يقول: "فأما الضرب الرابع وهو الذي لا توصل فيه عبارة بعبارة ولا غرض بغرض مناسب له، بل يهجم على الفصل

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 291.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 291.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 291.

<sup>4</sup> محمد خطايي: المرجع السابق، ص 157.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

هجوماً من غير إشعار به مما قبله ولا مناسبة بين أحدهما والآخر ، فإن النظم الذي بهذه الصفة امتشتت من كل وجه<sup>1</sup> ، إلا أنه لم يبلغ هذا النوع من الاستخدام الشعري، بل وقد يكون مستلطفاً في مناسبات معينة كمناسبة الخروج من غرض النسيب إلى المديح، أو من النسيب إلى الذم.

ولم يكتفِ القرطاجني (ت684هـ) بهذه العلاقات فقط وإنما ذكر مجموعة من العلاقات المعنوية التي قد تساهم في ترابط الفصول فيما بينها ومن ذلك علاقات الجزء والكل ، والعام والخاص وغيرها مما لا يتسع مجال ذكرها في هذا المقام.

إن الصورة الموجزة التي قدمناها عن صنيع القرطاجني (ت684هـ) تنبئ بلا شك عن تصور مبكر وسابق لكيفيات بناء النص/ القصيدة من جهة وكيفيات ترابط أجزائه من جهة أخرى ، وتبقى قضية تقسيمه القصيدة إلى فصول أقرب المفاهيم إلى النظرية اللسانية النصية الحديثة خاصة مفهوم البنيات الكبرى فيها، فإن الآليات التي تتربط بها الفصول هي تقريبا نفس الآليات التي تتربط بها البنيات الكبرى، أو على الأقل قد نلمس نفس المنطلقات بين القرطاجني (ت684هـ) وبين الفكر اللساني النصي الحديث.

لا يمكننا أيضاً في هذا السياق أن نغفل محاولات نقدية عربية تراثية يمكن أن نتلمس فيها الوعي المبكر بالنظرة الكلية للنصوص، والتي سعى من خلالها هؤلاء النقاد إلى تقديم صورة عن كيفيات بناء النصوص وتربطها، ولولا ضيق مساحة العرض في هذا المقام لأتينا على معظمها، وفي هذا الصدد نذكر محاولات كل من ابن قتيبة (ت276هـ) والحاتمي (ت310هـ) وابن طباطبا (ت322هـ) وغيرهم مما يمكن أن نبلور منه رؤية عربية خالصة في بناء النص العربي من جهة ورؤية أيضاً في آليات تماسكه واشتغاله من جهة ثانية.

## 2- المبحث الثاني: آليات الانسجام النصي عند المفسرين وعلماء القرآن:

يجب علينا اليوم - ونحن بصدد الحديث عن آليات الانسجام النصي في التراث العربي- أن نشير إلى أن المتن التفسيري حافل بكثير من الإجراءات والمفاهيم التي تعبر بصدق عن وعي علمائنا المشتغلين في هذا المجال المعرفي

<sup>1</sup> حازم القرطاجني: المرجع السابق، ص 291.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

بالبعد النصي في ممارساتهم التفسيرية؛ حيث تنبئ مدونة التفسير وعلوم القرآن عن أجزاء مشرقة من ذلك، وما مباحث المناسبة وأسباب النزول والسياق والعلاقات الدلالية إلا خير دليل على ذلك؛ حيث يتجلى فيها السعي إلى ربط أجزاء النصوص، والبحث عن الروابط المعنوية بين أجزاء النص القرآني في المواضع التي يغيب فيها الرابط الشكلي، والسعي أيضا إلى ربط النص بمتلقيه وسياقه بما يثبت بحق صحة الفرضية السابقة، وفي هذا الإطار سنقف عند بعض المفاهيم التي تتقاطع مع البحث النصي الحديث.

### 2-1-1 آليات الانسجام النصي عند المفسرين وعلماء القرآن:

#### 2-1-1-1 علم المناسبة:

يعد علم المناسبة من الآليات التي سعى من خلالها المفسرون إلى إثبات الصلات المعنوية بين أجزاء النص القرآني سواء بين الآيات أم بين السور القرآنية، وقد وظف المفسرون وعلماء القرآن هذا المبحث في محاولة إثبات أوجه الترابط بين الآيات، وفي محاولة لإثبات أن هذه الآيات لم توجد في مواضعها التي هي فيها اعتبارا، فوجودها في موضعها توقيفي من جهة، ومحكوم من جهة بعلاقة تربطها بغيرها من الآيات المجاورة، والذي نبه إليه في هذا الموضوع أن البحث في مواضع المناسبة بين الآيات والسور غالبا ما يكون في المواضع التي تختفي فيها الروابط الشكلية الظاهرة، فيجتهد المفسر والدارس في إيجاد تبرير معنوي لوجود الآية مع الأخرى، وذلك على الرغم من المعارضة التي لقيها هذا الأخير في تراثنا من بعض علماء الإسلام بدعوى التكلف في إيجاد مبرر اجتماع الآيات والسور جنبا إلى جنب.

ومهما قيل عن التكلف في هذا المبحث اللطيف من مباحث الدراسات القرآنية، فإنه يكشف لنا بكل جلاء العناية المبكرة للمشتغلين على النص القرآني بحسب المعنوي الدقيق في إثبات الصلات بين أجزاء النص القرآني، وإدراكهم المبكر أيضا لكون القرآن كتلة واحدة تجمع بين أجزائه صلوات وعلاقات قد تظهر أحيانا وقد تختفي في أحيان أخرى، ويبقى على الدارس والمتدبر إيجاد هذه العلاقات.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

إن مبحث المناسبة في أبسط مفهوم له هو علم يهتم بكيفية ترابط الآيات بعضها ببعض والصور القرآنية فيما بينها وذلك في سبيل إبراز أوجه الترابط والانسجام بينها، وأنها لم ترتب ولم توضع في مكانها الذي هي فيه هكذا اعتباراً، وإنما لعلاقة معينة وحكمة ظاهرة " فعلم المناسبات علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبتته إلى علم التفسير نسبة علم البيان إلى علم النحو"<sup>1</sup>، فإذا استقر في أذهاننا أن ترتيب أجزاء القرآن؛ آياته وسوره أمر توقيفي، فقد تبين لنا حينذاك أن وجود الآيات والصور وترتيبها وفق الصورة التي هي عليه الآن، هي لحكمة ما ومناسبة خاصة " قد تظهر حتى يعلمها المتدبر لكتاب الله تبارك وتعالى، وقد تدق حتى لا تكاد تعلم، أو لا تعلم على وجه اليقين أصلاً"<sup>2</sup>.

لقد لاقى هذا المبحث اللطيف ترحيباً واسعاً من طرف الدارسين القدامى والمحدثين، بل و عدده بعضهم فرعاً من فروع علوم القرآن على غرار بدر الدين الزركشي ت 794هـ وذلك في مصنفه " البرهان في علوم القرآن " حيث يقول " واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول (...). ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها -والله أعلم- إلى معنى ما رابط بينهما: عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول والنظيرين والضدّين ونحوه، أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر"<sup>3</sup>، فأوجه المناسبة عنده تختلف باختلاف طبيعة العلاقة التي تجمع خواتم الآيات مع فواتح الآيات التي تليها، والاجتهاد في طلب المناسبة عنده من الأمور التي يمحّص بها العالم، وبالتالي فإن كل الأمر يلقي على الباحث الذي يسعى إلى استجلاء العلاقة المعنوية بين الآيات في سبيل تقديم مبرر لاجتماع الآيتين مع بعض، وهذا إذا خفيت العلاقة أو الرابط الشكلي، وذلك في كثير من المواضع في النص القرآني.

<sup>1</sup> برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، 1984، ج 1، ص 6.

<sup>2</sup> مُجَّد بن عمر بن سالم بزمول: علم المناسبات في السور والآيات، المكتبة المكية، مكة، ط 1، 2002، ص 18.

<sup>3</sup> بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، مصر، دط، دت، ج 1، ص 35.

### الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

إن أهم عقبة تقف أمام الباحث في هذا المجال هو العلم بتباعد فترات التنزيل واختلاف الوقائع، مما يصعب من مهمة إيجاد الصلات المعنوية بين الآيات، وهو الأمر الذي وضحه الزركشي (ت 794هـ) حيث يقول: " قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا، وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقف له"<sup>1</sup>، وما قيل عن الزركشي (ت 794هـ) يقال عن غيره من المدافعين عن علم المناسبة وفوائده.

إلا أن ما يجب أن ننبه إليه في هذا المقام هو أن هذا العلم لم يلق كل الترحيب والإجماع في تراثنا العربي، إذ عرف من علمائنا المتقدمين من وقف ضد المنكبين على تتبع المناسبات والتكلف فيها، ويأتي على رأس هؤلاء العز بن عبد السلام (ت 660هـ)، والإمام الشوكاني (ت 1250هـ)؛ فأما الأول فقد اشترط أن تكون الآيات المراد إيجاد مناسبة بينها في أمر متحد متصل، ويجمعها موضوع واحد حيث يقول: " واعلم أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ويتشبت بعضه ببعض لئلا يكون مقطعا مبترا، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط بذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه إلا بربط ركيك يصاب عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه"<sup>2</sup>.

ولا يختلف كثيرا موقف الشوكاني (ت 1250هـ) عن هذا الموقف حيث رفض هذا المبحث، لأنه غالبا ما يؤدي بصاحبه إلى التكلف خاصة في المقاطع المتباعدة حيث يقول: " واعلم أن كثيرا من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا وقتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في

<sup>1</sup> بدر الدين الزركشي: المرجع السابق، ج 1، ص 37.

<sup>2</sup> العز بن عبد السلام: كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، تح: محمد بن الحسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1985، ص 221.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

التكلم بمحض الرأي المنهني عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفت وتعتفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه منها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب سبحانه<sup>1</sup>، ولا شك أن هذا التقييد والتحذير من الخوض في مسائل المناسبة، نابع من خوف هؤلاء المتقدمين من التعسف والتكلف في إيجاد الروابط والصلات بين الآيات والصور بما يؤدي إلى الفهم الخاطئ والمغلوط للنص القرآني.

وفي المقابل اعتنى بالمناسبة عدد غير قليل من المفسرين والدارسين على غرار: الرازي (ت606هـ) والزركشي (ت794هـ) والبقاعي (ت885هـ) والسيوطي (ت911هـ) وابن عاشور وغيرهم كثير، ومهما قيل عن موقف المفسرين والدارسين من مبحث المناسبة فإن العناية به ظاهرة في تاريخ علوم القرآن وعلم التفسير ويمكن أن نميز بين نوعين كبيرين من المناسبة: مناسبة داخلية والتي تكون بين الآيات ضمن السورة الواحدة، ومناسبة خارجية تكون بين سور القرآن بعضها ببعض.

### 2-1-1-1- المناسبة بين الآيات:

تأخذ المناسبة بين الآيات ضمن السورة الواحدة أشكالاً متنوعة ومتعددة، كما تأخذ العلاقة الجامعة صوراً مختلفة قد تظهر للعيان شاخصة بواسطة الروابط الشكلية المختلفة وقد تخفى أمام الدراسة السطحية الشكلية فيتطلب الأمر من الدارس البحث في أشكال التلاحم بين الآيات، ووجه اجتماع الآية مع الآية أو اللفظ مع اللفظ، وهذا ما أشار إليه الزركشي (ت794هـ) حين قال: " ذكر الآية بعد الأخرى؛ إما أن يظهر الارتباط بينهما لتعلق الكلام بعبءه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد والتفسير، أو الاعتراض والتشديد؛ وهذا القسم لا كلام فيه، وإما ألا يظهر الارتباط؛ بل يظهر أن كل جملة مستقلة

<sup>1</sup> بدر الدين الشوكاني: فتح القدير، تح: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2007، ص50.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به<sup>1</sup>، وهنا تبرز براعة القارئ وفهمه في إيجاد الجهة الجامعة والعلاقة المعنوية بين الآيات. ومن صور التناسب بين الآيات في القرآن ما يلي:

### أ- المناسبة بين كلمات الآية الواحدة:

ويقصد بهذه الصورة من صور المناسبة التناسب اللفظي والمعنوي بين أجزاء الآية الواحدة "من حيث ترابط خاتمها بمطلعها، وتناسب ألفاظها مدلولها ومقصودها وغرضها"<sup>2</sup>، وقد تناول السيوطي (ت 911هـ) هذا النوع في باب "اتتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى" حيث أشار إلى المناسبة اللفظية في نطاق الآية الواحدة، وكذلك المناسبة بين اللفظ والمعنى في سياق الآية الواحدة كذلك؛ فالنوع الأول يعني: "أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضاً بأن يُقرن الغريب بمثله، والمتداول بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة"<sup>3</sup> والنوع الثاني يعني: "أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد، فإن كان فخماً كانت ألفاظه مفخمة، أو جزلاً فجزلة، أو غريباً فغريبة، أو متداولاً فمتداولة، أو متوسطاً بين الغرابة والاستعمال فكذلك"<sup>4</sup>، وقد مثل للنوع الأول بقوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: 85]، حيث علّق على الآية بقوله: "أتي بأغرب ألفاظ القسم وهي التاء، فإنها أقل استعمالاً وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار، فإن (تزال) أقرب إلى الأفهام، وأكثر استعمالاً منها، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحرص، فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة توخياً لحسن الجوار، ورغبة في اتتلاف المعاني بالألفاظ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع، وتتناسب في النظم"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ج 1، ص 40.

<sup>2</sup> أحمد بن محمد بن قاسم مذكور: المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، مذكرة ماجستير مرقونة، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، 2008م، ص 40.

<sup>3</sup> جلال الدين السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، دط، دت، ج 5، ص 1744.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ج 5، ص 1744.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ج 5، ص 1744-1745.



## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

وأما النوع الثاني فمثّل له بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: 113]، وقد علق على الآية بقوله: "لما كان الركوب إلى الظالم وهو الميل إليه والاعتماد عليه دون مشاركته في الظلم، وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظلم، فأُتي بلفظ المس الذي هو دون الاحتراق والاصطلام"<sup>1</sup>، وهي المسائل التي فصل فيها قبله الزركشي (ت 794هـ) في مصنفه (البرهان في علوم القرآن)<sup>2</sup>.

وبهذا تكون المناسبة داخل الآية الواحدة هي بحث في كيفية ائتلاف ألفاظ الآيات مع بعضها البعض، وبحث مدى مناسبة الألفاظ في تأدية المعاني المحمولة على عاتقها، ولا شك أن هذا المبحث فيه من اللطافة والدقة ما هو بارز بيّن للباحث، فضلاً عن كونه مضمّاراً لإبراز القدرات اللغوية للباحث فيه.

### أ- تناسب ترتيب الآيات:

قد تظهر الصلات اللفظية بين الآيات القرآنية ضمن السورة الواحدة، وقد تختفي أحياناً خاصة في المواضع التي تختلف فيها أسباب النزول، وقد اجتهد كثير من المفسرين في هذا النوع، أي في محاولة تبرير تلاحم الآيات القرآنية على الرغم من تباعد فترات النزول واختلاف الوقائع، وبالتالي فإن المفسر في هذا النوع يسعى إلى البحث في كيفية "تلاؤم الآيات مع بعضها بحيث تظهر كلحمة واحدة غير منفصلة، لوجود رابط أو أكثر يربطها ببعضها"<sup>3</sup>.

ومن ذلك محاولة الزركشي (ت 794هـ) تقديم مبرر للمناسبة بين الآيتين (4-5) من سورة الأنفال، وذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴿[الأنفال: 4-5]، حيث استنتج أن بين الآيتين علاقة مبررة لاجتماع الآيتين في هذا الموضع بالرغم من غياب الرابط الشكلي بين الآيتين، إذ أرجع ذلك إلى علاقة النظير كما يسميها فيقول: "فإن الله سبحانه أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج 5، ص 1745.

<sup>2</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص 378.

<sup>3</sup> حمد بن محمد بن قاسم المذكور: المرجع السابق، ص 43.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

كارهون؛ وذلك أنهم اختلفوا في القتال يوم بدر في الأنفال، وحاجوا النبي (ﷺ) وجادلوه، فكره كثير منهم ما كان من فعل رسول الله (ﷺ) في النفل، فأنزل الله هذه الآية وأنفذ أمره بها، وأمرهم أن يتقوا الله ويطيعوه، ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شيء ما، بعد أن كانوا مؤمنين، ووصف المؤمنين ثم قال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال: 5] يريد أن كراحتهم لما فعلته من الغنائم ككراحتهم للخروج معك<sup>1</sup>، وقد تكون هذه المناسبة بين آية لاحقة وأخرى سابقة عليها، أو بين آية لاحقة وبين مجموعة من الآيات سابقة عليها، أو العكس من ذلك قد تكون بين آية أو مجموع آيات سابقة وبين آيات لاحقة عليها، وقد تكون بين آيات مرتبة، أو بين آيات متفرقة.

### ب- مناسبة فاتحة السورة لمقاصدها:

وهي صورة أخرى من صور المناسبة يقوم فيها الدارس ببحث صور الارتباط بين مطلع السورة وبين المقاصد العامة التي ترمي إليها، ومثال ذلك ما أورده البقاعي (ت 885هـ) في المناسبة بين مطلع سورة المائدة وبين مقاصدها العامة فقد جاءت فاتحة السورة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: 1] مناسبة تماما لمقاصد السورة التي جاءت في عمومها تنهى عن جملة من الأمور التي اعتاد عليها الناس من الأزلام والذبح على النصب والخمر والسرقه وغيرها، فجاء مطلع السورة تذكيرا للناس بالعهود التي قطعوها على أنفسهم، وأمرهم بالوفاء بها، ونهيا عن ارتكاب المحرمات، وفي ذلك يقول البقاعي (ت 885هـ): "ولما كان مدار هذه السورة على الزجر والإحجام عن أشياء اشتد إلفهم لها والتفاتهم إليها، وعظمت فيها رغبتهم من الميتات وما معها، والأزلام والذبح على النصب، وأخذ الإنسان بجرمة الغير والفساد في الأرض والسرقه والخمر والسوائب والبحائر إلى غير ذلك، ذكّر في أولها بالعهود التي عقدوها على أنفسهم ليلة العقبة، حين توثقوا على الإسلام من السمع والطاعة في المنشط والمكروه، والعسر واليسر، فيما

<sup>1</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ج 1، ص 47.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

أحبوا وكرهوا"<sup>1</sup>، فكان مطلع السورة مناسباً تمام المناسبة للمقاصد العامة التي ترمي إليها البنية الكلية للسورة من نهي عن المنكرات وزجر عنها.

### ت- مناسبة خاتمة السورة لمقاصدها:

وهي الصورة العكسية للنوع السابق، حيث يبحث فيها الدارس عن أوجه التناسب بين المقاصد العامة التي تفضي إليها البنية الكلية للسورة مع آخر السورة من آيات قرآنية، فيبحث عن أوجه العلاقة بين البنية الكلية والبنيات الجزئية الصغرى المشكّلة لآخر السورة ومثاله ما جاء في خواتم سورة يونس في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: 108]، حيث جاءت مناسبة لمقاصدها التي جاءت مركزة على الدعوة والترغيب والموعظة، وهي العلاقة التي أشار إليها مُجّد الطاهر ابن عاشور حين قال تعليقا على الآية وإبرازا لوجه مناسبتها مع البنية الكلية للسورة: "استئناف ابتدائي هو كذيل لما مضى في السورة كلها وحوصلة لما جرى من الاستدلال والمجادلة والتخويف والترغيب، ولذلك جاء ما في هذه الجملة كلاما جامعا وموادعة قاطعة"<sup>2</sup>، وهي تقريبا نفس العلاقة استنتجها سيد قطب حين قال: "هذه خاتمة السورة، وخاتمة المطاف لتلك الجولات في شتى الآفاق، تلك الجولات التي نحس أننا عائدون منها بعد سياحات طويلة في آفاق الكون، وجوانب النفس، وعوالم الفكر والشعور والتأملات (...). هذه خاتمة السورة التي تضمنت تلك الجولات حول العقيدة في مسائلها الكبيرة (...). ها هي ذي كلها تلخص في هذه الخاتمة"<sup>3</sup>، فالآيات التي جاءت في خاتمة السورة كانت بمثابة تلخيص للمقاصد التي بنيت عليها السورة.

### ث- مناسبة خاتمة السورة لفاحتها:

وهو نوع يبحث فيه الدارس عن وجه العلاقة بين بداية السورة ونهايتها، وأوجه الصلة بين البداية والنهاية وهو مبحث يغدو - كما قال مُجّد خطابي - نوعا من "رد العجز على الصدر" فتصبح "سمة مشتركة بين الخطاب

<sup>1</sup> برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج6، ص07.

<sup>2</sup> مُجّد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984، ج11، ص308.

<sup>3</sup> سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 2003، ج11، ص1824.

### الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

الشعري وبين الخطاب القرآني"<sup>1</sup> ، وسنورد في هذا السياق أمثلة مما ذكره الزركشي (ت 794هـ) والسيوطي (ت 911هـ) في هذا الشأن، ومن ذلك المناسبة الحاصلة بين فاتحة سورة القصص وخاتمتها حيث يعلق على ذلك الزركشي (ت 794هـ) بقوله: "وتأمل سورة القصص وبدايتها بقصة مبدأ أمر موسى ونصرته وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: 17] وخروجه من وطنه ونصرته وإسعافه بالمكاملة، وختمها بأمر النبي (ﷺ) بالألّا يكون ظهيرا للكافرين وتسليته بخروجه من مكة والوعد بعوده إليها بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: 85]"<sup>2</sup>، فقد ربط الزركشي بين حال موسى وحال الرسول (ﷺ)، فكلاهما موعود بالعودة إلى الأصل؛ فالأول موعود بإرجاعه إلى أهله، والثاني موعود برجوعه إلى مكة، وهذا وجه المناسبة بين مطلع السورة وبين خاتمتها.

#### ج - مناسبة السورة للحرف الذي بنيت عليه:

والمقصود بهذا النوع من المناسبة هو البحث عن العلاقة بين الحرف الذي تُفتتح به السورة وبين تكراره في السورة ذاتها، أي أن الدارس في هذا النوع من المناسبة يبحث العلاقة بين الحرف الذي بنيت /افتتحت به السورة من جهة وترددات هذا الحرف في السورة ذاتها فقد يكون أكثر الحروف ترددا فيها إما بلفظه أو بخصائصه حيث يقول مُجَّد خطابي: "المقصود بهذا النوع أن كثيرا من السور مسماة أو مفتتحة بحرف من حروف العلة، وان معظم الكلمات التي تتألف منها السورة يتراكم فيها هذا الحرف ويتكرر، وربما كانت دلالة الكلمات معضدة للسمات الصوتية لهذا الحرف"<sup>3</sup> ، ومن الأمثلة اللطيفة التي يذكرها الزركشي (ت 794هـ) العلاقة بين الحروف (الألف اللام، والميم) وبين مضامين السور التي افتتحت بها، فانطلق من تحليل عجيب مبني على العلاقة بين مخارج هذه الحروف وبين المعاني الموجودة في السور؛ فالألف عنده إذا بدئ بها كانت بالضرورة همزة، وهي أول المخارج، واللام من وسط المخارج الصوتية، والميم من آخر المخارج، ويحاول -في تبرير عجيب- إيجاد العلاقة بين مخارج هذه الحروف وبين معاني السور فيقول: "وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف فهي مشتملة على مبدأ الخلق ونهايته وتوسطه،

<sup>1</sup> مُجَّد خطابي: المرجع السابق، ص 195.

<sup>2</sup> بدر الدين الزركشي: المرجع السابق، ج 1، ص 185، 186.

<sup>3</sup> مُجَّد خطابي: المرجع السابق، ص 196.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

مشملة على خلق العالم وغايته، وعلى التوسط بين البداية والشرائع والأوامر، فتأمل ذلك في البقرة، وآل عمران، وتنزيل السجدة، وسورة الروم<sup>1</sup>، ومن ذلك أيضا ما أورده في حديثه عن سورة (ق) "فإن السورة مبنية على الكلمات القافية، من ذكر القرآن، ومن ذكر الخلق، وتكرار القول ومراجعته تكرارا، والقرب من ابن آدم، وتلقي الملكين، وقول العتيد، وذكر الرقيب، وذكر السابق والقرين..."<sup>2</sup>.

### ح- مناسبة السورة لاسمها:

يرى كثير من الدارسين أن هناك علاقة وطيدة بين أسماء السور وبين مضمونها العام، بل ذهب بعضهم إلى أن تسمية السور بالأسماء التي هي عليه الآن كان تساوفا مع ما تألفت عليه العرب قديما " من أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها"<sup>3</sup>، وهذا ما حصل مع القرآن الكريم حيث سميت سورة البقرة بهذا الاسم لورود قصة البقرة فيها، وسميت النساء كذلك بهذا الاسم لورود كثير من الأحكام المتعلقة بالنساء فيها، والأنعام كذلك لما ورد فيها من تفصيل في الأنعام<sup>4</sup>، ونفس الكلام يقال في بقية السور، فمعيار التكرار والأهمية من المعايير التي يمكن أن نستأنس بهما في تحديد معايير تسمية السور، وبالتالي فهناك علاقة وطيدة بين اسم السورة ومضامينها، ويذكرنا هذا النوع من المناسبة بمبدأ "التغريض" الذي صاغه "براون ويول G . brown G . yule" الذي يعول عليه المتلقي في سبيل الحكم على نص من النصوص بالانسجام، والذي يفترض وجود عناصر مفتاحية ومحورية في النص توجه عملية القراءة والفهم والتأويل، ويأتي على رأس هذه العناصر العنوان باعتباره العتبة الأولى في النص والثيمة المحورية فيه.

<sup>1</sup> بدر الدين الزركشي: المرجع السابق، ج5، ص168.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج5، ص169.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج1، ص270.

<sup>4</sup> لمزيد من التفصيل في مسألة العلاقة بين تسمية السورة ومضمونها ينظر: بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ج1، ص270..

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

وعموما هذه بعض أشكال المناسبة بين الآيات التي حاول من خلالها المفسرون وعلماء القرآن تبرير العلاقة بين الآيات خاصة في المواضع التي قد تخفى فيها الصلات بين الآية والأخرى، فقد حاول هؤلاء الدارسون تبرير اجتماع الآية مع الأخرى مستأنسين في ذلك بالمبدأ التوقيفي الذي ينفي الاعتباط في ترتيب الآيات.

### 2-1-1-2 المناسبة بين السور

ينبغي أن نشير في بداية الأمر إلى أن هذا النوع من المناسبة لم يحفل به بعض الدارسين على اعتبار أن مسألة ترتيب السور مسألة خلافية، بين من يرى ترتيبها اجتهادا صادرا عن الصحابة، وبين من يرى أن ترتيبها أمرا توقيفيا، وفي هذا يقول السيوطي: "اختلف العلماء في ترتيب السور، هل هو بتوقيف من النبي (ﷺ)، أو باجتهاد من الصحابة، بعد الإجماع على أن ترتيب الآيات توقيفي والقطع بذلك، فذهب جماعة إلى الثاني منهم: مالك والقاضي أبو بكر في أحد قوليه، وجزم به ابن فارس (ت 395 هـ) وذهب جماعة إلى الأول منهم القاضي أبو بكر (ت 402 هـ) في أحد قوليه، (...) وأبو بكر الأنباري (ت 328 هـ) والكرماني (ت 786 هـ) (...) والبيهقي (ت 458 هـ)<sup>1</sup> وبالتالي فإن من بحث في أشكال العلاقات بين السور قد تمثل الرأي الثاني وبه آمن الزركشي (ت 794 هـ) والسيوطي (ت 911 هـ) وغيرهما، ومن صور هذا القسم من المناسبة ما يلي:

#### أ- مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها:

وتعني بحث أوجه الصلة بين خاتمة السورة وبين فاتحة السورة التي تليها، وقد عني الزركشي (ت 794 هـ) بهذا النوع وقدم أمثلة له، ومن ذلك المناسبة بين خاتمة سورة النساء وفاتحة سورة المائدة حيث يقول: "لما ختم سورة النساء أمرا بالتوحيد والعدل بين العباد، أكد ذلك بقوله في أول سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1] ومن ذلك أيضا ما ذكره السيوطي (ت 911 هـ) في الإتقان حيث يقول: "إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى، كافتتاح سورة الأنعام

<sup>1</sup> السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986، ص 56، 57.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

بالحمد فإنه مناسب لختام المائة منفصل القضاء كما قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: 75]، وكافتتاح سورة فاطر بالحمد أيضا فإنه مناسب لختام ما قبلها<sup>1</sup>.

ولم يكتف الدارسون في هذا النوع من المناسبة ببحث أشكال الصلة المعنوية بين خواتم السور وفواتحها، بل تعدى الأمر إلى بحث الصلات اللفظية كذلك بين خاتمة السورة وفاتحة السورة التي تليها، كما هو الشأن بين خاتمة سورة الفيل، وفاتحة سورة قريش " حتى إن منها ما يظهر تعلقها به لفظا كما قيل في: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: 5] ﴿لَا يَلَافُ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: 1] "2.

### ب- مناسبة فاتحة السورة مع فاتحة ما قبلها:

ويقصد به " الترابط والتلاحم بين فاتحتي سورتين متتاليتين"<sup>3</sup>، أي يحاول الباحث استجلاء وجه الصلة بين فاتحة السورة ، وفاتحة التي تليها مباشرة، ومثال ذلك ما أورده الزركشي (ت794هـ) في العلاقة بين فاتحة سورة الإسراء وفاتحة سورة الكهف إذ يقول: " وكذلك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح، وسورة الكهف بالتحميد، لأن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد؛ يقال سبحان الله والحمد لله"<sup>4</sup>، وهي تقريبا الملاحظة التي أشار إليها السيوطي (ت 911 هـ) في حديثه عن سورة الكهف وعلاقتها بسورة الإسراء حيث يقول: " قال بعضهم: مناسبة وضعها بعد سورة الإسراء، افتتاح تلك بالتسبيح وهذه بالتحميد"<sup>5</sup>، وقد نقل الزركشي (ت 794هـ) وجه المناسبة في موضع آخر عن الزملكاني<sup>6</sup> (ت 727هـ) حين يقول: " إن سورة بني إسرائيل افتتحت بحديث الإسراء، وهو ممن الخوارق الدالة على صدق رسول الله (ﷺ) (...) والسبب في الإسراء أولا لبيت المقدس ليكون ذلك دليلا على صحة قوله بصعود السماوات؛ فافتتحت بالتسبيح تصديقا لنبيه فيما ادعاه (...) ، أما الكهف فإنه لما احتبس

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج5، ص 1852

<sup>2</sup> بدر الدين الزركشي: المرجع السابق، ج1، ص 186، وانظر كذلك: جلال الدين السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج5، ص 1852.

<sup>3</sup> أحمد بن محمد بن قاسم مذكور: المرجع السابق، ص 48.

<sup>4</sup> بدر الدين الزركشي: المرجع السابق، ج1، ص 39.

<sup>5</sup> جلال الدين السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السور، ص 99

<sup>6</sup> من شيوخ الشافعية بالشام ولد سنة 666 هـ، وتوفي سنة 727 هـ.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

الوحي وأرجف الكفار بسبب ذلك أنزلها الله ردا عليهم (...). فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة<sup>1</sup>. وهذا المبحث بلا شك مبحث لطيف ينبئ عن فهم أعمق للنص القرآني، وتشبع واضح بالنظرة الكلية لهذا النص، ولكنه في الوقت ذاته لا يحمي المنكب عليه من الوقوع في المزالق التي قد يقع فيها وهو يتكلف إيجاد المناسبات بين السور.

### ت- المناسبة بين مقاصد السور:

يشير هذا النوع من المناسبة إلى العلاقة بين مقاصد السور المتتابعة حيث يشبه هذا النوع " الحلقة التي تربط بين أجزاء الشيء حتى تجعله عقدا واحدا"<sup>2</sup> ولا شك أن هذا النوع لم يتطرق إليه القائلون باجتهاد الصحابة في ترتيب الآيات، ومن أمثلة هذا النوع ما أورده البقاعي (ت885) في المناسبة بين مقاصد الفاتحة والبقرة حيث قال: " وأما مناسبة ما بعد ذلك للفاتحة فهو أنه لما أخبر سبحانه وتعالى أن عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم، الذي هو غير طريق الهالكين أرشدهم في أول التي تليها إلى أن الهدى المسؤول إنما هو في هذا الكتاب، وبين لهم صفات الفريقين الممنوحين بالهداية حثا على التخلص بها، وعلى الممنوعين منها زجرا عن قربها، فكان ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة، لأنها سيقت لنفي الريب عن هذا الكتاب، ولأنه هدى للمتقين..."<sup>3</sup> وبالتالي فإن بين مقاصد السورتين مناسبة كما يرى ذلك البقاعي (ت885هـ).

هذه بعض أنواع المناسبات لا كلها، وهي كما يبدو بوضوح قائمة على بحث الصلة بين الآية والآية أو بين السورة والسورة في أبسط تجلياتها، هذه الصلة ترجع في الحقيقة إلى علاقة ما بين الآيات أو السور قد تختلف طبيعتها من موضع لآخر وقد حصرها الزركشي (ت794هـ) حين قال: " ومرجعها -والله اعلم- إلى معنى ما رابط بينهما: عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب

<sup>1</sup> بدر الدين الزركشي: المرجع السابق، ج 1، ص 39.

<sup>2</sup> حمد بن محمد بن قاسم مذكور: المرجع السابق، ص 50.

<sup>3</sup> برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ص 77.



## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين، ونحوه أو التلازم الخارجي كالمترتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر<sup>1</sup>.

إن المتأمل لهذا النص الذي تحدث فيه الزركشي (ت794هـ) عن العلاقات التي تبني عليها المناسبات يمكنه أن يستنتج بيسر أن معرفة المناسبات يقتضي أولاً الإلمام بنوعين من العلاقات (داخلية وخارجية)؛ فالعلاقات الداخلية "مائلة في المنطوق وقد تكون مفهومة مستنتجة كالعموم والخصوص والحسية والخيالية، قد تكون مادية ملموسة كالعلاقات اللغوية والأسلوبية"<sup>2</sup> أما العلاقات الخارجية فهي "مائلة في التلازم بين النص اللغوي والمناسبة التاريخية التي هي سبب وجود النص"<sup>3</sup> وتعبير أدق فإن العلاقات الداخلية تتجلى بين الآيات القرآنية بالنظر إلى بنائها اللغوية أساساً والأسلوبية والبيانية داخل البناء الكلي للنص القرآني، بينما تتجلى العلاقات الخارجية في إدراك المتلقي للسياق التاريخي للنص وإدراك أسباب النزول وغيرها.

وعليه يمكن القول في نهاية هذا البسط لبعض أنواع المناسبات التي اهتم بها المفسرون وعلماء القرآن: إن هذا المبحث اللطيف في كنهه جاء تعزيراً للمبدأ التوقيفي الذي على أساسه رتبت الآيات والسور، فما هو في الحقيقة سوى بحث واستجلاء للقيم الجمالية والإعجازية والأسلوبية لترتيب الآيات والسور، واستجلاء أيضاً للإعجاز الرباني في اجتماعها وفق هذا التناسق العجيب، على الرغم من اختلاف أزمنة التنزيل واختلاف الوقائع المرتبطة به. وعليه فإنه لا مناص لكل دارس يروم البحث في اهتمام المفسرين وعلماء القرآن بآليات تلاحم النص القرآني من الاهتمام بهذا المبحث اللطيف، وقد تفقد أية دراسة تروم بحث انسجام الخطاب القرآني قيمتها إذا لم تهتم بهذا المبحث "فقد أدرك الباحثون في علوم القرآن هذا الأمر، وبحثوا في آليات ومظاهر انسجام آيات السورة الواحدة من القرآن، واتسع الأمر عند بعضهم إلى البحث في انسجام سور القرآن"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> بدر الدين الزركشي: المرجع السابق، ج1، ص35.

<sup>2</sup> محمد عبد الباسط عيد: النص والخطاب قراء في علوم القرآن، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دط، 2016، ص36.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص37.

<sup>4</sup> سعيد تومي: "المستوى النصي في الخطاب القرآني مقارنة أسلوبية لسورة الملك" مجلة دراسات أدبية مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، ع15، أوت 2013، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ص126.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

ينبغي علينا في هذا السياق أن نشير إلى أن المناسبات التي يهتدي إليها المفسرون وعلماء القرآن ليست قرآنا يتبع، وإنما هي من صميم القراءة البشرية والاجتهاد الخالص الذي قد يصدق وقد يجانب الصواب، وقد سمي "نصر حامد أو زيد" مثل هذه المحاولات في استجلاء المناسبات "وجها من العلاقة بين عقل المفسر أو القارئ وبين معطيات النص"، فما يتجلى لمفسر من معطيات سياقية ونصية، قد يغيب عند مفسر آخر "إن العلاقات أو المناسبات بين أجزاء النص ليست في حقيقتها إلا وجها آخر للعلاقة بين عقل المفسر أو القارئ وبين معطيات النص. أو لنقل بعبارة أخرى إن المفسر يكتشف جدلية أجزاء النص من خلال جدله هو مع النص"<sup>1</sup>، وبالتالي فإن المناسبات تظهر لمفسر بصورة معينة، وتخفى على آخر، وتظهر من زاوية لآخر وتظهر من زاوية أخرى لغيره وهكذا.

### 2-1-2 -- السياق:

يعد السياق الوسيلة الثانية التي أدرجها الدارسون في تعدادهم للوسائل التي برهن بها المفسرون على انسجام النص القرآني، وذلك من خلال ربط النص القرآني بالملابسات الخارجية المحيطة به من جهة، والاهتمام بالعلاقات الداخلية التي تنطوي عليها البنيات اللغوية ضمن النسيج النصي، ولا يخفى علينا في هذا المقام الدور المهم الذي يلعبه السياق في توجيه دلالة النصوص، واستنباط الأحكام الشرعية.

لن نطيل الحديث في مفهوم السياق، وأنواعه والدراسات الحديثة التي تناولته، بقدر ما سنركز في هذا المقام على تجليات الاهتمام بالسياق عند المفسرين وكيف ساهم هذا الاهتمام في بلورة رؤية نصية متكاملة قائمة على وعي دقيق بالمكونات النصية، التي لا تكتفي فقط بالبنيات اللغوية وحدها معزولة، وإنما تبني فهمها للنص باعتباره شبكة من العلاقات اللغوية الداخلية، وشبكة أخرى من العلاقات الخارجية ينشئها النص مع محيطه الخارجي، وكيف ساهم هذا التصور في تقديم رؤية متكاملة وكلية للنص القرآني، وفي هذا الصدد سنقف عند مباحث أسباب النزول والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ باعتبارها تمثل السياق الخارجي للنص القرآني بما يحمله من مؤثرات اجتماعية

<sup>1</sup> نصر حامد أبو زيد: المرجع السابق، ص 161.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

وثقافية وجغرافية أيضا، كما سنقف عند مباحث الوجوه والنظائر باعتبارها تمثل السياق الداخلي النصي، وباعتبارها بحثا في العلاقات النصية ضمن النص القرآني.

### أ- أسباب النزول (السياق التاريخي):

يعد مبحث "أسباب النزول" بحثا في العلاقة بين النص القرآني وسياقه الذي نزل فيه، فمن خلال هذا المبحث يمكن للباحث أن يحدد الظروف والملابسات التي جاء النص القرآني مستجيبا لها فهو أكثر المباحث "اعتناء بالعلاقة التي تقوم بين النص القرآني وسياقاته التكوينية"<sup>1</sup>، وقد حدد الزركشي (ت 794هـ) فوائد هذا العلم حين قال: "وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته، لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك بل له فوائد: منها توجيه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها الوقوف على المعنى..."<sup>2</sup> وغيرها من الفوائد التي لا يتسع مجال ذكرها هنا، وهو في النهاية مبحث يقوم على استجلاء العلاقة بين النصوص القرآنية وبين الوقائع والأحداث، وهو "يزودنا من خلال الحقائق التي يطرحها علينا بمادة جديدة ترى النص استجابة للواقع تأييدا أو رفضا وتؤكد علاقة (الحوار) و(الجدل) بين النص والواقع"<sup>3</sup>.

أجمع الباحثون أن قسما كبيرا من القرآن نزل استنادا إلى أسباب ووقائع، حيث يقول السيوطي (ت 911هـ): "نزل القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداء، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال"<sup>4</sup>، وبالتالي فإن معرفة الأسباب والملابسات الحافة بتنزيل النص القرآني يعد عاملا مهما في تأويل وتفسير النص القرآني، وبالتالي فإن عمل المفسر في هذا المقام يقوم على محاولة الربط بين البنية اللغوية للنص القرآني ومدلولاتها، وبين السياقات التاريخية والثقافية والاجتماعية الحافة بالنص.

<sup>1</sup> محمد الحirsch: النص وآليات الفهم في علوم القرآن دراسة في ضوء التأويليات المعاصرة، ط1. بيروت: 2013، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص194.

<sup>2</sup> بدر الدين الزركشي: المرجع السابق، ج1، ص22.

<sup>3</sup> نصر حامد أبو زيد: المرجع السابق، 97.

<sup>4</sup> جلال الدين السيوطي: الإتيقان في علوم القرآن، ج1، ص82.

لم يقف علماء القرآن فقط عند هذا الحد من تحديد وظيفة أسباب النزول في فهم القرآن والأحكام والشرائع التي جاءت بها الآيات القرآنية، بل تعدى بهم الأمر إلى إضمار هذه الأسباب في صلب النص القرآني؛ فهي لا تمثل "طائفة من الوقائع والقرائن السياقية المستقلة بذاتها عن النص بل إنه يضمها ويحيل عليها في دواخله فهي غير منفكة عنه، لأنها مما يدخل في الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال (...). بل إن سبب النزول لا ينحصر دوماً في الإعانة على بيان المعنى وإزالة الإشكال، وإنما يصير أيضاً ما يراد بالآية في عدد من السياقات؛ إذ يغدو هو المعنى المراد بالآية"<sup>1</sup>، أي أن أسباب النزول قد تكون بارزة في صلب الآية؛ وبالتالي فلا يجب التركيز دوماً على العناصر الخارجية والحيثيات المحيطة بالنص فقط وإنما يجب أحياناً الاهتمام بما تحمله الحيثيات النصية، لأنها قد تحمل في طياتها الأسباب الموجبة للنزول، وعليه وجب أن تكون عملية التحليل والقراءة والتفسير عملية مزدوجة، تسير من خارج النص نحو داخله، وتنطلق من داخل النص إلى عالمه الخارجي، وتعبير آخر فإن "حركة تحليل النصوص يجب أن تسير في اتجاهين: الأول من خارج النص إلى داخله، أي من السياق الاجتماعي للنص إلى بنيته الداخلية، والثاني: من داخل النص إلى خارجه، فنرى السياق الاجتماعي من خلال بنية النص الداخلية وعلاقته بالأجزاء الأخرى من النص العام، فيمكن بهذا اكتشاف أسباب النزول من داخل النص، كما يمكن اكتشاف دلالة النص بمعرفة سياقه الخارجي"<sup>2</sup>؛ وبالتالي فإن أسباب النزول في باب علوم القرآن لا تختلف كثيراً عن معرفة سياق الحال في علم البلاغة، فهي "لا تمثل فقط إطاراً مرجعياً خارجياً، بل إن النص يضم في دواخله ذلك الإطار ويستدعيه لأنه لصيق به ومقترن بمناحي تشكله"<sup>3</sup>.

وبالتالي فإن جهد المفسر في البحث عن أسباب النزول ما هو في حقيقة الأمر سوى محاولة للربط بين البنيات اللغوية للنص وبين السياقات الخارجية، وكما هو معلوم الآن في الدراسات اللسانية المعاصرة فإن النص ليس فقط بنيات لغوية معزولة، وإنما يعتبر السياق مكوناً هاماً من مكونات النص وعنصراً فاعلاً في عملية الفهم

<sup>1</sup> محمد الحيرش: المرجع السابق، ص 198.

<sup>2</sup> خلود العموش: المرجع السابق، ص 88.

<sup>3</sup> محمد الحيرش: المرجع السابق، ص 197.

## الفصل الثالث: الانسجام النصّي في الدراسات العربية

والتأويل، وبالتالي فإن عمل المفسرين وعلماء القرآن في هذا الباب عمل بارز وسابق لكثير من النظريات اللسانية الحديثة التي ربطت بين النص وسياقاته المختلفة.

### ب- المكّي والمدني (السياق الجغرافي/ الفضائي):

إذا كان مبحث "أسباب النزول" يعنى بربط الآيات أو النصوص القرآنية بالأحداث الخارجية الداعية إلى نزولها، فإن المكّي والمدني مبحث أشمل من ذلك لأنه يعبر بصدق عن تفاعل النص مع المحيط والواقع الخارجي بكلّيته، ذلك أنه يعنى بفضاءات النزول والتدقيق فيها، وخصائص هذه الفضاءات التي تساهم بطبيعة الحال في فهم مضامين النصوص؛ فقد اتفق الدارسون على اختلاف النص القرآني بين المكانين شكلا ومضمونا، فإن التمييز بين المرحلتين في تصنيف النصوص القرآنية هو في الحقيقة تمييز " بين مرحلتين ساهمتا في تشكيل النص سواء على مستوى المضمون أم على مستوى التركيب والبناء وليس لذلك من دلالة سوى أن النص ثمره للتفاعل مع الواقع الحي التاريخي"<sup>1</sup>.

لم يهتم المفسرون وعلماء القرآن بمبحث "المكّي والمدني" بغرض تتبع مكان نزول القرآن وتصنيف الآيات والسور تبعا لذلك إلى مكّية ومدنية وغيرها، بقدر ما كان الاهتمام يسعى إلى أغراض أخرى دلالية، ذلك أن بين هذه الأمكنة اختلافات تجلت في النصوص القرآنية على مستويات مختلفة " فلم يكن اهتمام علماء القرآن بالتأطير الفضائي للنزول اهتماما بغاية التتبع الخارجي لحركة الوحي وانتقاله من مكان إلى آخر، وإنما كان بغاية الإمام بما يترتب على تلك الحركة من تطور داخلي لمضامينه ومعانيه"<sup>2</sup>، وعليه "يغدو المكان مكونا دلاليا، أو مكونا مشحونا بالدلالات السيميوطيقية التي تجعلهما مكونين للنصوص، ومكوّنين بها"<sup>3</sup>.

وإذا كان متفقا عليه الآن الاختلاف البين بين الآيات المكّية والمدنية على مستويات عدّة شكلية(الطول والقصر) ومضمونية (إثبات العقائد / الأحكام الشرعية)، فإن معايير التمييز بينها قد تعددت، ولئن تبدّى لنا من

<sup>1</sup> نصر حامد أبو زيد: المرجع السابق، ص 75.

<sup>2</sup> مجّد الحيرش: المرجع السابق، ص 204.

<sup>3</sup> مجّد عبد الباسط عيد: المرجع السابق، ص 88.

## الفصل الثالث: الانسجام النصّي في الدراسات العربية

الوهلة الأولى أن معيار الفصل معيار مكاني؛ إلا أنه في الحقيقة أعمق من ذلك، فهو فصل دلالي نابع من التوقع في قلب النص وتتبع حركته الدلالية المتنامية " فالتفرقة هنا وإن توصلت بمعيار خارجي هو معيار المكان، فإنها لا تقع خارج النص ولا تجري مفصولة عنه. إنها تقع في داخله وتجري منطبقاً على مضامينه؛ وهو ما جعل منها تفرقة دلالية تتيح للمفسر سبيل التعرف إلى هوية النص، والاقتراب من سيرورته التنزيلية"<sup>1</sup>.

وبالعودة إلى معايير الفصل بين المكّي والمدني من الآيات والسور، فإنه يمكننا أن نقف عند آراء متعددة إزاء هذه القضية، فمن الدارسين من يعتبر المكّي هو ما نزل بمكة وإن كان بعد الهجرة، والمدني هو ما نزل بالمدينة وإن نزل خارج المدينة وبعيدا عن مكة، أو قريبا من المدينة، ومنهم من يرى أن المكّي ما كان خطابا لأهل مكة والمدني ما كان خطابا لأهل المدينة وفي هذا السياق ميز الدارسون بين صيغ الخطاب القرآني المكّي والمدني بما يبدأ مثلا بقوله تعالى: " يا أيها الناس " فهو مكّي وما يبدأ بقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا " فهو مدني، ومن الدارسين من راعى البعد الزمني في التمييز بين المكّي والمدني؛ فما نزل قبل الهجرة فهو مكّي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني<sup>2</sup>، هذا ويرى كثير من الدارسين أن هذا المعيار هو الأنسب لتحديد المكّي من المدني لأنه تصنيف يستند إلى الواقع من جهة وإلى النص من جهة أخرى؛ " إلى الواقع لأن حركة النص ارتبطت بحركته، وإلى النص من حيث مضمونه وبناءه"<sup>3</sup>، وعليه فإن التفرقة بين النصوص القرآنية وإن توصلت معيار المكان بالأساس، إلا أنها اعتمدت في حقيقتها على معايير دلالية، ويعزز ذلك ما ذكرناه من التفرقة بين النص المكّي والمدني على أساس الخصائص الأسلوبية، أو الموضوعية وغيرها.

وعليه واستئناسا بما قدمناه سابقا يمكن القول إن عناية المفسرين وعلماء القرآن ببحث المكّي والمدني من الآيات والسور ليس هدفا في حد ذاته، وليس بهدف تصنيف هذه الآيات والسور في حقول مكّي وأخرى مدنية، وإنما كان تحديد هذين الفضاءين دعامة تفسيرية تهدف إلى تقديم قراءة وتفسير أعمق وأصوب للآية أو السورة، فهو

<sup>1</sup> مجّد الحيرش: المرجع السابق، ص 2015.

<sup>2</sup> ينظر: بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ج 1، ص 187، جلال الدين السيوطي: الإتيان في علوم القرآن: ج 1 ص 43 .

<sup>3</sup> خلود العموش، المرجع السابق، ص 92.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

مبحث يوظف الفضاء العام للمكونات النصية بل ويعطي صورة أوضح عن تكون النص وترتيب نزوله، " وهو ما يجعل أهمية مبحث المكى والمدني كامنة في تزويد المفسر بالقرائن التكوينية للوقوف على ذلكم الترابط وإدراك مظاهره المتنوعة في النص. إنه مبحث لا يقود فقط إلى التعرف إلى مضامين وتحقيقات دلالية معينة، بل يقود أيضا إلى إدراك الوشائج والعلاقات التي تنتظم هذه المضامين والتحقيقات وتجمع بينها؛ إذ ليست العلاقات التي تقوم بين المجلد والمبين أو بين المطلق والمقيد أو بين العام والخاص، إلخ سوى مظاهر وتحليلات نصية متنوعة لذلكم الترابط الدلالي على نحو ما صيغ استنادا إلى بناء فهم المتأخر من مكونات النص على المتقدم"<sup>1</sup>، وبهذا يغدو هذا المبحث من أكثر المباحث التي استعان بها المفسرون وعلماء القرآن في سبيل التأكيد على انسجام النص القرآني وانتظام معانيه وأبنيته، وتلاحم أجزائه.

### ت- الناسخ والمنسوخ (السياق الإنجازي):

قد مر بنا في المبحثين السابقين صورة واضحة عن ارتباط النص القرآني بالسياق الخارجي ممثلا في أسباب النزول والأحداث التاريخية المصاحبة لنزول النص القرآني، والمكي والمدني والفضاء الجغرافي والزمني الذي احتضن هذا النص، وقد تبدى لنا من خلال المعالجة أن هذين المبحثين أوسع من مجرد ملاحظات حافة بالنص، بل هي عناصر مساهمة في البنية التكوينية للنص القرآني، فهي تشير في كثير من الأحيان إلى عناصر داخل النص وبالتالي فهي عناصر تدخل في صلب البنية التكوينية له.

لا يختلف مبحث "الناسخ والمنسوخ" كثيرا عن المبحثين السابقين في كونه يعبر عن العلاقة الجدلية بين النص والسياق الخارجي (الواقع) بتعبير نصر حامد أبو زيد<sup>2</sup>، فهو ظاهرة تعبر عن " وجود علاقة قوية بين النص والواقع، وهي دالة أيضا على تفاعل هذا النص مع سياقه الثقافي والاجتماعي"<sup>3</sup>، وقد اختلف علماء القرآن في تحديد مفهوم النسخ " فشرحه بعضهم بأنه إزالة الحكم وإبقاء اللفظ، ويقصد بذلك إزالة حكم آية بحكم آية أخرى متلوّة أو بخبر

<sup>1</sup> مجّد الحيرش، المرجع السابق، ص 209.

<sup>2</sup> ينظر: نصر حامد أبو زيد: المرجع السابق، ص 117

<sup>3</sup> خلود العموش: المرجع السابق، ص 96.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

متواتر، ويبقى لفظ المنسوخة متلوًا، ويرى آخرون أنه إزالة الحكم واللفظ وتحل الآية الناسخة لها في الحكم والتلاوة، والمعنى الثالث من معاني النسخ مأخوذ من قول العرب: نسخت الريح الآثار إذا أزالها فلم يبق منها عوض<sup>1</sup>، وبعيدا عن الخوض في كل مسائل النسخ خاصة بالمفهومين الثاني والثالث، وسواء بقي النص المنسوخ في نص القرآن متلوًا دون حكمه، أم لم يبق متلوًا، فإنه ينبغي أن نقف عند إشارة ألمح إليها كثير من الدارسين وهي تتعلق بالجمع بين النسخ وعدم التناقض في النص القرآني، وهو ما يربطنا مباشرة بالدرس اللساني المعاصر في معالجته لمبادئ الانسجام النصي، حيث يأتي مبدأ عدم التناقض المعنوي أو اللفظي على رأس هذه المبادئ، وكذلك مبدأ التدرج، لأن النسخ إنما جاء في بعض جزئياته مراعيًا لمبدأ التدرج فضلا عن مبادئ أخرى كالتيسير وغيرها.

إن الإجابة على هذه الإشكالية هي بطبيعة الحال إجابة عن العلاقة بين النسخ وبين السياق الخارجي المؤطر للنص القرآني لأن النسخ هو في الحقيقة استجابة للواقع الخارجي وتفاعل المتلقين مع النص القرآني، وآلية لإغناء المنظومة التشريعية، وأداة تتوسل الآليات التداولية في سبيل إقرار التلاؤم وعدم التنافر بين الأحكام التشريعية. إنه " يكسب المنظومة التشريعية في القرآن كامل تآلفها وتجانسها، فهو من آلياتها الحيوية التي لا تفضي بالأحكام في علاقتها بعضها ببعض إلى أي شكل من أشكال التضارب أو التنافر. إنه ما به تنمو الأحكام وتعتني في اتساق مع المحيط التداولي للنص وتفاعل مع مقتضياته، وبهذا لا يمكن تصور نسخ وقع في حكم من الأحكام دون أن يكون مراعيًا لذلك المحيط ومستجيبًا لمقتضياته"<sup>2</sup>، وعليه يغدو مبحث النسخ والمنسوخ من بين التجليات الحقيقية للعلاقة بين النص القرآني والسياق، وهي العلاقة التي اجتهد في إبرازها والاهتمام بها جمهور المفسرين والمهتمين بعلوم القرآن، وإحدى التظاهرات الحقيقية لاجتهاد المفسرين في إظهار التلاؤم والتلاحم بين أجزاء النص بربط بنيته بالعوامل المحيطة به، والملازمات الموجبة له ولأحكامه.

<sup>1</sup> خلود العموش: المرجع السابق، ص 96.

<sup>2</sup> محمد الحيرش: المرجع السابق، ص 213.



ث - الوجوه والنظائر:

إذا كانت المباحث السياقية السابقة التي ذكرنا هي بحث في العلاقة بين النص القرآني وبين سياقه التاريخي أو المكاني أو الإنجازي فإن مبحث "الوجوه والنظائر" هو بحث في أشكال السياق اللغوي ضمن النسيج النصي للقرآن، أو هو المبحث الذي يعنى بالكشف عن "الوجوه أو المعاني المختلفة للفظ الواحد وهو المنوط به استكشاف الدلالات السياقية للدال المفرد"<sup>1</sup>، وفيه قال الزركشي (ت794هـ) : " الوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدّة معان كلفظ (الأمة) والنظائر كالألفاظ المتواطئة، وقيل: النظائر في اللفظ ، والوجوه في المعاني وقد ضَعَف (...) وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن"<sup>2</sup> وقد وافقه في ذلك السيوطي (ت 911هـ)، وهو كما نرى " وطيد الصلة بقضية المشترك اللفظي، بل هو مبحث المشترك نفسه"<sup>3</sup>، وعليه فإن هذا المبحث يعنى بمبحث معاني الدوال القرآنية تبعا لاختلاف السياقات اللغوية الواردة فيها، وقد عني به المفسرون وعلماء القرآن في وقت مبكر ، إذ ينبئ عن وعي تام بأهمية السياق اللغوي في توجيه دلالة الألفاظ وتحديد معانيها تبعا لاختلاف سياقات ورودها، فهو اعتداد بالمعنى السياقي الذي يلغي في أحيان كثيرة المعنى المعجمي، ومن الأمثلة التي يمكن أن نسوقها في هذا الإطار معنى دال (الهدى) "الذي ورد في سبعة عشر سياقاً وهو في كل سياق يحمل معنى يختلف عن غيره"<sup>4</sup>، فورد بمعنى: البيان كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5]، وبمعنى الدين ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة: 120] ، وبمعنى الإيمان ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: 76]<sup>5</sup>.

وما قيل عن دور القرائن السياقية المقالية، في تحديد دلالة الكلمات يقال أيضا عن دوره في تحديد دلالة التراكيب، وذلك من خلال ربط التركيب أو الآية بالتراكيب أو الآيات التي تسبقها أو تلحقها، ويتضح فعالية هذا الإجراء أكثر في تفسير الآيات التي اتفقت موضوعاتها واختلفت ألفاظها ، " لقد كانت الآيات التي اتحدت

<sup>1</sup> محمد عبد الباسط عيد: المرجع السابق، ص 97.

<sup>2</sup> بدر الدين الزركشي: المرجع السابق، ج 1، ص 102.

<sup>3</sup> مسعود بودوخة: السياق والدلالة، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2012، ص 136.

<sup>4</sup> محمد عبد الباسط عيد: المرجع السابق، ص 98.

<sup>5</sup> بدر الدين الزركشي: المرجع السابق، ج 1، ص 103.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

موضوعا واختلفت ألفاظا هي الآيات التي توقف القدماء إزاءها وهي التي وجهت الأذهان إلى العلاقات السياقية والموضوعية التي أوجبت الاختلاف وحددت الفروق<sup>1</sup>، وهو ما نلاحظه بارزا في القصص القرآني خاصة.

وعليه ومن خلال هذا البسط الذي قدمناه حول عناية المفسرين وعلماء القرآن بالسياق، يتضح لنا بشكل واضح العناية الكبرى التي أولاهها هؤلاء الدارسون للسياق باعتبار دوره الكبير في تحديد دلالة النص، واستنباط الأحكام، وهو ما يفرضي بدون شك إلى الحكم بأن هؤلاء الدارسين كانوا على وعي تام بأن السياق يشكل مكونا هاما من مكونات النص كما تنصّ عليه النظرة الحديثة له، وبهذا يتأكد مرة أخرى " أن السياق كان له حضور قوي على أكثر من مستوى من مستويات النظر في القرآن، صحيح أن هذا النظر لم يستطع أن يبلور نظرية سياقية متكاملة، وهذا ما لا جدال فيه، ولكن ما لا جدال فيه أيضا هو أن الدرس القديم عامة، وما قدمه علماء القرآن خاصة قد تماشى مع كثير من المقولات التي جاءت بها نظرية السياق المعاصرة، بل إننا نجد أن بعض ما جاء به هذا الدرس - وهو غير قليل - قادر على الإضافة إلى هذه النظرية"<sup>2</sup>

### 2-1-3- العلاقات الدلالية:

تعد العلاقات الدلالية رافدا مهما وآلية أكثر أهمية في البرهنة على انسجام النصوص أيا كان نوعها، ذلك أنها تحقق الصلة على المستوى العميق للنصوص بما يضمن طابع الاستمرارية فيها، فالعلاقات الدلالية في المستوى العميق للنص عامل مساهم في انسجام للنص/ الخطاب، ذلك أنها المعيار الذي يضمن الاستمرارية الدلالية على مستوى البنية النصية، والمقصود بالاستمرارية الدلالية في هذا المقام ذلك التتابع الذي " يتجلى في منظومة المفاهيم (Concepts) والعلاقات التي (Relations) بين هذه المفاهيم"<sup>3</sup> ومعيار الانسجام بلا شك يتطلب من الدارس إيجاد شبكة العلاقات التي يقيمها النص على المستوى العميق، فضلا عن إيجاد العلاقات الشكلية على المستوى السطحي الظاهري له؛ " فإن تحديد العلاقة بين المفاهيم والموضوعات ودينامية التفاعل

<sup>1</sup> محمد عبد الباسط عيد: المرجع السابق، ص 102.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 105.

<sup>3</sup> جميل عبد الحميد: المرجع السابق، ص 141.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

مطلب يستدعيه معيار الانسجام، بل يلح عليه، وبخاصة أن لكل نص نمطا معيناً من الترتيب والتنظيم، فله نقطة بداية ونقطة نهاية، وبينها مراحل من النمو والتفاعل القائم على التدرج والتنامي، وتوالد الآخر من السابق وامتداده له وتحيته للاحق<sup>1</sup>.

لقد أدرك المفسرون وعلماء القرآن أهمية تحديد العلاقات الدلالية في النص القرآني من أجل تقديم فهم أعمق للنص من جهة، ومن أجل إبراز التلاحم بين أجزاء النص من خلال التركيز على البناء العميق له، وشبكة العلاقات وآليات الاتصال التي يجريها النص القرآني بين عناصره من جهة أخرى، وفي هذا الصدد سنقف عند بعض العلاقات التي اهتم بها المفسرون وعلماء القرآن في تعاملهم مع هذا النص، وهي في الحقيقة جانب من جوانب الإدراك القبلي والمبكر لتلاحم النص القرآني وترابط أجزائه، على أننا نشير في هذا السياق إلى أن أكثر هذه العلاقات قد طرحت في ضمن تصنيفين كبيرين " أولهما التصنيف البديعي الذي هيمن على دارسي الشعر، وثانيهما التصنيف ضمن علم المناسبة الذي انتعش مع العلوم التي حملت على عاتقها البحث في أسرار الإعجاز البياني للقرآن الكريم"<sup>2</sup>، وقد أطلق عليها بعض الدارسون: آليات الاستمرار والآليات المنطقية، فالأولى هي العلاقات ذات الامتداد البديعي فهي تضمن استمرار المعلومات، وأما الثانية فهي تتعلق بكيفية اشتغال الذهن الإنساني أثناء فهم نص معين ولحم أجزائه. وفيما يلي بعض العلاقات الدلالية التي اهتم بها المفسرون من النوعين (آليات الاستمرار، والآليات المنطقية) واهتموا بها في سبيل إبراز انسجام الخطاب/ النص القرآني.

### 1-3-1-2 - العلاقات الدالة على الاستمرارية في النص:

#### أ - الإجمال والتفصيل:

تعد علاقة الإجمال والتفصيل من أكثر العلاقات الدلالية التي اهتم بها المفسرون في مقاربتهم للنص القرآني، ويبدو أن مصطلح الجمل يعود إلى الدراسات الفقهية خصوصا أصول الفقه، أما عن فحوى هذه العلاقة

<sup>1</sup> فخرية غريب قادر: المرجع السابق، ص 23-24.

<sup>2</sup> رشيد بركان: المرجع السابق، ص 161.

### الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

الدلالية فهو " أن يأتي في الكلام شيء مجمل ثم يرد تفصيله لمزيد تقرير المعنى في النفس"<sup>1</sup>، أو هو "إيراد المعنى على سبيل الإجمال ثم تفصيله أو تفسيره أو تخصيصه"<sup>2</sup>، وبالتالي فإن المجمل هو كل ما خفيت دلالاته من لفظ أو تركيب، إلا بعد تفصيل يأتي بعده، أو قرائن تعين على كشف غموضه، وتعد هذه العلاقة "الملصح الأساسي principal feature للخطاب التفسيري expository discourse"<sup>3</sup>، ومن أمثلة هذه العلاقة عند المفسرين ما أورده "مُحَمَّدُ خَطَّابِي" في تفسير الرازي (ت606هـ) لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30]، حيث يقول: "اعلم أن الملائكة لما سألوها عن وجه الحكمة في خلق آدم وإسكانه تعالى إياهم في الأرض وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الإجمال بقوله تعالى (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) أراد تعالى أن يزيدهم بيانا وأن يفصل لهم ذلك المجمل، فبين تعالى لهم من فضل آدم عليه السلام ما لم يكن من ذلك معلوما لهم، وذلك بأن علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم، فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي"<sup>4</sup>، تنزل الآيات التي جاءت بعد الآية السابقة (30) بمنزلة المفصل لما جاء مجملا فيها من قوله تعال (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)؛ فالذي يخفيه عنهم أنه تعالى علم آدم الأسماء كلها وغيرها من الفضائل المتصلة به، فكانت العلاقة واضحة بين المجمل الوارد في الآية (30) من سورة البقرة، وما بعدها من الآيات التي جاءت مفصلة لما سبق، وأمثلة هذه العلاقة كثيرة في القرآن الكريم اجتهد المفسرون في استخراجها وبيانها وتكفي العودة إلى مصنفاتهم للوقوف على هذا الأمر.

ويمكن أن تؤدّى هذه العلاقة عن طريق مجموعة من المحسنات البديعية على غرار (الإبهام والتفسير)

وأیضا (اللف والنشر)؛ فأما الإبهام والتفسير ففيه يتم "طرح الشيء مبهما ليستفز المتلقي ويدفعه للاستفهام، ثم بعد

<sup>1</sup> رشيد بركان، المرجع السابق، ص202.

<sup>2</sup> جميل عبد المجيد: المرجع السابق، 146.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 146.

<sup>4</sup> أبو عبد الله مُحَمَّدُ بن عمر بن الحسن الرازي: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1990، ج2، ص396.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

ذلك يتم تفسير هذا الإبهام<sup>1</sup>، ولا يكون هذا الأسلوب في كلام إلا كان لغرض التعظيم والمبالغة في ذلك " اعلم أن هذا الضرب لا يعتمد إلى استعماله إلا لضرب من المبالغة، فإذا جيء به في كلام فإنما يفعل ذلك لتفخيم أمر مبهم وإعظامه لأنه هو الذي يطرق السمع أولاً فيذهب بالسامع كل مذهب"<sup>2</sup>، وفي الآيات السابقة شيء من هذا "فقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31] " شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الإجمالي تحقيقاً لمضمونه وتفسيراً لإبهامه"<sup>3</sup>، وأما اللف والنشر أو الطي والنشر فهو " ذكر شيء متعدد ثم تذكر عناصره واحداً واحداً"<sup>4</sup>، والملاحظ من خلال هذه المصطلحات السابقة التي تدور في فلك واحد هو "المجمل والمفصل" أنها ليست علاقات وآليات مساعدة على استنباط الأحكام الشرعية، وإنما هي آليات مساعدة للبرهنة على تلاحم النص القرآني حيث سعى من خلالها المفسرون إلى الكشف عن " البعد الترابطي للعلاقة بين المجمل والمفصل أو بين المبهم وتوضيحه، هذا البعد الذي يمتد إلى الجملة المجاورة لينسج معها علاقة تلاحم تجعل العنصر (لفظاً أو جملة) غير مفهوم ما لم يعرض بجمل أخرى"<sup>5</sup>.

### ب- البيان والتفسير:

وهي علاقة دلالية يكثر ورودها في القرآن الكريم وهي " علاقة تخص الآيات فيما بينها، في غير ما حاجة إلى رابط شكلي، مما يعني أن هناك ارتباطاً معنوياً بيانياً خفياً بين اللاحق المبيّن والسابق المبيّن، وبالتالي يعتبر اللاحق دائماً رافعا للإبهام أو الالتباس الذي يلحق السابق، كما قد يكون تفسيراً له"<sup>6</sup>، وعليه يفترض في البيان " وجود مستور أو شيء به نوع من الغموض أو اللبس من جانب ما ويأتي البيان ليكشف عنه ويجعله واضحاً وظاهراً

<sup>1</sup> رشيد بركان: المرجع السابق، ص 206.

<sup>2</sup> أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، مصر، ط2، دت، ص196.

<sup>3</sup> مُجَدِّد بن مُجَدِّد بن مصطفى أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، لبنان، دت، ص1 ج1 ص83.

<sup>4</sup> رشيد بركان: المرجع السابق، ص 210.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 212.

<sup>6</sup> سعيد تومي: المرجع السابق، ص143.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

في ذهن المتلقي<sup>1</sup> وتتداخل هذه العلاقة كثيرا مع مصطلحات أخرى كالإظهار والإفهام، والإيضاح، وعلاقة البيان والتفسير قد تكون بين المفردات كما قد تكون بين الجمل، وقد تكون موجودة في آية واحدة كما قد تكون بين آيات متعددة، وهي في الأصل قائمة على افتراض وجود استفهام مقدر في الجزء الأول المطلوب بيانه وتفسيره، ليأتي الجزء الثاني المبين والمفسر كجواب للاستفهام المقدر.

### ت - التأكيد:

تشير هذه العلاقة إلى "استمرار المعلومات السابقة دون ذكر الألفاظ نفسها مما يلفت الانتباه إلى هذه المعلومات ويجعلها تحتل موقعا مهما في ذهن المتلقي"<sup>2</sup>، والتأكيد قسمان: عام "وهو ما يتعلق بالمعاني الإعرابية وينقسم إلى لفظي ومعنوي" وخاص ويتعلق "بعلوم البيان ويقال له (التكرير) أيضا، وليس يخفى موقعه البليغ ولا علو مكانه الرفيع (...). وقد يكون تأكيدا في اللفظ والمعنى وقد يتعلق بالمعنى دون اللفظ"<sup>3</sup> وعليه فليس المقصود في هذا الموضوع النوع الأول لأنه باب نحوي خالص، وإنما الذي يعيننا أكثر هو الزاوية الثانية البلاغية، والذي يكون على شقين لفظي ومعنوي كما في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 13] فهو "تكرير من جهة اللفظ والمعنى ووجه ذلك أن الله تعالى إنما أوردتها في خطاب الثقيلين الجن والإنس فكل نعمة يذكرها أو ما يؤول إلى النعمة فإنه يردفها بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 13] تقريراً للآلاء وإعظاماً لحالها"<sup>4</sup>، وأما التكرير التكرير المعنوي فمثله قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104] "فقوله (يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ) عام في كل شيء، وإنما كرر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جهة التأكيد والمبالغة"<sup>5</sup>.

### ث - الاستقصاء:

<sup>1</sup> رشيد بركان : المرجع السابق، ص 183.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 190.

<sup>3</sup> بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، دار المنارة، السعودية، ط3، 1988، دار الرفاعي، ص34.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص34.

<sup>5</sup> دوي طبانة: المرجع السابق، ص 35.

أدرج الدارسون تحت هذه العلاقة كل العمليات التي يلجأ إليها القائل من أجل توضيح مفهوم أو الإبانة عن المعنى المكنون أو المرتبط بعبارة سابقة، والاستقصاء في الأصل هو " أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه، ويأتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده مقالا يقوله"<sup>1</sup>، وهو في باب الشعر: " أن يتناول الشاعر معنى فيستقصيه إلى أن لا يترك فيه شيئا"<sup>2</sup>، والملاحظ أن هذا المفهوم يتقاطع نوعا ما مع مفاهيم مصطلحات بلاغية أخرى: كالإطناب، والتكميل والاحتراس والاعتراض، والجامع الذي يجمع بينها هو " استمرار المفهوم نفسه وتكميله بشكل من الأشكال"<sup>3</sup>، وهو ما حدا ببعض الدارسين إلى جمع كل هذه الآليات البلاغية ضمن علاقة دلالية واحدة وهي الاستقصاء باعتبار المصطلح أكثر تعبيراً عن الاستمرارية.

### ج- الاستطراد:

يعني الاستطراد في فنون البلاغة "أن يكون الشاعر في غرض من أغراض الشعر، يوهم أنه مستمر فيه، ثم يخرج منه إلى غيره لمناسبة بينهما، ولا بد من التصريح باسم المستطرد به، بشرط ألا يكون قد تقدم له ذكر، ثم يرجع إلى الأول ويقطع الكلام فلا يكون المستطرد به آخر الكلام"<sup>4</sup> ولم يشر ابن أبي الأصبغ المصري (ت654) إلى العودة إلى الكلام الأول حين عرفه فقال: " هو أن يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الإخبار أو غير ذلك إلى معنى آخر يتضمن مدحا أو قدحا أو وصفا أو غير ذلك"<sup>5</sup>، ومن الأمثلة التي ذكرها المفسرون عن دور الاستطراد في الاستمرارية الدلالية على المستوى العميق للنص القرآني ما أورده في الاستطراد الموجود في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 189]، فالهدف من الاستطراد في هذا

<sup>1</sup> بدوي طبانة: المرجع السابق، ص 545.

<sup>2</sup> ابن أبي الأصبغ المصري: المرجع السابق: ص 540.

<sup>3</sup> رشيد بركان: المرجع السابق، ص 213.

<sup>4</sup> بدوي طبانة: المرجع السابق، ص 372.

<sup>5</sup> ابن أبي الأصبغ المصري: المرجع السابق، ص 138.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

المقام هو " استغلال الحديث عن الحج لإظهار بعض السلوكات المنافية له وليس أحسن من استثمار خاصية الاستطراد لخلق تناسب بين السابق واللاحق"<sup>1</sup> فالاستطراد هنا وسيلة من وسائل ضمان الاستمرارية في النص.

هذه بعض العلاقات الدلالية التي تحقق طابع الاستمرارية في النص وهي كثيرة ذكرنا بعضها ولا يتسع المقام لذكرها كلها وقد فصل فيها بعض الدارسين<sup>2</sup> بشيء من الإسهاب، إلا أننا نسجل في ختام عرضنا لهذا النوع من العلاقات الدالة على الاستمرارية في النص، أنها مستندة تمام الاستناد إلى الدرس البلاغي العربي القديم بما يقدمه من مفاهيم ومصطلحات وخاصة ما تعلق منها بعلم البديع حيث تقدم فنونه أرضية خصبة لاستثمارها في هذا الباب بما تضمنه من فعالية في ضمان التلاحم الدلالي على المستوى العميق للنصوص.

### 2-3-1-2- العلاقات المنطقية:

تعد العلاقات المنطقية النوع الثاني من العلاقات الدلالية التي اهتم بها المفسرون وعلماء القرآن في سبيل إثبات التلاحم المفهومي ضمن النص القرآني، وإذا كانت العلاقات الدالة على الاستمرارية في النص يمكن تحديد مرجعها بيسر وسهولة، ذلك أنها ارتكزت في كثير من جزئياتها على المنجز البلاغي العربي، وخاصة ما تعلق بالدرس البديعي ومصطلحاته التي تسهم في تلاحم النصوص وانسجامها على المستوى البلاغي، فإن هذا النوع من العلاقات الدلالية يرتكز كثيرا على الجوانب المعرفية، ويوظف كثيرا من الآليات العقلية التي يمتلكها قارئ النص، فهي آليات ذهنية تتعلق بكيفية اشتغال الذهن الإنساني أثناء فهم نص معين ولحم أجزائه<sup>3</sup>، ويمكن أن نحصر أهم العلاقات المنطقية التي استدل بها المفسرون على انسجام الخطاب/ النص القرآني فيما يلي:

#### أ- التعليل:

<sup>1</sup> رشيد برقان: المرجع السابق، ص 221.

<sup>2</sup> ينظر على سبيل المثال: رشيد برقان المرجع السابق، ص 162، محمد خطابي: المرجع السابق، ص 187.

<sup>3</sup> ينظر: رشيد برقان: المرجع السابق، ص 162.



## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

تعتبر علاقة التعليل من العلاقات التي تتجاوزها ثلاثة مجالات على الأقل في الثقافة العربية الإسلامية وهي :

المجال الفلسفي والنحوي والبلاغي ، وقد تسربت معاني هذه المجالات بأشكال وأحجام مختلفة أيضا إلى التفسير<sup>1</sup> ، وتعني هذه العلاقة في عرف المناطقة " انتقال الذهن من المؤثر إلى الأثر كانتقال الذهن من النار إلى الدخان"<sup>2</sup> أو بتعبير آخر " إظهار عليّة الشيء سواء كانت تامة أو ناقصة، والصواب أن التعليل: هو تقرير المؤثر لإثبات الأثر"<sup>3</sup> ، وقد كانت هذه العلاقة المنطقية حاضرة وبكثرة عند المفسرين الذين اعتمدوا عليها لربط أجزاء النص القرآني وإظهار العلاقات الضمنية التي ينسجها هذا النص على المستوى العميق منه، ومثال هذه العلاقة ما نجده في تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ [المجادلة: 2] فقد فصل القول في تعبير العرب وتصريحهم للفظ الظهار، وأشار إلى أن ادعاءهم في تعبيرهم عن الأمر بقولهم "أنت عليّ كظهر أمي، أو أنت مّي مثل ظهر أمي.. وما إلى ذلك من صيغ العرب المتعارف عليها في هذا السياق، كل هذه التعبيرات لا تحقق صفة الأمومة في الزوجة، إذ هي صفة لا تتحقق بالقول، لذلك عقب بقوله: (إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ) ، وبالتالي فإن العبارة الأخيرة تعليل للجملة السابقة، وفي هذا يقول ابن عاشور: " وجملة (إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ) إلخ واقعة موقع التعليل لجملة (مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ)، وهو تعليل للمقصود من هذا الكلام . أعني إبطال التحريم بلفظ الظهار إذ كونهن غير أمهاتهن ضروري لا يحتاج إلى التعليل"<sup>4</sup> أي أن تلفظهم بهذا القول لا يعني تحريم الأزواج عليهم، لأن قولهم هذا لا يمكن أن يغير الحقائق فيجعل الزوجة بمنزلة الأمهات المحرمة عليهم.

وأمثلة التعليل كثيرة عند المفسرين منها ما هو ظاهر لأنه قائم على استعمال أداة التعليل (الفاء الباء..) ومنها ما يدرك من سياق الآية، وهي في مجملها تعبر عن استثمار المفسرين وعلماء القرآن للتعليل بأشكاله " بوصفه علاقة تتركز على انتقال الذهن من عنصر مؤثر إلى عنصر متأثر أو بالعكس، في عملية الربط بين الجمل لكي

<sup>1</sup> رشيد بركان: المرجع السابق، ص 222.

<sup>2</sup> الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، 2004، ص 61.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 55.

<sup>4</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 28، 13.

## الفصل الثالث: الانسجام النصّي في الدراسات العربية

يتأتى لهم توضيح معنى الآيات وتأکید كيفية اشتغال الذهن أثناء عملية الفهم، بحيث يمكننا القول إن هذه العملية ترتكز على إبراز آليات التلاحم باعتبارها عمليات أساسية لفتح مغالق النص الكرم وتيسير تلقي معناه<sup>1</sup>.

### ب- الترتيب:

يتجاذب الترتيب حقول معرفية وتخصصات لغوية وغير لغوية عديدة، فهو من الناحية البلاغية يعني "حسن النظام" عند ابن وهب (ت 337)، وهو أحد مفاهيم البلاغة عنده، وهو عند عبد القاهر الجرجاني (ت 471) أحد أعمدة صناعة التأليف إضافة إلى النظم وحسن الصياغة والتصوير<sup>2</sup>، وهو في الدراسة النصية أحد معايير تحقيق النصية، وأكثر المعايير تعبيرا عن البنية العقلية لمنتج ومستقبل النص "والترتيب -لا جرم- يعد مظهرا من أجلى مظاهر البنية العقلية لمنتج النص إذ لا شك في أن هذا المبدع يخلق النص في ذهنه أولا ويرتب أفكاره قبل أن يصبح ذلك النص خطابا متعينا في مدونة من حبر وورق"<sup>3</sup>، فمبدأ الترتيب له علاقة وطيدة بالمبادئ العامة للنص، والشروط المحققة للنصية التي حددها دي بوجراندي (R. de beaugrande) فهو على صلة بمبدأ القصدية من خلال قصد المبدع ترتيب أفكاره وخواتمه قبل أن يرتب في نظام أجزاء نصه، ويتصل بمعيار المقبولية من خلال صلته بالمتلقي الذي يتقبل النصوص وهي مرتبة ونفس الأمر يقال بالنسبة للمعايير الأخرى<sup>4</sup>.

ميّز الدارسون بين أنواع متعددة من الترتيب في النص القرآني مثل الترتيب النصّي، والترتيب الوجودي، والترتيب الوقوعي، وعملية تتبعها في النص القرآني هي في الحقيقة وسيلة لإبراز انسجام النص عبر إبراز كيفية تمثّل الإنسان للعالم وطرق إدراكه له<sup>5</sup>؛ فالترتيب النصّي يعني نظام المعلومات في النصّ وطرق نظم الكلمات لتأدية غرض معين، ويمكن أن ندرس في هذا النوع ترتيب الكلمات ضمن الآيات والآيات ضمن السور والسور ضمن القرآن ككل وإبراز جماليات هذا الترتيب كما فعل علماءنا مع مباحث المناسبة، أما الترتيب الوجودي فيقوم على ضرورة

<sup>1</sup> رشيد بركان: المرجع السابق، ص 232.

<sup>2</sup> صلاح عبادة: جماليات الترتيب في النص القرآني، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2015، ص 17 وما بعدها.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 39.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 41.

<sup>5</sup> رشيد بركان: المرجع السابق، ص 245.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

كون ترتيب أجزاء النص موافقة لترتيب الوجود أو العالم الخارجي ، وأما الترتيب الوقوعي فإنه يقوم على توالي الأحداث وفقا لخط الزمن بحيث يكون الأول في النص هو الأول زمنياً<sup>1</sup>، والأمثلة كثيرة في هذه الأنواع من الترتيب، وتكفي عودة بسيطة إلى معالجة المفسرين للقصص القرآني لكي نكتشف عنايتهم بالترتيب بأنواعه في النص القرآني.

### ت- الاستتباع:

وهو من العلاقات المنطقية وهو أقرب إلى علاقة التداعي "التي تتكون في الذهن بين مجموعة من المفاهيم بحيث تترايط فيما بينها وتتواشج"<sup>2</sup>، وهو عند البلاغيين "من المحسنات المعنوية، وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر"<sup>3</sup>، ولا يختلف كثيرا الاستتباع عند المفسرين عن المعاني السابقة ، إذ وظفوه في حديثهم عن الترابط الحاصل بين المفاهيم القريبة من التلازم، غير أنه ترابط لا يحصل عن طريق التلازم حقيقة وإنما يتحكم فيه نوع من التداعي بين العناصر المكونة للجمل.

هذه بعض العلاقات الدلالية المنطقية التي اهتم بها المفسرون وغيرها كثير نذكر منها: "الشرط والجواب، السبب والنتيجة، المسبب و الأثر، الوسيلة والنتيجة.... وغيرها من العلاقات التي لا يتسع مجال ذكرها في هذا المقام، إلا أن ما يلفت انتباهنا في ختام حديثنا عن دور العلاقات الدلالية في انسجام النص هو أن المفسرين كان لهم إدراك مسبق لدور الجانب الدلالي في تحقيق انسجام النص القرآني، كما أن الدرس البديعي يعد الركيزة الأساسية التي بنى عليها المفسرون تصورهم للعلاقات الدلالية ودورها في تحقيق التماسك المطلوب بين أجزاء النص.

<sup>1</sup> ينظر: رشيد بركان: المرجع السابق، ص234 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 248.

<sup>3</sup> بدوي طبانة: المرجع السابق، ص108.

2-2- الانسجام النصّي عند ابن عاشور<sup>1</sup>:

إنّ القراءة المتأنّية لتفسير 'التحرير والتّوير' تمكّنا من استجلاء القواعد الأساسية والمبادئ العامة التي اعتمدها المفسر في إثبات تلاحم النص القرآني وتماسك أجزائه، حيث يمكننا استخلاص كثير من المفاهيم التي يمكن الاطمئنان إليها في الممارسة النصية الحديثة، وذلك حين نتبع حديث 'ابن عاشور' عن المناسبة النصية بين الآيات، وأسرار ترتيبها وتجاورها بعضها مع بعض، أو من خلال حديثه عن موقع السور وعلاقتها بالسور المجاورة لها، وعلاقة كلّ ذلك بالسياق العام المتمثّل في أسباب النزول، والمكي والمدني، وحديثه عن أغراض السور وموضوعاتها الصغرى والكبرى، والعلاقات الدلالية الجامعة بين هذه الموضوعات وغيرها في صلب السورة الواحدة.

تشكل هذه العناصر الإطار النظري الذي مارس في صلبه 'ابن عاشور' مهمة البحث عن التلاحم المطلوب في النصّ القرآني، وعليه فهي مبادئ تمثّل "الإطار النظري الذي يفترضه هذا البحث لمفهوم الانسجام عند 'ابن عاشور'، وعليه تقوم تلك الإجراءات التي كان يسلكها في تحديد موقع الآية، أو مجموع الآيات في سورة من السور، وذلك في تتبّعه للتقدم الخطّي للنصّ، وتعليقه للانتقالات الموهمة لانقطاع السياق، كما تقدّم هذه المبادئ حدود البحث عن المناسبة ومدى الحاجة للاستنجد بأسباب النزول في فهم سياق النصّ وإدراك علاقات انسجامه، وفيها يظهر الوعي بالقواعد العامة لترتيب الخطاب وأسلوب بناء المحاورات والوصف والاحتجاج وغيرها"<sup>2</sup> وعليه تشكّل المبادئ -التي سيأتي ذكرها- الإطار العام الذي عاج فيه المفسر ظاهرة الانسجام في النصّ القرآني، والدائرة المعرفية التي صاغ فيها مفهومه وآلياته، وهي كما سنرى تتوسل بآليات ومبادئ تراثية لغوية، ولكنها استطاعت مقارعة ومطابقة كثير من المبادئ والآليات التي صيغت في إطار النظرية النصية الحديثة على غرار السياق والمناسبة والبنيات الدلالية في السورة، وفيما يلي إجمال لبعض هذه الآليات:

<sup>1</sup> فضلنا الحديث عن الانسجام النصّي عند ابن عاشور في هذا الموضوع لأن جهد ابن عاشور يمكن أن يصنف ضمن جهود المفسرين وعلماء القرآن، وقد افردناه بالبحث والتفصيل لأنه يمثل مدونة بحثنا.

<sup>2</sup> عبد الوهاب يحيي المؤيد: انسجام النصّ القرآني - دراسة نصيّة من خلال تفسير ابن عاشور التونسي، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية،

أ- المناسبة في ترتيب الآيات والسور.

أولى 'ابن عاشور' عناية قصوى للمناسبة النصية في تفسيره، ووقف عند معظم الآيات مبينا موقعها من الآيات التي تسبقها أو تليها، وخاصة في المواضع التي قد يغيب فيها الرابط الشكلي المبين لطبيعة العلاقة، فنراه يذهب في إبراز وجه العلاقة مذاهب شتى، ويقدم احتمالات متعدّدة إلى أن يبلغ بك الوجه المناسب لموقع الآية، وفي هذا المبحث من الدقة الشيء الكثير، وقد عبّر 'ابن عاشور' عن هذا المنزع والمنهج في مقدمة تفسيره إذ يقول: "وقد اهتمت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز و نكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتمت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عُني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى 'نظم الدرر في تناسب الآي والسور' إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطّلع"<sup>1</sup>.

ينبغي أن نشير في هذا المقام إلى أنّ 'ابن عاشور' يرى - كما يرى علماء الأمة - أن موضع الآيات في القرآن الكريم كما هي عليه مرتبة في المصحف الشريف هي بتوقيف من النبي (ﷺ)، وبالتالي فإنّ الترتيب أمر توقيفي لا دخل للجهد البشري فيه، فلم يُعمل فيه جامعو القرآن ومدونوه رأيهم حيث يقول: "وأما ترتيب الآي بعضها عقب بعض فهو بتوقيف من النبي (ﷺ) حسب نزول الوحي"<sup>2</sup>. وعليه فقد عدّ 'ابن عاشور' ترتيب الآيات وفق الصورة التي نعرفها وجها من وجوه الإعجاز في النصّ القرآني كما وضّح ذلك في المقدمة العاشرة من مقدمات تفسيره الخاصة بـ "إعجاز القرآن" حين يعزو الإعجاز إلى جهات أربع<sup>3</sup>.

**الجهة الأولى:** بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مفيدة معاني دقيقة ونكتا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيد أصل وضع اللغة .

<sup>1</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص8

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ج2، ص79

<sup>3</sup> ينظر : ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص104.

الجهة الثانية: ما أبدعه القرآن الكريم من أفانين التصريف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة.

الجهة الثالثة: ما أودع فيه من المعاني الحكيمة، والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصور بعده متفاوتة.

الجهة الرابعة: ما انطوى عليه من الإخبار عن المغيبات مما دلّ عليه أنه منزل من علام الغيوب... وما أنبأ به من أخبار القرون السالفة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلاّ الفذ من أخبار أهل الكتاب.

فيقع إعجاز ترتيبه في الجهة الثانية الخاصة بما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة، فقد تفتّن القرآن الكريم في نظم أساليبه وتبليغ مقاصده على غير عادة بلغاء وشعراء وخطباء العرب، ومن أشكال ذلك ما سمّاه 'ابن عاشور' بالتفنن وهو "بداعة تنقلته من فن إلى فن بطرائق الاعتراض والتنظير والتذييل والإتيان بالمترادفات عند التكرير تجنباً لتكرير الكلم، وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات المعدود من أكثر أساليب التفنن عند بلغاء العربية فهو في القرآن الكريم كثير، ثم الرجوع إلى المقصود فيكون السامعون في نشاط متجدد بسماعه وإقبالهم عليه"<sup>1</sup>. وإن هذا التفنن والتنقل من موضوع إلى موضوع ومن فن إلى فن وإن توسل ببعض الأساليب البلاغية المعروفة كالتذييل، والالتفات والاعتراض والاستئناف، إلا أنه لا يخلو من مناسبة ونكتة من المتنقل منه إلى المتنقل إليه بتعبير - ابن عاشور-، وبالتالي تعدّ المناسبة وجهها من أوجه الإعجاز في النص القرآني خاصة وأننا نرى 'ابن عاشور' يتمثل رأي 'الرازي' (ت606هـ) في تفسيره وتعليقه على سورة البقرة إذ يقول: "من تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أنّ القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص116

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأمور<sup>1</sup>.

وعليه يغدو الترتيب وجها من أوجه الإعجاز في النص القرآني، وذلك لكونه أمرا توقيفيا، فلا يخلو حينها من بلاغة وإعجاز، خاصة إذا علمنا أنّ النص القرآني نزل منجما وعلى الحوادث مفرقا، فكان طبيعيا أن يكون ترتيبه بهذا الشكل فيه من الإعجاز والبلاغة الشيء الكثير، "فمعروف أن الآيات التي تركبت منها السور القرآنية جاءت وفق ترتيب إلهي قديم لم يطرأ عليه تبديل أو تغيير دون تدخل من أحد، وحتما سوف يفضي هذا الترتيب بشكله الموجود في المصحف الشريف إلى حتمية وجود مناسبة بين ترتيب هذه الآيات علاوة على أن تلاحم أجزاء السورة يرتبط بمناسبات داخلية بينها"<sup>2</sup>.

وقد ذهب 'ابن عاشور' أبعد من هذا حين اعتبر أي مساس بهذا الترتيب يؤدي بالضرورة إلى انتفاء الإعجاز من النص القرآني "فلذلك كان ترتيب آيات السورة الواحدة على ما بلغتنا عليه متعينا بحيث لو غير عنه إلى ترتيب آخر لنزل عن حدّ الإعجاز الذي امتاز به"<sup>3</sup>

إلا أنّ 'ابن عاشور' لم يكن متكلفا مغاليا في تتبع المناسبات بين الآيات القرآنية كما كان غيره، وإنما كان معتدلا يسعى إلى إبراز المناسبة حيثما أسعفته أدواته المنهجية التي توسّل بها في مقارنة النص القرآني "فإذا ما صنّف المفسرون في نظرتهم إلى التناسب فإنّ مُجد الطاهر ابن عاشور من المعتدلين في ذلك؛ إذ أنه لا يتكلف المناسبة إن لم يتوصل إليها بإمكانياته اللغوية التي تؤهله لإجتلابها من مظانها فالتناسب لديه مبني على البلاغة ومتكئ على قواعد مردّها الإعجاز ولم يكن ناشئا أو ناجما عن طول تأمل مسلوب الدليل ولا زاعما واهي الحجة"<sup>4</sup>. وعليه فإنّ في القرآن مفاصل وأجزاء لا يطلب فيها مناسبة كما في المحادثات والاقترابات وغيرها كما صرح بذلك في معرض

<sup>1</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج7، ص106.

<sup>2</sup> لطفي فكري مُجد الجودي: جمالية الخطاب في النص القرآني - قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014، ص219

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص188

<sup>4</sup> مُجد بن عبد الجليل: المعنى والتفسير في التحرير والتنوير، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2015، ج1، ص43.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

تفسيره لسورة آل عمران إذ يقول "واعلم أن جمل الكلام البليغ لا يخلو انتظامها عن مناسبة وإن كان بعضها استئفا وإنما لا تطلب المناسبة في المحادثات والاقتضابات"<sup>1</sup>.

وبهذا لا يجعل المفسر همّه من التفسير إيجاد الروابط بين الآيات كيفما كانت هذه الروابط لأن النص القرآني يختلف عن غيره من النصوص، فهو يرى أن "الانتقال من غرض إلى غرض في القرآن لا تلزم له قوة ارتباط لأنّ القرآن ليس كتاب تدريس يرتب بالتبويب وتفريع المسائل بعضها عن بعض، ولكنه كتاب تذكير وموعظة، فهو مجموع ما نزل من الوحي في هدي الأمة وتشريعها وموعظتها وتعليمها، فقد يجمع فيه الشيء للشيء من غير لزوم ارتباط وتفريع مناسبة وربما كفى في ذلك نزول الغرض الثاني عقب الغرض الأول، أو تكون الآية مأمورا بإلحاقها بموضع معيّن من إحدى سور القرآن"<sup>2</sup>.

وبهذا يشير 'ابن عاشور' إلى أن تكلف البحث عن وجه الاتصال بين الآية والآية أمر لا جدوى منه، وبكفي المفسر من ذلك ما كان واضحا، وما وصلت إليه مداركه بعد الاستعانة بأدواته الإجرائية، على أنه ينبغي للمفسر أن ينطلق من مسلمة أساسية وهي وجود صلوات بين الآيات مهما اختلفت أشكال الصلة، لأن ذلك من أوجه الإعجاز في ترتيب أجزاء القرآن، فإن لم تسعفه مداركه لبلوغ شكل هذه الصلة فلا يتكلف فيها، وعدم بلوغها لا يعني مطلقا غيابها "فلهذا كان الأصل في أي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب في الغرض أو في الانتقال منه أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل، ومما يدل عليه وجود حروف العطف المفيدة الاتصال مثل الفاء، ولكن، وبل، ومثل أدوات الاستثناء، على أن وجود ذلك لا يعين اتصال ما بعده بما قبله في النزول"<sup>3</sup> وهذا يقودنا إلى الحديث عن أشكال انتظام الآيات في النص القرآني الذي قد يتخذ صورا متعددة منها:<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص188

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج2، ص465

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج1، ص80

<sup>4</sup> ينظر: المصدر السابق، ج1، ص80 .



### الصورة الأولى:

أن يكون موقع الآية عقب التي قبلها لأجل نزولها عقب التي قبلها من سورة هي بصدد النزول فيؤمر النبي بأن يقرأها عقب التي قبلها وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: 64] عقب قوله: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 63] في سورة مريم، وهذا لا يعني عدم وجود مناسبة بوجه ما بين الآيتين، من أجل ذلك نجد ابن عاشور في تفسير الآية يقول "موقع هذه الآية هنا غريب" لكنه استعان بسياق نزول الآية المتمثل في أسباب النزول المبرر وجود الآية في هذا الموضع، الذي يتفق عليه جمهور المفسرين، ذلك أن رسول الله (ﷺ) ودَّ أن تكون زيارة جبريل له أكثر مما يزوره في تلك الفترة، فقال له "ألا تزورنا أكثر مما تزورنا" فنزلت الآية ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾. وقد علق 'ابن عاشور' على هذا بقوله "والمعنى أن الله أمر جبريل عليه السلام أن يقول هذا الكلام جوابا عنه، فالنظم نظم القرآن بتقدير: وقل ما تنزل إلا بأمر ربك، أي قل يا جبريل، فكان هذا خطابا لجبريل ليلبغه إلى النبي (ﷺ)، فالواو عاطفه فعل القول المحذوف على الكلام الذي قبله عطف قصة على قصة مع اختلاف المخاطب، وأمر الله رسوله أن يقرأها هنا ولأنها نزلت لتكون من القرآن"<sup>1</sup> ومع أن سبب وجود هذه الآية واضح في مثل هذه الحالة وهو كونها نزلت عقب الآية التي قبلها مباشرة في سورة هي بصدد النزول، إلا أن هذا لا يمنع المفسر من تطلب إعجاز وبلاغة وجودها في هذا الموضع "وقد وضح ابن عاشور هذه الصورة من ترتيب الآيات لا تحول دون الوصول إلى معرفة المناسبة والعلاقة بين هذه الآية وما تقدم عليها"<sup>2</sup>.

### الصورة الثانية:

قد لا تكون بين الآية والآية التي قبلها مناسبة، ويكون سبب وجود الآية في موضعها سبب ما، وفي هذا يقول 'ابن عاشور': "وقد لا تكون له مناسبة ولكن اقتضاه سبب في ذلك المكان كقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج16، ص139.

<sup>2</sup> عبد الوهاب يحي المؤيد: المرجع السابق، ص109.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ [القيامة: 16-18] فهذه الآيات نزلت في سورة القيامة في توبيخ المشركين على إنكارهم البعث ووصف يوم الحشر وأهواله، وليست لها مناسبة بذلك، ولكن سبب نزولها حصل من خلال ذلك" <sup>1</sup>.

وبالعودة إلى تفسير هذه الآيات وبيان موقعها نجد 'ابن عاشور' يعلق على موضع هذه السورة بقوله: "فلما نزل هذا الوحي في أثناء نزول السورة للغرض الذي نزل فيه ولم يكن سورة مستقلة كان ملحقا بالسورة وواقعا بين الآي التي نزل بينها" <sup>2</sup> وهذا بعد أن ذكر أسباب نزول هذه الآيات من ذكر الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن 'ابن عباس' أنه قال: "كان رسول الله (ﷺ) إذا نزل عليه القرآن يحرك به لسانه يريد أن يحفظه مخافة أن يتفلت منه، أو من شدة رغبته في حفظه فكان يلاقي من ذلك شدة، فأنزل الله تعالى ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ <sup>١٦</sup> إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ [القيامة: 16-17]" <sup>3</sup>؛ فإن سبب وجود هذه الآيات في هذا الموضع - كما يرى ابن عاشور - ليس له مناسبة بعينها وإنما اقتضاه سبب نزولها الذي تزامن ونزول ما قبلها فألحقت به؛ أي أن هذه الآية التي تصور حال الرسول (ﷺ) وهو يتعجل حفظ الآيات قد تزامنت ونزول الآيات التي تصور توبيخ المشركين على إنكارهم البعث ووصف يوم الحشر وأهواله، فلما كانت أسباب نزولها مترامنة مع هذا الوضع وضعت في هذا الموضع.

### الصورة الثالثة:

قد تلحق الآية بالسورة بعد تمام نزولها فيأتي الأمر الإلهي بوضعها في موضع ما من السورة "وقد تكون الآية ألحقت بالسورة بعد تمام نزولها بأن أمر الرسول بوضعها عقب آية معينة كما تقدم آنفا عن ابن عباس في آية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: 281]، وكذلك ما روي في صحيح مسلم عن ابن مسعود أن أول سورة الحديد نزل بمكة، ولم يختلف المفسرون في أن قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 10] إلى آخر السورة نزل

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 80

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 29، ص 349

<sup>3</sup> المصدر نفسه: ج 29، ص 349

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

بالمدينة فلا يكون ذلك إلا لمناسبة بينها وبين آي تلك السورة والتشابه في أسلوب النظم، وإنما تأخر نزول تلك الآية عن نزول أخواتها من سورتها لحكمة اقتضت تأخرها ترجع غالبا إلى سبب النزول<sup>1</sup>.

وبالعودة إلى الآية التي ذكرها 'ابن عاشور' من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]، تجده يذكر هذه الصورة من صور ترتيب الآيات في القرآن الكريم، حيث يقول معلقا على موضعها "وفي البخاري عن ابن عباس أنّ هذه آخر آية نزلت، وعن ابن عباس هي آخر ما نزل فقال جبريل: "يا مُحَمَّدُ ضعها على رأس ثمانين ومائتين من البقرة، وهذا الذي عليه الجمهور"<sup>2</sup>. وأما ما ورد من سورة الحديد من قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: 10]، فيقول فيه 'ابن عاشور' معزا ما ذكر في مقدمات تفسيره: "وجه إلحاق هذه الآية وهي مدنية بالمكي من السورة مناسبة استيعاب أحوال المسكين عن الإنفاق من الكفار والمؤمنين تعريضا بالتحذير من خصال أهل الكفر، إذ سبقها قوله "وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه"<sup>3</sup>.

وعليه فهذه بعض أشكال انتظام الآيات في النص القرآني وعلى المفسر أن يسخر طاقته من أجل اكتشاف وجه الإعجاز والبلاغة في هذا الترتيب أو ذاك، وإن البحث في هذه الزاوية ما هو في الحقيقة سوى استجلاء لأشكال الترابط بين الآيات خاصة في تلك المواضع التي قد تبدو فيها الصلات الشكلية غائبة. على أنّ ابن عاشور قد نبّه في أكثر من مرة - كما رأينا - على أن لا يكون كل هم المفسر هو بحث العلاقات وأسرار الترتيب، بما قد يوقعه في التكلف المذموم في هذا الباب، بل ويجب على المفسر أن يضع نصب عينيه أنه لا يمكن تطلب مناسبات لكل الآيات.

أما مناسبة ترتيب السور فإن 'ابن عاشور' لم يهتم بها كثيرا، بل ولم ير هذا الجهد مما يترتب ويجب على المفسر، وبذلك صرح في مقدمة تفسيره إذ يقول: "أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض فلا أراه

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 81.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ج 1، ص 97.

<sup>3</sup> المصدر نفسه: ج 27، ص 372.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

حقا على المفسر<sup>1</sup>، ولعل عدم اهتمام 'ابن عاشور' بالمناسبة بين السور، يرجع إلى ما أقرّه واتبعه من أقوال السلف في قضية ترتيب السور في القرآن، هل هي بتوقيف من النبي (ﷺ)، أم هي من عمل الصحابة؟ ولعلنا نتذكر ما أشرنا إليه سابقا، من أنه عدّ الترتيب في الآيات من صور الإعجاز في النص القرآني، لأنه من توجيه النبي (ﷺ)؛ فإذا كان هذا الصنيع من توجيهه فلا بد أن يكون وراءه سرّ عظيم وبلاغة جمّة، على المفسّر والدارس تتبّعها وبحثها قدر المستطاع، فلمّا استقرّ في ذهن 'ابن عاشور' أن ترتيب السور لم يكن في أغلبه من توجيه النبي (ﷺ) بدليل الروايات التي ذكرها في مقدمة تفسيره. لم يهتم بالتالي ببحث أوجه المناسبة في ترتيبها وبحث العلاقات الدلالية بين السور القرآنية في ترتيبها.

وإذا عدنا إلى موقف 'ابن عاشور' من هذه المسألة نجده في المقدمة الثامنة "في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها" يعرب عن موقفه من هذه المسألة، فبعد أن ذكر بعض أقوال الدارسين والعلماء فيها خاصة ما جاء به 'أبو بكر الباقلاني' (ت 402هـ) والداني (ت 444هـ) وغيرهم، ونص على أن المسألة خلافية بين الدارسين، أقرّ بموقفه الوسطي حين قال: "أقول: لا شك أن طوائف من سور القرآن كانت مرتبة زمن النبي (ﷺ) على ترتيبها في المصحف الذي بين أيدينا اليوم، الذي هو نسخة من المصحف الإمام الذي جمع وكتب في خلافة أبي بكر الصديق، ووزعت في الأمصار نسخا منه في خلافة عثمان ذي النورين، فلا شك أن سور المفصل كانت هي آخر القرآن ولذلك كانت سنة قراءة السورة في الصلوات المفروضة أن يكون في بعض الصلوات من طوال المفصل، وفي بعضها من وسط المفصل، وفي بعضها من قصار المفصل، وأن طائفة السور الطولى الأوائل في المصحف كانت مرتبة في زمن النبي (ﷺ) أول القرآن - والاحتمال فيما عدا ذلك"<sup>2</sup>.

فابن عاشور لا يسلمّ مطلقا بكون السور القرآنية مرتبة على الوجه الذي هي عليه في المصحف الذي بين أيدينا، كلها بتوقيف من النبي (ﷺ)، بدليل أنه قد ذكر روايات كثيرة ومتعددة تنفي هذا الزعم، ولعل هذا ما جعل 'ابن عاشور' لا يهتم كثيرا بالمناسبات بين السور في ترتيبها، إلا في القليل النادر من المواضع في تفسيره.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص80.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج1، ص88، 89.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

إن هذا البسط يوضح لنا أول نقطة ينبغي أن ننطلق منها في بحث آليات الانسجام النصي في تفسير 'التحرير والتنوير' وهي نقطة منهجية بالأساس تتمثل في اهتمام 'ابن عاشور' بترتيب الآيات في النص القرآني، وتقسيمه لأشكال الترتيب فيه، وموقفه من ترتيب السور فيه أيضا بما يعطى لنا الخطوط العريضة لبحث الآليات التي برهن بها المفسر على وجود التلاحم في النص القرآني، حيث يعتبر هذا المبحث من أولى المباحث التي عني بها المفسر في تفسيره.

### ب- مبدأ تسوير آيات القرآن:

يعالج 'ابن عاشور' مفهوم السورة وأهمية التسوير في القرآن في مقدمة تفسيره، وتحديدًا في المقدمة الثامنة الخاصة بـ: "اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها". حيث يجعل التسوير من مبتكرات القرآن ومن خصائصه التي تميزه عن بقية الكتب السماوية الأخرى، وفي هذا الصدد يعرف السورة القرآنية بقوله: "قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسماة بكم مخصوص تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة ناشئة عن أسباب النزول أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المناسبة"<sup>1</sup>.

بهذا المفهوم يمكننا أن نجد بعض الملامح الأساسية للسورة القرآنية تتقاطع مع بعض المفاهيم في النظرية اللسانية، وذلك في حديثه عن الاكتمال؛ أي شرط السورة أن تكون مستوفية، مُكتمل فيها الموضوع المطروق، وأما القضية الأخرى فهي قضية التسمية، حيث إن لكل سورة اسم تتميز به عن غيرها من السور.

إنّ السورة القرآنية بهذا الوصف هي قطعة من القرآن أقلّ أجزائها (ثلاث آيات)، ولم يشر إلى أقصى حد لآياتها، إلا أنه ربط حجمها باستيفائها لأغراضها كما سنرى، وإنما وصل 'ابن عاشور' إلى هذا التحديد بناء على استقراره لسور القرآن الكريم، وهو كما يرى أي -مصطلح السورة- من مبتكرات القرآن، ذلك أنه "لم تكن أجزاء التوراة والإنجيل والزبور مسماة سورا عند العرب لا في الجاهلية ولا في الإسلام"<sup>2</sup>. وقد عد 'ابن عاشور' التسوير من كمال الإعجاز في القرآن وهو خاصية انفرد بها عن غيره من الكتب السماوية.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 84

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ج 1، ص 85

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

تنفرد السورة القرآنية بخصائص عجيبة جعلتها محلّ التحدي للكافرين والمنكرين للقرآن الكريم، فلقد تحدى الله المشركين بأن يأتيوا بسورة مثله، فلم يستطيعوا ذلك، وهذا لما تنفرد به من خصائص، منها كونها تستوفي أغراضا متعدّدة ولها خصوصيات معيّنة في التوفيق بين الأغراض: "إنما كان التحدي بسورة ولم يكن بمقدار سورة من آيات القرآن لأن من جملة وجوه الإعجاز أمورا لا تظهر خصائصها إلا بالنظر في كلام مستوفي في غرض من الأغراض، وإثما تنزل سور القرآن في أغراض مقصودة، فلا غنى عن مراعاة الخصوصيات المناسبة لفواتح الكلام وخواتيمه بحسب الغرض، واستيفاء الغرض المسوق له الكلام، وصحة التقسيم، ونكت الإجمال والتفصيل وأحكام الانتقال من فن إلى آخر من فنون الغرض (...). ونحو ذلك مما يرجع إلى مجموع نظم الكلام وتلك لا تظهر مطابقتها جليّة إلا إذا تمّ الكلام واستوفي الغرض حقه"<sup>1</sup>، فهو كما نرى لا يخرج عن المفهوم السابق للسورة الذي ذكره، والذي اشترط فيه تمام الغرض، ولا يهم إذ ذاك الطول والقصر بقدر ما يهم تمام الغرض، ومن أجل هذا قام التحدي بالسورة في القرآن، فإن من أراد أن يتحدى القرآن فعليه أن يبلغ تمام السورة بأغراضها الكاملة، وأنى له بلوغ هذه المنزلة من تمام الغرض، وعليه امتحان تنظيم موضوعات السورة وتيسير الانتقال من موضوع إلى آخر، والتنسيق بين الفواتح والخواتيم، ومعرفة مواطن الفصل والوصل، وبلاغة الإجمال والتفصيل، والتقديم والتأخير وغيرها.

فالعبارة فيها بالانطباق الأخير الذي يخلص إليه القارئ بعد قراءتها واستيفاء أغراضها كاملة، وبالنظر إلى تظافر عناصر أخرى في بنائها فلا يُعترف لها بإعجازها إلا بتلك النظرة الشاملة التي تأخذ في الحسبان جميع العناصر السابقة التي تؤدي بالضرورة إلى اكتمال الغرض "ولا شك أن أهم ما يطبع النص القرآني عنصر الاكتمال آية كانت أم سورة، وهذا ما يعبر عنه في لسانيات النص بعنصر الاختتام (cloture)، والنص الذي لا يختتم بخاتمة يفقد اتساقه وغائيته، واکتمال النص مقوم من مقومات النصية وليس طول النص أو حجمه أو أبعاده معيارا"<sup>2</sup>.

إن هذه الخاصية التي تتميز بها السورة القرآنية جعلت 'ابن عاشور' يشبّهها بخطبة الخطيب وقصيدة الشاعر "فكانت السورة من القرآن بمنزلة خطبة الخطيب وقصيدة الشاعر لا يحكم لها بالتفوق إلا باعتبارات مجموعها بعد

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 337

<sup>2</sup> عبد الرحمن بودرع: نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، كتاب الأمة، ع 154، ربيع الأول، 1434هـ، السنة 33، ط 1، وزارة

الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ص 96

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

اعتبار أجزائها"<sup>1</sup>. وعليه فإن "تسوير آيات القرآن كان من أهم الجوانب التي تجلّت فيها ظاهرة الانسجام النصي القرآني، فلقد كانت السورة القرآنية نصا متكاملًا وقع بها التحدي والإعجاز"<sup>2</sup>. وهذا ما سار عليه 'ابن عاشور' في تفسيره فلقد تعامل مع السورة القرآنية على أنها نص متكامل متكون من مجموعة من الأغراض والموضوعات سعى إلى إبرازها في كل مناسبة، وبين أوجه الترابط بينها، وتفنن في توضيح الوسائل الموصلة إلى بلوغ الاكتمال المنشود في السورة.

وبهذا يُعدّ هذا التسوير واحدا من المنطلقات المنهجية التي يجب على دارس فكر 'ابن عاشور' فهمه واستيعابه إذا رام البحث في الآليات التي توصل بها هذا الأخير لإثبات انسجام النص القرآني، بما يحمله هذا المفهوم 'التسوير' من شروط وخصائص منها، تعدد الموضوعات والتفنن في الربط بينها باعتماد وسائل متنوعة، ووصولاً إلى شرط الاكتمال والتمام في بنية السورة ومحتواها، مروراً بتسميتها وعلاقتها عنوانها بمحتواها وموضوعاتها ومقاصدها. وإن البحث في كل هذه العناصر من شأنه أن يقدم صورة من زاوية أخرى غير زاوية التفسير تتمثل في البحث عن الترابط والانسجام أو الائتلاف في النص القرآني، وهو بحث ملازم لعملية التفسير واستنباط الأحكام الشرعية، كما يبدو جلياً عند 'ابن عاشور' في تعامله مع النص القرآني.

### ت - ربط البنية بالسياق

يعد مبدأ السياق من أهم المبادئ التي يقوم عليها الانسجام النصي وفق الزاوية الحديثة لهذا المفهوم، ذلك أنه الوعاء الذي تتم فيه عملية تأويل النص / الخطاب وهو الذي يضمن التأويل المناسب. "فالخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه (...). إذ كثيراً ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية 'من حيث لغته' ولكنه قد يتضمن 'قرائن أو ظروفًا تجعله غامضاً غير مفهوم، دون الإحاطة بسياقه، ومن ثم فإن للسياق دوراً فعّالاً في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس"<sup>3</sup>. ويشمل السياق وفق هذا الطرح كل ما يحيط بالنص من

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص337

<sup>2</sup> عبد الوهاب يحي المؤيد: المرجع السابق، ص110

<sup>3</sup> محمد خطابي: المرجع السابق، ص56

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

عناصر لغوية وغير لغوية من متلقي وزمان ومكان وأغراض ... وغيرها، مما شكل في جوهره السياق المتزامن للنص القرآني.

لم يغفل 'ابن عاشور' العناية بالسياق في تفسيره، حيث أدرك من البداية الأهمية القصوى التي تكتسيها العناية بعناصر السياق المختلفة في تقديم تفسير أهم وأكمل للآية القرآنية، والسورة وللقرآن ككل، ويبدو ذلك واضحا من خلال المقدمات النظرية التي صدر بها التفسير، خاصة في حديثه عن عناصر السياق الخارجي من مكّي ومدني، وأسباب النزول وعناصر السياق الداخلي من مناسبة وتقديم وتأخير، وعطف وفصل وتعريف وتنكير، وغيرها من أشكال العلاقات الداخلية التي تخضع للسياق اللغوي. وبهذا يمكن أن نقسم السياق في تفسير 'ابن عاشور' إلى قسمين كبيرين:

أ- **السياق المقامي:** ويشمل كل الظروف المحيطة بالتنزيل من أسباب النزول، والمكّي والمدني والناسخ والمنسوخ، والعناية بالمخاطب وغيرها.

ب- **السياق اللغوي:** ويشمل كل أشكال العلاقات اللغوية داخل النص القرآني من مناسبة وأشكال الترابط والصلة بين الوحدات اللغوية داخل نسيج النص القرآني جملا كانت أم مفردات أم آيات.

وبالعودة إلى أهم صورة تجلت فيها العلاقة واضحة بين البنية اللغوية وبين السياق، وهي العلاقة بين النص وبين أسباب النزول فإننا نرى 'الطاهر ابن عاشور' يفرد له مقدمة كاملة في تفسيره وهي المقدمة الخامسة "أسباب النزول" حيث عدّها "حوادث يُروى أن آيات من القرآن نزلت لأجلها لبيان حكمها أو لحكايتها أو إنكارها أو نحو ذلك"<sup>1</sup>، وتعد معالجة 'ابن عاشور' لأسباب النزول في غاية النفاسة لأنها تعكس "وعيا دقيقا بالأزمة التي تولدت تاريخيا في علوم القرآن من تعاطي النظر في هذا الشق من معارف الوحي فهو يرى أن أمر أسباب نزول القرآن دائر

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 46



## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

بين القصد والإسراف<sup>1</sup> ذلك أن تأمل 'ابن عاشور' في شأن أسباب النزول والدارسين لها والمعتمدين عليها في تفسير النص القرآني قد أفضى به إلى تقسيمهم إلى فريقين:

أ- الفريق الأول: غالى في تتبع أسباب النزول وأكثر من ذلك "حتى كاد بعضهم أن يوهم الناس أن كل آية من آيات القرآن نزلت على سبب"<sup>2</sup>. وقد نعت 'ابن عاشور' مذهب هؤلاء 'بالوهم' لأن القرآن الكريم قد جاء هاديا لما فيه صلاح الأمة فلا يتوقف نزوله على حدوث الحوادث الداعية إلى تشريع الأحكام بتعبير 'ابن عاشور'.

ب- الفريق الثاني: وقد رأى أصحابه "أن الأسباب ليس شيء، وأن أكثره لا يصح فهؤلاء دعاة البنيوية الأوائل قالوا بأن فهم النص ممكن من غير حاجة لأدوات خارج نصية extralinguistique"<sup>3</sup> وبين هذا وذاك يقع موقع 'ابن عاشور' في الاستعانة بأسباب النزول من أجل تقديم تأويل أفضل وأنسب للنص القرآني، على أنه يقسمها إلى أقسام، وهي التي اعتمدها في تفسيره وقد ذكرها حين قال: "وقد تصفحت أسباب النزول التي صحت أسانيدها فوجدتها خمسة أقسام"<sup>4</sup> وهي:

- 1- أن تكون الأسباب هي المقصودة من الآية، يتوقف فهم المراد منها على علمه، فلا بد من البحث عنه للمفسر، وهذا منه تفسير مبهمات القرآن.
- 2- أن تكون حوادث تسببت عليها تشريعات أحكام وصور تلك الحوادث تبين مجملا، ولا تخالف مدلول الآية بوجه تخصيص أو تعميم أو تقييد، ولكنها إذا ذكرت أمثالها وجدت مساوية لمدلولات الآيات النازلة عند حدوثها.

<sup>1</sup> إدريس مقبول: "التحليل التأويلي عند الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير"، المؤتمر الدولي حول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر المعاصر، رؤية معرفية منهجية، جامعة محمد الخامس الرباط، 2-3 ماي 2009، تحرير: فتحي

حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص 378

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 46

<sup>3</sup> إدريس مقبول: المرجع السابق، ص 378

<sup>4</sup> المرجع نفسه: ص 378

3- أن تكون حوادث تكثر أمثالها تختص بشخص واحد تنزلت الآية لإعلانها وبيان أحكامها وزجر من

يرتكبها، فكتيرا ما نجد المفسرين وغيرهم يقولون نزلت في كذا وكذا.

4- أن تكون حوادث حدثت وفي القرآن آيات تناسب معانيها سابقة أو لاحقة، فيقع في عبارات بعض

السلف ما يوهم أن تلك الحوادث هي المقصود من تلك الآيات، مع أن المراد أنها مما يدخل في معنى الآية.

5- أن تكون مبيّنة لمجمل أو دافعة لمتشابهات.

ومهما تعددت وتنوعت فهي عنده مراتب "إن من أسباب النزول ما ليس المفسر بغني عن علمه لأن فيها

بيان مجمل أو إيضاح خفي وموجز، ومنها ما يكون وحده تفسيراً، ومنها ما يدل المفسر على طلب الأدلة التي بها تأويل الآية أو نحو ذلك"<sup>1</sup>.

إن معالجة النص القرآني وفق هذه الرؤية التي سطرها 'ابن عاشور' قائمة على ربط البنية اللغوية بسياقاتها التاريخية والجغرافية والتكوينية، وهي من أهم الوسائل التي يمكن أن تحقق الانسجام المطلوب في النص، وتحقق التأويل الأسلم لأي الذكر الحكيم "فالمنهج السياقي ببعديه: البعد اللغوي الداخلي، والبعد المقامي الخارجي، يقدم بين يدي فهم النص الشرعي نسقا من العناصر التي تقوي طريق فهمه وتفسيره. والاستنباط منه؛ لأن العلم بخلفيات النصوص، وبالأسباب التي تكمن وراء نزولها أو ورودها يورث العلم بالمسببات وينفي الاحتمالات والظنون غير المرادة، ويقطع الطريق على المقاصد المغرضة التي لم يردها الشارع الحكيم ولم يرمها، ويصحح ما اعوجج من أساليب التطبيق"<sup>2</sup>.

وعليه فإن 'ابن عاشور' يبدو على أتم الوعي بأن تقديم الفهم الأنسب للنص القرآني وبلوغ الغاية في تحليل أشكال الإعجاز والانسجام فيه، لا يتأتى أبداً من خلال تحليل البنى اللغوية المغلقة بعيدة عن سياقاتها الاجتماعية والتاريخية والجغرافية والزمانية التي صاحبت نزولها، وبالتالي فإنه لكي نبحت عن آليات الانسجام عنده كما تصورها

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص47

<sup>2</sup> عبد الرحمن بودرع: الخطاب القرآني ومناهج التأويل، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، ط1، 2013، ص180.

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

في النص القرآني، فإنه ينبغي علينا الانطلاق أيضا من هذا المبدأ الذي يتمثل في منهج 'ابن عاشور' في الاستعانة بالمعطيات الخارجية من أحداث تاريخية ووقائع صاحبت النزول، ومعطيات جغرافية أخرى زمانية، فضلا عن العلاقات السياقية الداخلية في تعامله مع النص القرآني، وهذا إذا رُمنا الحديث عن انسجام النص القرآني، ذلك أنه "لا يمكن أن تجلّى ظاهرة انسجام النص برؤيته من الداخل فقط، أي بالاعتماد على ترتيب علاقات النص الداخلية (النحوية والبلاغية والأسلوبية) بل لابد من إعادة بناء السياق العام الذي تنزل فيه النص، ومعرفة أحوال المخاطبين حتى تدرك أسباب تلك الانتقالات والاعتراضات التي تنشأ في ثنايا خطاب من الخطابات أو محاورة من المحاورات في النص القرآني"<sup>1</sup>. ولعلّ هذا ما كان يقصده 'ابن عاشور' في تحديده للغاية من أسباب النزول حين قال: إن منها ما تكون وظيفته تقديم مبررات للانتقال من آية إلى أخرى ومن موضوع إلى آخر في المواضع التي قد يبدو فيها النص ظاهريا فيه بعض التفكك والفجوات، فيكون الاستعانة بالمقام هو ما ينفي هذا الانقطاع والفجوة فيه، ويبرز التلاحم والتماسك في النص إذ يقول: "ومن هذا القسم ما لا يبيّن مجملا ولا يؤوّل متشابها ولكنه يبيّن وجه تناسب الآي بعضها مع بعض"<sup>2</sup>. وفي هذا الإطار يتم معالجة مفهوم الانسجام النصي وآلياته عند 'ابن عاشور'.

### ت- المدخل اللغوي للتفسير القرآني

لا تخفى علينا العناية الكبيرة التي أولاهها 'ابن عاشور' للمباحث اللغوية في تفسيره للقرآن الكريم، إذ تحظى علوم العربية بمنزلة كبيرة عنده، وقد اعتبرها حلاّ لتفسير كتاب الله عز وجلّ "إن القرآن كلام عربي، فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي السليقة"<sup>3</sup>. ويقصد 'ابن عاشور' بعلوم العربية "سنن اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان"<sup>4</sup>. فلا يمر بآية من آيات القرآن إلّا ويستنفد طاقاته المعرفية في التحليل اللغوي لأجزائها من أصغر مستوى فيها إلى أعقدها، ممثلا في الآيات والمقاطع القرآنية مستثمرا ما تحصل لديه من علوم العربية، نحو وصرفا وبلاغة وبيانا "فالملاحظ لمن يطالع صفحات تفسير ابن عاشور، كثرة

<sup>1</sup> عبد الوهاب يحي المؤيد: المرجع السابق، ص112

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص49

<sup>3</sup> المصدر نفسه: ج1، ص18

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ج1، ص18

## الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

الوقفات اللغوية ووفرة الاستشهادات على المعاني وطول النفس في معالجة الألفاظ والتراكيب على أسس لغوية ودلالية، وليس هذا مستغربا على شخصية علمية في عمق شخصية ابن عاشور مع اهتماماته اللغوية تصنيفا وتحقيقا، كما تشهد بذلك مؤلفاته من كتب ومقالات<sup>1</sup>.

ويبدو بارزا في تفسيره عنايته بالبلاغة وعلومها وربطها بالتفسير القرآني، حيث يقول في مقدمات تفسيره "ولعلمي السياق والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير، لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني بإظهار وجه الإعجاز"<sup>2</sup>. فقد اعتنى بأبواب البلاغة كلها وكان فارسا فيها، ولا يمكن أن نذكر جهود 'ابن عاشور' في ميدان البلاغة دون أن نشير إلى أهمية هذا المبحث في الدراسات اللسانية النصية الحديثة، إذ عُدَّ هذا الدرس من بواكير العناية العربية بمستوى النص، وبالتالي فإن معالجتنا لآليات الانسجام النصي في تفسيره ينبغي أن تأخذ في الحسبان المعالجة البلاغية والإنشاءات البيانية التي يسعى من خلالها المفسر إلى إثبات إعجاز النص القرآني، كما أسلفنا ذكره لعلاقة التفسير بعلوم البلاغة، ومن أجل توضيح المسألة أكثر يقول "وعلم البلاغة به يحصل انكشاف بعض المعاني وإطناج النفس لها وبه يترجح أحد الاحتمالين على الآخر في معاني القرآن، ألا ترى أنه لو اطلع أحد على تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: 11]" وعرض عليه احتمال أن يكون عطف قوله "ولا نساء" على قوله (قوم)، عطف مباين أو عطف خاص على عام، فاستشهد المفسر في ذلك بقول زهير [الوافر]<sup>3</sup>:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

<sup>1</sup> مشرف بن أحمد جمعان الزهراني: أثر الدلالات اللغوية في التفسير عن الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1426-1427هـ، ص42.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص19

<sup>3</sup> إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في شواهد العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ج1، ص36.

كيف تظمن نفسه لاحتمال عطف المباين دون عطف الخاص على العام<sup>1</sup>.

وبهذا الشكل وعلى هذا المنهج يسير 'ابن عاشور' في الاعتماد المطلق على علوم العربية في تفسيره، وفي تبرير الصلات الدلالية بين أجزاء القرآن الكريم، إلا أنه يجب علينا في هذا المقام التنبيه إلى أنه لم يغفل العلوم والمعارف العربية الأخرى لغوية كانت أم غير لغوية، وقد ذكر بعضها في المقدمة الثانية من تفسيره الخاصة باستمداد علم التفسير حيث جعله علماً يعتمد على علوم العربية وعلوم الآثار وأخبار العرب وأصول الفقه وعلم الكلام وعلم القراءات، إلا أنّ عنايته بعلوم العربية تبدو أكثر وضوحاً، ولا يمكن الحكم على الآليات التي توصل بها 'ابن عاشور' في إبراز إعجاز القرآن إلا من خلالها؛ إذ تعد الآليات اللغوية القسم الأكبر منها، فهي تصب في فنون البلاغة والنحو والصرف العربي، فإنه "ينطلق في إبراز الانسجام في النص القرآني من خلال تأمله في قواعد الخطاب العربي وهي تلك القواعد المتعلقة بالنحو والبلاغة واللغة، فيهتم بشرح قواعد الفصل والوصل، والتفريع والتذييل، والتقديم والتأخير، وبيان أسلوب القرآن في حكاية الأقوال والمحاورات والإخبار عنها وأسلوب القرآن في الافتتاح، ولفت انتباه السامع بالبديع مع التنبيه حيناً والزجر حيناً آخر، والانتقال بين ثنايا الخطاب في النص بالاستئناف والاستطراد والإضراب والاقتراب، كما يحرس على إبراز ترابط أساليب القسم والاستثناء والشرط وبيان متعلقات الحروف والظروف والجمل وأشباه الجمل وإعادة ترتيب الجمل، حين يكون ترتيبها على خلاف مقتضى الظاهر"<sup>2</sup>. وغيرها من أشكال التعامل والتحليل اللغويين للنص القرآني، ولا شك أن التدقيق في كل هذا المسائل وغيرها في التفسير قد يمكننا من استخلاص صورة واضحة عن آليات اشتغال النص القرآني وبالتالي استنتاج الآليات التي تؤدي إلى انسجامه.

وختاماً يمكننا أن نتلمس من خلال العودة الخاطفة إلى تراثنا العربي ذلك الخيط المتصل من البحث النصي، ومن النظرة الكلية للنص العربي، ومن اجتهاد واضح في تبرير آليات تماسكه وانسجامه، وعناصر بنائه، مع الأخذ في الحسبان اختلاف مدونة الدرس والبحث من مجال إلى آخر، فطبيعي أن تختلف الرؤية وتختلف معها

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص21، 22

<sup>2</sup> عبد الوهاب يحي المؤيد: المرجع السابق، ص114.

### الفصل الثالث: الانسجام النصي في الدراسات العربية

وسائل انسجام النص، أي طبيعي أن تختلف الوسائل والآليات التي برهن من خلالها المفسرون على انسجام النص القرآني عن الآليات التي حددها النقاد والبلاغيون لانسجام النص العربي الإبداعي، وهذا الاختلاف لا يعنينا جوهره في هذا السياق، بقدر ما يعنينا العناية المبكرة والوعي المسبق بهذه الآليات في تراثنا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الرابع:

المناسبة وورها في تقيتق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (بن عاشور

المبحث الأول: المناسبة النصية.

المبحث الثاني: المناسبة المعجمية.

المبحث الثالث: المناسبة الصرفية.

المبحث الرابع: المناسبة التركيبية.

## الفصل الرابع: المناسبة ودورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

### الفصل الرابع: المناسبة ودورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر ابن عاشور:

يعد مبحث المناسبة في النص القرآني من أكثر المباحث المتصلة بالنص القرآني تعبيرا عن الوعي النصّي عند علماء القرآن والمفسرين في التراث العربي، حيث يوحى هذا المبحث بوعي تام لدى المفسر بآليات الارتباط الدلالية بين الآيات القرآنية بعضها مع بعض، وارتباط التراكيب والمفردات القرآنية بالسياق الذي وردت فيه. ولم يغفل ابن عاشور في تفسيره هذا الملمح الهام من ملامح الدراسات النصية في تفسيره، فلا يترك فرصة تأتيه إلا ويبين فيها أوجه الاتصال بين الآيات ومناسبة موضع الآية مقارنة بما جاورها من الآيات، وملاءمة الموضوع للسياق ممثلا في أسباب النزول أو غيرها، ولا يترك فرصة أيضا إلا ويبين فيها مناسبة المفردة أو التركيب القرآني للسياق الوارد فيه بما يحقق الانسجام والترابط في النص القرآني، ومن أجل بيان جهد ابن عاشور في إبراز المناسبة بمختلف أنواعها سنقف عند نماذج منها في تفسيره بدءا بالمناسبة النصية ووصولاً إلى المناسبة التركيبية ومرورا بالمناسبة الصرفية والمعجمية.



1- المبحث الأول: المناسبة النصية وارتباط الآي في النص القرآني:

1-1- مناسبة ترتيب الآيات :

لا نجد في تفسير 'ابن عاشور' نوعا من المناسبة اعتنى به أكثر من هذا النوع، فإنك تجده يبين موضع الآية وعلاقتها بما يسبقها أو يليها في أكثر مواضع الآيات، سواء أكان الموضوع ظاهرا أم كان غامض الدلالة، فيذهب في تفسير هذا الموضوع مذاهب شتى، مستعينا بكلام المفسرين قبله وخاصة الزمخشري (ت538هـ) والرازي (ت606هـ) حتى يصل إلى الرأي الذي يرضي نهمه العلمي وهدفه من إثبات التلاحم في النص القرآني، وذلك من غير تكلف يضر بالنص القرآني ولا إهمال يضعف من رأيه في تماسك النص، ولا شك أن 'ابن عاشور' لا يقدم مناسبة إلا ويقدم علتها وسببها، فلا تنتظم الآيات عنده إلا لغاية ونكتة وفائدة يسعى إلى إبرازها، إلا أنه ينبغي لنا أن نشير قبل التفصيل في أشكال المناسبة النصية، إلى أن ابن عاشور قد بنى تصوّره لهذا النوع على مجموعة من الآليات التي تتحقق معها المناسبة ومن ذلك نذكر:

أ- وحدة السياق:

اعتمد ابن عاشور كثيرا على دور السياق بانواعه المختلفة في تبرير المناسبة النصية القائمة على تبرير ترتيب الآيات القرآنية في السورة الواحدة ومن ذلك المناسبة بين قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: 104] وبين قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 103]. حيث جاءت الآية كما يبدو عقب الآيات التي تحدثت عن السحر، وما كان يقوم به بنو إسرائيل مع سليمان ومملكه من اتهامه بالسحر، وتلفيق السحر في آثاره حيث إنه قد يبدو من النظرة السطحية الظاهرة أن لا علاقة بين هذه الآية (104) وبين ما سبقها من ذكر حال بني إسرائيل مع السحر، إلا أنّ 'ابن عاشور' حاول إمساك الخيط الدلالي الذي يمكنه من ربط مضمون هذه الآية بما سبقها، فبرر ترتيبها وموقعها هنا كما يفعل في كثير من المواضع في تفسيره، فيهندي إلى الاعتماد على السياق الخارجي لهذه الآية والمتمثل في السياق التاريخي؛ أي أسباب النزول فهو المعيار برأيه في تحديد موقع هذه الآية، فقد ذكر 'ابن عاشور' أنه لكي يتحقق لنا

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

بيان وجه العلاقة بين هذه الآية وما سبقها فإنه ينبغي علينا معرفة دواعي نزولها وملايسات ذلك، حيث يقول: "يتعيّن في مثل هذه الآية تطلب سبب نزولها ليظهر موقعها ووجه معناها"<sup>1</sup>.

فقد ذكر أن المسلمين كانوا يطلبون من الرسول (ﷺ) التأني في إلقاء الشريعة والقرآن حتى يحصل لهم الفهم والوعي، فكانوا يقولون "راعنا يا رسول الله"، وقد كان للمنافقين من اليهود كلمة في لغتهم العبرانية تشبه إلى حد بعيد كلمة (راعنا) ومدلولها هو السب (أحمق).<sup>2</sup> فاغتنموا فرصة هذه الكلمة فكان المسلمون بصدق نياتهم، يطلبون بكلمة راعنا التؤدة والتأني بحسب دلالة الكلمة في استعمالنا العربي، وكان اليهود والمنافقون منهم بسوء نياتهم يرددون الكلمة بمعناها العبراني، الذي يحمل معاني القبح والسب في شخص الرسول (ﷺ)، فاتخذوا الكلمة ذريعة وغطاء لمذمة الرسول (ﷺ) جهرا بعد أن كانوا يسبون سرًا وخفية. وقد ذكر الفراء (ت 207 هـ) في معاني القرآن القصة إذ يقول: "وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ هو من الإرعاء والمراعاة، وفي قراءة عبد الله، "لا تقولوا راعونا" ذلك أنها كلمة باليهودية 'شتم' فلما سمعت اليهود أصحاب محمد (ﷺ) يقولون يا نبي الله راعنا اغتنموا فقالوا: كنا نسبه في أنفسنا فنحن الآن قد أمكننا أن نظهر له السب، فجعلوا يقولون لرسول الله (ﷺ) راعنا ويضحك بعضهم إلى بعض"<sup>3</sup>.

فما كان يهمهم تمهل الرسول (ﷺ) في إلقاء الشريعة والقرآن، وإنما كانوا يسبون الرسول متخفين وراء الدلالة العبرانية للكلمة وفي هذا الشأن يقول 'ابن عاشور': "وقد ذكروا في سبب نزولها أن المسلمين كانوا إذا ألقى عليهم النبي (ﷺ) الشريعة والقرآن يتطلبون منه الإعادة والتأني في إلقائه حتى يفهموه ويعوه فكانوا يقولون له راعنا يا رسول الله، أي لا تتحرج منا وأرفق، وكان المنافقون من اليهود يشتمون النبي (ﷺ) في خلواتهم سرًا وكانت لهم كلمة بالعبرانية تشبه

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 650

<sup>2</sup> ينظر: عبد العظيم المصطفى: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 2، 1992، ج 1، ص 253

<sup>3</sup> أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء: معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط 1، دت، ج 1، ص 69.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تقييد (النص) القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

كلمة راعنا بالعربية، ومعناها في العبرانية؛ سبٌ وقيل معناها: لا سمعت دعاء، فقال بعضهم لبعض كنا نسب مُجدا سرا فأعلنوا به الآن<sup>1</sup>.

فإذا علمنا سبب نزول هذه الآية وهو تلاعب اليهود بدلالات الألفاظ أمكننا الآن إيجاد وجه العلاقة بين هذه الآية وما سبقها، وعليه يمكننا تحديد موقعها وسبب وجودها في هذا الموضوع بما يتيح علم المناسبة، وبالتالي أمكننا تحديد علاقة هذه الآية بالآيات التي تتحدث عن ملك سليمان والسحر؛ ذلك أنها تشترك في قاسم واحد مشترك وهو التمويه في دلالة الألفاظ والتلاعب فيها، على اعتبار أن السحر، كما يقول 'ابن عاشور' منه ما هو تمويه في استعمال الألفاظ، وبهذا يكون مثله مثل التمويه الذي قام به منافقو اليهود في استعمالهم لكلمة 'راعنا' بديلها العبراني، وفي هذا الصدد يقول 'ابن عاشور': "ومناسبة نزول هاته الآية عقب الآيات المتقدمة في السحر وما نشأ عن ذمه أن السحر كما قدمنا راجع إلى التمويه، وأن من ضروب السحر ما هو تمويه ألفاظ وما مبناه على اعتقاد تأثير الألفاظ في المسحور بحسب نية الساحر وتوجيهه النفسي إلى المسحور، وقد تأصل هذا عند اليهود واقتنعوا به في مقاومة أعدائهم، ولما كان أدى الشخص بقول أو فعل لا يعلم مغزاهما؛ كخطابه بلفظ يفيد معنى ومقصود المتكلم منه أدى، أو كإهانة صورته أو الوطء على ظله كل ذلك راجعا إلى الاكتفاء بالنية والتوجه في حصول الأذى، فكان هذا شبيها ببعض ضروب السحر، ولذلك كان من شعار من استهواهم السحر واشتروه، ناسب ذكر هاته الحالة من أحوالهم عقب الكلام على افتتاحهم بالسحر وحبه دون بقية ما تقدم من أحوالهم، وهاته المناسبة هي موجب التعقيب في الذكر<sup>2</sup>" وبهذا حكّم 'ابن عاشور' السياق التاريخي الخارجي في إبراز وجه العلاقة الدلالية بين الآيات القرآنية.

والشيء نفسه يقال عن دور السياق في تبرير ترتيب الآيات في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ فَإِنِ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [النساء: 34] حيث يبدو لنا ظاهر الخطاب عدم وجود علاقة بين هذه الآية وما سبقها من الآيات، غير أن 'ابن عاشور' يُعمل وظيفة السياق ووحدته في ربط الآية بما سبقها لأنها تقع في نفس سياق الأحكام التي ترجع إلى العائلة، وهذه الآية تتضمن

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 650.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 651.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

حقوق الرجال وحقوق النساء فناسب أن تكون في هذا الموضوع لأنها ذكرت في سياق بعض الأحكام التي تتناسب معها، ومن ذلك أحكام الإرث في قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: 7] وأحكام النساء في قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: 15]. وأحكام النكاح والمعاشرة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِلْ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَغْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَايِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19] وكذلك: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 22].

وغير هذه الآيات كثير وكلها تصب في سياق واحد وهو التشريع العائلي، وبهذا وجد 'ابن عاشور' تبريرا لوجود الآية في هذا الموضوع وقد استعان بما قدمه السياق في هذا الموضوع وفي هذا الشأن؛ أي موضع الآية يقول: "استئناف ابتدائي لتذكر تشريع في حقوق الرجال وحقوق النساء والمجتمع العائلي وقد ذكر عقب ما قبله لمناسبة الأحكام الراجعة إلى نظام العائلة لا سيما أحكام النساء"<sup>1</sup>.

ونفس الشيء يقال عن العلاقة بين قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ و﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: 87-88]. حيث يوظف السياق الذي وردت فيه الآية ليبرر موقعها ذلك أنها جاءت بعد الثناء على القسيسين والرهبان الذين وصفهم بأنهم أقرب الناس مودة للذين آمنوا، وقد كان من عاداتهم وطبائعهم أنهم بالغوا في الزهد والانقطاع عن الدنيا من طيباتها وحلالها، فجاءت الآية في هذا السياق الذي نبه فيه الله المؤمنين من صنيع القسيسين والرهبان من النصارى، الذين أوغلوا وتكلفوا في دينهم ما لم يؤمروا به، وفي هذه العلاقة يقول 'ابن عاشور' تعليقا على موقع الآيتين "استئناف ابتدائي خطاب للمؤمنين بأحكام تشريعية وتكملة على صورة التفريع، جاءت لمناسبة ما تقدم من الثناء على القسيسين والرهبان، وإذ كان من سنتهم المبالغة في الزهد، وأحدثوا رهبانية من الانقطاع عن التزويج وعن أكل

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج5، ص37.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

اللحوم، وكثير من الطيبات؛ كالتدهن وترفيه الحالة وحسن اللباس، نَبّه الله المؤمنين على أنّ الثناء على الرهبان والقسيسين بما لهم من الفضائل لا يقتضي اطراد الثناء عن جميع أحوالهم الرهبانية<sup>1</sup>.

وهي تقريبا نفس الفكرة التي ذهب إليها السيوطي (ت911هـ) في تبرير الانتقال من حال الرهبان والقساوسة إلى حال المؤمنين وتحذيرهم من التشدد في أمور دينهم وديناهم إذ يقول: "وسياق النظم ما أشار إليه الراغب قال: لما ذكر حال الذين قالوا إنا نصارى وأن منهم قسيسين ورهبانا ومدحهم بذلك وكانت الرهبان قد حرموا على أنفسهم طيبات ما أحل الله لهم ورأى الله قوما تشوفوا إلى حالهم وهموا أن يقتدوا بهم نهاهم عن ذلك"<sup>2</sup> ومناسبة نزول الآية معلومة مذكورة، فهي في بعض الصحابة الذين حاولوا الاتساء برهبان وقساوسة النصارى، فجاء الرد واضحا في هذه المسألة، والذي يهمنا في هذا المقام أن نوضح كيف أعمل 'ابن عاشور' وظيفة السياق من أجل تبرير ترتيب الآيات في النص القرآني، فتارة يعتمد السياق التاريخي متمثلا في أسباب النزول وتارة أخرى يعتمد السياق النصي المتمثل في الموضوعات التي ترد فيه الآية وعلاقتها بالآيات المحاورة لها من حيث المحتوى والمضمون .

### ب- النظر:

لا يعتمد 'ابن عاشور' على علة السياق وحدها لتبرير ترتيب الآيات وتجاورها بل يعتمد آليات أخرى في ذلك كالنظير، وقد ذكر الزركشي (ت794هـ) هذه العلة في ترتيب الآيات حين قال: "فإن إلحاق النظير بنظيره من شأن العقلاء؛ كقوله تعالى ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنفال: 5] عقب قوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: 4] فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمر الغنائم على كره من الصحابة كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير أو للعقال وهم كارهون، فهو تنبيه حال بحال، وهو متصل بما قبله هذا الحال كحال ما أخرجك ربك من بيتك بالحق، ووجه الشبه هو كراهية المؤمنين في بادئ الأمر لما هو خير لهم في الواقع"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج7، ص13.

<sup>2</sup> جلال الدين السيوطي: نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار، تحقيق أحمد بن عبد الله بن علي الدروني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1424-1425هـ، ج3، ص298.

<sup>3</sup> بدر الدين الزركشي: المرجع السابق، ج1، ص47.

## الفصل الرابع: المناسبة وورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

ومن أمثلة هذه العلة في القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: 23]. حيث بين 'ابن عاشور' أن هذه الآية التي بينت شطرا من الإيمان - كما ذكر - وذلك بعد أن تم إثبات شطر آخر منه فيما سبق من الآيات، خاصة في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: 21]. حيث نصّ فيه على ضرورة الإيمان بالله الذي خلق الخلق الأولين والآخرين، ودعم ذلك بقوله تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: 22]. فهذا تعزيز آخر لصفات المولى عز وجل التي تدعو حقيقة إلى الإيمان به فلما عدّ هذه الصفات الموجبة للإيمان به، انتقل برأي - 'ابن عاشور' إلى الجزء الثاني من جزئي الإيمان حيث يقول تعليقا على موقع الآية: "انتقال لإثبات الجزء الثاني من جزئي الإيمان بعد أن تم إثبات الجزء الأول من ذلك لما قدمه من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ فتلك هي المناسبة التي اقتضت عطف هذه الجملة على جملة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ ولأن النهي على أن يجعلوا لله أندادا جاء من عند الله فهم بمظنة أن ينكروا أن الله نهي عن عبادة شفعائه ومقربيه، لأنهم من ضلالهم كانوا يدعون أن الله أمرهم بذلك. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ [الزخرف: 20] فقد اعتلوا عبادة الأصنام بأن الله أقامها وسائط بينه وبينهم فزادت بهذا مناسبة عطف قوله "وإن كنتم في ريب" عقب قوله "فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا" <sup>1</sup>.

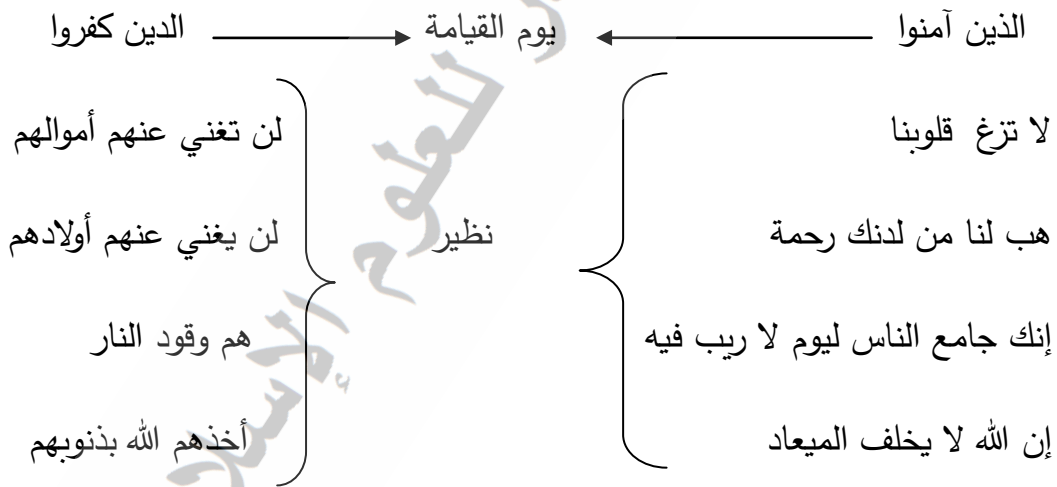
وبهذا تقوم العلاقة بين هذه الآية وما سبقها على مبدأ النضير، ذلك أن الآيات السابقة تمثل أمرا من الله عز وجل إلى الإيمان بذكر ما يستوجبه الإيمان، من أن الله خلق الخلق وجعل الشمس والقمر ونزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات، وبين الآية الحالية التي تبين أن لا فائدة للشريك والقرين من دون الله، وبهذا تقوم علاقة النضير التي هي إحدى "أشكال الترابط بين الآيات التي تلتقى فيها النتائج المشابهة للمواضيع أو الأفعال المختلفة فيلحق الثاني بالأول لا لشيء غير أنه يشبهه وينظره في جانب أو أكثر" <sup>2</sup>

<sup>1</sup> ابن عاشور، : المصدر السابق، ج1، ص335، 336

<sup>2</sup> محمد عبد الباسط عيد: المرجع السابق، ص52، 53

## الفصل الرابع: المناسبة وورثها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

والشيء نفسه يقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران: 10]. إذ جاءت الآياتان عقب دعاء المؤمنين من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: 9]. فقد يبدو الانقطاع الدلالي واضحاً بين دعاء المؤمنين وبين الإنذار للكافرين في الآيتين، حيث يعلق 'ابن عاشور' بقوله: "استئناف كلام ناشئ عن حكاية ما دعا به المؤمنون من دوام الهداية وسؤال الرحمة وانتظار الفوز يوم القيامة بذكر حال الكافرين في ذلك اليوم على عادة القرآن في إرداف البشارة بالندارة"<sup>1</sup>. فهنا يمسك 'ابن عاشور' بالصلة الدلالية بين الآيات القرآنية والتي يعزوها إلى علاقة النظير التي استدعتها حال المؤمنين يوم القيامة وما يرجونه من مغفرة ومثوبة وفوز، فاستدعى ذلك ذكر ما يقابل المؤمنين وهم الذين كفروا وحالهم أيضاً يوم القيامة، يوم لا ينفعهم أموالهم ولا أولادهم، وهذا كما يقول 'ابن عاشور' على عادة القرآن من إرداف البشارة بالندارة، وبين معنى البشارة والندارة بون شاسع في المعنى. ويمكن أن نوضح موضع هذه الآية وفق الشكل الآتي.



المخطط رقم 03: يوضح شكل علة النظير

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 3، ص 171.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وهي تقريبا نفس الملاحظة التي أشار إليها الرازي (ت606هـ) في تفسيره عند وقوفه على وجه انتظام هذه الآية مع ما سبقها حيث يقول: "اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما حكى عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم، حكى كيفية حال الكافرين وشديد عقابهم فهذا هو وجه النظم"<sup>1</sup> أي كان حال المؤمنين ودعائهم نظير حال الكافرين وعقابهم.

### ج- البيان:

وقد تكون علة ترتيب الآية هو البيان كما في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: 109] حيث يرى 'ابن عاشور' أن هذه الآية ما هي إلا بيان وتفسير لآية سابقة قبلها وهي قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ خَيْرِ مَنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة: 105]. وما بينهما مجرد اعتراض فقط، أي أن الآية السابقة هي في الحقيقة بيان لما يوده الذين كفروا المذكورة في الآية الأولى، وفي هذا يقول: "مناسسته لما قبله أن ما تقدم إخبار عن حسد أهل الكتاب وخاصة اليهود منهم، وأخرتها شبه النسخ، فجاء في هذه الآية بتصريح لمفهوم قوله " مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ " الآية لأنهم إذا لم يودوا مجيء هذا الدين الذي اتبعه المسلمون، فهم يودون بقاء من أسلم على كفره، ويودون أن يرجع بعد إسلامه إلى الكفر. وقد استطرده بينه وبين السابقة بقوله " ما ننسخ " الآيات للوجوه المتقدمة، فلأجل ذلك فصلت هاته الجملة لكونها من الجملة التي قبلها بمنزلة البيان إذ هي بيان لمنطوقها ولمفهومها"<sup>2</sup> فإن الآية بهذا التفسير كما نرى موضحة ومبينة لمنطوق ومفهوم قوله تعالى " مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا " وبهذا تظهر وجه العلاقة والصلة بين الآيتين في النص القرآني.

وقريب منه ما بيّنه 'ابن عاشور' في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِفِئْتَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِيَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران: 75]. إذ يرى 'ابن عاشور' أن ما يجمع بين هذه الآية وما سبقها هو كونها جاءت مبينة لما قبلها التي تحدثت عن دخائل اليهود ومكائدهم مع أنبيائهم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ

<sup>1</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج7، ص152.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص669.



## الفصل الرابع: المناسبة ودورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ [آل عمران: 69]. إذ المقصود بالطائفة جماعة من اليهود من بني قريظة والنضير وقينقاع، وكذلك في قوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 71] والمقصود بالطائفة هنا دائما هم من اليهود "قيل أشير إلى طائفة من اليهود منهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وغيرهما من يهود خيبر"<sup>1</sup>. فجاءت الآية المقصودة في هذا المقام لتبين بعض أوصاف اليهود ودخائلهم، وهذا ما يبرر انتظامها في هذا الموضوع عند 'ابن عاشور' حين يقول: "عطف على قوله "وقالت طائفة من أهل الكتاب" أو على قوله: "وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ" عطف القصة على القصة، والمناسبة بيان دخائل أحوال اليهود في معاملة المسلمين الناشئة عن صدهم وفي انحرافهم عن ملة إبراهيم مع ادعائهم أنهم أولى الناس به"<sup>2</sup>

ومثله أيضا العلاقة الموجودة بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَيَّرْتَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَلْمِيزًا﴾ [آل عمران: 21] وبين الآيات السابقة من قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 20] حيث جاءت الآية الأولى مبيئة لحال اليهود والذين كفروا المنافية لإسلام الوجه لله حقيقة؛ ذلك أن الأفعال المذكورة في هذه الآية تبين حقيقة انتفاء الإيمان والإسلام لله عز وجل؛ من الكفر بالآيات وقتل الأنبياء بغير الحق، وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس، فكل هذه الأفعال هي منافية لحقيقة الإسلام والإذعان لله عز وجل، فموضعها هنا هو لبيان حالة اليهود مقارنة بما ذكر سابقا في الآية قبلها من الدعوة إلى إسلام الوجه لله سبحانه والإذعان له ببيان جامع معاني الإسلام. وفي هذه العلاقة بين الآيتين يقول 'ابن عاشور' معلقا على موضع الآية "استئناف لبيان بعض أحوال اليهود المنافية لإسلام الوجه لله، فالمراد بأصحاب هذه الصلوات خصوص اليهود، وهم قد عرفوا بضمون هذه الصلوات في مواضع كثيرة من القرآن"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص288، 289.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ج3، ص235.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج3، ص205.

د- التضاد:

وقد تكون العلاقة بين الآيتين أو الآيات هي التضاد، وقد ذكرها الزركشي (ت794هـ) في معرض حديثه عن العلاقات بين الآيات المجاورة حيث يقول: "وقد تكون العلاقة بينهما المضادة، وهذا بمناسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب، والرغبة بعد الرهبة وعادة القرآن إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا وعيدا ليكون ذلك باعثا على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه ليعلم عظم الأمر والناهي"<sup>1</sup>.

ومن أمثلة استعمال 'ابن عاشور' لهذه العلة في تبرير تجاور وترتيب آيات الذكر الحكيم ما نجده في تبرير تجاور قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6] عقب قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ [البقرة: 4-5] حيث يرى 'ابن عاشور' أن اجتماع الآية مع ما سبقها تبرره علة الضد، ذلك أنه انتقل من الثناء على الكتاب والذين يؤمنون به ويتقيدون بأوامره ونواهيهم و يقيمون ما جاء فيه، إلى عكس ذلك تماما؛ أي إلى الذين يكفرون بالكتاب ويتركون أوامره ونواهيهم، أولئك الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ولهم أشد العذاب.

وواضح تماما الفرق بين الفريقين والحالتين وفي هذا يقول: "هذا انتقال من الثناء على الكتاب ومتقلديه ووصف هديه، وأثر ذلك الهدى في الذين اهتدوا به، والثناء عليهم الراجع إلى الثناء على الكتاب، لما كان الثناء إنما يذكر إذا تحققت آثار تلك الصفة التي استحق بها الثناء، ولما كان الشيء قد يقدر بضده انتقال إلى الكلام على الذين لا يحصل لهم الاهتداء بهذا الكتاب، وسجل أن حرمانهم من الاهتداء بهديه، إنما كان من خبث أنفسهم إذ نبوا بها عن ذلك"<sup>2</sup>.

ويواصل تبرير اجتماع الآيتين في هذا الموضوع الذي يغيب فيه الرابط الشكلي، ويمتنع فيه الوصل، ففيه فصل وانقطاع ظاهري لأنه -برأيه- موضع من المواضع التي يجب فيها الفصل (كمال الانقطاع)، إلا أن الرابط المعنوي لا يغيب في ذهن 'ابن عاشور' إذ يقول: "إنما قطعت هاته الجملة عن التي قبلها لأن بينهما كمال الانقطاع إذ الجمل

<sup>1</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ج1، ص46

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص247

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

السابقة لذكر الهدى والمهتدين، وهذه لذكر الضالين فبينهما الانقطاع لأجل التضاد، ويُعلم أن هؤلاء قسم مضاد للقسمين المذكورين قبله من سياق المقابلة<sup>1</sup>

ولا نرى 'ابن عاشور' في هذا الموضوع إلا مكررا لما أشار إليه 'الزركشي' (ت794هـ) في حديثه عن العلاقات الجامعة بين الآيات المناسبة؛ حيث ذكر هذه العلة أي التضاد. وقدم نفس الدليل بنفس الرؤية التي ذكرها الزركشي (ت794هـ) حيث يقول ميرا اجتماع الآيات التي تتحدث عن حال الذين كذبوا بالكتاب ويكفرون به، وعلاقتها بالآيات التي تتحدث عن حال الذين آمنوا بالكتاب وصدّقوا به "ومن أمثلته قوله تعالى في سورة البقرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية فإنه أول السورة كان حديثا عن القرآن الكريم وأن من شأنه كيت وكيت، وأنه لا يهدي القوم الذين من صفاتهم كيت وكيت فرجع إلى الحديث عن المؤمنين، فلما أكمله عقب بما هو حديث عن الكفار، فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل وبضدها تبين الأشياء"<sup>2</sup>.

والملاحظة نفسها تلقفها السيوطي (ت911هـ) من بعده معلقا عن نفس الموضوع بقوله "المضادة كقوله في سورة البقرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية فإن أول السورة كان حديثا عن القرآن وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان فلما وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل: : وبضدها تبين الأشياء"<sup>3</sup> فهو نفس كلام الزركشي (ت794هـ) على ما نعلم من العلاقة بين كتاب الزركشي (ت794هـ) 'البرهان في علوم القرآن' وكتاب السيوطي (ت911هـ) 'الاتقان في علوم القرآن'!

والأمر نفسه في ترتيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62] "عقب آيات الترهيب التي جاءت في بني إسرائيل من ضرب الذلة عليهم والمسكنة والضياع في أرض مصر، وأنهم باؤوا بغضب من الله في قوله بيانا لحالهم ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص247

<sup>2</sup> الزركشي: المصدر السابق، ج1، ص49.

<sup>3</sup> السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص372.

## الفصل الرابع: المناسبة وورثها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ [البقرة: 61]. فالعلاقة هي الضد كما بينها 'ابن عاشور' حين أورد تعليقه على هذا الترتيب بقوله "فقد وفيت الآية حق الفريقين من الترغيب والبشارة وراعت المناسبتين للآيات المتقدمة مناسبة اقتران الترغيب بالترهيب ومناسبة ذكر الضد بعد الكلام على ضده"<sup>1</sup>.

وهي الخلاصة التي توصل إليها الرازي (ت606هـ) حين بين أن ما يجمع بين الآية المذكورة وما قبلها هو من باب الجمع بين الضدين؛ أي بين حال الكفار والترهيب الذي طاهم بسبب سوء فعالهم، وبين التبشير والتسليية التي أعقبت هذه الحالة في بقاء باب الرحمة مفتوحا حيث يقول: "واعلم أن عادة الله إذا ذكر وعدا أو وعيدا أعقبه بما يضاذه ليكون الكلام تاما فهانها لما ذكر حكم الكفرة من أهل الكتاب وما حل بهم من العقوبة أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم والثواب الكريم دالا على أنه سبحانه وتعالى يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته"<sup>2</sup>.

وتوثق أكثر هذه العلة في ترتيب الآيات حين بين 'ابن عاشور' وجه العلاقة بين قوله تعالى ﴿وَإِثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: 27-28] وبين قوله أيضا: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَدَخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [المائدة: 23-26] حيث يرى 'ابن عاشور' أن هذه العلاقة هي من قبيل عطف النبأ على النبأ، وبين النبأين علاقة تماثل وتضاد، فإن التماثل يكمن في القصتين المذكورتين، ففي كليهما عدم الرضى على حكم الله "فإن بني إسرائيل عصوا أمر رسولهم إياهم بالدخول إلى الأرض المقدسة، وأحد ابني آدم عصى حكم الله بعدم قبول قربانه،

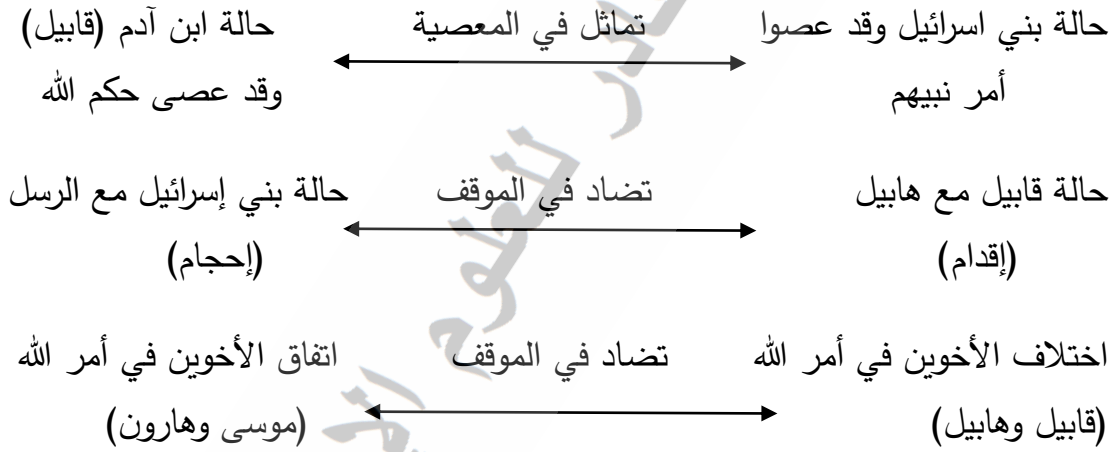
<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 531.

<sup>2</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج 3، ص 535.

## الفصل الرابع: المناسبة وورثها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

لأنه لم يكن من المتقين، وفي كليهما جرأة على الله بعد المعصية<sup>1</sup>. ذلك أن بني إسرائيل رفضوا القتال مع نبيهم ودخول القرية الموعودة لهم. فعصوا ربهم وعصوا نبيهم، أما ابن آدم فقد قتل أخاه الذي قُبل منه قربانه وهي معصية كذلك - أي القتل - فهذه علة أولى برر بها 'ابن عاشور' اجتماع الآيات وترتيبها، وبرر موقعها وموضعها.

وأما التبرير الثاني - وهو المهم - بالنسبة لنا في هذا الموضوع وهو التضاد الواقع بين حالة ابن آدم قابيل في إقدامه على قتل أخيه، وبين حالة بني إسرائيل في إحجامهم عن الدخول إلى القرية واتباع أمر نبيهم، وبين الوثام والوفاق بين موسى وأخيه هارون والشقاق والخلاف بين ابني آدم قابيل وهابيل حيث يقول: "وأما التضاد فإن في إحداهما إقداما مذموما من ابن آدم وإحجاما مذموما من بني إسرائيل، وإن في إحداهما اتفاق أخوين هما موسى وأخوه على امتثال أمر الله تعالى وفي الأخرى اختلاف أخوين بالصلاح والفساد"<sup>2</sup> ويمكن أن نوضح هذه العلاقة وفق الشكل الآتي:



المخطط رقم 04: يبين العلاقة بين الآيات الكريمة.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص168

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص168.

هـ - الاستطراد:

وقد تكون علة الترتيب والمناسبة الاستطراد باعتباره وسيلة ربط دلالية تدل على "الخروج من معنى إلى آخر يتصل بالمعنى الأول ويعمقه وليس مجرد خروج"<sup>1</sup>، وهو نفس المعنى الذي نرى 'ابن عاشور' ينص عليه في تعليقه على ترتيب قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 143] عقب قوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 142] حيث يرى 'ابن عاشور' أن الآية الأولى استطراد لذكر فضائل أخرى للذين هُتدوا إلى صراط مستقيم فناسب مضمون الآية الأولى الآية الثانية بهذا الاستطراد، لأنه لا يُنبئ عن انقطاع دلالي بين الآيتين، على اعتبار أن مضمون الآية المعنية تشير إلى فضيلة من الفضائل التي تضاف إلى المهتدين إلى الصراط المستقيم المذكورين في قوله "يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"، وبهذا يتحقق مفهوم الاستطراد في هذا التحليل عند 'ابن عاشور' باعتباره -أي الاستطراد- يشير إلى الخروج من معنى إلى آخر يتصل بالمعنى الأول يعمقه ولا يخرج عنه، وهذا ما نراه جليا في هذا النموذج القرآني؛ فما كون المسلمين عدولا شاهدين على الأمم الأخرى سوى تنمة للوصف السابق المذكور في الآية السابقة وهو الاهتداء إلى الصراط المستقيم وفي هذا يقول 'ابن عاشور' "فالآية السابقة لما أشارت إلى أن الذين هُتدوا إلى صراط مستقيم هم المسلمون وأن ذلك فضل لهم ناسب أن يستطراد لذكر فضيلة أخرى لهم هي خير مما تقدم وهي فضيلة كون المسلمين عدولا خيارا ليشهدوا على الأمم"<sup>2</sup>

وبهذا أيضا برر 'ابن عاشور' ترتيب الآيتين في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146] وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي

<sup>1</sup> محمد عبد الباسط عيد: المرجع السابق، ص 54

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 2، ص 14، 15

## الفصل الرابع: (الناسبة و دورها في تقييد (النص القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشور

كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِدَاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ [البقرة: 142-145] فقد يبدو ظاهرا للقارئ الانقطاع الدلالي بين الآيات الكريمة ذلك أنه لا يوجد رابط شكلي يجمع بينها، إلا أن 'ابن عاشور' يوضح لنا الرابط بين الآيات الكريمة؛ إذ هو قائم على علّة الاستطراد التي تبرر مناسبة الآية الأخيرة لما قبلها من الآيات، فإن مضمون الآية هو استمرار حالة طعنهم في القبلة الإسلامية مع علمهم اليقين بها. فجاءت الآية في هذا السياق لتكتمل هذه المطاعن في الإسلام وفي الرسول (ﷺ)، وفي هذا الشأن يقول 'ابن عاشور' تعليقا عن موقع الآية: "جملة معترضة بين جملة " وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ " وبين جملة " ولكل وجهة" الخ اعتراض استطراد بمناسبة ذكر مطاعن أهل الكتاب في القبلة الإسلامية، فإن طعنهم كان عن مكابرة مع علمهم بأن القبلة الإسلامية حق كما دل عليه قوله (وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ) فاستطرد بأن طعنهم في القبلة الإسلامية ما هو إلا من مجموع طعنهم في الإسلام وفي النبي (ﷺ)، والدليل على الاستطراد قوله بعده " ولكل وجهة هو مؤيهاً" فقد عاد إلى الكلام إلى استقبال القبلة<sup>1</sup> وبهذا تتحقق الصلة الدلالية بين الآيات الكريمة وينتفي معها الانقطاع الذي ينفي عن النص القرآني إعجازه.

والأمر نفسه يقال في حديثه عن ترتيب قوله ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79] وذلك عقب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 78]. فقد ذكر في الآية الأولى عيسى عليه السلام لأنه هو المقصود بكلمة 'بشر' وما تقوّل عليه النصارى من تحريف الكتاب، فجاء الرد واضحا من المولى عز

<sup>1</sup> ابن عاشور، المصدر السابق، ج 2، ص 39

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تقييد (انسجام) النص (القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وجلّ في الآية، وهذا بعد أن ذكر في الآية التي قبلها أحوال طائفة من اليهود "تحتلّ للمسلمين أشياء أنها مما جاء في التوراة وليست كذلك، إما في الاعتذار عن بعض أفعالهم الذميمة كقولهم وليس علينا في الأميين سبيل، وإما للتخليط على المسلمين حتى يشككهم فيما يخالف ذلك مما ذكره القرآن، أو لإدخال الشك عليهم في بعض ما نزل به القرآن"<sup>1</sup>. وعليه فقد ناسب ذكر بعض هذه الأحوال الخاصة باليهود الانتقال إلى ذكر أمر آخر خاص بالنصارى، وهو التحريف وذلك عن طريق الاستطراد باعتباره "انتقالاً من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى الثاني"<sup>2</sup>. وهذا ما نَبّه إليه 'ابن عاشور' في تعليقه على هذا الترتيب إذ يقول: "اعتراض واستطراد فإنه لما ذكر ليّ اليهود ألسنتهم بالتوراة وهو ضرب من التحريف استطراد ذكر التحريف الذي عند النصارى لمناسبة التشابه في التحريف إذ تقول النصارى على المسيح أنه أمرهم بعبادته، فالمراد بالبشر عيسى عليه السلام والمقصود تنزيه عيسى على أن يكون قال ذلك رداً على النصارى"<sup>3</sup>. فيكون رجوعاً إلى الغرض في قوله تعالى: "قل يا أهل الكتاب".

وهي الملاحظة نفسها تقريباً التي سجلها الرازي (ت606هـ) في تبريره للانتقال من الحديث عن تحريف اليهود للكتاب إلى تحريف النصارى إذ يقول: "اعلم أنه تعالى لما بيّن أن عادة علماء أهل الكتاب التحريف والتبديل أتبعه بما يدل على أن من جملة ما حرّفوه ما زعموا أن عيسى عليه السلام كان يدعي الإلهية، وأنه كان يأمر قومه بعبادته فلماذا قال، ما كان لبشر الآية"<sup>4</sup>.

### و- الفذلكة:

قد يكون ترتيب الآي في نظر 'ابن عاشور' خاضع لعلّة أو مبدأ الفذلكة أي تكون علاقة الآية بما سبقها علاقة إجمال وحوصلة لما سبق، وقد عبر 'ابن عاشور' عن معنى الكلمة حين قال "لفظ الفذلكة كلمة مولدة لم تسمع من كلام العرب، غلب اسم الفذلكة على خلاصة جمع الأعداد"<sup>5</sup> ولكنه عبر بهذا المصطلح عن المعنى الذي ذكرناه،

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص291.

<sup>2</sup> عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتخليص المفتاح، مكتبة الآداب، القاهرة، ط17، 2006، ج4، ص591.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص293.

<sup>4</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج8، ص269.

<sup>5</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص288.



## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وهو كون الآية مشتملة على حوصلة وإجمال لما ذكر قبلها، وبهذه العلة برر 'ابن عاشور' ترتيب عدد كبير من الآيات في مواضع مختلفة.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: 82] حيث يرى 'ابن عاشور' أن علة وجود هذه الآية في هذا الموضوع هو كونها جاءت مبينة ومجملة لما سبق تفصيله في أحوال اليهود والنصارى وما جابها الإسلام من عداوة ومكر، ورفض لدين الحق على تفاوت في العداوة والمكر والرفض بينهما اتجاه الإسلام، وقد وضح أشكال هذا الرفض عند اليهود، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: 81-80] وأيضا ذكر أحوال الرفض عند النصارى قبل هذه الآية فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51] وغيرها من الآيات السابقة التي وضح فيها 'ابن عاشور' موقف اليهود والنصارى من الإسلام والمسلمين، فجاءت الآية المقصودة لإجمال كل تلك المقدمات التي ذكرت في وصف موقفهم، وفي هذا الشأن يقول 'ابن عاشور' تعليقا على موقع الآية: "فذلك لما تقدم من ذكر ما لاقى به اليهود والنصارى دعوة الإسلام من الإعراض على تفاوت فيه بين الطائفتين فإن الله شنع من أحوال اليهود ما يعرف منه عداوتهم للإسلام (...). وذكر من أحوال النصارى ما شنع به عقيدتهم ولكنه لم يحك عنهم ما فيه عداوتهم المسلمين (...). فجاء قوله لتجدن أشد الناس عداوة الآية فذلك لحاصل ما تكنه ضمائر الفريقين نحو المسلمين"<sup>1</sup>.

ومنه أيضا تبرير موقع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: 174-175] حيث جاءت آمنا بالله واعتصموا به فسبداخلهم في رحمته منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما [النساء: 174-175] حيث جاءت الآيتان فذلك للكلام السابق واستنتاجا عاما له وهو ما يبرر موقعها في هذا الموضوع كما يرى 'ابن عاشور' حيث إنه قد ذكر قبلها من دعوة الاهتداء وترك الضلال من قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 7، ص 05.

## الفصل الرابع: المناسبة ودورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

الْحَقُّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾ [النساء: 171]

وغيرها مما يصور فيه المولى عز وجل الدعوة إلى نبذ الباطل واتباع الحق فجاءت الآية المقصودة في هذا السياق لتجمع أسباب الأخذ بالهداية وترك الشقاق والضلال حيث يقول 'ابن عاشور' تعليقا على موقع هذه الآية: "فذلكة للكلام السابق بما هو جامع للأخذ بالهدى ونبذ الضلال بما اشتمل عليه القرآن من دلائل الحق وكبح الباطل. فالجملة استئناف وإقبال على خطاب الناس كلهم بعد أن كان الخطاب موجها إلى أهل الكتاب خاصة"<sup>1</sup>.

وإلى هذا المعنى مال كل من الرازي (ت606هـ) وابن كثير (ت774هـ) في تفسيرهما للآية الكريمة وتبرير موقعها وعلاقتها بما سبق إذ هي في الأصل متعلقة بما قبلها حين تعمم وتجمل الدعوة إلى الهدى، ونبذ الضلال فقال ابن كثير (ت774هـ) معلقا على موقع الآية: "يقول تعالى مخاطبا جميع الناس ومخبرا بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم وهو الدليل القاطع للعذر والحجة المزيلة للشبهة"<sup>2</sup>

وأما الرازي (ت606هـ) فيقول معلقا: "اعلم أنه تعالى لما أورد الحجة على جميع الفرق من المنافقين والكفار اليهود والنصارى وأجاب عن جميع شبهاتهم، عمم الخطاب ودعا الجميع إلى الاعتراف برسالة محمد عليه الصلاة والسلام فقال: يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم، والبرهان هو محمد عليه الصلاة والسلام"<sup>3</sup>.

### ي- المشاكلة:

وقد تكون علة ترتيب الآيات عند 'ابن عاشور' هي علة شكلية تتمثل في المشاكلة التي تعني: "ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير"<sup>4</sup>، حيث برر بها 'ابن عاشور' موقع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188] حيث ذكر فيها أكل أموال الناس بالباطل، والمقصود في هذا السياق هو أخذ أموال الناس لأجل الانتفاع دون إرجاع لأن هذا الأخذ

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج6، ص62.

<sup>2</sup> أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1989، ج2، ص428.

<sup>3</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج11، ص274.

<sup>4</sup> يدوي طبانة: المرجع السابق، ص312.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تقييد (النص القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

"يشبه الأكل من جميع جهاته"<sup>1</sup>؛ فيرى 'ابن عاشور' أن في الآية مشاكلة لما سبقها؛ حيث أطلق على أخذ أموال الناس دون إرجاعها إلى غيرها والانتفاع وصف الأكل، لأنه يشبهه من جهات أخرى، وإنما أطلق على هذا الفعل 'أكل المال' مشاكلة للآية التي قبلها حين ذكر التحذير من الجرأة على أحكام المولى عز وجل ومخالفة أحكام الصيام بالإفطار، و هو ضرب من الأكل الحرام، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلَّمَ اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ مُخْتَلِفُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿187﴾ [البقرة: 187] وبهذا تظهر بين الأكل في هذه الآية - وهو أكل حرام لأنه بني على انتهاك فريضة الصيام- وبين الانتفاع بأموال الناس دون ارجاعها لأنها أكل حرام مبني على انتهاك العلاقات الاجتماعية، وفي هذا الصدد يقول: 'ابن عاشور' معلقا على موقع الآية: "عطف جملة على جملة والمناسبة أن قوله " تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا " تحذير من الجرأة على مخالفة حكم الصيام غير المأذون فيه وهو ضرب من الأكل الحرام، فعطف عليه أكل آخر محرم وهو أكل المال بالباطل، والمشاكلة زادت المناسبة قوة"<sup>2</sup>

وعلى هذا النحو وغيره يمضي 'ابن عاشور' في تبرير المناسبة النصية بين الآيات وتبرير ترتيب الآيات القرآنية على ما هي عليه في النص القرآني، مؤمنا بأن وضعها كما هي عليه (الترتيب) هو مبعث إعجازها؛ لأنها بتوقيف من النبي (ﷺ)، ومبينا في الوقت نفسه أن في موضعها الذي هي فيه علاقة ما، فليس هناك اعتبار في ترتيب الآيات، بل هناك مناسبة بينها وبين الآيات التي سبقتها أو تليها بوجه من الوجوه الذي يبرر هذه العلاقة؛ فقد يجمعها سياق النزول (التاريخي) وقد يجمعها السياق اللغوي، أو علل أخرى ذكرناها كالضد والمقابلة والنظير والمشاكلة، أو علل أخرى لم نذكرها كالترتيب والتوكيد والتفصيل وغيرها، وهي في مجملها تبرز عناية 'ابن عاشور' بهذا النوع من المناسبة، وقد أولاه عناية فائقة إيمانا منه بالدور الذي تلعبه عملية الربط بين الآيات وإيجاد الجامع الدلالي بينها في إثبات إعجاز النص القرآني من جهة، وإثبات تلاحمه وانسجامه من جهة ثانية، وكل هذا سيرا على المنهج الذي سطره في

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص187.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2 ص187.

## الفصل الرابع: المناسبة ودورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

مقدمته، والذي وضحه في عنايته بالمناسبة بين الآيات دون تكلف ولا مغالاة كما فعل غيره، وهو ما نراه واضحا جليا في تفسيره، فلا يغادر 'ابن عاشور' موضعا إلا ويبين وجه العلاقة فيه بين الآي ولا يفوت فرصة إلا ويربط الحاضر بالسابق من آي القرآن.

### 1-2- المناسبة ضمن الآية الواحدة

نقصد بالمناسبة ضمن الآية الواحدة تلك العلاقة التي أقامها 'ابن عاشور' بين ألفاظ ومعاني ومقاصد الآيات القرآنية في سبيل تبرير اختيار ألفاظها ومعانيها أو ترتيبها؛ أي " من حيث ترابط خاتمتها بمطلعها وتناسب ألفاظها مدلولها ومقصودها وغرضها"<sup>1</sup>، فقد وقف 'ابن عاشور' في كثير من المحطات عند هذه الجزئية المهمة في إثبات إعجاز النص القرآني في ألفاظه ومعانيه فتراه أحيانا يبين العلاقة بين ألفاظ الآية ومعانيها والمقاصد العامة للرسالة، وأحيانا يربط اختيار الألفاظ بالسياق وأحيانا يحاول ربط أول الآية بآخرها وغيرها من المحاولات التي لا يمكن إدراجها إلا في هذا الباب أي المناسبة والتناسب.

ومن نماذج هذا النوع من المناسبة في تفسير 'التحرير والتنوير' ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوى كُؤُومًا مِّنْ طَيِّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: 57] فوقف 'ابن عاشور' مطولا مع قوله تعالى " وَمَا ظَلَمُونَا " وبين وجه ملاءمتها ومناسبتها للسياق الذي وردت فيه، فذكر بداية أنها - كما قال فيها الزمخشري (ت538هـ) - معطوفة على مقدر متمثل في قوله: "وما ظلموا" ومع التفصيل الذي ذكره 'ابن عاشور' في إبراز وجه ملاءمة هذا التقدير إلا أنه لا يرى داعٍ للتقدير في هذا المقام إذ إن قوله تعالى: " وَمَا ظَلَمُونَا " معطوفة على ما سبقها؛ لأنها واقعة مع ما قبلها في سياق واحد يتمثل في إبراز أحوال بني إسرائيل من كفران النعم وجحودها.

والسبب الأساس لورود هذه الجملة في هذا الموضع بالذات يرجع - كما يقول - إلى الجمل السابقة التي أشارت إلى صدور الظلم منهم كما في قوله: ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: 92]، وقوله ﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: 54] وغيرها من الجمل المعبرة عن ظلم بني إسرائيل لأنفسهم، وفي هذا السياق

<sup>1</sup> أحمد محمد بن قاسم مذكور: المرجع السابق، ص40.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

يقول: "والذي يظهر لي أن لا حاجة إلى التقدير وأن جملة " وَمَا ظَلَمُونَا " عطف على ما قبلها، لأنها مثلها في أنها من أحوال بني إسرائيل ومثار ذكر هذه الجملة هو ما تضمنته بعض الجمل التي سبقت من أن ظلما قد حصل منهم (...) فأتى بهذه الجملة كالفلكة لما تضمنته الجمل السابقة"<sup>1</sup> وبهذا يبرر 'ابن عاشور' موقع هذه الجملة في هذه الآية وسبب وجودها في هذا الموضع وذلك حين ربطها بغيرها من الجمل، وبهذا يعمل 'ابن عاشور' وظيفة السياق في إبراز التناسب ضمن الآية القرآنية.

ومن أشكال المناسبة ضمن الآية القرآنية الواحدة ما ذكره من تناسب مطلع الآية مع خاتمتها وذلك في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136] حيث يرى 'ابن عاشور' أن هناك علاقة واضحة بين بداية الآية ونهايتها، حيث كان الخطاب موجها للمسلمين في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ ثم كانت نهاية الآية بذكر المسلمين في قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. وبين هذه المقدمة وهذه الخاتمة ذكر لما أنزل على النبيين، وفي هذا الشأن يقول: "ومن مناسبات هذا المعنى أن ابتدئ بقوله ما أنزل إلينا واختتم بقوله ونحن له مسلمون ووسط ذكر ما أنزل على النبيين بين ذلك"<sup>2</sup>.

ومن صور المناسبة ضمن الآية الواحدة العلاقة بين المعاني ضمن الآية الواحدة سواء في ترتيبها أو علاقتها بالمعنى العام للآية ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1] حيث يرى 'ابن عاشور' أن في الآية أمرين أساسيين وإشارتين مهمتين؛ الأولى هي وحدة النوع في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، والثانية هي ضرورة توحيد الاعتقاد في قوله: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ حيث يرى أن ذكر وحدة النوع البشري ناسب ذكر وحدة الاعتقاد وفي هذا الصدد يقول: "فلما كان ما بعد هذا النداء جامعا لما يؤمر به الناس بين مؤمن

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 511.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 738.

## الفصل الرابع: المناسبة ودورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وكافر، نودي جميع الناس فدعاهم الله إلى التذكر بأن أصلهم واحد إذ قال: "اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة" دعوة تظهر فيها المناسبة بين وحدة النوع ووحدة الاعتقاد<sup>1</sup>.

ومن صور المناسبة في الآية الواحدة تلك الصلوات والمناسبات التي نسجها 'ابن عاشور' بين ألفاظ الآية ومعانيها ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة: 41] حيث يعلق 'ابن عاشور' على استخدام عبارة: "وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ"، وقد وردت في الآية المشابهة لها عبارة "فَارْهَبُونِ" أي في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40] فيرى أن كلا الكلمتين قد وقعتا في مكانهما المناسب؛ فإنه ذكر في الأولى الرهبة لأنها مناسبة لمعنى الآية التي تدعو إلى الوفاء بالعهد، فناسبها أن يذكر ما يخوف بني إسرائيل من نكته على اعتبار أن الرهبة مقدمة التقوى، وناسب معنى الآية الثانية ذكر التقوى لأنها تأمر بالإيمان بالقرآن وعدم الكفر بما أنزل إليهم، والتقوى رهبة يأخذ فيها بالحسبان العمل بالمأمورات واجتناب المنهيات، ثم إن الرهبة كما يقول 'ابن عاشور' "انفعال دون عمل" لذلك ناسب موضعها في الآية التي تدعو إلى ذكر نعم الله والوفاء بالوعد.

وأما التقوى فهي تدل على معنى الرهبة بالإضافة إلى العمل بالمأمورات واجتناب المنهيات وهذا ما يتلاءم ومعنى الآية التي ذكرت فيها التقوى، ففيها تهيب ودعوى إلى الإيمان وترك كل ما ينقض هذا الإيمان، وفي هذا الشأن يقول معلقا على الآيتين: "القول فيه كالقول في "وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ"، إلا أن التعبير في الأول بـ: "ارهبون" وفي الثاني بـ: "اتقون" لأن الرهبة مقدمة التقوى، إذ التقوى رهبة معتبر فيها العمل بالمأمورات واجتناب المنهيات بخلاف مطلق الرهبة فإنها اعتقاد وانفعال دون عمل، ولأن الآية المتقدمة تأمرهم بالوفاء بالعهد فناسبها أن يخوفوا من نكته وهذه الآية تأمرهم بالإيمان بالقرآن الذي منعهم منه بقية دهائمهم، فناسبها الأمر بأن لا يتقوا إلا الله"<sup>2</sup>.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17]. حيث يرى 'ابن عاشور' أن في اختيار لفظ "النور" دون غيره من الألفاظ مناسبة لمعنى الآية،

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ج4، ص214.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص402.

## الفصل الرابع: المناسبة ودورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

فلم يعبر المولى عز وجل عن هذا المعنى بلفظ "الضوء" أو "النار" للتعبير عن ذهاب نارهم لأن في الآية علاقة شبه قائمة بين مظاهر الإسلام وبين حالة الكفار، وفي هذا الشأن يقول: "واختيار لفظ النور في قوله "ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ" دون الضوء ودون النار لأن لفظ النور أنسب؛ لأن الذي يشبه النار من الحالة المشبهة هو مظاهر الإسلام التي يظهرها وقد شاع التعبير عن الإسلام بالنور في القرآن فصار اختيار لفظ النور هنا بمنزلة تجديد الاستعارة لأنه أنسب بالحال المشبهة وعبر عما يقابله في الحال المشبه بها بلفظ يصلح لهما أو هو بالمشبه أنسب في اصطلاح المتكلم"<sup>1</sup>.

وذهب الزركشي (ت794هـ) في تفسير وجه استخدام "النور" بدل الضوء مذهبا آخر حين ربط المسألة بالعموم والخصوص، لأن النور عنده أعم من الضوء، فيطلق على الكثير أو القوي منه والضعيف، وأما الضوء فلا يطلق إلى على النور القوي. فلو استعمل في هذا الموضع كلمة (الضوء) لدلت على عكس معنى الآية؛ إذ المراد تصوير ذهاب نورهم ولو استعمل كلمة الضياء لانتفى هذا المعنى، وهذا انطلاقا من مبدأ أن "نفي العام يدل على نفي الخاص وثبوته لا يدل على ثبوته، وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ولا يدل نفيه على نفيه"<sup>2</sup> وفي هذا الشأن يقول معلقا على الآية: "كقوله تعالى " مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ " ولم يقل: "بضوئهم" بعد قوله "أضاءت" لأن النور أعم من الضوء إذ يقال على القليل والكثير، وإنما يقال الضوء على النور الكثير ولذلك قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: 5] ففي الضوء دلالة على الزيادة فهو أخص من النور وعدمه لا يوجب عدم الضوء لاستلزام عدم العام عدم الخاص فهو أبلغ من الأول والغرض إزالة النور عنهم أصلا"<sup>3</sup>.

ويدخل في هذا النوع من المناسبة أيضا العلاقات المختلفة بين المعاني القرآنية ضمن الآية الواحدة، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 77]، حيث يعلق على العلاقة بين صلة الموصول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وبين الوعيد الناشئ بعدها بقوله: "وفي مجيئ هذا الوعيد عقب الصلة وهي يشترون بعهد الله الآية إيذان بأن من شابههم في هذه الصفات فهو لاحق بهم حتى ظن بعض السلف أن هذه الآية

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص310.

<sup>2</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ج3، ص402.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج3، ص402.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

نزلت فيمن حلف بيمين باطلة<sup>1</sup>، وبهذا الشكل يصور 'ابن عاشور' العلاقة بين الجملتين المعنيتين في الآية فإنما ذكر الصلة في رأس الآية ليوضح أن كل من تنطبق عليه مدلول الصلة "يشري بآيات الله ثنا قليلا" واقع عليه ما يقع على الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم، أي واقع بهم ما يقع بأولئك.

ومن أشكال المناسبة المعنوية في الآية القرآنية ترتيب أجزائها ومعانيها كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَّمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 20]. حيث يعلق 'ابن عاشور' على ترتيب معاني الآية والعلاقة بينها: "واعلم أن قوله (أَسَلَّمْتُ وَجْهِي) كلمة جامعة لمعاني كنه الإسلام وأصوله أُلقيت إلى الناس ليتدبروا مطاوبها فيهتدي الظالمون ويزداد المسلمون يقينا بدينهم، إن علمنا أن مجيء قوله "أَسَلَّمْتُ وَجْهِي" عقب قوله "إن الدين عند الله الإسلام" وقوله "فَإِنْ حَاجُّوكَ" وتعقيبه بقوله "أَسَلَّمْتُمْ" أن المقصود منه بيان جامع معاني الإسلام حتى تسهل المجادلة وتختصر المعادلة ويسهل عرض المتشككين أنفسهم على هذه الحقيقة ليعلموا ما هم عليه من الديانة"<sup>2</sup> أي أن عرض هذه المعاني بهذا الشكل إنما المراد به بيان معاني الإسلام الكلية الجامعة حتى يتضح موقع المخالفين لها، ويتبين الكفار والمشككون موقعهم من معاني الإسلام.

وهي الحالة نفسها تقريبا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29] وذلك في تقديم أكل الأموال بالباطل على معنى قتل النفس، مع أن قتل النفس في الإسلام أشد وأخطر وأدعى أن يؤدي إلى فساد المجتمع إلا أن 'ابن عاشور' كان له رأي في هذا حين عزا تقديم أكل المال بالباطل إلى أمرين:

- إما أن يكون ذلك مناسبة للآيات السابقة التي جاءت على صيغة النهي فناسب أن يستمر في النهي.
- إما أن يكون مراعاة لحال المخاطبين الذين كانوا قريبي عهد بالجاهلية، وكان أكل أموال الناس عندهم أسهل عليهم من قتل النفس، فأراد أن ينبههم إلى هذا الأمر فلذلك تم تقديم أكل الأموال على قتل الأنفس، وفي هذا الشأن يقول 'ابن عاشور': "وتقديم النهي عن أكل الأموال عن النهي عن قتل الأنفس، مع أن الثاني أخطر؛ إما

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص290.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص202، 203.



## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تفتيق (انسجام) النص (القرآني) عند محمد الطاهر (ابن) عاشور

لأن مناسبة ما قبله اقتضت إلى النهي عن أكل الأموال فاستحق التقديم لذلك، وإما لأن المخاطبين كانوا قريبي عهد بالجاهلية وكان أكل الأموال أسهل عليهم، وهم أشد استخفافا به منهم بقتل الأنفس، لأنه كان يقع في مواقع الضعف حيث لا يدفع صاحبه عن نفسه كاليتيم والمرأة والزوجة، فأكل أموال هؤلاء في مآمن من التبعات خلاف قتل النفس، فإن تبعاته لا يسلم منها أحد، وإن بلغ من الشجاعة والعزة في قومه كل مبلغ<sup>1</sup>

وبهذا الشكل يتضح لنا عناية 'ابن عاشور' الفائقة بأشكال التماسك الدلالي في الآيات القرآنية من خلال الوقوف على إبراز إعجاز وبلاغة اختيار الألفاظ وعلاقتها بالمعاني الكلية للآيات والسور، واختيار المعاني المناسبة وبيان العلاقات المختلفة بينها ضمن الآية الواحدة بما يبرز التلاؤم المطلوب في النص القرآني. ولا شك أن صنع 'ابن عاشور' هذا كان يستعين فيه بما أوتي من معارف لغوية وشرعية وسياقية لأجل تبرير الصلات الدلالية التي وضحها في الآيات القرآنية.

### 1-3- مناسبة الآية لمقاصد السورة وأغراضها

وهي صورة من صور المناسبة النصية يتم فيها إيجاد الروابط الدلالية بين الآيات القرآنية منفردة وبين المعاني الكبرى للسورة وكذا المقاصد العميقة لها. فهي بأبسط مفهوم بحث عن العلاقة الدلالية التي يقيمها النص بين بنياته الكبرى ممثلة في الأغراض والمقاصد وبين البنيات الصغرى له ممثلة في الجمل والآيات.

وقد اعتنى 'ابن عاشور' كثيرا بهذا النوع من المناسبة، فلا يدع فرصة لتوضيحه إلا وضحه كي يبرر الطابع التلاحي للنص القرآني، ومن نماذج ذلك إيجاده العلاقة الدلالية التي تجمع بين فاتحة سورة (آل عمران) في قوله تعالى: ﴿الم ١ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ١﴾ [آل عمران: 1-2] وبين أغراض السورة وخاصة منها الجدال مع وفد نجران وقد وضع ذلك في قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران: 19] فعلق 'ابن عاشور' على هذه الآية بقوله: "وهذا شروع في أول غرض أنزلت فيه هذه السورة غرض محاجة نصارى نجران"<sup>2</sup> حيث وقف 'ابن عاشور' في الموضعين عند العلاقة

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج5، ص24، 25.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج3، ص188.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تقييد (النص القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

بين هذا الغرض الأول من أغراض سورة (آل عمران) وبين مطلع السورة وفتحها، وذلك حين ربط 'ابن عاشور' بين افتتاح السورة التي ذكر فيها تنزيل القرآن والتوراة والإنجيل وتفضيل القرآن بالذكر وتحدي المكذبين بحروف التهجي، وبين مجادلة وفد نجران وفي هذا يقول: "لما كان أول أغراض هذه السورة الذي نزلت فيه هو قضية مجادلة نصارى نجران حين وفدوا إلى المدينة، وبيان فضل الإسلام على النصرانية لا جرم افتتحت بحروف التهجي المرموز بها إلى تحدي المكذبين لهذا الكتاب، وكان الحظ الأوفر من التكذيب بالقرآن للمشركين منهم ثم للنصارى من العرب"<sup>1</sup>.

وبالتالي كان افتتاح السورة بأحرف التهجي وهي شكل من أشكال الإعجاز في القرآن، هدفها تحدي المكذبين من المشركين وخاصة النصارى الذين سيجادلهم في أول أغراض هذه السورة، وفي هذا الشأن يقول 'ابن عاشور' معلقا على بداية الغرض والعلاقة بينه وبين فاتحة السورة "وهذا شروع في أول غرض أنزلت فيه هذه السورة: غرض محاجة نصارى نجران، فهذا الاستئناف من مناسبات اتساع السورة بذكر تنزيل القرآن والتوراة والإنجيل ثم بتخصيص القرآن بالذكر وتفضيله بأن هديه يفوق هدي ما قبله من الكتب"<sup>2</sup>.

ومن صور هذه المناسبة أيضا ما وضحه 'ابن عاشور' من العلاقة بين فاتحة سورة النساء وبين أغراضها وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1] حيث يرى 'ابن عاشور' أن هذه الآية وهي فاتحة السورة تعد بمثابة ديباجة وذلك حين قال معلقا عن صلة الموصول في الآية "الَّذِي خَلَقَكُمْ" بقوله: "وفي هذه الصلة براعة استهلال مناسبة لما اشتملت عليه السورة من الأغراض الأصلية فكانت بمنزلة الديباجة"<sup>3</sup> والمقصود بالصلة في هذا المقام هي قوله تعالى (الَّذِي خَلَقَكُمْ) لأن ضمير الخطاب فيها يعود إلى الناس كلهم المخاطبين بالقرآن وليس مختصا بالمؤمنين وحدهم "فضمير الخطاب في قوله 'خلقكم' عائد إلى الناس المخاطبين بالقرآن أي لثلاثي يخصص بالمؤمنين"<sup>4</sup> فلما تبين لنا المقصود بالصلة في الآية سهل علينا ربط هذا المقطع ببقية الأغراض وقد سعى 'ابن عاشور'

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 3، ص 146

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 3، ص 188

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج 4، ص 214

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ج 4، ص 214

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تقييد (النص) القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

إلى ربط رأس هذه السورة بأغراضها، من ذلك ربط فاتحتها بأغراض معاملات الأقرباء وحقوقهم فقال معلقا على أغراض السورة "وقد اشتملت على أغراض وأحكام كثيرة أكثرها تشريع معاملات الأقرباء وحقوقهم فكانت فاتحتها مناسبة لذلك بالتذكير بنعمة خلق الله، وأنهم محقوقون بأن يشكروا ربه على ذلك، وأن يراعوا حقوق النوع الذي خلقوا منه"<sup>1</sup>.

ومنه أيضا العلاقة بين فاتحة سورة المائدة ومضامينها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: 1] حيث بين 'ابن عاشور' وجه العلاقة بين استهلال السورة بالوفاء بالعهود، وبين بقية الأحكام الواردة فيها إذ يقول: "تصدير السورة بالأمر بالإيفاء بالعقود مؤذن بأنه سترد بعده أحكام وعقود كانت عقدت من الله على المؤمنين إجمالا وتفصيلا، ذكرهم بها لأن عليهم الإيفاء بما عاقدوا الله عليه، وهذا كما تفتتح الظهائر السلطانية بعبارة: هذا ظهير كريم يتقبل بالطاعة والامتثال وذلك براعة استهلال"<sup>2</sup> وبهذا الشكل يبين 'ابن عاشور' وجوها أخرى لتربط الآي فيما بينها، ويبرز وجود علاقات دلالية تجمع البنيات النصية في القرآن الكريم بما يعزز إعجازه وحسن نظمه.

### 1-4- مناسبة عنوان السورة لمقاصدها ومضامينها:

سار 'ابن عاشور' على هدي غيره من الدارسين في محاولة إيجاد العلاقة بين اسم السورة وعنوانها - باعتباره أول بنية من بنيات السورة - وبين محتواها وأغراضها وهذا الصنيع يذكرنا بأحد مبادئ الانسجام النصي عند كل من (براون ويول G.brown. G.yule) وهو 'التغريض'. وهو مبدأ قائم على محاولة إيجاد "العلاقة التي تربط موضوع الخطاب بعنوانه، ذلك أن العنوان وسيلة تعبيرية ممكنة عن الموضوع، وأداة قوية للتغريض؛ ففي الخطاب مركز جذب يؤسسه منطلقه وتحوم حوله أجزاءه، فلو وجدنا اسم رجل عنوانا للنص توقعنا أن يكون ذلك الشخص محور الحديث"<sup>3</sup>، وبهذا يقوم هذا المبدأ على افتراض مركزية تأويلية في النص، إليها تؤول جميع العناصر المشكلة لنسج النص وعلى ضوءه يتم تفسيرها، وقد يكون العنوان أحد أهم هذه العناصر لأنه "يشكل ركيزة أساسية في فهم القارئ

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج4، ص213

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ج6، ص74

<sup>3</sup> بن الدين بخوله: المرجع السابق، ص38.

## الفصل الرابع: المناسبة وورثها في تقييد (النص) القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

لمضمون النص، وبه يتحدد ما سيفهمه القارئ وعليه يبني تأويله لما يليه من جمل، وهذا لا يعني أن النصوص الخالية من العناوين لا يمكن للقارئ تحليلها، بل بعد انتهائه من القراءة والتحليل يستطيع أن يضع عنواناً للنص<sup>1</sup>.

وإذا كان عنوان السورة واسمها بهذه الأهمية فإن 'ابن عاشور' قد وقف مع أسماء السور في مطلع تفسير كل سورة قرآنية، مبيناً وجه تسميتها، والاختلاف في ذلك والراجح من أسمائها وهو في هذا مؤمن بأن التسمية جارية على ما تعارف عليه العرب في تسمية أشياءها بما هو غالب فيها ومشتهر فيها، فقد نص الزركشي (ت794هـ) من قبل على هذا الأمر حين أشار إلى أن عملية تسمية السور كانت تساوفاً مع تألفت عليه العرب قديماً؛ ذلك أن العرب تراعى في الكثير من المسميات "أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها"<sup>2</sup>.

وإلى هذا المعنى مال 'ابن عاشور' إذ يقول: "واعلم أن أسماء السور إما أن تكون بأوصافها مثل الفاتحة وسورة الحمد، وإما أن تكون بالإضافة إلى شيء اختصت بذكره نحو سورة لقمان وسورة يوسف وسورة البقرة، وإما بالإضافة إلى ما كان ذكره فيها أوفى نحو سورة هود وسورة إبراهيم، وإما بالإضافة لكلمات تقع في السورة نحو؛ سورة براءة وسورة حم وعسق وسورة حم السجدة كما سماها بعض السلف، وسورة فاطر، وقد سموا مجموع السور المفتحة بكلمة 'حم' 'آل حم' وربما سموا السورتين بوصف واحد فقد سموا سورة الكافرون وسورة الإخلاص المقشقتين"<sup>3</sup> وعلى هذا يغدو العنوان التيممة المهمة في بداية كل سورة، تمكّن من إيجاد تأويل أولي للنص. وعلى هذا النهج سار 'ابن عاشور' في محاولة إيجاد العلاقة المعنوية بين عنوان السورة ومضامينها ومقاصدها.

ومن أمثلة ذلك في تفسيره محاولة الربط بين اسم سورة "الفاتحة" وبين مضامينها؛ إذ نرى أنه يقف مطولاً عند أسمائها، وكل اسم يقدمه لها إلا ويحاول من خلاله إيجاد العلاقة بينه وبين محتوى السورة، وهذا يجرنا إلى حديث آخر

<sup>1</sup> بن الدين بخوله: المرجع السابق، ص37.

<sup>2</sup> بدر الدين الزركشي: المرجع السابق، ج1، ص270.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص91.

## الفصل الرابع: المناسبة وورثها في تقييد (النص) القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

نحن في أمس الحاجة إليه في هذا الموضوع وهو كون تسمية السور هل هي من وضع الصحابة؟ أم هي بتوقيف من الرسول (ﷺ).

إن الإجابة عن هذا السؤال سوف تفتح أمامنا آفاقاً لتأويل العلاقة بين التسمية والمحتوى وهي الملاحظة التي فطن إليها الزركشي (ت794هـ) حين قال: "وينبغي البحث عن تعداد الأسماء: هل هو توقيفي، أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها"<sup>1</sup>، وهذا الذي نبغيه في هذا السياق وهو تحديد موقف 'ابن عاشور' من تسمية السور وتعدد أسمائها هل هي بتوقيف من النبي (ﷺ) وإقراره؟ أم من وضع الصحابة، لأن تحديد المناسبة بين التسمية، وبين المحتوى والمضمون يتوقف كثيراً على مصدر التسمية وقد جاء موقف 'ابن عاشور' واضحاً من المسألة حين توسط بين الأمرين إذ يقول: "والظاهر أن الصحابة سموها بما حفظوه عن النبي (ﷺ) أو أخذوا لها أشهر الأسماء التي كان الناس يعرفونها بها، ولو كانت التسمية غير مأثورة. فقد سمى ابن مسعود القنوت سورة الخلع والخنق كما مر، فتعيّن أن تكون التسمية من وضعه، وقد اشتهرت تسمية بعض السور في زمن النبي (ﷺ) وسمعتها، وأقرّها وذلك يكفي في تصحيح التسمية"<sup>2</sup>

وبالعودة إلى سورة الفاتحة دائماً نجد أنها تسميات المشهورة والمتواترة فيقول: "سورة الفاتحة من السور ذات الأسماء الكثيرة أنماها صاحب الإتقان إلى نيف وعشرين، بين ألقاب وصفات جرت على ألسنة القراء من عهد السلف، ولم يثبت في السنة الصحيحة والمأثور من أسمائها إلا فاتحة الكتاب، والسبع المثاني، وأم القرآن أو أم الكتاب"<sup>3</sup> وقد اقتصر 'ابن عاشور' في تفسيره على هذه الأسماء الثلاثة الأخيرة فقط، مبيناً العلاقة بينها وبين مضمونها.

فأما التسمية الأولى (فاتحة الكتاب) والثالثة (السبع المثاني) فلم يوضح 'ابن عاشور' فيهما وجه العلاقة بين التسمية والمحتوى، وإنما اكتفى فقط بذكر المرويات في وجه تسميتها بهذه الصورة، ومقدماً قراءة لغوية في هذه

<sup>1</sup> بدر الدين الزركشي: المرجع السابق، ج1، ص270.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص91.

<sup>3</sup> المصدر نفسه: ج1، ص131.

## الفصل الرابع: المناسبة ودورها في تقييد (انسجام) النص (القرآني) عند محمد (الطاهر ابن) عاشور

التسميات، أما التسمية الثانية (أم القرآن) فإننا نرى 'ابن عاشور' قد وضح فيها العلاقة جلية بينها وبين محتوى السورة وأغراضها حيث قدّم ثلاثة أوجه لهذه العلاقة:

● فأما الوجه الأول: فإنها سميت أم القرآن تشبيها لها بأم الولد؛ فإذا كانت الأم هي الأصل والمنشأ للولد فإن أم القرآن هي مبدؤه ومفتتحه "فكأنها أصله ومنشؤه، يعني أن افتتاحه الذي هو وجود أول أجزاء القرآن ظهر فيها، فجعلت كالأم للولد في أنها الأصل والمنشأ، فيكون أم القرآن تشبيها بالأم التي هي منشأ الولد لمشابقتها بالمنشأ من حيث ابتداء الظهور والوجود"<sup>1</sup> ولا نرى ربطا بين التسمية وبين الأغراض في هذا الوجه.

● وأما الوجه الثاني: فنرى الربط بين التسمية ومحتوى السورة وأغراضها واضحا عنده؛ ذلك أن السورة اشتملت على أنواع مقاصد القرآن كلها: وهي الثناء على الله، وإثبات تفرده بالإلهية وإثبات البعث والجزاء والأوامر والنواهي والوعد والوعيد، فهذه هي مقاصد القرآن كلها وما دونها تكميلات كما يقول، فلذلك سميت أم القرآن إذ أنها اشتملت على مقاصده بما جاء فيها وفي هذا الشأن يقول 'ابن عاشور': "والفاتحة مشتملة على هاته الأنواع؛ فإن قوله (الحمد لله) إلى قوله (يوم الدين) حمد وثناء، وقوله (إياك نعبد) إلى قوله (المستقيم) نوع من الأوامر والنواهي، وقوله (صراط الذين) إلى آخرها نوع من الوعد والوعيد مع أن ذكر المغضوب عليهم والضالين يشير أيضا إلى نوع قصص القرآن"<sup>2</sup> ولهذا يكون بين تسمية السورة ومحتواها علاقة واضحة وجليّة، وعليه فإن تسميتها (بأم القرآن) نابع من اشتغالها على جميع المقاصد الأساسية للقرآن الكريم من حمد المولى عز وجل، والثناء عليه، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، وذكر القصص القرآني.

● وأما الوجه الثالث: فذكر فيه أن سبب تسميتها بأم القرآن أن معانيها تشتمل على مجموع معاني القرآن من (حكم نظرية) و(أحكام عملية)، وكلاهما موجود في الفاتحة، يمكن أن تستخلصه بطريق من طرق الدلالة "فإن معاني القرآن إما علوم تقصد معرفتها، وإما أحكام يقصد منها العمل بها؛ فالعلوم كالتوحيد والصفات والنبوءات والمواعظ والأمثال والحكم والقصص والأحكام إما عمل الجوارح وهو العبادات والمعاملات، وإما عمل القلوب؛ أي العقول،

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 133.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ج 1، ص 133.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وهو تهذيب الأخلاق وآداب الشريعة، وكلها تشتمل عليها معاني الفاتحة بدلالة المطابقة أو التضامن أو الالتزام<sup>1</sup>، وقد فصل بعدها في كل آيات الفاتحة وما تشتمل عليه من معاني وحكم نظرية وأحكام عملية كما سبق الإشارة إليه. وهو في هذا ينبئ عن وعي مسبق بضرورة ربط العنوان بالمحتوى، باعتباره أحد وسائل الانسجام في النصوص وعتبة من عتبات التأويل فيه.

وأما سورة البقرة فيذهب 'ابن عاشور' في نفس المذهب الذي قدمناه سابقا في عادة العرب في تسمياتها، من أنها تسمى الشيء بما هو غالب فيه ومشتهر منه، وكذلك الحال بالنسبة لتسمية هذه السورة، إذ سميت بأهم قصة فيها وهي "البقرة"، وهذا على الرغم من اشتراكها مع مجموعة من السور في افتتاحها بالحروف المقطعة، إلا أنها لم تسم بها وفي هذا يقول 'ابن عاشور' "ووجه تسميتها أنها ذكرت فيها قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لتكون آية، ووصف سوء فهمهم لذلك، وهي مما انفردت به هذه السورة بذكره"<sup>2</sup>، وهو ما يبرر عدم تسميتها بالحروف المقطعية التي افتتحت بها، لأننا لا نرى في سورة من سور القرآن ذكرا لقصة ذبح بني إسرائيل للبقرة بهذا التفصيل الذي نجده في هذه السورة، ومن أجل ذلك سميت بها، وبهذا تتضح العلاقة بين العنوان ومضامين السورة "وعندي أنها أضيفت إلى قصة البقرة تميزا لها عن السور 'آل' 'آل' من الحروف المقطعة، لأنهم كانوا ربما جعلوا تلك الحروف المقطعة أسماء للسور الواقعة هي فيها، وعرفوها بها نحو: طه، ويس، وص"<sup>3</sup>.

ونفس الشيء يقال في سورة (آل عمران) فإنها سميت بهذا الاسم لعلاقة بينه وبين محتوى السورة؛ إذ ذكر فيها فضائل عمران وآله إذ يقول: "ووجه تسميتها بسورة آل عمران لأنها ذكرت فيها فضائل آل عمران، وهو عمران بن ماتان أبو مريم، وآله هم زوجه حنة وأختها زوجة زكرياء النبي، وزكرياء كافل مريم؛ إذ كان أبوها عمران توفي وتركها حملا فكفلها زوج خالتها"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 134

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ج 1، ص 201.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 201.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 143.

## الفصل الرابع: (المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص) (القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

والأمر نفسه يقال في سورة النساء إذ سميت بهذا الاسم، لأنّ بها كثيرا من أحكام النساء حيث يقول: "ووجه تسميتها بإضافتها إلى النساء أنها افتتحت بأحكام صلة الرحم ثم بأحكام تخص النساء وأن فيها أحكاما كثيرة من أحكام النساء، والأزواج، والبنات وختمت بأحكام تخص النساء"<sup>1</sup>.

وعلى هذا المنهج يسير 'ابن عاشور' في ربط تسمية السورة بمواضيعها ومحتوياتها، وهكذا يتحقق مبدأ التغييض جلياً عنده في عملية التأويل؛ إذ انطلق من العنوان كبنية دالة أولى في عملية التأويل، وربط بين العنوان وبين موضوعات السورة، وهذا الربط من أهم عوامل تحقيق الانسجام في النص، ذلك أن عنوان النص لا بد أن يكون انعكاسا لمحتواه، ولا بد أن يكون المحتوى به من عنوان النص شيئاً يكسب مقبولية ما عند المتلقي.

إن البحث في أشكال العلاقات بين أسماء السور ومضامينها هو في الحقيقة بحث في شكل من أشكال التناسب بين البنيات الدالة في النص؛ أي بين العنوان والتسمية، وبين البنيات الكبرى في النص القرآني. وهذا ما يسمح بإيجاد نوع من الصلات الدلالية في النص، وتقديم نوع من الترابط والمنطقية فيه من خلال إيجاد الشبكة الدلالية العميقة التي تربط أجزاءه في مستوياته العميقة، وهذا من شأنه أن يبرهن على انسجامه.

### 1-5- المناسبة بين آية وجزء من آية أخرى:

يقوم هذا النوع من المناسبة على ربط الآية القرآنية بجزء من الآية التي قبلها أو بعدها، بوجه يبين موقعها، وترتيبها وعلّة وجودها في هذا الموضع، ومن ذلك ما جاء في بيان موقع قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238] حيث أشكل على 'ابن عاشور' بداية ربط هذه الآية بما سبقها، لأن فيها انتقالاً من غرض إلى غرض جديد، أي الحديث عن أحكام العدة والطلاق في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْقُضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 237] إلى الحديث عن الصلاة والصلاة الوسطى، وهو ما جعله يقر حينها أن الانتقال من غرض إلى غرض لا يتطلب وجود علاقة تبرر الانتقال، لأن القرآن كتاب تشريع وموعظة وليس كغيره من الكتب "فالانتقال من غرض إلى غرض في آي القرآن لا تلزم له قوة ارتباط لأن القرآن ليس

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 4، ص 211.



## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

كتاب تدريس يرتب بالتبويب، وتفريع المسائل بعضها على بعض، ولكنه كتاب تذكير وموعظة، فهو مجموع ما نزل من الوحي في هدي الأمة وتشريعها وموعظتها وتعليمها، فقد يجمع فيه الشيء للشيء من غير لزوم ارتباط وتفريع مناسبة<sup>1</sup>.

وهو بهذا يبين منهجه العام في تطلب المناسبات بين الآيات، وعدم التكلّف في تتبعها إلى الحد الذي يلزم الباحث نفسه ببحث موقع كل آية وعلاقتها بما جاورها من الآيات، وإنما كان منهجه كما ذكرنا سابقاً، وسطياً من غير تكلّف، ومع هذا الإقرار الذي ذكرنا والتذكير الذي وضعه 'ابن عاشور' لما اصطدم بهذا الانتقال من عرض سريع لأحكام العدة والطلاق إلى غرض التذكير بالحفاظ على الصلاة الوسطى والصلاة عامة، إلا أنه لم يهنأ له بال ولم تقر نفسه بضم الأغراض بعضها إلى بعض من دون وجود خيط دلالي، وعلاقة ما بين الغرضين والآيتين، وقد اهتدى إلى وسيلة مهمة في الربط بين الغرضين وإبراز علّة وجود هذه الآية في هذا الموضوع، وذلك حينما ربط آية الصلاة بآخر آية الطلاق؛ أي ارتبطت بالتذييل الذي ذيلت به الآية السابقة من قوله تعالى: " وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ " حيث يقول: "لأجل الزيادة والترغيب في العفو بما فيه من التفضل الدنيوي وفي الطباع السليمة حب الفضل"<sup>2</sup>، ولا شك أن هذا خلق حسن محمود صاحبه، ولما كان من طبيعة النفس البشرية التثاقل في فعل الخير، والإقدام على مكارم الصفات، قدّم المولى عز وجل ما يعين المرء على ذلك من وجهين.

أما الوجه الأول: وهو الدعوة إلى العفو لأنه يقرب البعيد ويصير العدو صديقاً وهذا دواء دنيوي كما يرى 'ابن عاشور'.

أما الوجه الثاني: وهو دواء روحاني يتمثل في الصلاة لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

وبهذا تتضح العلاقة بين هذه الآية وبين خاتمة الآية التي قبلها. وفي هذا الشأن يقول 'ابن عاشور' "جاءت هذه الآية مرتبطة بالتذييل الذي ذيلت به الآية السابقة، وهو العفو عن الحقوق ولما كان ذلك الخلق قد يعسر عن النفس لما فيه من ترك ما تحبه من الملائم من مال وغيره كالانتقام من الظالم وكان في طباع الأنفس الشحّ، علمنا الله تعالى

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص485

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج2، ص484

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

دواء هذا الداء بدوائين أحدهما دنيوي عقلي وهو قوله (وَلَا تَنْسُوا الْقُضْلَ بَيْنَكُمْ) المذكور بأن العفو يقرب إليك البعيد ويصير العدو صديقا (...).، والدواء الثاني أخروي روحاني: وهو الصلاة التي وصفها الله تعالى في آية أخرى بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر<sup>1</sup>.

وإلى هذا تقريبا يمكن أن نصنّف مناسبة آخر الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ يَصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: 12] لمضمون الآيات السابقة حيث إن قوله ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ عبارة عن تذييل، وقد وردت في هذا الموضوع مناسبة ذكر بعض الأحكام والموارث وأكل أموال اليتامى في الآيات السابقة التي تبطل بعض أحكام العرب الجاهلية في ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 100] وقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 11] فكان ختام هذه الآية للتذكير بالعلم والحلم إبطالا لأحكام الجاهلية المذكورة في الآيات السابقة؛ من حرمان الورثة، وأكل مال اليتيم، وغيرها مما يتنافى مع مفهومي العلم والحلم، وهذا ما نص عليه 'ابن عاشور' إذ يقول: "وقوله ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ تذييل وذكر وصف العلم والحلم هنا لمناسبة أن الأحكام المتقدمة إبطال لكثير من أحكام الجاهلية وقد كانوا شرعوا موارثهم تشريعا مثاره الجهل والقساوة، فإن حرمان البنت والأخ للأم من الإرث جهل بأن صلة النسبة من جانب الأم مماثلة لصلة نسب جانب الأب، فهذا ونحوه جهل، وحرمانهم الصغار من الميراث قساوة منهم"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص465، 466.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج4، ص267.

1-6- مناسبة آية/ مجموع آيات لمجموع آيات:

نقصد بهذا النوع من المناسبة تلك الصلات الدلالية التي استنتجها 'ابن عاشور' بين مجموعة من الآيات تشكل بنية دلالية مستقلة مع مجموعة أخرى من الآيات تشكل وحدة وموضوعا مستقلا (أو بين وحدتين تشكلان موضوعين مستقلين سواء كان مشكلا - أي الموضوع - من آية واحدة أو مجموع آيات)؛ حيث عمد 'ابن عاشور' في كل مرة يتم فيها الانتقال من موضوع إلى آخر إلى إبراز وجه العلاقة بين المجموعتين من الآيات.

ولا شك أننا نقصد في هذا الشأن بالموضوع مجموعة من الآيات التي تدور في محور واحد وموضوع بعينه، وإذا كان هذا المصطلح (أي موضوع الخطاب) حديثا نسبيا (سنذكره لاحقا) فإن المفسرين قد أجروا مرادفه واستخدموا ما يدل عليه في تراثنا، فاطلقوا عليه (أغراض) أو (غرض) فبرى 'ابن عاشور' في بداية كل سورة يقف عند أغراض السور مبينا الموضوعات التي تشتمل عليها، ولا شك أن الموضوع أو الغرض كبنية دلالية يتشكل من مجموعة من الجمل في أي نص من النصوص العادية وهو يتشكل من مجموعة من الآيات إذا تحدثنا عن هذا المصطلح في تحليل النص القرآني.

وعليه فإننا نقصد في هذا المجال المناسبات التي وضحتها 'ابن عاشور' في الانتقال من مجموعة من الآيات إلى مجموعة أخرى ولا شك أنه لا يمكن الحديث عن 'انتقال' ما لم يكن بين المجموعتين تباين بوجه من الوجوه (المعنوية، اللفظية) إذ لو كانت المجموعتان متحدتين لما أمكننا الحديث عن انتقال، ولا يمكن الحديث حينذاك عن المناسبة لأنها مبنية كما مر بنا على مفهوم الانتقال ومحاوله إيجاد مبرر أيا كان؛ دلاليا، أم تداوليا، أم تركيبيا، لهذا الانتقال.

ومن نماذج ذلك المناسبة الواقعة بين الآيات في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: 25] حيث يرى 'ابن عاشور' أن مناسبتها مع مجموع الآيات التي سبقت في بيان عقاب الكافرين في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: 23-24] والمناسبة واضحة فهي من عادات القرآن في اتباع الترغيب بالترهيب. والبشارة وبالندارة وإبراز ثواب المؤمنين بعد ذكر جزاء

## الفصل الرابع: المناسبة ودورها في تقييد (النص القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

الكافرين وفي هذا يقول: "وجعل جملة (وبشر) معطوفة على مجموع الجمل المسبوقه لبيان وصف عقاب الكافرين يعني جمع الذي فصل في قوله تعالى: " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ آيَاتِنَا فَاصْبِرُوا " إلى قوله- أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ " فعطف مجموع أخبار عن ثواب المؤمنين على مجموع أخبار عن عقاب الكافرين، والمناسبة واضحة مسوغة لعطف المجموع على المجموع"<sup>1</sup>.

ويبدو هذا النوع من المناسبة جليا أكثر حين وضح 'ابن عاشور' وجه العلاقة بين آية من الذكر ومجموعة سابقة من الآيات، وذلك في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿مَا نُنسِخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 106] حيث يرى 'ابن عاشور' أن موضع هذه الآية جاء مناسبة لمجموع الآيات التي قبلها؛ ذلك أنها جاءت لنقض تلك المزاعم والشبهات التي أراد اليهود ترويجها بين الناس بخصوص منع نسخ شرائعهم، فالمولى عز وجل قد بين في الآيات السابقة حال اليهود في إعراضهم عن الإيمان برسالة محمد (ﷺ) وتحججهم بأن ما أنزل إليهم لا ينسخ، وقد صرحوا بذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَكَفَرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 91] وادّعاهم أيضا أن الرسول (ﷺ) وصف التوراة بالحق، وأنه جاء مصدقا لها فكيف تكون رسالته مبطله لشريعة التوراة؟.

وقد بين المولى عز وجل أن بين هذه الآية وتلك تناقض اليهود في إدعائهم التمسك بالتوراة زورا وظلما، وهم قد حرّفوها وخالفوها وقتلوا أنبياءهم، فلما استوفى كل هذا التصوير انتقل إلى نقض مزعمهم في النسخ وأن شريعتهم لا تنسخ برأيهم، وبهذا يمكن تقديم تبرير مقبول لهذا الانتقال من هذه الآيات إلى تلك، وهذا ما جاء به 'ابن عاشور' إذ يقول: "وقد قدّمنا أن الله تعالى ردّ عليهم عذرهم، ورفضهم بأنهم ليسوا متمسكين بشريعتهم حتى يتصلبوا فيه، وذلك من قوله " قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ "، وقوله: " قل إن كانت لكم الدار الآخرة إلخ وبأنهم لا داعي لهم غير الحسد بقوله: " مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ " إلى قوله: " وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " المنبئ أن العلة هي الحسد، فلما بين الرد عليهم في ذلك كله أراد نقض تلك السفسطة أو الشبهة التي راموا ترويجها على الناس بمنع النسخ"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 350.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 655.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وعموما يمكن القول إن عناية 'ابن عاشور' بالمناسبة النصية كانت ملفتة في تفسيره وقد حاول من خلالها إيجاد روابط دلالية بين الآيات القرآنية، وتبرير الانتقال من موضوع إلى آخر في النص القرآني، وهو بهذا يحاول أن يبرهن أن النص القرآني وحدة موحدة، لا تنتظم وحداته وآياته اعتبارا، وإنما هناك نوع من التنظيم تحكمه العلاقات التي تربط بين الآيات القرآنية، على أنه ينبغي أن نشير إلى أن عناية 'ابن عاشور' بهذا المبحث اللطيف لم يكن عن تكلف منه، بحيث يتطلب لكل آية مناسبة، بل إننا نراه يبرز ما كان ظاهرا جليا منها. أمّا ما دون ذلك فلا نراه متكلفا كما فعل غيره، وهو في هذا ينطلق من القاعدة التي سطرها لنفسه بداية في تمييز النص القرآني عن أي نص آخر، فإن النص القرآني ليس كأني نص يطلب فيه ضرورة أن يكون الارتباط جليا ظاهرا بين عناصره، ذلك أن القرآن كتاب تشريع وحكمة، وموعظة فلا ينبغي أن نبحث في كل موضع عن كفاءات التلاؤم والترابط، كما أنّ للقرآن عوائده وعاداته في إيراد مواضعه، فقد يورد الموعظة ويعقبها الوعيد، وبعده التهديد، وغيرها مما لا يتشابه وأي كتاب آخر، فلما كان الأمر كذلك فإنه من الطبيعي جدا ألا نكلف أنفسنا في بحث المناسبة في كل موضع من القرآن.

إن إيمان 'ابن عاشور' بهذا المبحث في تفسيره هو تعبير عن وعي مبكر بالآليات التي يتم من خلالها البرهنة على انسجام النص القرآني ومن ثم إعجازه، ذلك أن هذا المبحث هو في أبسط مفهوم له تعبير عن الصلات الدلالية بين الآيات القرآنية ولا شك أن من أهم غايات الانسجام هو بحث كفاءات اشتغال النصوص في مستوياتها الدلالية وغير الدلالية.

نقصد بالمناسبة المعجمية في هذا الموضوع مدى انسجام الوحدات المعجمية في النص القرآني مع المعاني التي تقدمها هذه الوحدات في سياقاتها المختلفة، ولهذا قيل في مفهومها هي "استعمال القرآن الكريم لكلمة بعينها دون غيرها من نظائرها ومرادفاتهما في موضعها الأدق الأنسب لها من السورة والسياق عموماً"<sup>1</sup>، ولا شك أن البحث في هذا المجال بالذات يعد بحثاً في الإعجاز القرآني، حيث ساهمت بحوث الإعجاز في وضع اللبنة الأولى لهذا المبحث اللطيف، فقد "جهد دارسو الإعجاز في الكشف عن أبعاد مفردات القرآن الكريم، ومدى موافقتها المناسبة التي ترد فيها، فكانت الفروق اللغوية معيناً ثراً يستقي منها الدارسون لبيان عدم تساوي المفردات في التعبير، فأدرك هؤلاء القوم سر الجمال في إثارة المفردة على الأخرى مع اتفاق المعنى، فعرفوا حينذاك أن سر الإعجاز يكمن في دقة اختيار المفردة من النظم القرآني، وأنها لم تعد أرضاً جزوا، كالمفردة التي نجد لها منزوية بين دفتي المعجم، بل هي مرتبطة بالمتلقي، حية في مكانها من الآيات والسور"<sup>2</sup> وعليه فإن هذا المبحث يقوم على تتبع المناسبات في استعمال المفردة القرآنية وعلاقتها بالسياق الذي وردت فيه وما هي أوجه البلاغة والإعجاز في هذا الاختيار أو ذاك.

إن المفردة القرآنية هي "ذلك الكائن الذي يساهم في الفن القولي في أسلوب القرآن (...). ولا ترادف مصطلح الكلمة، لأن الكلمة قد تعني أحياناً كل العمل الأدبي، فهي أدواته الفنية كما أن النغمات أداة الموسيقى، وتعني بالتالي المادة التي ينسج منها النص، وهي تشتمل حسب تقسيم النحاة على الاسم والفعل والحرف"<sup>3</sup> إذ عمد الدارسون منذ بداية اشتغالهم على النص القرآني إلى بحث مفردات القرآن وألفاظه وتتبع معانيها مفردة، وفي سياقاتها القرآنية، وبحث دقائق الاستعمال القرآني للمفردات بحسب سياقات ورودها.

إن أكبر مشكلة قد تواجه الباحث المتتبع لمفردات القرآن ودلالاتها هي قضية تقارب معاني الكلمات والمفردات، وهو ما يطلق عليه علماؤنا "بالترادف بين الكلمات" بشكل يوحي بإمكانية استعمال الكلمة مكان

<sup>1</sup> فضيلة عظيمي: التناسب السياقي ومستوياته في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، أطروحة دكتوراه علوم في اللغة العربية تخصص المعجمية وقضايا الدلالة، جامعة محمد السادس دباغين سطيف، 2017-2018، ص 92.

<sup>2</sup> محمد ياسر خضر الدوري: حقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، ص 05.

<sup>3</sup> أحمد ياسوف: جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق، ط2، 1999م، ص 19.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

مرادفاتهما، وهو ما جهد المشتغلون في هذا المجال في نفيه "وعلى الرغم مما يبدو من تقارب دلالي بين كثير من الكلمات يوحي بإمكان وضع إحداها مكان الأخرى من السياق، فإن البيان القرآني المعجز يأتي مثبتا التفاوت ومتجاوزا بها مفهومها المعجمي العام من خلال تخصيص كل كلمة بموضعها الأنسب لها هي بالذات"<sup>1</sup>، وعليه فإنه من أجل تقديم صورة كاملة لأشكال التناسب المعجمي في القرآن عند 'ابن عاشور' فإنه ينبغي علينا بداية أن نبين موقفه من قضية الترادف في اللغة العربية وكيف ينظر هذا الأخير إلى دلالات الألفاظ.

انقسم علماء العربية قسامين كبيرين في موقفهم من الترادف الذي يعني: "الاتحاد في المفهوم، وقيل هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"<sup>2</sup>، أو هو "الاتحاد في مفهوم لا الاتحاد في الذات كالإنسان والبشر، وحق المترادفين صحة حلول كل منهما محل الآخر"<sup>3</sup> أو هو "الألفاظ الدالة على مسمى واحد باعتبار واحد"<sup>4</sup>، فرأى فريق منهم وقوع الترادف في اللغة ومنهم: سيوييه (ت 180هـ) والأصمعي (ت 216هـ)، وحمزة بن حسن الأصفهاني (ت 360هـ)، وابن خالويه (ت 370هـ)، وأبو الحسن الرماني (ت 384هـ)، ومن المحدثين: إبراهيم أنيس، وعلي الجارم. وحججهم في ذلك أنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الألفاظ الأخرى لما تمكنا من التعبير عن مقاصدنا بغير تلك اللفظة وفي ذلك من المشقة الشيء الواضح، وأما المنكرون للترادف فيأتي على رأسهم: ثعلب (ت 291هـ)، وأبو علي الفارسي (ت 377هـ)، أحمد بن فارس (ت 395هـ)، وأبو هلال العسكري (ت 395هـ)، وحججهم في ذلك أنه لا يجوز أن تعدد الألفاظ والمعنى واحد، لأن في كل لفظة معنى لا يتصور في غيرها.

ولا ينبغي لنا أن ننظر في هذا المقام إلى الترادف الذي مبناه اختلاف لهجي لأن ذلك مما لا يحتاج منا إلى التفصيل هنا، وإنما الذي يشغل بالنا في هذا المقام هو تعدد الألفاظ الدالة على معنى واحد في بيئة واحدة "ولا يشغلنا تعدد الألفاظ للمعنى الواحد إذا كان عن اختلاف لغات القبائل العربية وذلك مما لا خلاف فيه (...). وإنما يشغلنا

<sup>1</sup> فضيلة عظيمي: المرجع السابق، ص 92

<sup>2</sup> الشريف الجرجاني: المرجع السابق، ص 56.

<sup>3</sup> أبو البقاء الكفوي: الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، إعداد: عدنان درويش، مجلد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1998، ص 315، 316.

<sup>4</sup> الرازي: المحصول في علم أصول الفقه، تح: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1992، ج 1، ص 253.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص (القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

الترادف حين يقال بتعدد الألفاظ للمعنى الواحد دون أن يرجع هذا الترادف إلى تعدد اللغات أو يكون بين الألفاظ المقول بترادفها قرابة صوتية<sup>1</sup>.

وبالعودة إلى الفريقين المختلفين نرى سيبويه (ت 180هـ) يقر الترادف، وذلك في الباب الذي عقده بعنوان "هذا باب اللفظ للمعاني" الذي أشار فيه إلى بعض سنن العرب في كلامها والتي منها الترادف، وإن كان لم يذكره بصريح العبارة حيث يقول: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين"<sup>2</sup>، وهو يقصد الترادف بقوله: "اختلاف اللفظين والمعنى واحد" فهو يقرّه في استعمال العرب، ومن هذا الفريق أيضا، ابن جني (ت 393هـ) حيث تناول المسألة في باب: "في استعمال الحروف بعضها مكان بعض" إذ يقول: "ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئا كثيرا لا يكاد يحاط به، ولعلّه لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتابا ضخما، وقد عرفت طريقه فإذا مرّ بك شيء منه فتقبله وأنس به، فإنه فصل في العربية لطيف حسن يدعو إلى الأُنس بها والفقاهة فيها، وفيه أيضا موضع يشهد على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد حتى تكلف لذلك أن يوجد فرقا بين قعد وجلس وبين ذراع وساعد"<sup>3</sup>.

وبالتالي فإنه يقرّ بالترادف في اللغة العربية، وأنه من مظاهر الاتساع والغنى في الدلالات والمفردات، وأنكر على كل من رفض الترادف وتبعهم غير واحد من الدارسين العرب "ومن المعروف أن الهمداني (ت 327هـ) قد صنف كتابا في الألفاظ المترادفة سماه (الألفاظ الكتابية) وتلاه أبو الحسن الرماني (ت 384هـ) بكتاب سماه (الألفاظ المترادفة) وهما يوردان الألفاظ المترادفة بجوار بعضها البعض بدون كلام عن أي فرق دلالي فيها"<sup>4</sup>.

وأما الفريق الآخر فإن أبا هلال العسكري (ت 395هـ) يقف عن رأسهم، وذلك أنه صنف كتابا بعنوان "الفروق اللغوية" لكي يبين فيه الفروق الدلالية بين معاني الكلمات وقد صدره بباب في "الإبانه عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجبا لاختلاف المعاني في كل لغة والقول في الدلالة على الفروق بينها" حيث يقول: "الشاهد على

<sup>1</sup> عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية، دار المعارف، مصر، ط3، 2004، ص37.

<sup>2</sup> سيبويه: الكتاب (كتاب سيبويه)، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، ط3، 1988، مكتبة الخانجي، ص24.

<sup>3</sup> ابن جني: المرجع السابق، ج2، ص312.

<sup>4</sup> مشرف بن أحمد بن جمعان الزهراني: المرجع السابق، ص231.



## الفصل الرابع: المناسبة واورها في تحقيق انسجام النص (القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشر)

أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني، أن الاسم كلمة تدل على معنى الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صواباً، فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة، فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر، وإلا كان الثاني فضلاً لا يحتاج إليه<sup>1</sup>؛ فكل معنى جعل له اسم واحد يدل عليه، والدلالة على المعنى الواحد بأكثر من لفظ يعد من الترف الذي لا طائل من ورائه، وواضع اللغة عنده حكيم بعيد عن هذا الترف.

وإلى ذلك ذهب أيضاً أحمد بن فارس (ت395هـ) في كتابه 'الصاحي' في باب 'الأسماء كيف تقع على المسميات' حيث يقول: "يسمى الشيطان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام كرجل وفرس، وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو (عين الماء) أو (عين المال)، و(عين السحاب) ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف، والمهند والحسام. والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى"<sup>2</sup> وبهذا يثبت ابن فارس (ت395هـ) الفروق اللغوية بين الأسماء والمفردات إذ لكل كلمة معنى غير الذي في الأخرى، وبالتالي فإن إحلال الكلمة محل الأخرى بنية أدائهما نفس المعنى هو من باب الحيف في اللغة كما يرى.

وفي الخلاف بين الفريقين<sup>3</sup> أورد ابن فارس (ت395هـ) خبر الأصمعي (ت216هـ) حين سأله (الرشيد) في شعر غريب ففسره فقال الرشيد: "يا أصمعي إن الغريب عندك لغيب غريب قال: يا أمير المؤمنين ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسماً؟".

وشمع ابن خالويه (ت370هـ) يقول: جمعت للأسد خمسمائة اسم، وللحيت مائتين، ورووا أنه قال يوماً في مجلس سيف الدولة بحلب: أحفظ للسيف خمسين اسماً فتبسم أبو علي الفارسي (ت377هـ)، وكان يومئذ بالمجلس،

<sup>1</sup> أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تحقيق، محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، دط، د ت، ص22.

<sup>2</sup> ابن فارس: الصاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص59

<sup>3</sup> ينظر: عائشة عبد الرحمن، المرجع السابق، ص211.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وقال ما أحفظ له إلا اسما واحدا، وهو السيف ولما سأله ابن خالويه (ت370هـ): فأين المهند والصارم، والقضيب، والحسام، وكذا وكذا؟، أجاب أبو علي: هذه صفات وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة.

وعليه يبدو جليا الخلاف بين علمائنا الأوائل حول ظاهرة الترادف بين منكر لها وبين مدافع عنها باعتبارها من مظاهر اتساع الدلالة في العربية، وإنما أوردنا هذه القضية في هذا الموضوع لتبين موقف 'ابن عاشور' من مسألة الترادف، وبالتالي وضع الخطوط العريضة التي يسير عليها الرجل في تفسيره وموقفه من المفردات القرآنية، ومدى ملاءمتها ومناسبتها للسياق الذي وردت فيه، وهل يمكن أن تحل محلها مفردات أخرى في نفس السياق؟ ولعل 'ابن عاشور' قد أفاض كثيرا في مثل هذه المسائل.

لا نرى في موقف 'ابن عاشور' من الترادف أي جديد غير أنه قد اتبع القدماء في إنكار الترادف في العربية عموما وفي لغة القرآن، وقد أفصح عن هذا الموقف أكثر من مرة في تفسيره ومن ذلك في تفرقة بين كلمتي "هدى" و"دل" وذلك في قوله تعالى: ﴿الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 1-2] حيث يقول: "والهدى على التحقيق هو الدلالة التي من شأنها الإيصال إلى البغية وهذا هو الظاهر في معناه لأن الأصل عدم الترادف فلا يكون (هدى) مرادفا (لدل)، ولأن المفهوم من الهدى الدلالة الكاملة، وهذا موافق للمعنى المنقول إليه الهدى في العرف الشرعي"<sup>1</sup>.

والأمر نفسه ذهب إليه في تفرقة بين: "الخرج والخراج" في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجٌ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المؤمنون: 72] حيث يقول: "وقيل الخرج ما تبرع به المعطي والخراج ما لزمه أداؤه، وفي الكشف والوجه أن الخرج أخص من الخراج (يريد أن الخرج أعم كما أصلح عبارته صاحب الفرائد في نقل الطيبي) كقولك خراج القرية، وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى، ولذلك حسنت قراءة من قرأ "خرجا فخرجا ربك خير" يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق، فالكثير من عطاء الخالق خير، وهذا الذي ينبغي التعويل عليه لأن الأصل في اللغة عدم الترادف"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص225.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج18، ص97.

## الفصل الرابع: المناسبة وورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وهذا لا يعني أنه ألقى الترادف من اللغة العربية، بل إنه يجعله أحيانا من صور اتساعها حيث يقول: "فإن لغة العرب أفصح اللغات وأوسعها لاحتمال المعاني الدقيقة الشريفة مع الاختصار، فإن ما في أساليب نظم كلام العرب من علامات الإعراب، والتقديم والتأخير، وغير ذلك، والحقيقة والمجاز، والكناية وما في سعة اللغة من الترادف، وأسماء المعاني المفيدة وما فيها من المحسنات ما يلج بالمعاني إلى العقول سهلة متمكنة"<sup>1</sup>، وهذا ما يجعلنا لا نتسرع كثيرا في الحكم على 'ابن عاشور' حكما قاسيا في قضية الترادف، فهو وإن لم يكن منكرا تمام الإنكار لهذه الظاهرة في اللغة باعتباره يعدها من مظاهر الاتساع في العربية، فإننا نراه يقف مع المفردات والفروق اللغوية الكامنة بينها وبين أوجه المناسبة في ورودها في موضعها التي هي فيه، ومدى ملاءمتها للسياق العام لها "فلم يخط ابن عاشور في طي أي خطوة متقدمة بشأن هذا البحث اللغوي، وإنما كان تقليديا صرفا في كل ما يحوم حول هذا الموضوع، وعلى الرغم من إثباته الترادف في كثير من الألفاظ المتنوعة إلا أنه رأى أن هناك فروقا دقيقة بين بعض المفردات لا بد من مراعاتها في الكلام الفصيح، سيما وقد قال: إن الفروق بين الألفاظ من محاسن اللغة"<sup>2</sup>.

وعليه يتضح لنا موقف 'ابن عاشور' جليا من هذه المسألة فإنه وإن كان يتبع الفروق الدلالية بين الألفاظ ويرى ذلك من بلاغة وإعجاز النص القرآني في اختيار المفردة بحسب دلالتها السياقية، إلا أنه في بعض الأحيان يسلم بوجود الترادف وهذا ما جعل أحد الدارسين يسجل ثمرتين من ثمار هذا المبحث عند 'ابن عاشور' فيقول: إن الثمار الدلالية في قضية الترادف كثيرة وقد توقف ابن عاشور عند هذه الثمار التي يظهر من أهمها ثمرتان:

الأولى: في حالة الفرق الدلالي فإن الثمرة هنا هي بيان دقة الاختيار القرآني أو الجمع بين دالتين متقاربتين للإشعار بأهميتهما معا.

الثانية: في حالة اتفاق المعنى تكون الثمرة عند ابن عاشور هي التفنن كما في تفسير الإتيان والمجيء، في قوله تعالى على لسان بني إسرائيل: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 129]، فهو يقر أن الإتيان والمجيء مترادفان فذكر المجيء بعد

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ج 19، ص 190.

<sup>2</sup> جمال محمود أبو حسان: تفسير التحرير والتنوير للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور دراسة منهجية ونقدية، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، دط، د ت، ج 1، ص 397.

## الفصل الرابع: (الناسبة ودورها في تحقيق انسجام النص القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

الإتيان ليس لاختلاف المعنى ولكنه للتفنن وكراهية إعادة اللفظ، وهي ثمرات تتعلق أساسا بالمعنى القرآني وبلاغته ووجوه إعجازه، وتلك هي الغاية العليا في تفسير القرآن الكريم<sup>1</sup>.

والذي يهمننا أكثر في هذا المقام هو الفائدة الأولى الناجمة عن استنتاج الفروق اللغوية بين المفردات القرآنية، وأسرار استخدامها في النص القرآني، ومناسبة هذا الاستخدام للسياق القرآني، أي سيكون بحثنا في سلسلة الاختيارات المعجمية في القرآن ومدى مناسبتها للسياق الذي وردت فيه. وسنقف في معالجتنا هذه لموقف 'ابن عاشور' عند مستوى الأسماء والأفعال والحروف.

### 2-1- مناسبة اختيار الاسم:

نعني بمناسبة اختيار الاسم في هذا المقام القيمة البلاغية لورود اسم من الأسماء في موضع من المواضع القرآنية دون غيره من الأسماء، ومدى صلة هذا الاختيار بالسياق الذي يمنع غيرها من الورد في هذا الموضع، حيث اعتنى 'ابن عاشور' أشد العناية بهذا الجانب، إذ كان في كل مرة يقف على مدى المناسبة في اختيار المفردة القرآنية، ولم لم يضع مكانها مفردة أخرى؟ وذلك دائما استجابة للسياق، وتعبيرا عن دور الاختيار المعجمي في تحقيق الانسجام والتماسك المطلوب في النص القرآني ذلك أن "تنويع استعمال الألفاظ في القرآن لا يأتي لمجرد التصرف في الكلام كما سلف تقريره ولكن أساسه مراعاة نسق الكلام، وما يناسب سياقه ومقامه"<sup>2</sup>.

ومن نماذج انتباه 'ابن عاشور' للاختيارات المعجمية الاسمية ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْتَكُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: 55] حيث يشير 'ابن عاشور' إلى مناسبة اختيار الاسم "جهره" بدل "عيانا" مثلا، أو أي اختيار معجمي آخر، على أن يحل محل هذا الاسم ويؤدي معناه، فيستنتج ابن عاشور أن في دلالة هذا الاسم مناسبة معجمية، بحيث لو وضع اسم آخر مكانه لما أدى المعنى المطلوب وهذا يدن ابن عاشور، حيث إنه في كل مرة يبين سبب ورود اسم في موضعه، بدلا من أسماء أخرى ضمن قائمة الاختيارات المعجمية التي تحكمها بطبيعة الحال علاقة الترادف، فنراه يقدم لذلك مجموعة من التبريرات منها ما هو

<sup>1</sup> مشرف بن أحمد بن جمعان الزهراني: المرجع السابق، ص 238.

<sup>2</sup> فضيلة عظيمي: المرجع السابق، ص 254.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

مرتبط بالسياق والمقام الذي وقع فيه الاسم، ويركز أحيانا على المبررات الناتجة عن الفروق الدلالية بين الاسم المختار وبين غيره، وعدم ملاءمة الدلالة التي يحملها في السياق الوارد فيه، وقد يتعدى التبرير أحيانا إلى عوامل صوتية كما هو الشأن في الآية السابقة في تعليقه عن اختيار الاسم جهرة بدلا من عيانا إذ يقول: "ووجه العدول أن يقول (عيانا) إلى قوله (جهرة) لأن جهرة أفصح لفظا لخفته، فإنه غير مبدوء بحرف حلق، والابتداء بحرف الحلق أتعب للحلق من وقوعه في وسط الكلام لسلامته من حروف العلة، ولذلك يجتبي البلغاء بعض الألفاظ على بعض لحسن وقوعها في الكلام، وخفتها على السمع، وللقرآن السهم المعلى في ذلك وهو في غاية الفصاحة"<sup>1</sup>.

ففي الموضوع عدول معجمي عن "عيانا" إلى "جهرة" ومنشأ هذا العدول وسببه صوتي بالأساس، ذلك أن لفظ 'جهرة' أخف وأفصح، وسهل النطق به لأنه غير مبدوء بحروف حلقية كما هو الشأن في 'عيانا' إذ هي مبدوءة بحرف حلق 'العين'، وهو كما يرى ابن عاشور متعب في النطق، وهو ما يجب على البليغ والفصيح توخيه في إنشاء كلامه، فكيف لا يكون ذلك في القرآن وهو رأس البلاغة وسنام الفصاحة، ثم إن كلمة "جهرة" خالية من حروف العلة بخلاف كلمة "عيانا"، وبالتالي فإن اختيار لفظ "جهرة" مكان "عيانا" فيه من المناسبة الشيء الجلي عند ابن عاشور.

وقد خالف ابن عاشور في هذا ما ذهب إليه الزمخشري (ت538هـ) في عدّ الاسم "الجهرة" يطلق على السمع (الصوت) وهو مجاز في الرؤية، وبالتالي لا يمكن الحديث عن تسوية بين الاسمين في المعنى، إذ يقول تعليقا على الكلمة: "جهر بالقراءة والدعاء شأن الذي يرى بالعين جاهرا بالرؤية، والذي يرى بالقلب مخافتا بها، وانتصاها على المصدر لأنها نوع من الرؤية فنصبت بفعالها"<sup>2</sup> وهو ما خالفه فيه ابن عاشور حين يرى أن الجهرة تطلق على الرؤية والسمع معا فيقول: "والجهرة مصدر يوزن فعله من الجهر وهو الظهور الواضح، فيستعمل في ظهور الذوات والأصوات حقيقة على قول الراغب إذ قال: 'الجهر ظهور الشيء بإفراط إما بحاسة البصر، نحو رأيت جهارا، ومنه جهر البئر إذا أظهر ماءها، وإما بحاسة السمع نحو 'وإن تجهر بالقول'، وكلام الكشاف مؤذن بأن الجهر مجاز في الرؤية بتشبيه الذي

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص507

<sup>2</sup> الزمخشري: المصدر السابق، ج1، ص141.

## الفصل الرابع: المناسبة وورثها في تحقيق (انسجام النص) القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

يرى بالعين بالجاهر بالصوت، والذي يرى بالقلب بالمخافت، وكان الذي حداه على ذلك اشتهاً استعمال الجهر في الصوت وفي هذا كله بعد وهم، إذ لا دليل على أن جهرة الصوت هي الحقيقة<sup>1</sup>.

ونفس الأمر يقال في المناسبة المعجمية الناشئة عن اختيار الاسم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ﴾ [البقرة: 69] وذلك في اختيار كلمة "فاقع" حيث يرى ابن عاشور أنه في اختيار هذا الوصف للون الأصفر مناسبة من جهتين:

فأما الجهة الأولى فهي كون هذا الوصف مختص بهذا اللون بالذات كما يختص القاني بالأحمر، والحالك بالأسود، وغيرها.

وأما الجهة الثانية: فإن اختيار الفقوع في اللون الأصفر فيه تشديد على بني إسرائيل بعد تعنتهم وتشددهم ومطالهم في ذبح البقرة بكثرة الجدل والسؤال في شكلها، وصفاتها، فجاء اللون الفاقع تحديداً كي يصعب ويعقد من حال بني إسرائيل، لأن اللون الأصفر الفاقع في البقر عادة ما يميل إلى الحمرة، وصعب وجوده فيها، وبالتالي فإن فيه مزيد مشقة وعسر عليهم جزاء تعنتهم، وفي تعليقه على هذا الاختيار المعجمي يقول: "وقوله "صفراء فاقع لونها" احتيج إلى تأكيد الصفرة بالفقوع وهو شدة الصفرة لأن صفرة البقرة تقرب من الحمرة غالباً فأكد بفاقع، والفقوع خاص بالصفرة، كما اختص الأحمر بقانٍ والأسود بحالك والأبيض ببيقق، والأخضر بمدهام والأزرق بخطباني"<sup>2</sup> وعلى هذا يبدو جلياً أن إيراد هذا الوصف في هذا الموضع بالذات جاء نتيجة لأمرين أساسيين.

أما الأمر الأول فهو اختصاص الوصف باللون الأصفر دون غيره من الألوان.

وأما الأمر الآخر فهو مراعاة السياق الذي جاءت فيه الآية الكريمة إذ هي في معرض سرد لحال بني إسرائيل وتعنتهم مع نبيهم موسى عليه السلام، فهذا السياق هو الذي برر وجود هذا الوصف في هذا الموضع، لأنه في سياق توضيح على بني إسرائيل وأخبارهم في إيجاد البقرة الصفراء الفاقع لونها هو شيء من هذا التضييق.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 507.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 553.

## الفصل الرابع: المناسبة ودورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وبهذا يبدو جليا دور السياق في تبرير الاختيار المعجمي في كلمة فاقع، ويبدو واضحا كذلك التناسب بين السياق الذي وردت فيه المفردة القرآنية وبين دلالتها المعجمية.

وقريب من هذا أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: 164] حيث يقف ابن عاشور عند الاختيار المعجمي في كلمة "تصريف" ومدى مناسبتها للموضع الذي وردت فيه، ومدى سلامة النظم بها، فرأى أنه اللفظ الأنسب للتعبير عن المعنى المقصود في الآية، ولا يمكن أن تحل محله ألفاظ أخرى قد تبدو من الوهلة الأولى مرادفة لها على غرار لفظ (التبديل) و(الاختلاف) وغيرها من المكافئات المعجمية لهذا الاسم؛ فإن حال الرياح وحركتها - كما يرى ابن عاشور - لا يُعبّر عنها إلا هذا اللفظ التعبير المناسب وفي هذا يقول: "وقد اختير التعبير بلفظ التصريف هنا دون لفظ التبديل أو الاختلاف، لأنه اللفظ الذي يصلح معناه لحكاية ما في نفس الأمر من حال الرياح، لأن التصريف تفعيل من الصرف للمبالغة، وقد علمت أن منشأ الريح هو صرف بعض الهواء إلى مكان، وصرف غيره إلى مكانه الذي كان فيه، فيجوز أن تقدر: وتصريف الله تعالى الرياح، وجعل التصريف للريح مع أن الريح تكونت بذلك التصريف، لأنها تحصل مع التصريف فهو من إطلاق الاسم على الحاصل في وقت الإطلاق، كما في قوله تعالى: "ويلعنهم اللاعنون" وهو ضرب من مجاز الأول، وأن تجعل التصريف بمعنى التغيير أي تبديل ربح من جهة إلى جهة فتبقى الحقيقة ويقوى الإعجاز العلمي، ويكون اختيار لفظ التصريف دون التغيير لأنه أحف<sup>1</sup> وبهذا يتجلى الإعجاز أولا في الاختيار المعجمي للاسم "تصريف" وكذا تتجلى المناسبة المعجمية للسياق الذي ورد فيه.

ومن مناسبة اختيار الاسم أيضا اختيار الضمائر وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، فمن المناسبة المعجمية في اختيار اسم الإشارة ما جاء في قوله تعالى في مطلع سورة البقرة ﴿الم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: 1-2] حيث يقف ابن عاشور مطولا مع اختيار اسم الإشارة للبعيد "ذلك" بدل اختيار اسم الإشارة للقريب "هذا"، وذلك بعد أن ذكر آراء المتقدمين في هذا بين جواز الإشارة في هذا الموضع باسم الإشارة الدال على القرب،

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 2، ص 86

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

أو الدال على البعد، فعبر 'ابن عاشور' عن مناسبة اختيار اسم الإشارة الدال على البعد ومدى مناسبة هذا الاختيار للمقام إذ يقول: "فلا جرم أن كانت الإشارة في الآية باستعمال اسم الإشارة للبعد لإظهار رفعة شأن هذا القرآن لجعله بعيد المنزلة، وقد شاع في الكلام البليغ تمثيل الأمر الشريف بالشيء المرفوع في عزة المنال، لأن الشيء النفيس عزيز على أهله فمن العادة أن يجعلوه في المرتفعات صونا له من الدوس وتناول كثرة الأيدي والابتدال"<sup>1</sup>؛ أي أن القرآن الكريم لصدق معانيه وإعجازه جعلت الإشارة إليه باسم الإشارة الدال على البعد ممكنة ومناسبة، وقرئ 'ابن عاشور' بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنعام: 92] مع أن المشار إليه واحد وهو (الكتاب) إلا أن السياق يحدد صلاحية أحد أسماء الإشارة دون غيره للاستعمال إذ يقول: "ولا يرد على هذا قوله "وهذا كتاب أنزلناه" فذلك للإشارة إلى كتاب بين يدي أهله لترغيبهم في العكوف عليه والاعتناظ بأوامره ونواهيته"<sup>2</sup>.

ولعل 'ابن عاشور' في هذا التخريج قد استعان بما أشار إليه صاحب (مفتاح العلوم) من أحوال المسند إليه وأشكال تعريفه "بالإضافة، أو باللام، أو مشار إليه باسم الإشارة... أو غيرها أو أحوال تنكيهه أو تقديمه على المسند وتأخيره وغيرها من حالات تعريف المسند إليه، فلما وصل إلى الحالة التي يعرف فيها المسند إليه بالإشارة قال: "وأما الحالة التي تقتضي كونه اسم إشارة فهي متى صح إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة إليه حسا، واتصل بذلك داع مثل أن لا يكون لك أو لسامعك طريق إليه سواها، أو أن تقصد بذلك أكمل تمييز له وتعيين...، أو أن يقصد بيان حاله في القرب والبعد والتوسط كقولك هذا وذلك وذلك، ثم تتفرع على ما ذكر وجوه من الاعتبار مثل أن تقصد بذلك كمال العناية بتمييزه وتعيينه أو أن تقصد بقربه تحقيره وبعده تعظيمه"<sup>3</sup>، ولعل هذا ما ينطبق على قوله ﴿الم﴾ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴿[البقرة: 1-2] إذ يقول السكاكي (ت626هـ): "وبعده تعظيمه؛ كما تقول في مقام التعظيم ذلك الفاضل، أو تلك الفحول، وكقوله عزّ وعلا ﴿الم﴾ ذلك الكتاب ذهابا على بعده درجة

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص220، 221.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ج1، ص221.

<sup>3</sup> السكاكي: المرجع السابق، ج1، ص183.



## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تقييد (النص) القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وقولها فيما يحكيه جلّ وعلا ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ﴾ ولم تقل فهذا يوسف ويوسف حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يجب ويفتن به واستبعادا لمحلّه<sup>1</sup>.

وهي الإشارة التي تلقفها 'ابن عاشور' وأعجب بها في تفسيره، حيث أخضع الاختيار المعجمي في اسم الإشارة إلى المقام الذي ورد فيه اسم الإشارة، وهو مقام التعظيم، وكنا نرى 'ابن عاشور' في مستهل تفسير هذه الآية يقف عند آراء كل من الراغب في شرحه لكافية ابن الحاجب (ت646هـ) وكذا رأي ابن مالك (ت672هـ) في التسهيل والزمخشري (ت538هـ) في تفسيره.<sup>2</sup>

ومثال المناسبة في اختيار الاسم الموصول ما جاء في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 120] حيث عبر المولى عز وجل باسم الموصول "ما" المبهمة دون "من" التي هي للعاقل، لأن السياق الذي وردت فيه لا يقتضي تغليب العقلاء على غيرهم يقول: "وجيء بالموصول "ما" في قوله "وما فيهن" دون "من" لأن "ما" هي الأصل في الموصول المبهم فلم يعتبر تغليب العقلاء<sup>3</sup> وإليه كذلك استعمال الاسم الموصول دون الاسم الظاهر أو الضمير كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 68] حيث ذكر اسم الإشارة "الذين" في قوله "رأيت الذين" بدل الضمير "هم" للدلالة على أن الذين يخوضون في آيات الله فريق خاص من الذين كذبوا بالقرآن والعذاب، حيث يقول: "والعدول عن الإتيان بالضمير إلى الإتيان بالاسم الظاهر وهو (اسم الموصول) فلم يقل: وإذا رأيتمهم فأعرض عنهم، يدل على أن الذين يخوضون في الآيات فريق خاص من القوم الذين كذبوا بالقرآن أو بالعذاب، فعموم القوم أنكروا وكذبوا دون خوض في آيات القرآن، فأولئك قسم، والذين يخوضون في الآيات قسم كان أبدي وأقذع وأشد كفرا وأشنع، وهم المتصدون للظلم في القرآن"<sup>4</sup> ولأن الاسم الموصول فيه إشارة إلى وجه الأمر بالإعراض كما يقول في موضع آخر "وجاء تعريف هؤلاء بالموصولية دون أن يقال الخائضين أو قوما

<sup>1</sup> السكاكي: المرجع السابق، ج1، ص184

<sup>2</sup> ينظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص219.

<sup>3</sup> المصدر نفسه: ج7، ص119.

<sup>4</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج7، ص288.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تقييد (انسجام) النص (القرآني) عند محمد الطاهر (ابن) عاشور

خائضين، لأن الموصول فيه إيماء إلى وجه الأمر بالإعراض لأنه أمر غريب إذ شأن الرسول عليه الصلاة والسلام أن يمارس الناس لعرض دعوة الدين، فأمر الله إياه بالإعراض عن فريق منهم يحتاج إلى توجيه واستئناس، وذلك بالتعليل الذي أفاده الاسم الموصول وصلته"<sup>1</sup>.

والمواضع التي ذكر فيها 'ابن عاشور' أوجه المناسبة الناشئة عن الاختيارات المعجمية الاسمية كثيرة وهي كما لاحظنا مناسبة قائمة في أكثر منها عن تحيّر العلاقة الملائمة بين دلالة المفردة القرآنية وبين السياق الذي وردت فيه وهو ما يعني بطريق آخر أن "الاسماء إنما تختار في النظم القرآني لتناسب سياقها وأنه لا يمكن بحال إبدال اسم مكان آخر وذلك من دلائل التناسب المعجمي في آيات القرآن الكريم"<sup>2</sup>.

### 2-2- مناسبة اختيار الفعل

لا تختلف المناسبة التي عالجها ابن عاشور على المستوى الاسمي عن المناسبة في مستوى الأفعال، إذ نراه يقف في كل مرة عند بلاغة توظيف الأفعال في النص القرآني، وعلاقة دلالة هذه الأفعال بالسياق الذي وردت فيه، ثم يبين العلاقة بين دلالة الفعل وبين أفعال أخرى ضمن السلسلة المعجمية التي تضم مجموعة من الأفعال، قد يُتصور لأول وهلة ترادفها واشتراكها في نفس الدلالة، وهو ما ينفيه ابن عاشور في كل مرة يدقق في معنى الفعل، ويدقق في المقام الذي ورد فيه، ليبين أن الفعل المخصوص مناسب للمقام المخصوص، ويستحيل أن يؤدي أيّ فعل ضمن السلسلة المعجمية المعنى المتحقق مع الفعل الموظف في الآية، مهما جهد الدارسون في إثبات إمكانية إحلال أحدهما محل الآخر، لأن لكل فعل أو لفظ أو مفردة في النص القرآني خصوصيات تكتسبها من السياق الذي وظف فيه، وبالتالي تبدو نية إحلال مفردة محل أخرى في النظم القرآني ضرب من العبث الذي لا طائل من ورائه.

ولكي يبدو تصديرا هذا ذا قيمة نعرض على نماذج من المناسبة المعجمية القائمة على إبراز حسن اختيار الفعل وعلاقته بالمقام الذي ورد فيه في تفسير التحرير والتنوير، على أنه ينبغي علينا أن نشير إلى أن ابن عاشور قد اهتم في هذا الباب "بتوجيه اختيار الأفعال بالمقارنة بين الفعل وبين مرادفه من حيث تضمّن أحدهما معنى الآخر أو من حيث

<sup>1</sup> المصدر نفسه: ج7، ص288

<sup>2</sup> فضيلة عظيمي: المرجع السابق، ص259.

## الفصل الرابع: المناسبة وورثها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

تضمنه صيغة مبالغا فيها والإشارة إلى اختصاص كل فعل بالمعنى الذي سيق له، أو لبيان كون علة اختيار الفعل طلب المشاكلة بينه وبين فعل آخر في السياق نفسه<sup>1</sup> وهو في كل هذا طبعاً يربطه بالسياق الذي ورد فيه الفعل.

ومن النماذج التي بيّن فيها ابن عاشور المناسبة المعجمية في اختيار الفعل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188] حيث يقف مطولاً مع الفعل "تأكلوا" ومناسبته للمقام الذي ورد فيه المعنى، والدلالة المقصودة في الآية، وكيف يمكن للدلالة المعجمية الحقيقية للفعل أن تؤدي المقصد المطلوب في هذا السياق، وقد نبه 'ابن عاشور' إلى هذا حين تساءل عن الفرق بين دلالة هذا الفعل "أكل" وبين الفعل "أخذ" ولم لم يستعمل الفعل الثاني في هذا الموضع؟ فيجيب 'ابن عاشور' أن الآية تشير إلى حالة من حالات العرب قديماً في جاهليتهم، إذ كان قويمهم يُعبر على ضعيفهم، ويأخذ قويمهم من ضعيفهم، وهو أخذ لا يُرجى منه رد، ولذلك شبهه بالأكل، فإنه لا سبيل إلى استرداد الشيء المأكول كذلك، وليعبّر المولى عز وجل عن هذه الصورة اختار الفعل "أكل". ثم إن هذا الاختيار قد فرضته كما يقول المناسبة السياقية المتمثلة في المشاكلة ذلك أنّ في الآية السابقة إشارة إلى نوع من أنواع الأكل المحرم وهو انتهاك حرمة رمضان، ولهذا تتجلى لنا الحالة الأولى التي ذكرناها آنفاً في علل اختيار الفعل وهي المشاكلة، أي أن هذا الفعل قد ذكر في هذا الموضع مشاكلة للفعل السابق في الآية التي قبلها في قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 187]، ولا شك أن في هذه المشاكلة ارتباطاً سياقياً وفي هذا الاختيار المعجمي مناسبة من الوجه الذي ذكرناه وقد نص على هذا 'ابن عاشور' معبراً عن وعي منه بالمناسبة المعجمية إذ يقول: "والمناسبة أن قوله: " تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا " تحذير من

<sup>1</sup> فضيلة عظيمي: المرجع السابق، ص 247.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

الجرأة على مخالفة حكم الصيام بالإفطار غير المأذون فيه وهو ضرب من الأكل الحرام فعطف عليه أكل آخر محرم وهو أكل المال بالباطل والمشاكلة زادت المناسبة قوة<sup>1</sup>.

وفي بيان معنى الفعل (أكل) ومناسبته للمعنى في هذه الآية يقول: "كان أكل المال بالباطل شنشنة معروفة لأهل الجاهلية، بل كان أكثر أحوالهم المالية، فإن اكتسبهم كان من الإغارة ومن الميسر، ومن غضب القوي مال الضعيف، ومن أكل الأولياء أموال الأيتام واليتامى، ومن الغرر والمقامرة، ومن المراباة ونحو ذلك، وكل ذلك من الباطل الذي ليس عن طيب نفس، والأكل حقيقته إدخال الطعام إلى المعدة من الفم، وهو هنا استعارة للأخذ بقصد الانتفاع دون إرجاع؛ لأن ذلك الأخذ يشبه الأكل من جميع جهاته، ولذلك لا يطلق على إحراق مال الغير اسم الأكل، ولا يطلق على القرض والوديعة اسم الأكل"<sup>2</sup> فلا يطلق على إحراق مال الغير أكل لأن من مستلزمات الفعل أكل هو "الانتفاع"، ولا منفعة شخصية للمغتصب في إحراق مال الغير، ولا يطلق أيضا على القرض والوديعة أكل لأن من معاني الأكل كما قلنا الانتفاع من غير إرجاع، وإن الدين والوديعة والقرض إنما يبنى التعامل فيها على نية الإرجاع، وهذا من بديع الاختيار المعجمي والمناسبة في النص القرآني كما استخلصه 'ابن عاشور'.

ومن أشكال المناسبة المعجمية القائمة على اختيار الفعل ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا﴾ [النساء: 43] حيث بيّن 'ابن عاشور' مناسبة اختيار الفعل "تقربوا" بدلا من الفعل "تصلّوا" وذلك أنه تعالى في معرض وصف حالة الذين يرغبون في أداء الصلاة وهم سكارى، فاستعمل الفعل "تقربوا" ليبين أن حالتهم وهم سكارى هم أبعد ما يكونون عن الصلاة وجوهرها فاستعمل الفعل (لا تقربوا) أي (ابتعدوا)، فليست صلاة أصلا حتى يصفها بالصلاة وفي هذا يقول: "إنما اختير هذا الفعل دون (تصلّوا) ونحوه للإشارة إلى أن تلك حالة منافية للصلاة، وصاحبها جدير عن الابتعاد عن أفضل عمل في الإسلام"<sup>3</sup> وقد أشار إلى أن الفعل (قرب) مستعمل في

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 2، ص 187.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ج 2، ص 187.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 5، ص 61.

## الفصل الرابع: المناسبة ووردها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

معناه المجازي وهو التلبس بالفعل. وعلى هذا نص الزمخشري (ت538هـ) في تفسيره إذ يقول: "ومعنى لا تقربوا الصلاة لا تغشوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها"<sup>1</sup> فلم يقل لا تصلوها لأن من تكون هذه حالته أي (سكران)، لا يسمى ما يقوم به صلاة أصلا، ومن كانت هذه حالته (السكر) فحري به أن يتعد عن الصلاة وأدائها، وبهذا يتضح وجه المناسبة في اختيار الفعل (تقربوا) بدلا من الفعل (تصلوا)، ولعلنا نلاحظ دقة اختيار المفردة القرآنية وفقا لسياقها الذي وردت فيه.

وقريب من هذا المناسبة في الاختيار المعجمي بين الفعلين (خلق) و(جعل) في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1] فلم جعل (الخلق) للسموات والأرض، واختار الفعل (جعل) للظلمات والنور؟ فيرى أن هذا يناسب طبيعة الفعلين ودلالاتهما، وأن ورودها في هذا الترتيب من كمال الإعجاز؛ ذلك أن في الفعل "خلق" معنى التقدير وفي الفعل "جعل" معنى الانتساب؛ أي أن يكون الشيء المجهول مصير وميسر لغيره، أو منتسبا إليه وفي هذا يقول: "والفرق بينه وبين (خلق)؛ فإن في الخلق ملاحظة معنى التقدير، وفي الجعل ملاحظة معنى الانتساب، يعني كون المجهول مخلوقا لأجل غيره أو منتسبا إلى غيره، فيعرف المنتسب إليه بمعرفة المقام، فالظلمات والنور لما كانا عرضين كان خلقهما تكوينا لتكليف موجودات السموات والأرض، وباختيار لفظ الخلق للسموات والأرض، ولفظ الجعل للظلمات والنور، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: 189] فإن الزوج وهو الأنثى مراعى في إيجادها أن يكون تكملة لخلق الذكر ولذلك عقبه بقوله " لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا " والخلق أعم في الإطلاق"<sup>2</sup>، ولعل ابن عاشور في هذا ينقل كلام الزمخشري (ت538هـ) في التفريق بين الفعلين (خلق) و(جعل) حين جعل للأول معنى التقدير، وللتاني معنى التضمن؛ أي كأن يتكون الشيء من شيء آخر أو يتوقف وجوده على وجود شيء آخر حيث يقول: "والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير، وفي الجعل معنى التضمن كإنشاء شيء من شيء، أو تصيير شيء شيئا أو نقله من مكان إلى مكان ومن ذلك (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) و(وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ) لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة والنور

<sup>1</sup> الزمخشري: المرجع السابق، ج1، ص513.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج7، ص126، 127.

## الفصل الرابع: المناسبة وورثها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

من النار"<sup>1</sup> وبهذا النسق يجري 'ابن عاشور' المقارنة بين الفعل الوارد في سياقه وبين بعض الاحتمالات المعجمية التي يمكن أن تحل محلها، ويبيّن في الوقت ذاته استحالة تعويض الفعل بآخر في السياق القرآني.

وقد تكون المناسبة المعجمية ناشئة عن اختيار صيغة الفعل وعلاقة هذه الصيغة بالمعنى المقصود والسياق، ومن ذلك ما جاء في قوله ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿[آل عمران: 2-3] حيث يقف 'ابن عاشور' عند الفعل "نزل" الذي جاء على وزن "فعل" مزيدا بحرف، ويبين الفرق بينه وبين المجرد منه، أو المزيد الآخر بحرف منه؛ أي ما كان على وزن "أفعل" أي (أنزل)، أو ما كان منه مجردا (نزل)، حيث يرى ابن عاشور أن في استخدام هذا الفعل بهذه الصيغة مناسبة، ذلك أن "التضعيف يؤذن بقوة الفعل في كفيته أو كميته"<sup>2</sup>، وهذا هو الفرق بين الفعل المتعدي بالتضعيف، والفعل المتعدي إلى مفعوله بغير التضعيف، وعليه يرى 'ابن عاشور' أنه لما كانت صيغة (فَعَّل) تدلّ على تقوية الفعل في الكم والكيف، كان مدلوله بصيغته الحالية أهم من مدلول الفعل "أنزل" في نفس الآية حيث يقول: "فيكون قوله" نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ " أهم من قوله "أنزل التوراة" للدلالة على عظم شأن نزول القرآن"<sup>3</sup>، وهي المسألة، -أي الفرق بين الفعل المتعدي بالتضعيف وبين المتعدي بالهمزة في الدلالة-، التي أفاض فيها في مقدمته الأولى من التفسير إذ يقول: "فأما إذا كان الفعل المضاعف للتعدي، فإن إفادته التكثير مختلف فيها، والتحقيق أن المتكلم قد يعدل عن تعدي الفعل بالهمزة إلى تعديته بالتضعيف لقصد الدلالة على الكثير، لأن المضاعف قد عرف لتلك الدلالة في حالة كونه فعلا لازما فقارنته تلك الدلالة للتعدي مقارنة تبعية"<sup>4</sup>.

وهي الدلالة التي أصر عليها 'ابن عاشور' في تفسيره، وقد عارض بها ما ذهب إليه الزمخشري (ت538هـ) حين فرق بين الصيغتين، فتدل إحداهما - أي الأولى - عنده في هذا الموضع على التنجيم والأخرى تدل أن التوراة والإنجيل نزلا جملة واحدة وذلك حين قال: "فإن قلت لم قيل "نزل عليك الكتاب" وأنزل التوراة والإنجيل؟ قلت لأن

<sup>1</sup> الزمخشري: المرجع السابق، ج2، ص03.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص147.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج3، ص148.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ج1، ص11.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة<sup>1</sup> وهو ما رفضه 'ابن عاشور' مستدلا بما ذهب إليه أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ) في رده على الزمخشري (ت 538هـ) في هذه المسألة حيث يقول: "إن التعدي بالتضعيف لا تدل على التكثير ولا التنجيم وقد جاء في القرآن نزل وأنزل. قال تعالى: ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ) ، ( وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ) ، ويدل على أنهما بمعنى واحد قراءة من قرأ ما كان: ممن ينزل، مشددا بالتخفيف، إلا ما استثني، فلو كان أحدهما يدل على التنجيم والآخر يدل على النزول دفعة واحدة لتناقض الإخبار وهو محال"<sup>2</sup>.

وقد زاد عليه اعتبارا سياقيا يتمثل في كون التوراة والإنجيل قد نزلا أيضا منجّمين كما تدل على ذلك الروايات حيث يقول: "وأزيد أن التوراة والإنجيل نزلا مفرقين كشأن كل ما ينزل على الرسل في مدة الرسالة، وهو الحق؛ إذ لا يعرف أن كتابا نزل على رسول دفعة واحدة"<sup>3</sup> وبهذا الطرح لا يوافق 'ابن عاشور' الزمخشري (ت 538هـ) في ما ذهب إليه في التفرقة بين الصيغتين، وفي إبراز وجه المناسبة في إيرادهما مختلفين في الموضوعين، وإنما يصير 'ابن عاشور' على ما ذهب إليه في كون التضعيف في الفعل المتعدي إنما يؤتى به للتقوية كما وكيفاً.

### 2-3- مناسبة اختيار الحرف:

قد يستدعي النظم القرآني في نظر 'ابن عاشور' استعمال حرف بعينه دون غيره من الحروف، أو الأدوات التي تؤدي نفس العمل، وهذا الاستعمال مرتبط بالسياق الذي يرد فيه الحرف. ومن صور المناسبة المعجمية القائمة على اختيار الحرف في النص القرآني ما نجده في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 151] حيث يقف 'ابن عاشور' عند المناسبة في اختيار حرف الجر "في" بدلا من حرف جر آخر مثل "إلى"، فردّ ذلك إلى السياق الذي يقتضي توظيف حرف الجر "في"، وقد بين أن المقام يقتضي أن يوظف حرف الجر الدال على الظرفية لا حرفا آخر. فإن الآية واردة في سياق تذكير بالمنة والتعمة أن أرسل فيهم رسولا منهم -أي من العرب-، ولم يرسل إليهم رسولا أعجميا، فلما كان هذا هو القصد ناسب أن يستعمل حرفا يلائم هذه الدلالة، ولو ووظف حرفا آخر لما تمت تأدية المعنى بالصورة المطلوبة وفي

<sup>1</sup> الزمخشري: المرجع السابق، ج 1، ص 336.

<sup>2</sup> أبو حيان الأندلسي: المرجع السابق، ج 3، ص 16.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 3، ص 148.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص (القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

هذا يقول: "ولذلك علق بفعل أرسلنا حرف 'في' ولم يعلق به حرف 'إلى' كما في قوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: 15]، لأن ذلك مقام احتجاج، هذا مقام امتنان، فناسب أن يذكر ما به تمام المنة وهي أن جعل رسولهم فيهم ومنهم؛ أي هو موجود في قومهم وهو عربي مثلهم"<sup>1</sup>.

وهي الملاحظة التي أشار إليها سابقا أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ) حين لاحظ الإعجاز في جعل الرسول "منهم" أي من العرب فعبر بـ 'في' دون غيرها مما يمكن أن يؤدي المعنى فقال: "فيه اعتناء بالعرب إذ كان الإرسال فيهم والرسول منهم، وإن كانت رسالته عامة، وكذلك جاء ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: 2]"<sup>2</sup> فسياق تذكير العرب بما جباهم الله من نعمة أن جعل منهم الرسول، هو الذي ناسب استعمال حرف الجر "في" بدلا من حروف أخرى.

ومن مناسبة اختيار حرف الجر كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: 129] حيث يقف 'ابن عاشور' عند توظيف حرف الجر "فيهم" بدلا من "لهم" فربط ذلك بالسياق العام الذي جاء فيه هذا الحرف، وهو دعاء إبراهيم بأن يبعث في ذريته رسولا فيهم عامة وفي هذا يقول: "وإنما قال 'فيهم' ولم يقل 'لهم' لتكون الدعوة بمجيء رسول برسالة عامة فلا يكون ذلك الرسول رسولا إليهم فقط ولذلك حذف متعلق رسولا ليعمم"<sup>3</sup>.

وضمن المناسبة المعجمية أيضا اختيار حرف استفهام بدل آخر كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: 90-91] فيقف 'ابن عاشور' أيضا عند المناسبة في اختيار حرف الاستفهام "هل" بدلا من الهمزة؛ إذ يرى بداية أو ورود الاستفهام في هذا الموضوع دون النهي صراحة عن شرب الخمر وقد بين لهم مفسدها وأضرارها، فيه إعجاز عظيم في لطف الخطاب،

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 2، ص 48.

<sup>2</sup> أبو حيان الأندلسي: المرجع السابق، ج 2، ص 47.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 722.



## الفصل الرابع: المناسبة وورثها في تحقيق (انسجام) النص (القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

ذلك أنه أنزلهم منزله الفطن الخبير - كما يقول -، وبالتالي عدل عن نهيهم مباشرة إلى الاستفهام عن أثر أضرار الخمر في نفوسهم، حيث يرى 'ابن عاشور' أنه لو عقب البيان بالنهي لأنزلهم منزلة الأغبياء، وكيف ينزلهم هذه المنزلة وقد خاطبهم بقوله "يا أيها الذين آمنوا" حيث يقول: "لو كان بعد هذا البيان كله نهاهم عن تعاطيها، لكان قد أنزلهم منزلة الغي"<sup>1</sup> ومن أجل هذه الغاية والنكته اختار المولى عز وجل الاستفهام بـ "هل" بدلا من الهمزة حيث يقول: "ولذلك اختير الاستفهام بـ (هل) التي أصل معناها (قد) وكثر وقوعها في حيز همزة الاستفهام، فاستغنوا بـ (هل) عن ذكر الهمزة، فهي لاستفهام مضمن تحقيق الإسناد المستفهم عنه وهو أنتم منتهون"<sup>2</sup> وبالتالي استعملت "هل" في هذا الموضع بدلا من الهمزة لأن (هل) أصل معناها 'قد' التي للتحقيق، وكأنه يستفهم عن مدى تحقيق العلاقة الاسنادية (أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) وهذه هي مناسبة ورود الاستفهام في هذا الموضع بـ "هل" بدلا من الهمزة.

ومن المناسبة المعجمية أيضا اختيار أحرف شرط مكان أخرى لمناسبة السياق الذي وردت فيه كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: 9] فوجه اختيار "لو" الشرطية دون غيرها من الأدوات التي تفيد الشرط مثل: لولا أو لوما أو غيرها هو كونها تؤدي معنى الشرط من غير تعرض لإمكان وقوعه حيث يقول: "ووجه اختيار (لو) هنا من بين أدوات الشرط أنها هي الأداة الصالحة لغرض الشرط من غير تعرض لإمكانه، فيصدق معها الشرط المتعذر الوقوع والمستبعده والممكنه، فالذين بلغوا اليأس من الولادة ولهم أولاد كبار أو لا أولاد لهم يدخلون في فرض هذا الشرط لأنهم لو كان لهم أولاد صغار لخافوا عليهم والذين لهم أولاد صغار أمرهم أظهر"<sup>3</sup>.

وعليه فإن استعمال الأداة "لو" في هذا المقام مناسب لأنها الأداة التي لا يتبين فيها الشرط أهو ممكن أم غير ممكن أم مستحيل أصلا. والآية تحمل كل هذه الأوجه في قوله ﴿لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً﴾ تحتل الذين لا أولاد لهم، وتحتل أيضا من كان لهم ذرية كبار، وبطبيعة الحال لو تركوا أولادا صغارا فالخوف هنا أولى.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج7، ص28.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ج7، ص28.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج4، ص252، 253.

3- المبحث الثالث: المناسبة الصرفية :

يقصد في هذا البحث بالمناسبة الصرفية مدى انسجام الاختيارات الصرفية للمفردة القرآنية مع سياقها الذي وظفت فيه، والاختلاف بينها وبين اختيارات أخرى يمكن أن تحل محلها في غير السياق القرآني، أي بحث مدى "التوافق بين البنية الصرفية للكلمة والسياق الذي ترد فيه"<sup>1</sup> حيث يطلعنا 'ابن عاشور' في تفسيره على كثير من الدلالات البلاغية والإعجازية لتوظيف الصيغ الصرفية المتعددة للمفردة القرآنية، وسنقف في هذا الموضوع عند المناسبة في صيغ الفعل؛ أي مدى ملاءمة صيغ الفعل الزمنية وغير الزمنية للسياق الواردة فيه، وكذا مدى تناسب دلالة الكلمة على العدد (الإفراد، التثنية، الجمع) مع الدلالة المقصودة في السياق القرآني، وكذلك لطائف التعريف والتنكير في النص القرآني، وكيف يؤدي هذا التوظيف إلى انسجام النص مع سياقه.

3-1- مناسبة اختيار زمن الفعل:

فمن أمثلة المناسبة الصرفية القائمة على اختيار زمن الفعل ما ذكره 'ابن عاشور' في توظيف الفعل "يكفروا" بصيغة المضارع بدل الماضي في قوله تعالى: ﴿يَتُوسَمُوا بِأَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِعَصَبٍ عَلَى عَصَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: 90] حيث يقف عند تغيير زمن الفعل إلى المضارع مع أن ما قبله أي الفعل (اشْتَرُوا) جاء على صيغة الماضي، فإن الأولى تتابع الدلالة الزمنية للفعل على اعتبار أن الاشتراء وقع في الماضي، وهذا يقتضي كذلك أن الكفر وقع في الماضي كذلك، فبين 'ابن عاشور' في هذا الموضوع أن سبب تغيير الصيغة الزمنية للفعل في هذا الموضوع، هو كون الكفر عندهم متجدد وأن اشتراء أنفسهم بالكفر مضى واستقر، وأن فعلهم هذا وقع منهم قبل نزول الآية، أما أفعال الكفر منهم فهي قائمة ومتجددة وفي هذا يقول: "جاء بصيغة المضارع في قوله "أن يكفروا" ولم يؤت به على ما يناسب المبيّن وهو (مَا اشْتَرُوا) المقتضي أن الاشتراء قد مضى، للدلالة على أنهم صرّحوا بالكفر بالقرآن من قبل نزول الآية، فقد تبين أن اشتراء أنفسهم بالكفر عمل

<sup>1</sup> فضيلة عظيمي: المرجع السابق، ص 67.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

استقر ومضى، ثم لما أريد بيان ما اشتروا به أنفسهم، نبّه على أنهم لم يزالوا يكفرون ويعلم أنهم كفروا فيما مضى أيضاً، إذ كان المبين بأن يكفروا معبراً عنه بالماضي بقوله " اشْتَرَوْا " <sup>1</sup>.

ومن أمثله أيضاً اختلاف أزمنة الفعلين (زُين) و(يسخرون) في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: 212] فلا يختلف تبريره عن التبرير السابق في كون توظيف الفعل (زُين) بصيغة الماضي للدلالة على أن فعل التزيين مستقر في نفوس الذين كفروا، فقد زُينت في نفوسهم الحياة الدنيا واستقرّ هذا الأمر فيهم، وأما فعل السخرية فهو فعل متجدد فيهم، ودلالته قائمة فيهم لم تنقض بعد، وهذا تبعاً لدلالة الفعل المضارع على التجدد والاستمرارية، ويضيف 'ابن عاشور' علةً أخرى وهي أن اختيار زمن الفعل كان تبعاً لاختصاص دلالة الفعلين، فإنه لما كان التزيين أسبق في الوجود استعملت فيه دلالة الماضي ليدل على التحقيق، والسخرية لما كانت نتيجة التزيين وظفت بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرارية، وفيها من الدم الشيء الواضح لأنه لو وظفت بصيغة الماضي لدلت على سخرية المخاطبين من الذين زينت لهم الحياة الدنيا، فلما وظفت بصيغة المضارع دلت على الاستمرارية الدالة على ذمهم لأن هذا الفعل صادر عنهم أيضاً. وفي هذا يقول: "وجيء في فعل التزيين بصيغة الماضي وجيء فعل السخرية بصيغة المضارع قضاء لحقي الدلالة على أن معنى التزيين أمر مستقر فيهم، لأن الماضي يدل على التحقيق وأن معنى يسخرون متكرر متجدد منهم، لأن المضارع يفيد التجدد، ويعلم السامع أنّ ما هو محقق بين الفعلين هو أيضاً مستقر" <sup>2</sup>.

وفي أسبقية أحد الفعلين في الحدوث على الآخر يقول: "وعلى هذا فإنما اختير لفعل التزيين خصوص الماضي ولفعل السخرية خصوص المضارعة إيثارا لكل من الصيغتين بالفعل التي هي به أجدر، لأن التزيين لما كان هو الأسبق في الوجود وهو منشأ السخرية، أوثر بما يدل على التحقيق ليدل على ملكة، واعتمد في دلالته على الاستمرار بالاستتباع. والسخرية لما كانت مترتبة على التزيين وكان تكررها يزيد في الدم إذ لا يليق بذي المروءة السخرية بغيره،

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 605.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 296.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

أثيرت بما يدل على الاستمرار واعتماد في دلالتها على التحقق دلالة الالتزام لأن الشيء المستمر لا يكون إلا متحققاً<sup>1</sup>.

والمقصود في هذا الموضوع بدلالة الالتزام ما عناه علماءنا العرب في تقسيمهم لدلالة اللفظ بين: دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام حيث تعني هذه الأخيرة "دلالة اللفظ على خارج عنه؛ أي عما وضع له، وذلك بأن يكون اللفظ دالاً بالمطابقة على معنى ويكون ذلك المعنى يلزمه معنى غيره كالرفيق الخارجي لا كالجزم منه، بل هو مصاحب ملازم له مثل دلالة السقف على الحائط، والإنسان على قابل صنعة الكتابة"<sup>2</sup> وعليه فإن دلالة التحقيق في السخرية دلالة ملتزمة في صيغة الفعل (يسخرون) المضارع وليست هي الدلالة الأصلية فيه باعتبار المطابقة وهذا ما قصده 'ابن عاشور'.

### 3-2- المناسبة القائمة على التعريف والتكبير:

وأما المناسبة الصرفية القائمة على التعريف والتكبير؛ أي بحث مدى ملاءمة المعرفة والنكرة في المفردة القرآنية لموقعها؛ ذلك أنه لكل حالة من الحالات موقعها وبلاغتها في النص القرآني، ولا يمكن أن يحل التعريف محل التكبير في نفس السياق.

ومن المواضع التي التفت إليها 'ابن عاشور' في هذا المقام وبين بلاغتها في النظم القرآني ومناسبتها للموضع الذي جاءت فيه بما يحقق نوعاً من البلاغة والانسجام في القرآن ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ النَّبِيِّاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾<sup>3</sup> إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 159-160] حيث توقف عند كلمة "اللاعنون" وبين سبب تعريفها في هذا الموضوع مع أن التعريف فيها للاستغراق العربي، وهو: "ما يكون المرجع في شموله وإحاطته إلى حكم العرف مثل جمع الأمير الصاعغة"<sup>3</sup> أي صاعغة بلده.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 296، 297

<sup>2</sup> عبد الحميد العلمي: مسالك الدلالة بين اللغويين والأصوليين، مطبعة أنفو برينت، فاس، ط 1، 2000م، ص 28، 29.

<sup>3</sup> الكفوي: المرجع السابق، ص 103.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وقد أشار ابن عاشور إلى أن التعريف في الاسم للاستغراق العربي حيث يقول: "وقوله " وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ " تذكير لهم باللعة المسطورة في التوراة فإن التوراة متلوة دائما بينهم، فكلما قرأ القارئون هذا الكلام تجددت لعنة المقصودين به، والذين كتموا ما أنزل الله من البيئات والهدى هم أيضا يقرؤون التوراة فإذا قرأوا لعنة الكاتمين فقد لعنوا أنفسهم بألسنتهم، فأما الذين يلعنون المجرمين الظالمين غير الكاتمين ما أنزل من البيئات والهدى فهم غير مشمولين في هذا العموم، وبذلك كان الاستغراق المستفاد من تعريف اللاعنين باللام استغراقا عرفيا"<sup>1</sup> ثم يشير ابن عاشور إلى وجه المناسبة في تعريف كلمة "اللاعنون" تعريفا للاستغراق العربي مع أنها كالنكرة، لأنها تتطلب عرفا معينا في تحديد دلالتها ومعناها، وإنما عرفها للمبالغة كما يقول: "إنما عدل إلى التعريف مع أنه كالنكرة مبالغة في تحقيقه حتى كأنه صار معروفا لأن المنكر مجهول"<sup>2</sup>.

ومن أمثلة مناسبة التنكير للموضع الذي جاءت فيه المفردة القرآنية، ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ قَالُوا لَيْتَ نَحْنُ الْمَلَائِكَةُ لَئِنِ اتَّخَذْنَا آلِهَةً سِوَى اللَّهِ لَنَعْبُدَهُنَّ فَإِن كُنَّ صَاحِبَاتٍ لَّأُنزِلْنَ عَلَيْنَا مَوْتًا بَاطِنًا﴾ [البقرة: 246] ، حيث وقف ابن عاشور عند وجه تنكير كلمة "نبيء" ووجه مناسبتها للموضع الذي وردت فيه، فيرى أن سبب ذلك يعود إلى أن العبرة من ذكر هذه القصة هي بيان حال بني إسرائيل وتاريخهم الأسود مع أنبيائهم، ولم يكن الغرض من ذلك تعريف المسلمين بهذا النبي المقصود، على الرغم من عدم علم المسلمين باسمه؛ فلما كان المهم في هذا الموضع هو القصة في حد ذاتها، لا تحديد الأسماء لم يعرف المولى عز وجل النبيء ولم يذكر اسمه، وفي هذا الشأن يقول: " وتنكير (نبيء لهم) للإشارة إلى أن محل العبرة ليس هو شخص النبيء، فلا حاجة إلى تعيينه وإنما المقصود حال القوم وهذا دأب القرآن في قصصه، وهذا النبيء هو صموئيل وهو بالعربية شمويل بالشين المعجمة، ولذلك لم يقل: (وإذ قالوا لنبيهم) إذ لم يكن هذا النبيء معهودا عند المسلمين حتى يعرف لهم بالإضافة"<sup>3</sup>. فمقام

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 2، ص 69.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 2، ص 69.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج 2، ص 485.

## الفصل الرابع: المناسبة وورثها في تقييد (انسجام) النص (القرآني) عند محمد الطاهر (ابن) عاشور

التذكير والعبارة بقصة بني إسرائيل أولى وأسبق من ذكر الأسماء، والعبارة بالقصة لا بجزئيات الأحداث كما يرى ابن عاشور، وهنا تبرير وجه المناسبة في ورود المفردة في هيئة النكرة.

### 3-3- مناسبة دلالة الكلمة على العدد:

وأما المناسبة الصرفية القائمة على دلالة الكلمة على العدد (مفرد مثنى جمع) فأمثلتها كثيرة في القرآن لفتت انتباه المفسر، فبين وجه ملاءمة الاختيار القرآني تبعاً للسياق العام الذي ورد فيه هذا الاختيار، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 189]، حيث يقف ابن عاشور عند سبب ورود الضمير بالجمع في الفعل "يسألونك" مع أن السائلين في الأصل رجلان فقط وهما (معاذ بن جبل) و (ثعلبة بن عتمة الأنصاري) فيقول: "وروي أن الذي سأله في ذلك معاذ بن جبل وثعلبة بن عتمة الأنصاري فقالا: ما بال الهلال يبدو رقيقاً ثم يزيد حتى يمتلئ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ"<sup>1</sup>، وعليه كان الأصل أن يقول "يسألانك عن الأهلة"، ولكنه عدل إلى الجمع لغاية ناسبت ذلك وهي عموم الفائدة، ذلك أن المسؤول عنه - كما يقول المفسر - قضية تم جميع الناس ولذلك جاء بصيغة الجمع حتى تعم الفائدة، وقد تبين أن كثيراً منهم يتطلع لمعرفة هذا الأمر؛ فمنهم من جهر بالسؤال ومنهم من أسرّه في نفسه، ولذلك ذكر الفعل بصيغة الجمع بدل التثنية حتى يصل صداه لجميع الناس، وفي هذا الشأن يقول ابن عاشور: "وجمع الضمير في قوله (يَسْأَلُونَكَ) مع أن المروي أن الذي يسأل رجلان، نظراً لأن المسؤول عنه يهم جميع السامعين أثناء تشريع الأحكام، ولأن من تمام ضبط النظام أن يكون المسؤول عنه قد شاع بين الناس، واستشرف كثير منهم معرفته سواء في ذلك من سأل بالقول أو من سأل في نفسه"<sup>2</sup>. ومن أمثلة المناسبة الصرفية القائمة على دلالة العدد في المفردة القرآنية جمع (السموات) وإفراد (الأرض) في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1]، حيث يرى ابن عاشور أن ذلك جاء لمناسبة الواقع ومطابقتها، إذ جمع السموات لأنها عوالم كثيرة ومتعددة، وأفرد

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص 193، 194.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج2، ص 194.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

الأرض لأنها عالم واحد، وفي هذا يقول: " وجمع السموات لأنها عوالم كثيرة، إذ كل كوكب منها عالم مستقل عن غيره، ومنها الكواكب السبعة المشهورة المعبر عنها في القرآن بالسموات السبع فيما نرى، وأفرد الأرض لأنها عالم واحد ولذلك لم يجرى لفظ الأرض في القرآن جمعا"<sup>1</sup>، وقد لا نفهم ما عناه ابن عاشور بقوله (إن الكواكب السبعة المشهورة هي المعبر عنها بالسموات السبع في القرآن) ولا ندري كيف ربط بين الكواكب المعلومة، وبين مفهوم السموات السبع، وإن كنا نرى أنه محق فيما ذهب إليه في كون السموات السبع مختلف بعضها عن بعض، بما تحتويه كل سماء، تبعاً لحديث معراج النبي (ﷺ) ومشاهداته فيها، وأما الأرض فهي كيان واحد كما يرى، ولم تذكر في القرآن إلا بهذه الصيغة، وبهذا الوجه تتضح المناسبة.

أما ربط المناسبة بالكواكب السبع والسموات السبع، فهذا مما يغيب المناسبة تماماً، ويتعد المفسر إثرها بالقارئ بعيداً في تشكيل الرابط الدلالي بين الصيغة الصرفية والدلالة القرآنية. وهي الملاحظة التي خالف فيها ابن عاشور الرازي (ت 606هـ) قبله الذي يرى أن الأراضي أيضاً ذكرت بتعددتها في القرآن في سورة الطلاق في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12]، وأما مناسبة الجمع في السموات والإفراد في الأرض فيعزوها هذا الأخير إلى أن "السماء جارية مجرى الفاعل والأرض مجرى القابل، فلو كانت السماء واحدة لتشابه الأثر وذلك يخل بمصالح هذا العالم، أما لو كانت كثيرة اختلفت الاتصالات الكوكبية وحصل بسببها الفصول الأربعة وسائر الأحوال المختلفة وحصل بسبب تلك الاختلافات مصالح هذا العالم، أما الأرض فهي قابلة للأثر والقابل الواحد كاف في القبول"<sup>2</sup>.

وأما جمع كلمة (الظلمات) وإفراد (النور) ففيه مجازة للاستعمال، وفيهما مراعاة لمبدأ الخفة في الاستخدام، حيث يقول ابن عاشور: "وإنما جمع الظلمات وأفرد النور اتباعاً للاستعمال لأن لفظ (الظلمات) بالجمع أخف، ولفظ (النور) بالإفراد أخف، ولذلك لم يرد لفظ الظلمات في القرآن إلا جمعا، ولم يرد لفظ النور إلا مفرداً"<sup>3</sup>، وقد خالف في

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق: ج 7، ص 126.

<sup>2</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج 12، ص 477.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 7، ص 127، 128.

## الفصل الرابع: المناسبة وورثها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

هذا الرأي الزمخشري (ت538هـ) حين عزا الأفراد والجمع فيها إلى كون " الظلمات كثيرة لأن ما من جنس من أجناس الأجرام إلا وله ظل، وظله هو الظلمة بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار"<sup>1</sup>.

أما الرازي (ت606هـ) فقد خالفهما في مناسبة ورود الكلمتين بهذه الصورة إذ يرى - كما يرى بعض السلف- أن المقصود بالظلمات هو الباطل (الكفر) والمقصود بالنور هو الحق (الإيمان)، والباطل كثير متعدد الأوجه والحق واحد ثابت لا يتغير، وقد لا تدل الكلمتان عنده على المعنيين السابقين، فيحمل اللفظين الدلالة الفيزيائية المحسوسة التي تدل على الظاهرة الكونية المعلومة، وهو في كل هذا يقدم مناسبة ورودهما بالصيغة الصرفية التي هما عليها في النص القرآني فيقول: " لقائل أن يقول لم ذكر الظلمات بصيغة الجمع والنور بصيغة الواحد؟ فنقول: أما من حمل الظلمات على الكفر والنور على الإيمان فكلامه ها هنا ظاهر، لأن الحق واحد، والباطل كثير، وأما من حملها على الكيفية المحسوسة فالجواب: أن النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية، ثم إنها تقبل التناقص قليلا قليلا وتلك المراتب كثيرة فلهذا السبب عبر عن الظلمات بصيغة الجمع"<sup>2</sup>.

وعلى هذا النهج سار المفسر في جهده من خلال ربط البنية الصرفية للمفردة القرآنية بالمعنى القرآني والسياق الذي وردت فيه مبينا وجه المناسبة في ورودها على هذه الهيئة أو تلك، ومبينا وجه البلاغة والإعجاز في هذا الاختيار ، وهو اختيار "يطلعنا على دلالات فنية وبلاغية تؤديها تلك الصيغ في سياقها القرآني الذي يلتقي فيه التناسب والإعجاز عند نقطة واحدة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الزمخشري: المرجع السابق، ج2، ص3.

<sup>2</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج12، ص479.

<sup>3</sup> فضيلة عظيمي: المرجع السابق، ص90.



4- المبحث الرابع: المناسبة التركيبية:

إذا كانت المناسبة المعجمية في أبسط معانيها قائمة على اختيار الوحدات المعجمية المختلفة المناسبة لمقام استعمالها وسياق ورودها، وإذا كان التناسب الصرفي هو بحث في آليات التوافق بين البنية الصرفية للمفردة القرآنية وبين سياق ورودها في النص القرآني، فإن المناسبة التركيبية هي كذلك بحث في أشكال الملاءمة، ولكنها ملاءمة تقع في مستوى لغوي أعلى وأوسع من مستوى المفردة القرآنية إلى مستوى التركيب، أي بحث في أشكال التلاؤم بين التركيب اللغوي (الجملة) وبين السياق الذي يشمل المتكلم والمستمع والظروف المحيطة بالنص عموماً؛ أي هو في الحقيقة محاولة إيجاد العلاقة الجامعة بين قواعد التركيب (النحو خاصة) وبين السياق الذي يشمل كل عناصر العملية التواصلية، وهو في أبسط مفهوم: " اختيار لنمط التركيب الذي يحقق مطلب التناسب ويكون ذلك بالمواءمة بين قوانين النحو، وغرض المتكلم وحال السامع وعناصر السياق المختلفة"<sup>1</sup>.

وعليه فإن المناسبة التركيبية هي بحث في أشكال التلاؤم بين الجمل والتراكيب وبين المواضع التي استعملت فيها، حيث اهتم علماءنا الأوائل بدراسة أحوال التركيب في النص القرآني، وبينوا الوظائف الجمالية التي يؤديها اختلاف التركيب اللغوي في الجملة من حذف وزيادة وتقديم وتأخير، حيث بدأ هذا البحث مبكراً " على يد نخبة من علماء القرن الثالث للهجرة الذين عنوا بالتأليف في معاني القرآن وأساليبه؛ كأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 203هـ)، وأبي عمر الجاحظ (ت 255هـ) وإبي يحيى زياد المعروف بالفراء (ت 207) وابن قتيبة (ت 276هـ) (...). ثم انتقلت هذه المباحث إلى كتب فقه اللغة فصارت من خصائص العربية وسننها، وقد تناولها عثمان بن جني (ت 393هـ) في باب شجاعة العربية، وتناولها أحمد بن فارس (ت 395هـ) في سنن العربية"<sup>2</sup>.

ولعل هذا المبحث اللطيف من مباحث العربية قد نما بشكل جلي مع المباحث البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) من خلال نظرية النظم التي عرفها بقوله: " ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت

<sup>1</sup> فضيلة عظيمي: المرجع السابق، ص 127.

<sup>2</sup> أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن: دراسة في النظم المعنوي والصوتي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، دط، 1992، ص 192.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

لك فلا تخل بشيء منها"<sup>1</sup>، حيث عالج مباحث التقديم والتأخير والحذف والزيادة والوصل والفصل وغيرها من المباحث التركيبية التي تشير إلى أحوال الجملة العربية. وسنقف في هذا الموضوع عند أحوال التركيب الجملي في القرآن الكريم كما وضحه ابن عاشور، مبيّنين أوجه التناسب بين الاختيارات التركيبية، وبين السياق العام الذي تشمل كل من الباث والمتلقي وكل ملابسات التواصل - إن صح هذا التعبير - وسنقف تحديداً عند مباحث التقديم والتأخير والحذف دون غيرها من المباحث .

### 4-1- التقديم والتأخير:

يعد مبحث التقديم والتأخير من أكثر المباحث اللغوية والبلاغية العربية عناية في صلب النص القرآني، وفيه يقول عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) "هو باب كثير القواعد، جمّ المحاسن، واسع التصريف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروك ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد السبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان"<sup>2</sup>.

لقد اعتنى ابن عاشور بهذا المبحث الجليل أيّما عناية، ووقف عند كثير من الأسرار البلاغية لتقديم بعض عناصر الجملة بعضها على بعض "إن للتقديم والتأخير في وضع الجمل وأجزائها في القرآن دقائق عجيبة كثيرة لا يحاط بها، وسننبه على ما يلوح منها في مواضعه - إن شاء الله- وإليك مثلاً من ذلك يكون لك عوناً على استجلاء أمثاله. قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلظَّالِمِينَ مَبَايِعًا ۝﴾ [النبا: 21-22] إلى قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۝﴾ [النبا: 31-32] إلى قوله ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا ۝﴾ [النبا: 34-35] فكان للابتداء بذكر جهنم ما يفسر المفاز في قوله "إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا" أنه الجنة، لأن الجنة مكان الفوز، ثم كان قوله "لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا" ما يحتمل الضمير (فيها) من قوله "لَا يَسْمَعُونَ" أن يعود إلى "وَكَأْسًا دِهَاقًا" وتكون (في) للظرفية المجازية، أي الملابسة أو السببية (...) وأن يعود إلى (مَفَازًا) بتأويله باسم مؤنث وهو الجنة، وتكون (في) للظرفية الحقيقية (...).

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 122.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 143.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص (القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وهذه المعاني لا يتأتى جميعها إلا بجمل كثيرة لو لم يقدم ذكر جهنم ولم يعقب بكلمة مفازا، ولم يؤخر " وَكَأْسًا دِهَاقًا " ولم يعقب بجملة " لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا " <sup>1</sup>.

وبهذه الصورة وغيرها يبين ابن عاشور أوجه المناسبة الدلالية في تقديم أحد عناصر الجملة في النص القرآني، ولا يختلف الأمر هنا عنده سواء أكان التقديم والتأخير واقعا في المسند والمسند إليه وترتيبهما، أم واقعا في عناصر أخرى من التركيب كالمتعاطفين والمتضادين وغيرها، ويمكن بصورة أكثر وضوحا أن نبين أوجه المناسبة التركيبية القائمة على تقديم أحد عناصر التركيب من خلال النماذج التالية:

### أ- تقديم وتأخير المتعاطفين أحدهما على الآخر:

ينبغي علينا في تحليل أشكال التناسب في التقديم والتأخير في جمل القرآن وآياته أن نستحضر القاعدة الأساسية التي تحكم عملية التقديم والتأخير في الاستعمال العربي، وذلك أن العرب لا تقدم أمرا إلا لأهميته والاعتناء بأمره، أو قصدت التأكيد عليه أو غيرها من الأغراض البلاغية الناشئة عن هذا التقديم، وعليه فإن اختلال الترتيب في عناصر الجملة العربية والعدول عن الأصل هو في الحقيقة استجابة لغرض وغاية بوجه من الوجوه المذكورة والمبثوثة في كتب البلاغة التي اهتمت بمسألة التقديم والتأخير " والقاعدة العامة أن العرب مهما اعتنت بشيء وقصدت به قصد زيادة من تأكيد أو تشريف قدمته أو قدمت ضميره " <sup>2</sup>، وبالتالي فإن تقديم أحد عناصر الجملة يخضع لغاية ما تتناسب مع الموضوع الذي يوضع فيه اللفظ.

ومن المناسبات التي استنتجها ابن عاشور في تفسيره والقائمة على التقديم والتأخير بين المتعاطفين ما نجده في قوله تعالى: " ﴿ كُنِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: 180]، حيث يقف ابن عاشور عند تقديم المعطوف عليه (الوالدين) وسبب تقديمه على (الأقربين)، فكان ذلك كما يرى إيماء إلى أن الوالدين في الأصل هم الأولى والأحق بالوصية من غيرهما من الأقربين "والأقربون أولى بالمعروف" ، ولأن الوالدين عادة ما يتم تجاهلها في معرض الوصية، إذ كان يوصي أحدهم للأولاد، أي يورثون أولادهم، أو

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1 ص 110، 111.

<sup>2</sup> أحمد أبو زيد: المرجع السابق، ص 196.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

يوصون إلى سادة قبائلهم، فجاء ذكر الوالدين أولاً قبل ذكر الأقربين وغيرهم، وفي هذا الشأن يقول: "وقدم الوالدين للدلالة على أنهما أرجح في التبدئة بالوصية، وكانوا قد يوصون بإيثار بعض أولادهم على بعض، أو يوصون بكيفية توزيع أموالهم على أولادهم، ومن أشهر الوصايا في ذلك وصية نزار بن معد بن عدنان، إذ أوصى لابنه مضر بالحمراء، ولابنه ربيعة بالفرس، ولابنه أثمار بالحمار، ولابنه إياد بالخدام، وجعل القسمة في ذلك للأفعى الجرهمي، وقد قيل: إن العرب كانوا يوصون للأباعد طلباً للفخر ويتكون الأقربين في الفقر، وقد يكون ذلك لأجل العداوة والشنآن"<sup>1</sup>، فجاء هذا التقديم تنبيهاً للمسلمين إلى مكانة الوالدين في الوصية، وأنهما أولى في ذلك من الأقربين فضلاً عن الأباعد وغيرهم، وبهذا تبدو واضحة الغاية البلاغية من وراء ترتيب المتعاطفين وتقديم أحدهما على الآخر، ويبدو جلياً وجه التناسب التركيبي في التقديم؛ إذ هو في الأصل تنبيه لعموم المسلمين بضرورة الانتباه لأمر الأولياء في الوصية، وقد أشار الرازي (ت 606هـ) قبله إلى هذا الأمر - وإن لم يفرق بين المعطوف والمعطوف عليه - لكن سياق تعليقه على الآية يبين أنه أشار إلى أن سبب تقديم المعطوف عليه (الوالدين) هو الاهتمام بشأنهما في الوصية حيث يقول: "قال الأصم: إنهم كانوا يوصون للأبعدين طلباً للفخر والشرف، ويتكون الأقارب في الفقر والمسكنة، فأوجب الله تعالى في أول الإسلام الوصية لهؤلاء منعا للقوم عما كانوا يعتادوه وهذا بين"<sup>2</sup>.

والأمر نفسه تقريبا في قوله تعالى: ﴿الظَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ [البقرة: 229] حيث يقف ابن عاشور عند مناسبة تقديم (الإمساك بالمعروف) على (التسريح بالإحسان) فيعزو ذلك إلى الترغيب؛ أي ترغيب المطلق في التراجع عن أبعض الحلال عند الله، وتنبيهه إلى أن هذا الأمر هو الأهم والأولى حفاظاً على الرابطة الأسرية حيث يقول: "وقدم الإمساك على التسريح إيماءً إلى أنه الأهم المرغب فيه في نظر الشرع"<sup>3</sup>، وبهذا تتحكم الغاية البلاغية (الأهمية) في تقديم أحد المتعاطفين على الآخر على الرغم من أن حرف العطف (الواو) لا يفيد الترتيب أو الأهمية بين المتعاطفين.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 2، ص 148، 149.

<sup>2</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج 5، ص 232.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 2، ص 407.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تقييد الانسجام (النص القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وعليه يبدو جليا عناية ابن عاشور بمسألة التناسب التركيبي المبني على اختيار المتعاطفين في ترتيب أحدهما على الآخر، وهو اختيار - كما نرى - تتحكم فيه المتغيرات السياقية أكثر من أي شيء آخر، أي أنه جاء استجابة لدواعي السياق ومطابقة للظروف المصاحبة للنص.

### ب- تقديم وتأخير عناصر الجملة:

يعد تقديم وتأخير عناصر الجملة من أكثر تحولات التركيب اللغوي الجملي استجابة للسياق، ومن أكثر التغيرات تعبيرا عن مدى الانسجام والتوافق بين البنية اللغوية والسياق الخارجي، ولا نقصد في هذا المقام بتقديم عناصر الجملة تقديم المسند والمسند إليه فقط باعتبارهما عمدة الجملة وأساسها، وإنما نعني به تقديم كل المتممات وما يتصل بها من متعلقات وعناصر أخرى كالجار والمجرور والمفاعيل، وغيرها مما دل تقديمه وتأخيره على مناسبة ما.

ومن أمثلة التقديم والتأخير في عناصر الجملة في القرآن الكريم ما نجده في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: 87]، حيث يقف ابن عاشور عند تقديم المفعول به على عامله في الموضوعين (فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)، فيرى أن هذا التقديم جاء انسجاما مع الاستعمال العربي الذي يجري في كلمة (فريق) وما في معناها، مما يدل على التقسيم إذا وقعت معمولة لفعل في مقام التقسيم، ويبين في موضع آخر أن المفعول قد تقدم على عامله لأنه يدل على التفصيل، وهكذا يفعل ابن عاشور دور السياق اللغوي تارة لتبرير هذا التقديم، وتارة يفعل الاستعمال العربي وفي هذا يقول: "وتقديم المفعول هنا لما فيه من الدلالة على التفصيل فناسب أن يقدم ليدل على ذلك كما في قوله تعالى: (فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ) وهذا استعمال عربي كثير في لفظ (فريق) وما في معناه نحو طائفة إذا وقع معمولا لفعل في مقام التقسيم نحو ﴿يَعْتَصِي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: 154]"<sup>1</sup>.

والملاحظة نفسها توقف عندها في تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: 70]، إذ يرى أن تقديم المفعول في قوله (فَرِيقًا

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 598.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

كذبوا) " مجرد الاهتمام بالتفصيل لأن الكلام مسوق مساق تفصيل لأحوال رسل بني إسرائيل باعتبار ما لاقوه من قومهم، ولأن في تقديم مفعول (يقتلون) رعاية فاصلة الآي فقدم مفعول (كذبوا) ليكون المفعولان على وتيرة واحدة"<sup>1</sup>، وهو كما نلاحظ يرى في عملية التقديم مناسبة أخرى تتمثل في مراعاة الفاصلة القرآنية، فوق المعاني التركيبية التي ذكرنا.

وأما المناسبة التركيبية القائمة على تقديم المسند فكثيرة أيضا ، وهو في هذا لا يخرج عما سطره البلاغيون من قبل في كون تقديم المسند إنما يكون بغرض الاهتمام به، أو تخصيصه بالمسند إليه، أو كما قال البلاغيون: " إن تقديم المسند يكون لتخصيصه بالمسند إليه يعني لقصر المسند إليه عليه"<sup>2</sup>، ومن نماذج ذلك في القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرِدَّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 228] حيث يرى ابن عاشور أن تقديم المسند في الآية إنما هو نابع من الاهتمام بأمره حيث يقول: "وتقديم الظرف للاهتمام بالخبر، لأنه من الأخبار التي لا يتوقعها السامعون، فقدم ليصغى السامعون إلى المسند إليه بخلاف ما لو أخر فقيل (ومثل الذي عليهن هن بالمعروف) وفي هذا إعلان لحقوق النساء وإصداع بها وإشادة بذكرها، ومثل ذلك من شأنه أن يُتلقى بالاستغراب، فلذلك كان محل الاهتمام"<sup>3</sup>؛ فإن الشيء المهم والذي اقتضى تقديمه في هذا المقام هو حقوق المرأة، وقد كان يُتوقع أن يُتلقى بالاستغراب على عادة العرب قديما في طمس حقوق المرأة في المهر والميراث وغيرها.

ونفس الغاية تقريبا في تقديم الجار والمجرور على المبتدأ في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُّ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِأُمَّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ الشُّدُّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يُوْصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 11] أي في تقديم

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ج6، ص 275.

<sup>2</sup> محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، دار النضامن للطباعة، القاهرة، ط2، 1980، ص248.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 2، ص397.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص (القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

(للذكر) على (مثل) إذ يعود ذلك إلى الاهتمام بأمر المقدم، وهو مقدار حظ الذكر، وفيه إيحاء أيضا إلى أن للنساء حظ أيضا في الميراث، بل إن الهدف من ذلك هو هذا بالذات من خلال تعيين حظ الذكر وهو ما يستلزم تحديد حظ الأنثى التي كانت مهضومة الحقوق، وفي هذا الشأن يقول: " وقوله (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ) جعل حظ الأنثيين هو المقدار الذي يقدر به حظ الذكر، ولم يكن قد تقدم تعيين حظ للأنثيين حتى تقدر به، فعلم أن المراد تضعيف حظ الذكر من الأولاد على حظ الأنثى منهم، وقد كان هذا الأمر صالحا لأن يؤدي بنحو: للأنثى نصف حظ ذكر، أو للأنثيين مثل حظ ذكر، إذ ليس المقصود إلا بيان المضاعفة، ولكن أوتر هذا التعبير لنكتة لطيفة وهي الإيحاء إلى أن حظ الأنثى صار في اعتبار الشرع أهم من حظ الذكر، إذ كانت مهضومة الجانب عند أهل الجاهلية، فصار الإسلام ينادي بحظها في أول ما يقرع الأسماع، وقد علم أن قسمة المال تكون باعتبار عدد البنين والبنات"<sup>1</sup>.

وهي القضية التي توقف عندها الرازي (ت 606هـ) قبله، إلا أنه قدم تعليقات لا نراها مناسبة في وقتنا هذا، وذلك في قضية تقديم الرجل على المرأة في الآية لتمييزه عليها، وعليه سنتجاوز هذا المبرر الذي لا يفيدنا بشيء في هذا المقام إلى ذكر المبررات الأخرى، إذ يجيب عن السؤال الجوهرى في هذا السياق: لم تقدم "للذكر" على "مثل حظ الأنثيين"؟ فيجيب من أوجه متعددة " الأول: لما كان الذكر أفضل من الأنثى قدّم ذكره على ذكر الأنثى كما جعل نصيبه ضعف نصيب الأنثى . الثاني: أن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين يدل على فضل الذكر بالمطابقة، وعلى نقص الأنثى بالالتزام، ولو قال كما ذكرتم لدل ذلك على نقص الأنثى بالمطابقة، وفضل الذكر بالالتزام، فرجح الطريق الأول تنبيها على أن السعي في تشهير الفضائل يجب أن يكون راجحا على السعي في تشهير الرذائل ولهذا قال: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء: 7] فذكر الإحسان في مرتين والإساءة مرة واحدة. الثالث: أنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث وهو السبب لورود هذه الآية، فقبل: كفى للذكر أن جعل نصيبه ضعف نصيب الأنثى فلا ينبغي له أن يطمع في جعل الأنثى محرومة من الميراث بالكلية"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 4، ص 257.

<sup>2</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج 9، ص 512.

## الفصل الرابع: المناسبة وورثها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

ولبعد التفسيرين الأول والثاني اللذين قدمهما الرازي (ت 606هـ) نرى ابن عاشور يعرض عنهما، وإنما اختار الرأي الأخير ليوافقه فيه، أما ما دون ذلك فلم يشير إليه؛ لأن المفسر عالم بمقتضيات العصر، بعيد عن تلك التفسيرات (أفضلية الذكر على الأنثى... إلخ)، وعدم مطابقتها للواقع الذي يعيشه المفسر، وهي الانتقائية التي نراها أيضا عند ابن عاشور في انتخابه لرأي من آراء الزمخشري (ت 538هـ) في تفسيره للآية؛ فلم ينتخب من آرائه ما يشير إلى أن تقديم (للذكر) جاء بناء على أفضلية الذكر على الأنثى في العقل، أو في ميزة أخرى، وإنما انتخب الرأي الآخر في كون التقديم للاهتمام بمقدرا الميراث، وهو ما أشار إليه الزمخشري (ت 538هـ) حين قال: "فإن قلت: هلا قيل للأنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر؟ قلت: ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك، ولأن قوله (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ) قصد إلى بيان فضل الذكر، وقولك: للأنثيين مثل حظ الذكر قصد إلى بيان نقص الأنثى وما كان قصدا إلى بيان فضله كان أدل على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره، ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرم من إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به"<sup>1</sup>، وفي هذا التفسير الدقيق لهذه الآية تظهر مزية من مزايا تفسير ابن عاشور وهي عدم متابعتها لآراء القدماء إلا بالقدر الذي يتماشى مع روح العصر ويستجيب له.

وأما تقديم المسند إليه لغاية تركيبية بلاغية فأمثلته كثيرة أيضا لا حصر لها في تفسير ابن عاشور، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أُنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 47] إذ يقف ابن عاشور عند المناسبة في تقديم المسند إليه (الله) على المسند الفعلي (يخلق)، فيعزو ذلك إلى تقوية المعنى وتعزيز ما صدق الحكم وفي هذا يقول: "وتقديم اسم الجلالة على الفعل في قوله (الله يخلق) لإفادة تقوية الحكم وتحقيق الخبر"<sup>2</sup>، فلم يفد تقديم المسند إليه في الجملة الاسمية الاختصاص، بل أفاد تقوية المعنى أو تأكيده "ولا يفيد تقديم المسند إليه في الجملة الاسمية اختصاصا خلافا لما يوهمه ظاهر تفسير الزمخشري (ت 538هـ) وإن كان العلامة التفتزاني (ت 792هـ) مال إليه وسكت عنه السيد الجرجاني (ت 471هـ) وهو وقوف

<sup>1</sup> الزمخشري: المصدر السابق، ج 1، ص 480.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 3، ص 248.



## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص (القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

مع الظاهر<sup>1</sup>، وذلك على الرغم من أن بعض البلاغيين يضم الداليتين معاً، إذ التوكيد والاختصاص عندهم لا يتعارضان، فيدل الاختصاص بوجه ما على التوكيد " ومعنى الاختصاص والتقوية لا يتعارضان فما يفيد الاختصاص يفيد التقوية، لأن الاختصاص كما قالوا تأكيد على تأكيد، نعم قد يكون التركيب مفيداً للتقوية فقط ولا تصلح معه دلالة الاختصاص<sup>2</sup>، ودلالة الاختصاص تحتاج إلى دلالة سياقية تؤكدتها .

بناء على ما سبق من النماذج يتضح لنا كيف اهتم ابن عاشور بإبراز مواضع المناسبة التركيبية ولن يسعنا مجال هذا البحث لتتبع كل المناسبات المبنية على تقديم عناصر الجملة بعضها على بعض، عمدة كانت أم فضلة، ولكن يكفينا أن نشير إلى الاعتبارات التي بنى عليها ابن عاشور المناسبة التركيبية ، ألا وهي ربط التركيب بما فيه من تقديم وتأخير بالسياق الذي ورد فيه، واهتمامه باللمسات البلاغية الناجمة عنه.

### ت- مناسبة ترتيب الجمل:

إذا كان النوع السابق من المناسبة يقوم على تتبع حالات التقديم والتأخير في المستوى الإفرادي أي على مستوى المفردات؛ عمدة كانت أم فضلة كتقديم المسند أو المسند إليه أو تقديم المفاعيل وتأخيرها وغيرها مما يندرج دائماً في نطاق المفردات القرآنية، فإن هذا المبحث يقوم بتتبع المناسبة التركيبية في تقديم جملة على جملة في الآية القرآنية، ومدى مناسبة هذا التقديم للسياق القرآني، وقد كانت لابن عاشور مع هذا النوع من المناسبات وقفات عديدة بيّن فيها وجه التلاؤم والبلاغة والإعجاز في تقديم الجمل بعضها على بعض.

من حيث المبدأ لا يختلف حكم التراكيب والجمل تقديمها وتأخيرها عن حكم التقديم والتأخير في المستوى الإفرادي إعجازاً وبلاغة، وحسن نظم وسبك، إذ كلا الأمرين تتحكم فيه مؤشرات سياقية لغوية أو مقامية خارجية، وقد كانت لابن عاشور وقفات مع هذا النوع من المناسبة، وكان هذا الاهتمام دخلاً لإبراز حسن النظم وتماسك النص وانسجام بنائه، ومن الأمثلة التي نسوقها في هذا الصدد ما جاء في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥١﴾ [البقرة: 51-52]، فيرى ابن عاشور أن تأخير جملة ( اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ) على جملة (وَاعَدْنَا مُوسَىٰ) ، واستعمال حرف العطف (ثم)

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج7، ص421.

<sup>2</sup> محمد محمد أبو موسى: المرجع السابق، ص171.

## الفصل الرابع: المناسبة وورثها في تقييد (النص القرآني) عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

الذي يفيد الترتيب والتراخي، مرده إلى إلى مراعاة درجات عظمة هذه الأحوال والأفعال، وتأخير جملة (ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ) عن الجملتين السابقتين باستعمال نفس حرف العطف، إنما يعود إلى تراخي العفو العظيم عن الجرم العظيم. وعليه فإننا نرى ترتيب هذه الجمل من ناحية أخرى هو مطابقة لواقع الأحداث في جريانها؛ فإن فعل المواعدة جاء قبل اتخاذهم العجل، وفعل العفو جاء بعد اتخاذهم إياه، وبهذا يبرر ابن عاشور سر الترتيب بين الجمل السابقة حيث يقول: "وعطفت جملة (الْعَجَلُ مِنْ بَعْدِهِ) بحرف العطف "ثم" الذي هو في العطف للتراخي الرتبي، للإشارة إلى ترتيب في درجات عظم هذه الأحوال، وعطف (ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أيضا لتراخي مرتبة العفو العظيم عن عظيم جرمهم، فروع في هذا التراخي أن ما تضمنته هذه الجمل عظام أمور في الخير وضده تنبيها على سعة رحمة الله بهم قبل المعصية وبعدها"<sup>1</sup>.

ومن نماذج المناسبة التركيبية المبنية على ترتيب الجمل في القرآن، المناسبة في ترتيب القصص القرآني، أي المناسبة في تقديم قصة على قصة، فلا يخلو ذلك من ملاءمة، ومن نماذج ذلك ما جاء في سورة البقرة، حيث وردت القصة الأولى في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 243] قبل القصة الثانية في قوله تعالى في نفس السورة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيكُمْ الْقِتَالَ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 246]، إذ يعزو ابن عاشور تقديم القصة الأولى على الثانية إلى محاولة تحريض بني إسرائيل على القتال لأن في الآية الأولى تعريضا بحال الذين استسلموا واستكانوا، وخرجوا من ديارهم أذلة خائفين وهم كثرة، فناسب تقديم هذه الحالة لتحريض الناس كي لا يقع لهم ما وقع لغيرهم، ويحذرهم أيضا من أن يؤول أمرهم إلى ما آل إليه حال من سبقهم وفي مناسبة ترتيب القصتين يقول: "ومناسبة تقديم الأولى أنها تشنع حال الذين استسلموا واستضعفوا أنفسهم، فخرجوا من ديارهم مع كثرتهم، وهذه الحالة أنسب بأن تقدم بين يدي الأمر بالقتال لأن الأمر بذلك بعدها يقع موقع القبول من السامعين لا محالة، ومناسبة تأخير الثانية أنها تمثل حال الذين عرفوا فائدة القتال في

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 499.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

سبيل الله لقولهم (وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ) إلخ فسألوه دون أن يفرض عليهم، فلما عيّن لهم القتال نكصوا على أعقابهم، وموضع العبرة هو التحذير في مثل حالهم بعد الشروع في القتال أو بعد كتبه عليهم، لله بلاغة هذا الكلام وبراعة هذا الأسلوب تقدما وتأخيرا<sup>1</sup>.

وعليه يتضح لنا جليا كيف أسهم السياق الخارجي المتمثل في العودة إلى الظروف التاريخية في تقديم تفسير أنسب لتقديم وتأخير إحدى القصتين على الأخرى، وقد استعان ابن عاشور كثيرا بملاحظات السياق في تقديم التعليل الأمثل لمناسبة مواضع الجمل وترتيبها واحدة إثر أخرى، والأمثلة كثيرة في تفسيره لا يسعنا مجال البحث في حصرها وجمعها كلها، وما لا يدرك كله لا يترك جله.

وإذا كان المقام لا يسعنا لذكر أشكال أخرى من التقديم والتأخير التي قدّم لها ابن عاشور تفسيرات تبين وجه مناسبتها للصورة التي هي عليها، فإنه لا ضير من ذكر بعض صورها الأخرى موجزة في هذا الموضوع، ونعني في هذا الموضوع نوعا من المناسبة التركيبية نراه مهما وهو "مناسبة ترتيب المتضادين" حيث يقف ابن عاشور في كثير من مواضع تفسيره عند المناسبة الناشئة من وراء ترتيب بعض المفردات والهيئات المتضادة على غرار العذاب والمغفرة، الجنة والنار، الظلمات والنور، الكفار والذين آمنوا وغيرها، فيذهب إلى تبرير تقديم أحد العنصرين على الآخر مذاهب شتى إلى أن يبلغ بك الوجه الذي يراه مناسبا لهذا الاختيار التركيبي في النص القرآني، ومن نماذج ذلك ما جاء في تقديم (الضر) على (النفع) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: 76]، حيث يرى ابن عاشور أن سبب ذلك مرده إلى أن النفس البشرية تميل إلى دفع وإبعاد ما يسبب لها الأذى، وتهتم بدفع الضرر أكثر من اهتمامها بجلب المصالح وفي هذا يقول: "وقدم الضرّ على النفع لأن النفوس أشد تطلعا إلى دفعه من تطلعها إلى جلب النفع، فكان أعظم ما يدفعهم إلى عبادة الأصنام أن يستدفعوا بها الأضرار بالنصر على الأعداء، وتجنبها إلحاق الإضرار بعبادتها"<sup>2</sup>.

وكذلك الشأن في تقديم الذكر على الأنثى في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَدُرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36]

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 2 ص 484.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 6، ص 289.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

فقدم الذكر على الأنتى لأنه هو المأمول والمرجو عندهم حيث يقول: " ولكن قدم الذكر هنا لأنه هو المرجو المأمول فهو أسبق إلى لفظ المتكلم"<sup>1</sup>، والأمثلة في هذا السياق كثيرة لا حصر لها.

### 4-2- الحذف:

اهتم ابن عاشور بالمناسبة التركيبية الناشئة عن حذف أحد عناصر الجملة، فنراه في كل مرة يتعرض لحالات الحذف في النص القرآني ويربط ذلك بالسياق الذي يرد فيه الحذف، ومبيناً في الوقت ذاته جوانب البلاغة والبيان الناجمة عنه، ومن النماذج التي تنبئ فعلاً أن ابن عاشور واع بعملية الربط الدلالي في الحذف وأنه ليس هناك انقطاع ما في المعنى بحذف عنصر من عناصر الجملة، بل إن عملية الربط بين العنصر المحذوف وبين علة الحذف تنبئ بحق بوعي المفسر أن النص محكم الوصل دلالياً على مستوى البنية العميقة له، وأما التمثيل السطحي الشكلي فلا يغدو ذا أهمية قصوى مادام المفسر واع بالبنية العميقة للنص والجملة.

إن ابن عاشور في هذا الأمر ينطلق من المسلمة التي ينطلق منها غيره من البلاغيين العرب في كون الأصل في التركيب اللغوي هو الذكر، ولا يحذف أحد عناصر الجملة إلا لضرورة أو غاية، حيث يجب أن تدل عليه قرينة من القرائن المختلفة، ولا يختلف في هذا الأمر نظم القرآن عن غيره من النظم إلا في بعض الجزئيات فصلها حين قال: " إن نظم القرآن مبني على وفرة الإفادة وتعدد الدلالة، وجمل القرآن لها دلالتها الوضعية التركيبية التي يشاركها فيها الكلام العربي كله، ولها دلالتها البلاغية التي يشاركها في مجملها كلام البلغاء، ولا يصل شيء من كلامهم إلى مبلغ بلاغتها، ولها دلالتها المطوية وهي دلالة ما يقدر اعتماداً على القرينة، وهذه الدلالة قليلة في كلام البلغاء، وكثرت في القرآن مثل تقدير القول، وتقدير الموصوف وتقدير الصفة، ولها دلالة مواقع جملة بحسب ما قبلها وما بعدها"<sup>2</sup>، والذي يهمننا في هذا كله هو النوع الثالث من أنواع الدلالة، وهي الدلالة المطوية أي دلالة ما يذكر على ما يقدر، وهي محتاجة إلى قرائن ودلائل في النظم، والدلالة المطوية - كما يرى ابن عاشور - تقل في كلام البلغاء والفصحاء، وتكثر في القرآن الكريم، وقد لا حظنا ابن عاشور يركز أشد التركيز على القرينة في هذا النوع من الدلالة، أي تركيزه منصب على

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص234.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج1، ص110.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

ضرورة وجود القرينة الدالة على العنصر المحذوف في النص حيث يقول في موضع آخر: " إنك تجد في القرآن حذفاً، ولكنك لا تعثر على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق"<sup>1</sup>. وقد عدّ ابن عاشور الحذف باباً من الإيجاز " واعد من أنواع إيجازه الحذف مع عدم الالتباس"<sup>2</sup>.

إن ابن عاشور لا يختلف عن سابقه في عدّه الحذف تعبير عن بلاغة المتحدث، ولا يختلف عنهم أيضاً في اشتراط القرينة الدالة على الشيء المحذوف؛ " سواء أكانت لفظية باعتبارها مجموعة من الألفاظ التي تصحب الكلام للدلالة على ما فيه من الحذف، أم كانت حالية، أم صناعية باعتبارها من صنع النحاة"<sup>3</sup>، إلا أنه يختلف عنهم بعض الشيء في كونه "ينطلق من النصوص محلاً ومبرزا الأبعاد الفنية والجمالية للحذف ... عكس الذين اتجهوا اتجاهها معاكساً للنص من المقياس إلى حصر الأحوال المقتضية للحذف بعيداً عن النص"<sup>4</sup>.

والذي يهمنا في هذا الموضوع هو إبراز أوجه التناسب في التعبير القرآني الذي يحوي حذفاً، يربطه بالسياق الذي ورد فيه، وهل انسجم هذا الحذف مع السياق أم لا؟ فمن نماذج المناسبة التركيبية القائمة على الحذف في القرآن الكريم - كما صورها المفسر - ما نجده في حذف الاسم، وهو المسند إليه في قوله تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: 18]؛ إذ يرى ابن عاشور أن المسند إليه (المبتدأ) محذوف لكثرة الاستعمال عند العرب، وذلك إذا ذكر موصوفاً بأوصاف وأخبار، فيعامل معاملة الاسم المعلوم عند المتلقي، وفي هذا الشأن يقول ابن عاشور: " وحذف المسند إليه في هذا المقام استعمال شائع عند العرب إذا ذكروا موصوفاً بأوصاف أو أخبار جعلوه كأنه قد عرف للسامع، فيقولون فلان أو فتى أو رجل أو نحو ذلك على تقدير هو فلان"<sup>5</sup>، ويعبر عن هذا في موضع آخر فيقول: " وذلك أنهم إذا أجروا حديثاً عن شيء ثم أخبروا عنه التزموا حذف ضميره الذي هو مسند إليه إشارة إلى التنويه به

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 122.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 122.

<sup>3</sup> مريم بن عزوزي: "دلالات الحذف عند محمد الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير سورة البقرة أمودجا" مجلة جسور المعرفة، الشلف، جوان 2014، مج 04، ع 02، ص 114.

<sup>4</sup> مراد مزعاش: المرجع السابق، ص 270.

<sup>5</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 313.

## الفصل الرابع: المناسبة وورثها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

كأنه لا يخفى، كقول إبراهيم الصولي، أو عبد الله بن الزبير الأسدي أو مُجَّد بن سعيد الكاتب وهي من أبيات الحماسة في باب الأضياف [الطويل]<sup>1</sup>:

سَأشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي      أَيَادِي لَمْ تَمْنُنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ  
فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغَنَى عَنْ صَدِيقِهِ      وَلَا مَظْهَرُ الشُّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

تقديره هو فتى<sup>2</sup>، وكما ذكره في تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: 59]، فيقول معلقا على حذف المسند إليه: "والرحمن خبر مبتدأ محذوف أي هو الرحمن، وهذا من حذف المسند إليه الغالب في الاستعمال عندما تتقدم أخبار، أو أوصاف لصاحبها، ثم يراد الإخبار عنه بما هو إفصاح عن وصف جامع لما مضى، أو أهم في الغرض مما تقدّمه؛ فإن وصف الرحمن أهم في الغرض المسوق له الكلام وهو الأمر بالتوكل عليه، فإنه وصف يقتضي أنه يدبر أمور من توكل عليه بقوى الإسعاف"<sup>3</sup>.

وابن عاشور في هذا يتبع السكاكي (ت626هـ) في علة هذا الحذف، وهو الذي يسميه "الحذف الذي اتبع فيه الاستعمال الوارد على تركه" حيث يقول: "وأما الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند إليه فهي إذا كان السامع مستحضرا له عارفا منك القصد إليه عند ذكر المسند، والترك راجع إما لضيق المقام، أو للاحتراز عن العبث ببناء على الظاهر (...). وإما لان الاستعمال وارد على تركه أو ترك نظائره كقولهم نعم الرجل زيد، على قول من يرى أصل الكلام نعم الرجل هو زيد"<sup>4</sup>، وبهذا نرى المناسبة في حذف المسند إليه، وذلك انسجاما مع الاستعمال الشائع في كلام العرب من حذفه لأنهم جعلوه كأنه معروف ومعلوم، لما أجروا عليه من صفات قبل الحذف.

<sup>1</sup> في البيتين خلاف في قائلهما: وقد ذكر صاحب كتاب "المعجم المفصل في شواهد العربية" الأمر فقال: "البيت من الطويل، وهو لعبد الله بن الزبير في ملحق ديوانه ص 142؛ وخزانة الأدب 2/ 265؛ ولأبي الأسود الدؤلي، أو لمحمد بن سعيد، أو لعبد الله بن الزبير في سمط اللآلي ص 166؛ وبلا نسبة في تذكرة النحاة ص 474. لمزيد من التفصيل يراجع: إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في شواهد العربية، ط1.

بيروت: 1996، دار الكتب العلمية، ج1، ص547.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص347.

<sup>3</sup> المصدر نفسه: ج19، ص60.

<sup>4</sup> السكاكي: المرجع السابق، ج1، ص176.

## الفصل الرابع: المناسبة وورثها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

ومن أمثلة حذف المسند إليه أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿رُزِقَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: 212]، حيث يعزو ابن عاشور حذف الفاعل في هذه الآية إلى تعدده، فيحذف إثر ذلك للاختصار وتجنب الإطالة فيقول: " وحذف فاعل التزيين لأن المزيين لهم أمور كثيرة: منها خلق بعض الأشياء حسنة كمحاسن الذوات والمناظر، ومنها إلقاء حسن بعض الأشياء في نفوسهم وهي غير حسنة كقتل النفس، ومنها إعراضهم عنم يدعوهم إلى الإقبال عن الأمور النافعة حتى انحصرت همهم في التوغل من المحاسن الظاهرة التي تحتها العار لو كان باديا، ومنها ارتياضهم على الانكباب على اللذات دون الكر في المصالح، إلى غير ذلك من أمور يصلح كل منها أن يعدّ فاعلا للتزيين حقيقة أو عرفا، فلأجل ذلك طوى ذكر الفاعل تجنباً للإطالة"<sup>1</sup>.

وأما حذف الفعل فلا يخلو هو الآخر من مناسبة في القرآن الكريم، ومن أمثله ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93] حيث يرى ابن عاشور أن في الآية حذفاً للفعل في قوله: ﴿ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾، إذ هي في الأصل جملة مقول لقول محذوف، وهو صادر عن المولى عز وجل والتقدير: (نقول لهم: أخرجوا أنفسكم) وفي هذا الصدد يقول ابن عاشور: " وجملة ﴿ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ مقول لقول محذوف، وحذف القول في مثله شائع، والقول على هذا من جانب الله تعالى والتقدير: نقول لهم أخرجوا أنفسكم"<sup>2</sup>.

هذه بعض نماذج الحذف في القرآن الكريم، وقد اجتهد ابن عاشور في إبرازها وعدها وتحديد مناسبة التركيب الوارد على الحذف، وقد لاحظنا ابن عاشور يربط البنية اللغوية للآية القرآنية، بالسياق العام الذي ورد فيه الحذف مبينا في نفس الوقت المناسبة الحاصلة من وراء إبراد التركيب على الصورة التي هو عليها.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص294.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج5، ص213.

## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

قد اجتهد دارسو الفكر اللغوي للطاهر ابن عاشور في إبراز أغراض الحذف عنده فأجملوها في: العموم أو تجنب الإطالة بسبب تعدد المحذوف، أو اتباع الاستعمال الوارد على تركه، أو الاجتزاء بالصفة غير المنفردة عن الموصوف، أو التفخيم والتهويل، أو التشويق مع الإيجاز أو كثرة الاستعمال ... وغيرها من الأغراض التي لا يسعنا المقام لذكرها في هذا الموضوع<sup>1</sup>.

إن ما يهمنا من وراء تناولنا لمسألة الحذف في النص القرآني عند ابن عاشور، هو كيفية تحقيق الحذف للانسجام النصي والترابط، وكيف يؤدي حذف أحد العناصر النصية إلى تشكيل صورة عن الترابط في النص القرآني، وهي الإجابة التي تكفل بها أحد الباحثين إذ يقول: " يطرح الحذف بوصفه عملية إلغاء أو إسقاط لبعض العناصر من السلسلة الكلامية السطحية إشكالا على صعيد التصنيف، فقد جرت العادة على إدراجه ضمن الإيجاز (...) كما يطرح إشكالا آخر فيما يتعلق بعلاقته بالترابط والتماسك، لأنهما يقفان ظاهريا على طريفي نقيض، ولكن التأمل يجعلنا نضع الحذف في صلب الآليات التماسكية كما سوف نرى. فإذا كان هو إسقاط بعض مكونات بعض الجملة أو جملة بأكملها، فإن هذا الإسقاط يساهم في إفساح المجال لبروز عناصر أخرى وظهورها بشكل أقوى، وهذا ما يعزز التماسك ويرسخ بعض المفاهيم في الذهن أكثر من غيرها"<sup>2</sup>.

وفي ختام هذا العرض العام لمبحث المناسبة عند ابن عاشور يمكننا تسجيل الملاحظات الآتية:

● لم يتكلف ابن عاشور في تتبع المناسبة إلا بالقدر الذي يجعله ممسكا بالعلاقة بين الآيات من غير تكلف قد يجعله يقحم على النص ما ليس فيه، وقد أشار إلى منهجه العام في تتبع المناسبات في مقدمة تفسيره وعليها سار في تحليله لأشكال العلاقات بين الآيات القرآنية.

● اهتم ابن عاشور بالمناسبة النصية باعتبارها محاولة إيجاد العلاقة المعنوية على مستوى البنية العميقة للنص، بين الآيات القرآنية المتجاورة، وخاصة في تلك المواضع التي قد يغيب فيها الرابط الشكلي، مما قد يوهم بوجود

<sup>1</sup> ينظر: مراد مزعاش: المرجع السابق، ص 278.

<sup>2</sup> رشيد بركان: المرجع السابق، ص 105.



## الفصل الرابع: المناسبة و دورها في تحقيق انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

فراغ دلالي وانقطاع معنوي بين الآيات، فسعى ابن عاشور إلى إبراز الاستمرارية الدلالية بين الآيات من خلال علم المناسبة الذي يعد -بحسب ما اطلعنا على منجز ابن عاشور- وسيلة من وسائل الربط الدلالية في النص القرآني.

● اهتم أيضا ابن عاشور بالمناسبة الصرفية باعتبارها بحثا في مدى ملاءمة الصيغة الصرفية للسياق القرآني، وكذا المناسبة المعجمية باعتبارها بحثا في مدى ملاءمة الاختيارات المعجمية للسياق القرآني، وكذا المناسبة التركيبية باعتبارها أيضا بحث في مدى ملاءمة الاختيارات التركيبية من تقديم وتأخير وحذف للسياق كذلك، وهو في صنيعه هذا يبين مدى انسجام النص القرآني بمفرداته وتراكيبه مع سياقاته، ويبرز أيضا الجوانب البلاغية والإعجازية فيه.

وعموما يمكن القول إن المناسبة في فكر ابن عاشور تشكل عاملا محوريا وأساسيا، على الباحث العناية به إذا أراد بحث الآليات التي يقوم عليها النص القرآني عند محمد الطاهر ابن عاشور، وهي من الملامح النصية المبكرة في فكره، التي توحى بوعي المفسر المبكر بالطبيعة النصية للقرآن الكريم، وبطبيعته التلاحمية أيضا.

# الفصل الخامس:

دور العلاقات الرئائية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي

عند محمد الطاهر ابن عاشور

المبحث الأول: العلاقات الرئائية.

المبحث الثاني: موضوع الخطاب.

القائمة للعلوم الإسلامية

الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر ابن عاشور

أشرنا في مناسبات سابقة إلى أن الانسجام النصي مفهوم يتحقق من خلال كثير من الآليات الدلالية والتداولية، التي لا تتجلى على مستوى البنية الشكلية الظاهرة والسطحية للنص، وبالتالي يتطلب القبض عليها بحثاً آخر أكثر عمقا يتجاوز الحدود الشكلية، والجوانب السطحية إلى مستويات أعمق، بهدف الكشف عن آليات اشتغال النصوص والخطابات أيا كان نوعها، وفي هذا الشأن سنقف عند آيتين دلالتين وظفهما ابن عاشور في سبيل البرهنة على انسجام النص القرآني وهما العلاقات الدلالية بين آيات القرآن الكريم، وموضوعات الخطاب وكيفيات انتظامها.

## 1- المبحث الأول: العلاقات الدلالية:

لا يمكن للباحث البرهنة على انسجام نص من النصوص دون التطرق إلى شبكة العلاقات التي تحكم البنية العميقة للنص المحلل، ذلك أن الاكتفاء بتحليل أشكال الترابط الشكلي على مستوى البنية السطحية للنص لن يحقق معيار النصية؛ أي أن الترابط السطحي الذي تنشئه الأدوات النحوية الشكلية ليست كافية للبرهنة على الانسجام، لأن هذا الأخير يتطلب بحثاً آخر في مستوى آخر أكثر عمقا، وهو البنية العميقة.

إنّ البحث في الآليات التي تترابط بها المفاهيم في البنية العميقة للنص سيؤدي بالضرورة إلى الكشف عن شبكة العلاقات التي يقيمها النص مع المفاهيم التي يحتويها، والقضايا التي يشتمل عليها. هذه العلاقات هي التي تضمن طابع الاستمرارية من جهة، والانسجام من جهة أخرى، ذلك أنّ "تحديد العلاقة بين المفاهيم والموضوعات، ودينامية التفاعل مطلب يستدعيه معيار الانسجام، بل يلح عليه، وبخاصة أن لكل نص نمطا معيناً من الترتيب والتنظيم، فله نقطة بداية ونقطة نهاية، وبينها مراحل النمو والتفاعل القائم على التدرج والتنامي، وتوالد الآخر من السابق، وامتداده له وتهيئته لللاحق"<sup>1</sup> فإن محلل الخطاب / النص يجب أن يأخذ في حسابه أن النص هو كلّ موحد متناسم العناصر، ووظيفته هي البحث عن الآليات التي تجعل منه بهذا التناغم والانتظام، عبر البحث عن العلاقات الخفية التي تجمع عناصره "فالخطاب كلّ موحد متجانس مرتّب منتظم، ولتحقيق هذا التوحد والتجانس والترتيب والانتظام، والانسجام والتناسك أو الاتساق الداخلي والخارجي، لابد من علاقات"<sup>2</sup>.

وعليه فإنّ وجود علاقات بين عناصر النص خاصة في بنياته العميقة يعدّ رافداً مهماً من روافد انسجامه، ودليلاً من دلائل الالتحام فيه، لأن النص "يرتكز في بنائه على مجموعة العلاقات التي تتجلى في متوالياته، وتتلاحم في بناء منطقي محكم سواء أكان ذلك على مستوى البنية السطحية أم العميقة"<sup>3</sup>، وينبغي أن نذكر في هذا الموقف أن فكرة وصف التنظيم الذاتي للنصوص من خلال البحث عن العلاقات التي تقوم عليها تعود إلى (هارفج R.

<sup>1</sup> فخريّة غريب قادر، المرجع السابق، ص 23، 24

<sup>2</sup> خلود العموش، المرجع السابق، ص 268.

<sup>3</sup> نعيمة سعدية: لسانيات النص والخطاب الشعري، دراسة في شعر مُجدّ الماغوط، دار الوسام العربي، بيروت، ط 1، 2015، ص 316.

(الفصل الخامس): دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

(harweg) وذلك سنة 1967 حيث تناول " التكرار والحذف والترادف والعطف والتفريع والترتيب وذكر النتيجة بعد السبب والجزء بعد الكل أو العكس، وهذا كله مما يقع في دائرة الترابط الداخلي /أو الانسجام النصي، إذ اعتنى بالبحث في العوامل المتحكمة في اختيارات صاحب النص"<sup>1</sup>.

لقد أدرك المفسرون في وقت مبكر أهمية البحث عن العلاقات التي تجمع بني الآيات القرآنية، أو البنيات النصية في القرآن، خاصة في مستوياتها العميقة، فسحروا جهودهم من أجل إثبات هذه العلاقات بحثاً عن تقديم أفضل صورة عن التماسك بين الآيات القرآنية، وأنه توجد نوع من الصلة بين البنيات النصية للقرآن، حيث يعد هذا البحث تجاوزاً للبحث عن أشكال الترابط، والعلاقات الشكلية الماثلة على المستوى السطحي، إلى بحث عن علاقات خفية ضمن البنية العميقة للنص، والتي تضمن له نوعاً من التلاحم من جهة ونوعاً من الاستمرارية من جهة أخرى.

لم يغفل ابن عاشور في تفسيره هذا المبحث، وذلك إيماناً منه أن القبض على شبكة العلاقات في النص هو في الحقيقة إثبات لنوع من التنظيم في أجزاء النص، وإثبات للتلاحم والارتباط، ونفي للتفكك بين عناصره، ولا يبدو هذا الأمر غريباً عن ابن عاشور، ذلك أنه جعل البحث عن العلاقات سواء على المستوى السطحي (النحوي) للنص القرآني أو على المستوى العميق (الدلالي) هاجسه في تفسيره "والذي تجدر الإشارة إليه أن المتتبع للطاهر ابن عاشور في تفسيره، يكشف أن هاجس البحث عن العلاقات يصاحبه دائماً"<sup>2</sup>؛ حيث يسعى دائماً إلى البحث عن أشكال العلاقات التي تربط البنى اللغوية النصية في القرآن، وهذا الربط يستند إما إلى "المعطى النحوي (البحث عن العلاقات النحوية المختلفة بين الجمل)، وإما إلى المعطى البلاغي بواسطة البحث عن العلاقات الدلالية"<sup>3</sup>، ومن أجل تقديم تصور أفضل عن دور العلاقات الدلالية في انسجام النص ينبغي علينا الوقوف عند أهم العلاقات

<sup>1</sup> نعيمة سعدية: لسانيات النص والخطاب الشعري، ص 316.

<sup>2</sup> مفتاح بن عروس: المرجع السابق، ص 426.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 426.

الدلالية التي نبه إليها ابن عاشور، وكيف ساهمت هذه العلاقات في ترابط النص على المستوى العميق من جهة، وكيف ساهمت في تحقيق طابع الاستمرار في سطح النص.

### 1-1- علاقة البيان والتفسير:

تعدّ علاقة البيان والتفسير من أكثر العلاقات الدلالية ورودا في النص القرآني، ومن أكثر العلاقات عناية واهتماما من طرف ابن عاشور؛ حيث بيّن دورها في ترابط أجزاء النص القرآني، ذلك أنها تقوم في أبسط مفاهيمها على كونها: "علاقة تخص الآيات فيما بينها في غير ما حاجة إلى رابط شكلي، مما يعني أن هنالك ارتباطا معنويا بيانيا خفيا بين اللاحق المبيّن والسابق المبيّن. بالتالي يعتبر اللاحق دائما رافعا للإبهام أو الالتباس الذي يلحق السابق، كما قد يكون تفسيراً له"<sup>1</sup> وبهذا التصور تعدّ علاقة البيان إحدى أهم الآليات التي يتحقق بها الربط الدلالي في النص القرآني، حيث إنّ هذه العلاقة في الأصل علاقة بين أمرين؛ بين مبهم سابق ومبين ومفسر لاحق، وهذا التوضيح والبيان هو الذي يسهم في إيجاد صلة بوجه ما بين هذين الجزأين.

وعليه فإن المنطلق في هذه العلاقة هو "وجود مستور أو شيء به نوع من الغموض أو اللبس من جانب ما، ويأتي البيان ليكشف عنه ويجعله واضحا وظاهرا في ذهن المتلقي"<sup>2</sup>، وبهذا يترادف مع "الإظهار والإيضاح والإفهام"، إلا أنه اتخذ بعدا نصيا آخر عند المفسرين "وقد نشأ لدى المفسرين فهم جديد للبيان يتخذ لنفسه موقعا نصيا تلاحميا، حيث إن البيان هنا يصبح بيانا لمفهوم سبق ذكره، وليس بيانا للحال كما أنه لا يندرج ضمن العلاقات النحوية المتفرعة عن المفرد"<sup>3</sup>، وهذا لا يعني مطلقا أن المفسرين لم يوظفوا البيان باعتباره مرادفا للإيضاح والإظهار، وموضوعه كثيرة عند المفسرين، على أنه ينبغي لنا أن نبين في هذا الموضوع أن هذه العلاقة- أي البيان- غالبا ما تكون "استجابة لاستفهام مقدر، مما يعني أن العلاقة بين المبيّن والمبيّن وطيدة في غير حاجة إلى الربط"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> سعيد تومي، المرجع السابق، ص 143.

<sup>2</sup> رشيد بركان، المرجع السابق، ص 183.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 185.

<sup>4</sup> خلود العموش: المرجع السابق، ص 268.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وتختلف صور هذه العلاقة عند المفسرين عموماً، وعند ابن عاشور بصفة خاصة، فقد تكون على مستوى الآية الواحدة، وقد تكون بين آيتين مختلفتين متتابعتين أو غير متتابعتين، وقد تكون بين مجموعة من الآيات متتابعة، أو غير متتابعة، وغيرها من الصور التي سنقف عندها، حيث تكون علاقة البيان والتفسير هي الخيط الدلالي الذي يجمع بين العناصر اللغوية الشكلية سواء في مستوى الآية أو في مستوى السورة، وقد تتخذ هذه العلاقة وسائل مختلفة لتحقيقها كالشرح والتفصيل، والضد، وغيرها من الوسائل التي قد تظهر على مستوى البنية السطحية للنص القرآني كي تعبر في علاقة البيان أو الشرح أو التفسير ومن أجل تسليط الضوء أكثر على دور هذه العلاقة في تحقيق الانسجام المطلوب في النص القرآني يكفي أن نقف عند نماذج منها كما بينها المفسر.

### 1-1-1- صور علاقة البيان والتفسير:

#### أ- علاقة البيان ضمن الآية الواحدة:

من أولى الصور التي قد ترد عليها هذه العلاقة في نسيج النص القرآني هي كونها في الآية نفسها، أي وجود عنصر فيها مبهم يحتاج إلى بيان أو شرح أو تفصيل أو تفسير، فيأتي عنصر لغوي (جملة/ مفرد) لاحق يزيل الإبهام الواقع في هذا العنصر، وذلك على اعتبار أن هذه العلاقة تقوم أساساً على افتراض وجود سابق مبهم أو به شيء من الغموض واللبس، فيأتي التفسير ليزيل ما به من إبهام وغموض، فتتحقق العلاقة الدلالية من خلال إزالة الغموض، ويتحقق إثر ذلك الترابط والتلاحم والانسجام في النص القرآني، لأنها علاقة تقوم على الربط "بين جملتين أو أكثر، وهذا الربط يمثل استراتيجية خطائية تدعم معياري القصد والإخبار في المقام الأول، وهو ما يمكن بطبيعة الحال النص من التواصل"<sup>1</sup>.

ومن أجل توضيح هذه العلاقة أكثر نقف عند آية الكرسي في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255]

<sup>1</sup> محمد عبد الباسط عيد: المرجع السابق، ص 187.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

حيث يبدو الدور التلاحمي الذي تلعبه علاقة البيان واضحا ، وقد وقف عندها المفسرون كثيرا "فالآية بأكملها بيان لذات الله تعالى ومجموع هذه الجمل هي جماع صفاته"<sup>1</sup>، وقد توقف ابن عاشور مطولا مع هذه الآية مبينا أنها تمجيد لله تعالى وذكر صفاته، إبطالا لكفر الكافرين، وقطعا لرجائهم فقد ذكر في مطلع الآية توحيد المولى عز وجل في قوله: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ"، وأما الجمل التي يعدها فإنما هي بيان لهذا التوحيد وهذا التفرد بالألوهية، وعليه علق ابن عاشور على جملة "الْحَيُّ الْقَيُّومُ" باعتبار "الحي" خيرا للمبتدأ المحذوف. فيرى أن هذه الجملة إنما جاءت لبيان قدرة المولى عز وجل وبالتالي اختصاصه بالألوهية، وقد اتبع رأي الزمخشري (ت538 هـ) حيث يعلق على هذه العلاقة بقوله: "وظاهر كلام الكشاف أنّ هذه الجملة مبينة لما تضمنته جملة ( اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ) ، من أنه القائم بتدبير الخلق، أي أن اختصاصه بالإلهية يقتضي أن لا مدبر غيره، فلذلك فصلت"<sup>2</sup>، وعليه تنزل جملة (الْحَيُّ الْقَيُّومُ) منزلة البيان من جملة (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) فهي مقررة لمعنى الألوهية، ذلك أنه حي قيوم، يدبر أمر الخلق والكون، فكان بهذا مستحقا لصفة الألوهية.

وأما قوله تعالى " لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ " في الآية نفسها فإنها أيضا تنزل منزلة البيان من قوله تعالى (الْحَيُّ الْقَيُّومُ) ذلك أنها أيضا بيان لشكل من أشكال الألوهية والتوحيد، حيث يقول: "وجملة " لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ " مقررة لمضمون جملة " الْحَيُّ الْقَيُّومُ " و لرفع احتمال المبالغة فيها فالجملة منزلة منزلة البيان لمعنى الحي القيوم، لذلك فصلت عن التي قبلها"<sup>3</sup>.

وأما جملة "لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" فهي مرتبطة بالجملتين السابقتين معا، فهي من جهة مقررة للألوهية المنصوص عليها بقوله تعالى (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)، ومعللة للقيومية المنصوص عليها بقوله " الْحَيُّ الْقَيُّومُ "، وفي هذا يقول: "وجملة (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) تقرير لانفراده بالألوهية؛ إذ جميع الموجودات مخلوقاته، وتعليل لاتصافه بالقيومية لأن من كانت جميع الموجودات ملكا له، فهو حقيق بأن يكون قيومها، وألا يهملها ولذلك

<sup>1</sup> رشيد بركان: المرجع السابق، ص185.

<sup>2</sup> ابن عاشور، المصدر السابق، ج3، ص17، 18.

<sup>3</sup> المصدر نفسه: ج3، ص19.



(الفصل الخامس): دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

فصلت الجملة عن التي قبلها<sup>1</sup> وبهذا تتخذ علاقة البيان وسيلة التقرير في إثبات الألوهية، وتتخذ طريق التعليل في بيان القيومية لكنها في النهاية تصب في غاية واحدة، هي بيان قدرة وألوهية المولى عز وجل وقيوميته، وقد دل عليها تقديم الجار والمجرور كما يرى حين يقول: "وما تضمنه تقديم المجرور من قصر ذلك الملك عليه تعالى قصر قلب فبطل وصف الإلهية في غيره تعالى بالمطابقة"<sup>2</sup>.

وأما جملة " مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ " فهي مقررة لجملة " لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ "، وجملة " يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ " فهي بيان عن طريق التقدير والتعليل للجملة " الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ " " مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ "، حيث يقول: " وجملة (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ)، تقرير وتكميل لما تضمنته مجموع جملتي " الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ " و لما تضمنته جملة " مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ " فإن جملتي " الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ " دلنا على عموم علمه بما حدث ووجد من الأكوان، ولم تدلنا على علمه بما سيكون فأكد وكمل بقوله: (يعلم) الآية، وهي أيضا تعليل لجملة " مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ " إذ قد يتجه سؤال لماذا حُرِّموا الشفاعة إلا بعد الإذن؟ فقل لأنهم لا يعلمون من يستحق الشفاعة، وربما غرهم الظواهر والله يعلم من يستحقها، ويعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولأجل هذين المعنيين فصلت الجملة عما قبلها<sup>3</sup> أي أن قوله تعالى " يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ " هي في الأصل بيان لما سبقها في قوله " الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ "، لأن هذه الأخيرة تدل على علم عام فجاءت الجملة الثانية لتبين علم المولى عز وجل بما سيكون. وجاءت أيضا تعليلا للشفاعة.

وأما قوله " وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ " فهي تقرير لمضمون الجمل السابقة كلها " وقوله (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) تقرير لما تضمنته الجمل كلها من عظمة الله تعالى وكبريائه وقدرته، وبيان عظمة مخلوقاته المستلزمة

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص19.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ج3، ص20.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج3، ص21، 22.

الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور

عظمة شأنه أو لبيان سعة ملكه"<sup>1</sup> وبهذا يظهر لنا وجه علاقة البيان في هذه الآية والدور التلاحي الذي تلعبه في

النص القرآني، ونرى الارتباط الوثيق الذي انجرّ عن هذه العلاقة بين جمل الآية، ويمكن أن نوضح هذه العلاقة من

خلال المخطط الآتي، حيث يشير السهم إلى اتجاه العلاقة:

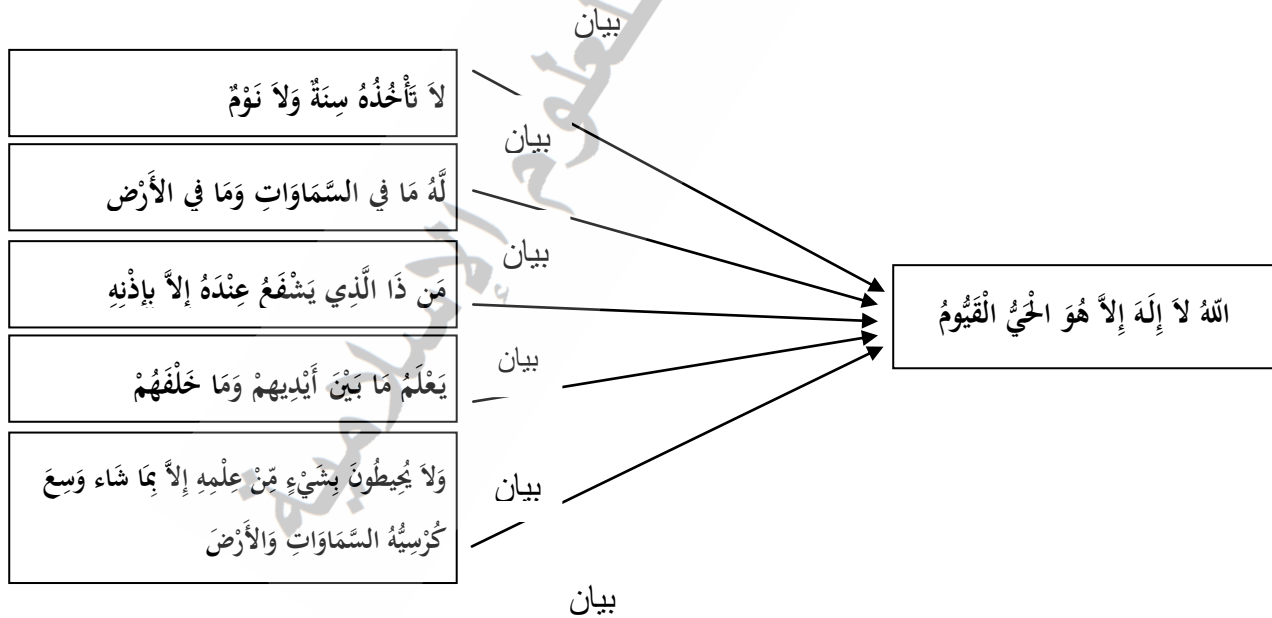
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

<sup>1</sup> ابن عاشور، المصدر السابق، ج3، ص23.



الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وإذا أمعنا النظر أكثر في هذه الآية والعلاقة التي تجمع جملها نجد أن هناك اختلافا بين رأي ابن عاشور ورأي الزمخشري (ت 538 هـ)؛ ذلك أن ابن عاشور يرى أن هذه العلاقة متعددة متنوعة متفاعلة بين الجمل فيما بينها بما يحقق طابع الاستمرارية والتعلق بين الجمل، في حين يرى الزمخشري (ت 538 هـ) أن جمل الآية في مجملها هي مبيّنة للجمل الأولى ومقررة لها؛ أي مبيّنة لقوله تعالى " اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ " وتحديدًا لصفة الألوهية والتفرد عند المولى عز وجل حيث يقول: "فإن قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف؟ قلت ما فيها جملة إلا هي واردة على سبيل البيان لما ترتب عليه، والبيان متحد بالمبيّن، فلو توسّط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب: بين العصا والحائها؛ فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه، والثانية لكونه مالكا لما يدبره، والثالثة لكبرياء شأنه، والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى، والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره"<sup>1</sup>. ويمكن أن نوضح ما ذهب إليه الزمخشري (ت 538 هـ) بالمخطط الآتي:



المخطط رقم 06: يبين علاقة البيان في آية الكرسي كما بيّنها الزمخشري

<sup>1</sup>الزمخشري: المصدر السابق، ج 1، ص 302 .

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام (النصي) عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

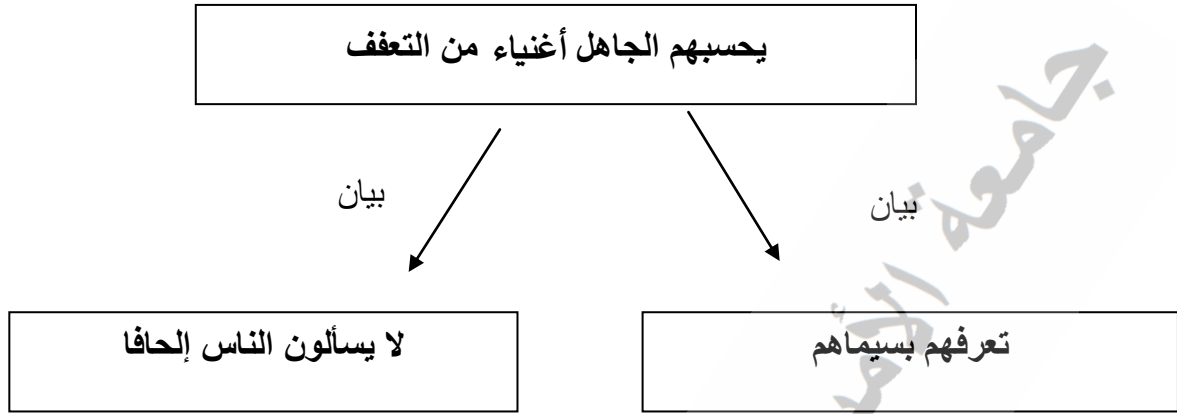
وعليه يكون دور مجموع الجمل هو بيان قدرة المولى عز وجل ووحدانيته "وهي عند التأمل تدور كلها حول مفهوم واحد هو الله تعالى و بيان لصفاته التي وضعت أولا في شكل ألفاظ في الخبر " الله لا إله إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ "، فهو واحد وحى وقائم بملكه، وما دام مفهوم الله فوق طاقة إدراك البشر، احتاج هذا المفهوم إلى مزيد تبيان وتوضيح، وهكذا وردت الجمل بعده بيانا لذاته، ولما شملته الجملة الأولى بكونه واحدا أحدا بُيِّنَتْ بأنه عالم بملكه غير ساه عنه، وكونه قيومًا بيَّنت بأنه مالك العوالم كلها، وقد توج كل هذا البيان أنه قادر على كل شيء، ولا قدرة تستطيع أن تتجاوز قدرته"<sup>1</sup>.

ومن أمثلة هذه العلاقة أيضا ضمن الآية الواحدة ما نجده في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة: 273] حيث يرى ابن عاشور أن جملة " تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ " بيان لجملة " يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ " وذلك بتقدير سؤال سائل عن أحوالهم، وكيف يتم التعرف عليهم فيأتي الجواب " تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ"، ولذلك فصلت الجملة - كما يرى - عن سابقاتها وفي هذا الشأن يقول ابن عاشور تعليقا على جملة (تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ) "والجملة بيان لجملة (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ)، كأنه قيل: فبماذا تصل إليهم صدقات المسلمين إذا كان فقرهم خفيا؟ وكيف يطلع عليهم؟ فأحيل ذلك على مضنة المتأمل كقوله (فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ)"<sup>2</sup>، ونفس الأمر يقال في قوله تعالى " لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا " فإنما هي بيان أيضا لقوله " يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ " حيث يقول: "وقوله (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا) بيان لقوله (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ) بيانا ثانيا لكيفية حسابهم أغنياء في أنهم لا يسألون الناس"<sup>3</sup>. ويمكن أن نوضح العلاقة من خلال المخطط الآتي:

<sup>1</sup> رشيد بركان، المرجع السابق، ص 186

<sup>2</sup> ابن عاشور، المصدر السابق: ج 3، ص 75

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج 3، ص 76



مخطط رقم: 07 يبين علاقة البيان في الآية.

#### ب- علاقة البيان بين الآيات المتتابعة:

إذا كانت الصورة الأولى من صور هذه العلاقة في النص القرآني - كما وضحتها ابن عاشور - تقوم على بيان المبهم ضمن الآية الواحدة، فإن الصورة الأخرى التي سنذكرها يبدو فيها دور هذه العلاقة في تحقيق الانسجام واضحا، ذلك أنها كما سنرى تقوم على ربط أجزاء الآيات غير المتتابعة في السورة الواحدة ومن أمثلتها ما نجده في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [النساء: 117] حيث يرى ابن عاشور أن جملة 'إن يدعون من دونه إلا إناثا' ما هي إلا بيان لجملة سابقة في الآية التي قبلها أي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 116] وتحديدًا في قوله فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا "، أي أنه لا ضلال أكبر من أن يشرك الواحد منهم فيدعي أن الله شركاء من الإناث، وفي هذا يقول "كان قوله (إِنْ يَدْعُونَ) بيانا لقوله (فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) وأي ضلال أشد من أن يشرك أحد بالله غيره، ثم يدعي أن شركاء إناث، وقد علموا أن الأنثى أضعف الصنفين من كل نوع. وأعجب من ذلك أن يكون هذا صادرا من العرب، وقد علم الناس حال المرأة بينهم، وقد حرموها من حقوق كثيرة واستضعفوها"<sup>1</sup>، فإنما بين من خلال هذه

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج5، ص203.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

الجملة وفسر شدة ضلالهم وغييهم، كمن ادعى الله شريكا من ضعاف خلقه وهو يعلم بذلك فكذلك حالهم، وعليه نعلم أن هذه العلاقة أي "البيان" هي التي جمعت بين الآيتين والمعنيين في السورة وحققت التلاحم المطلوب في النص القرآني.

ومن هذا النوع أيضا ما جاء في فاتحة سورة آل عمران حيث تنزل الآيتان الخامسة والسادسة منها بمنزلة البيان من الآيتين الثانية والثالثة، إذ جاءت لتبين شأننا من شؤون المولى عز وجل التي قررها في الآيتين الثانية والثالثة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٢ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٣﴾ [آل عمران: 2-3] حيث يرى ابن عاشور أن الآيات التي جاءت بعدها مبيّنة ومقررة لما جاء فيما سبقها، فيرى أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ٥﴾ [آل عمران: 5] جاءت لتبين حقيقة الوصف السابق 'الحي'؛ لأن من تمام هذه الصفة - كما يرى ابن عاشور - تمام العلم وكماله، وأنه يعلم ما في الأرض وما في السماء، فجاءت الآية بالتالي مبيّنة لحقيقة الوصف 'الحي' في الآية السابقة، وبهذا يتحقق الترابط، وفي هذا يقول معلقا على موقع الآية وعلاقتها بما سبقها من الآيات "استئناف ينتزل منزله البيان لوصف الحي لأن عموم العلم يبين كمال الحياة"<sup>1</sup>. وأما قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٦﴾ [آل عمران: 6] فهي تنزل منزلة البيان من الصفة الأخرى المقررة دائما في مطلع السورة في قوله تعالى: "الْحَيُّ الْقَيُّومُ" لأن تصوير البشر والأجنة في الأرحام من أكثر مظاهر قدرة المولى عز وجل وجبروته وقبوميته، وهذا ما نص عليه في تعليقه على موقع الآية وعلاقتها بما سبقها، إذ يقول "استئناف ثان يبيّن شيئا من معنى القيومية (... ) وخصّ من بين شؤون القيومية تصوير البشر لأنه من أعجب مظاهر القدرة"<sup>2</sup> ويمكن أن نوضح هذه العلاقة بين الآيات القرآنية بالشكل الآتي:

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص151

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج3، ص151.





## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية ومضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

ومن ذلك أيضا، ما جاء في تعليق ابن عاشور على قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَا كَيْنٍ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المائدة: 103] حيث يرى أن هذه الآية هي بيان لآية سابقة وهي قوله تعالى ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 100] وفي هذا يقول: تعليقا عن موقع الآية السابقة: "استئناف ابتدائي جاء فارقا بين ما أحدثه أهل الجاهلية من نقائص الحنيفية، وبين ما نوه الله به مما كانوا عليه من شعائر الحج، فإنه لما بين أنه جعل الكعبة قياما للناس، وجعل الهدي والقلائد قياما لهم، بين هنا أن أمورا ما جعلها الله ولكن جعلها أهل الضلالة ليميز الخبيث من الطيب، فيكون كالبيان لآية (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ)"<sup>1</sup>.

وبهذا تظهر أهمية هذه العلاقة الدلالية في ربط الآيات بعضها ببعض، وتعلق أجزاء النص القرآني بعضه ببعض كذلك. وإذا كنا قد أشرنا إلى جزء واحد من هذه العلاقة وهو حين تكون جامعة بين جمل القرآن وآياته، فهذا لا يعني مطلقا أن هذه العلاقة تأخذ هذا الشكل فقط فقد تكون بين المفردات كذلك. ذلك أن هذه العلاقة تقوم على شقين "الأول يتصل بالكلمات والثاني يتصل بالجمل، ففي النوع الأول يأتي فيه اللاحق بيانا لكلمة سابقة، وفي الثاني بيانا لجملة"<sup>2</sup> ونظرا لأن مبدأ الانسجام قد لا يبدو متحققا على المستوى الإفرادي أي على مستوى المفردات، والكلمات فقد آثرنا الاستغناء عنه في هذا الموضوع، على أنه ينبغي لنا ألا نحمل الوسائل الشكلية التي قد تعتمدها هذه العلاقة أي البيان والتفسير، فمن خلال استقراءنا للنماذج التي شرحها ابن عاشور ووضح علاقة البيان فيها اتضح لنا أن هذه العلاقة قد تتخذ لنفسها أشكالا تتمظهر فيها، ووسائل تعتمدها، فقد يستعمل منها التمثيل تارة، وقد يستعمل منها الإجمال والتفصيل وقد يستعمل أحيانا الضد، من أجل بيان الجزء الغامض الذي يحتاج إلى بيان.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 7، ص 71

<sup>2</sup> خلود العموش المرجع السابق، ص 268.

1-1-2- وسائل علاقة البيان والتفسير:

أ- التمثيل:

من أمثلة علاقة البيان القائمة على مبدأ التمثيل ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 171] حيث يرى ابن عاشور أن في الآية بيانا لحال المشركين الذي اتبعوا خطوات الشيطان، وأعرضوا عن الدين، وأظهروا فساد عقيدتهم، واتخذوا له أندادا .. ، فجاءت الآية لتبين فضيع صنيعهم بعد أن اتبعوا الشيطان، فزاغوا عن طريق الحق، ومن أجل الوصول إلى هذه الغاية قدّم أمثلة لذلك فهم كمن ينطق بما لا يسمع، وفي هذا يقول ابن عاشور تعقيبا على موقع هذه الآية وعلاقتها بالآيات السابقة الذي ذكرت بعض أحوالهم: "عقب ذلك كله بتمثيل فضيع حالهم إبلاغا في البيان واستحضارا لهم بالمثال، وفائدة التمثيل تقدمت عند قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا)"<sup>1</sup>.

ومنه أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258] حيث يرى ابن عاشور أن الآية واردة في سياق بيان وجوه انجلاء الشرك، والشبهات عن أولياء الله تعالى الذين صدق إيمانهم، ومن أجل ذلك وردت هذه الآية بيانا للآية السابقة أي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَرَى الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 257]، وقد اتخذت هذه العلاقة وسيلة 'التمثيل' من أجل تحقيقها، وفي هذا الشأن يقول ابن عاشور تعليقا عن موقع الآية الأولى التي ذكرنا: "جرى هذا الكلام مجرى الحجة على مضمون الجملة الماضية أو المثال لها؛ فإنه لما ذكر أن الله يخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، وأن الطاغون يخرجون الذين كفروا من النور إلى الظلمات، ساق ثلاثة شواهد على ذلك هذا أولها وأجمعها، لأنه اشتمل على

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق ، ج3، ص31.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

ضلال الكافر وهدى المؤمن فكان هذا في قوة المثال<sup>1</sup> والمقصود بالأمثلة الأخرى ما جاء بعد هذه الآية من ذكر قصة من مرّ على القرية فأماته الله ثم أحياه، وقصة حوار إبراهيم مع ربه في إحياء الموتى.

### ب- التفصيل:

وقد تكون هذه العلاقة مبنية على التفصيل أي أن البيان قد حصل بعد مجمل سابق، فيتضح أثر ذلك المقصود في الآية، كما هو الشأن في قوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: 69]. حيث يرى ابن عاشور أن جملة (لَوْ يُضِلُّوكُمْ) جاءت لتبين جملة (وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)، وذلك من خلال تفصيل المجمل الذي تشير إليه الجملة 'ودت' فجاء تفصيلها في جملة 'لو يضلونكم'؛ فإن المقصود في إرادتهم هو الرغبة في تضليل الكافرين للمؤمنين وفي هذا يقول "جملة لو يضلونكم مبنية لمضمون جملة ودت على طريقة الإجمال والتفصيل"<sup>2</sup>.

وقريب من هذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: 88] حيث يرى ابن عاشور أن هذه الآية هي تفسير لمعنى الاستكبار المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: 87] إذ بين في هذه الآية شيئا من الاستكبار الذي ذكر مجملا ومن ذلك تكذيب الرسل وقتلهم، وذكر في الآية الأخرى الإعراض، وبهذا تنزل الآية بمنزلة التفسير لمعنى الاستكبار المذكور في الآية السابقة، على اعتبار أن الإعراض عن الآيات إنما هو شكل من أشكال الاستكبار، والذي يهمننا ذكره هنا هو أن هذه العلاقة -أي التفسير- قد تحققت بفضل التفصيل الذي جاء في الآية أي تفصيل صور الاستكبار، وهذا إذا قدرنا أن الجملة "وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ" معطوفة على جملة "كذبتهم" وليس على جملة "استكبرتم"، وفي هذا يقول ابن عاشور تعليقا على علاقة الآية بما سبقها وموقعها: "إما عطف على قوله

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص111.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج3، ص278.

الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

(اسْتَكْبَرْتُمْ) أو على (كَدَّبْتُمْ) فيكون على الوجه الثاني تفسيراً للاستكبار؛ أي يكون على تقدير عطفه على كذبتهم

من جملة تفصيل الاستكبار، بأن أشير إلى أن استكبارهم أنواع: تكذيب وتقتيل وإعراض<sup>1</sup>.

### ج- الضدية:

قد يكون البيان منبياً على إبراز أضرار الأشياء تماشياً مع المثل المعروف "بأضرارها تتضح الأشياء" كما هو الشأن في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 173] حيث جاءت هذه الآية مبينة للطيبات المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172]، وذلك على طريقة الاستئناف البياني الذي يفترض سؤال سائل عن الطيبات، فجاء البيان في الآية التي بعدها، لكنه لم يذكر الطيبات وعدل إلى أضرارها، أي إلى المحرمات، وذلك لتعرف الطيبات بطريق المضادة، وبهذا تتحقق علاقة البيان بها، حيث يقول ابن عاشور معلقاً على علاقة الآية بما سبقها "استئناف بياني ذلك أن الإذن بأكل الطيبات يثير سؤال من سأل ما هي الطيبات؟ فجاء هذا الاستئناف مبيناً للمحرمات، وهي أضرار الطيبات لتعرف الطيبات بطريق المضادة المستفادة من صيغة الحصر"<sup>2</sup>، وهكذا تغدو علاقة البيان وسيلة هامة من وسائل تحقيق الترابط الدلالي في النص القرآني، ذلك أنها تعبر عن تلاحم بين الآيات القرآنية في المستوى العميق من النص، وتعبر عن طابع الاستمرارية فيه.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص599

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج1، ص115

## 1-2- علاقة الاجمال والتفصيل

لا تقل أهمية علاقة الاجمال والتفصيل عن أهمية علاقة البيان والتفسير في انسجام النص وتلاحم أجزائه، فهي آلية من آليات الاستمرار الدلالي في النص القرآني؛ إذ تشير كما أسلفنا إلى "إيراد المعنى على سبيل الإجمال ثم تفصيله أو تفسيره أو تخصيصه"<sup>1</sup>، أو تعني "أن يأتي في الكلام شيء مجمل ثم يرد تفصيله لمزيد تقرير المعنى في النفس"<sup>2</sup>، أو هي "الاتيان بالفكرة العامة للمضمون حتى يتمكن الذهن من استيعاب الدلالة ثم توالي إدراج الجزئيات المكونة لها، وهو أمر يشبهه إلى حد بعيد ما تحدثت عنه فكرة الجشتلت من أن المتلقي يفهم الشكل الكلي ثم يدرج الجزئيات في هذا الشكل"<sup>3</sup>. وبهذا فإن هذه العلاقة قائمة على تفصيل ما ورد مجملا في الآيات السابقة بهدف تقرير المعنى في النفس، وضمان الاستمرارية في النص "ولعل هذا من المهام المركزية للترابط حيث يتكفل الربط بين الجمل والتفصيل في لحم النص، وتبديد الإبهام الذي كان يحيط بعملية الفهم، ومن ثم فهو يندرج ضمن آليات الترابط التلاحمية"<sup>4</sup>.

وقد اهتم المفسرون بهذه العلاقة كثيرا، واهتمامهم هذا نابع من رغبتهم الملحة في تفسير ما غمض من دلالات في النص القرآني، حيث سعى المفسرون بكل ما يملكونه من آليات معرفية ووسائل لتفكيك الغموض الذي يكتنف بعض الألفاظ وبعض الآيات "وقد ظهر شيء من هذه الرغبة في توضيح الغامض لدى المفسرين من خلال التفصيل، فعابا ما نجد اقترانا لديهم بين الإجمال والتفصيل بغية الحصول على المعنى، والظفر بالمقصود من كلام الله تعالى"<sup>5</sup>، ولم يشذ عن هذا ابن عاشور في تفسيره إذ تراه يقف عند هذه العلاقة نظرا لأهميتها في ضمان الاستمرارية الدلالية في النص القرآني وكذلك لأهميتها في تقديم فهم أعمق له.

<sup>1</sup> جميل عبد المجيد، المرجع السابق، ص 146.

<sup>2</sup> رشيد بركان، المرجع السابق، ص 202.

<sup>3</sup> عزوز خنيم، الانسجام في النص القرآني، أطروحة دكتوراه علوم في اللغة والأدب العربي، -جامعة باتنة 2017/ 2018، ص 167.

<sup>4</sup> رشيد بركان، المرجع السابق، ص 203.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 203.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

ينبغي أن نشير بداية إلى أن هذه العلاقة قد تتخذ لنفسها أشكالاً متعددة وتتمظهر في مظاهر متنوعة، فليس بالضرورة أن تكون على الصورة النمطية المعروفة "تفصيل مجمل سابق" فقد ترد بصور أخرى كأن تكون إجمال بعد تفصيل، وليس ضرورياً أن تكون الآيات المعنية بالتفصيل والإجمال متتابعة بل قد تكون متفرقة تتخللها آيات أخرى.

لم يهتم ابن عاشور بهذه العلاقة على المستوى الخطي بين الآيات أي بين الآيات المتتابعة فحسب، وإنما اهتم بها أيضاً على المستوى العمودي؛ أي بين الآيات المفردة في النص القرآني بما يوحى بالترابط الدلالي بين الآيات القرآنية، وكما تكون هذه العلاقة على المستوى الإفرادي (المفردات) تكون أيضاً على المستوى التركيبي والنصي عموماً، وغيرها من الأشكال التي فصل فيها ابن عاشور، وهو في تفصيله هذا يبين بشكل أو بآخر الانسجام في النص القرآني بما تحققه هذه العلاقة.

### 1-2-1- صور علاقة الإجمال والتفصيل:

#### 1-1-2-1- الإجمال ثم التفصيل:

#### أ- الإجمال ثم التفصيل في الآيات المتتابعة:

من نماذج هذه العلاقة وصورها في تفسير ابن عاشور ما نجده في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 47] حيث جاء ذكر النعمة التي منّ بها على بني إسرائيل مجملة، ووقع في الآيات التي بعدها تفصيل وبيان لأشكال هذه النعم، وقد عدّ ابن عاشور ذكر النعم مجملة في هذه الآية من أشكال البلاغة القرآنية؛ ذلك أن الغرض من وراء نداء بني إسرائيل بتذكر النعم في هذا الموضع، هو الامتثال لأوامره "غير أنه لما كان الغرض المقصود من ذلك هو الامتثال، كان حق البلاغة أن يفضي البليغ إلى

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

المقصود، ولا يطيل في المقدمة، وإنما يلزم بها الإماما، ويشير إليها إجمالاً، تنبيهاً بالمبادرة إلى المقصود على شدة الاهتمام به، ولم يزل الخطباء والبلغاء يعدون مثل ذلك من نباهة الخطيب"<sup>1</sup>.

وقد أشار إلى هذا من قبل أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) في تفسيره معلقاً على نداء بني إسرائيل بتذكر نعم، وغرضه من ذلك إذ يقول: "وأعيد نداؤهم ثانياً عن طريق التوكيد ولينبّهوا لسماع ما يرد عليهم من تعداد نعم التي أنعم الله بها عليهم، وتفصيلها نعمة نعمة"<sup>2</sup> وقد شرع المولى عز وجل في تفصيل نعم المسداة إلى بني إسرائيل؛ وأولها ما جاء في نفس الآية من قوله تعالى: "وَأَيُّ فَضْلَتِكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" وهذا التفضيل نعمة خاصة، فعطفه على (نعمتني) عطف خاص على عام وهذا مبدأ لتفصيل نعم وتعدادها"<sup>3</sup> وبهذا قال أبو حيان (ت745هـ) "ثم عطف التفضيل على النعمة وهو من عطف الخاص على العام لأن النعمة اندرج تحتها التفضيل المذكور"<sup>4</sup>.

ويتوالى تفصيل نعم الله على بني إسرائيل ومنها: "نجاتهم من فرعون وقومه"، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: 50]. حيث يعلق ابن عاشور على علاقة الآية المفصلة بالآية التي وقع فيها إجمال نعم بقوله: "هذا زيادة في التفضيل بذكر نعمة أخرى عظيمة خارقة للعادة بها كان تمام الإنجاء من آل فرعون وفيها بيان مقدار إكرام الله تعالى لهم ومعجزة لموسى عليه السلام"<sup>5</sup>. فإنجاء الله قوم موسى من فرعون، وإغراق هذا الأخير في اليمّ جزء من النعمة الكلية المذكورة سابقاً، وتفصيل لمجموع نعم المقدمة لبني إسرائيل، وقد علّق الرازي (ت606هـ) على هذه الآية بقوله "هذا هو النعمة الثانية"<sup>6</sup> إشارة إلى تتابع نعم المذكورة والمفصلة في الآيات المتتابعة، وقد عدّها محتملة لنعم عديدة وشاملة في حدّ ذاتها لأفضال كثيرة في الدين والدنيا؛ أما نعم الدنيا فمنها نجاتهم بفلق البحر، وأنه خصّهم بكرامة ومعجزة كبيرة، وأنهم شاهدوا إهلاك عدوهم،

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص482.

<sup>2</sup> أبو حيان الأندلسي، المرجع السابق، ج1، ص305.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص483.

<sup>4</sup> أبو حيان الأندلسي، المرجع السابق، ج1، ص305.

<sup>5</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص494.

<sup>6</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج3، ص508.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وأنة أورشهم أرض عدوهم، وخلّصهم من فرعون وبطشه، وأما نعم الدين فأولها مشاهدتهم لحادثة الإغراق، فزالت عن قلوبهم شكوك الإيمان وكان ذلك أيضا داعيا لهم للثبات على دعوة موسى، وعرفوا أن الأمر بيد الله.<sup>1</sup>

وأما النعمة الأخرى المفصلة في هذا السياق فهي "إنزال الشريعة عليهم"، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 53]. و فيها من تفصيل وبيان النعمة الجملة سابقا، وفيها يقول ابن عاشور: "هذا تذكير بنعمة نزول الشريعة التي بها صلاح أمورهم وانتظام حياتهم وتأليف جماعتهم"<sup>2</sup> وعلى هذا النحو وغيره تتضح أهمية هذه العلاقة في تلاحم النص وانسجامه باعتبارها آلية من آليات الاستمرار الدلالي في النص، حيث تعمل التفصيلات على الحدّ من الغموض الواضح في الأمر الجمل، وتبين المقصود به؛ ذلك أن الجمل في الأصل تتوارد عليه المعاني وتتراحم دون بيان ووضوح فتأتي التفصيلات لتبين المقصود به، ولعل هذا ما حدا بالسيوطي (ت 911هـ) إلى تعريف الجمل بقوله: "الجمل ما لم تتضح دلالاته"<sup>3</sup>.

ويتتابع تفصيل النعم بذكر نعمة أخرى وهي "العفو عنهم بعد عبادة العجل" وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 54]. وفي هذا الشأن يقول ابن عاشور: "هذه نعمة أخرى وهي نعمة نسخ تكليف شديد عليهم كان قد جعل جابرا لما اقترفوه من إثم عبادة الوثن، فحصل العفو عنهم بدون ذلك التكليف، فتمت المنة، وبهذا صح جعل هذه المنة مستقلة بعد المنة المتضمنة لها قوله تعالى، (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) "<sup>4</sup>.

ومن النعم أيضا "بعثهم من جديد"، وذلك بعد أن عاقبهم وأماهم، وهذا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 56] "وهي منّة أخرى يمنّها المولى عز وجل على بني إسرائيل أن بعثهم من بعد

<sup>1</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ج 3، ص 508، 509.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 551.

<sup>3</sup> جلال الدين السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ج 3، ص 59.

<sup>4</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 502.



## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

موتهم، وكان قد عاقبهم على طلبهم رؤية الله جهرة كدليل على صحة رسالة موسى نبينهم، وقد خلت من قبل هذا الآيات التي تبرز صحة رسالته، وعفا عنهم حين أعرضوا عنها؛ كعبادتهم العجل وقت غياب موسى، فأخذتهم الصاعقة عقاباً لهم، إلا أن رحمة المولى عز وجل بهم اقتضت أن يبعثهم مرة أخرى من بعد موتهم، وبهذا يكون إعادة البعث في هذا المقام شكلاً آخر من النعم التي قابل بها المولى عز وجل طغيانهم، وفي هذا يقول ابن عاشور معلقاً على موقع الآية وعلاقتها بالآية المركزية السابقة بقوله: "تذكير بنعمة أخرى نشأت بعد عقاب على جفاء طبع فمحلّ المنّة والنعمّة هو قوله 'ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ' وما قبله تمهيد له وتأسيس لبنائه"<sup>1</sup>.

وقد نبّه الرازي (ت606هـ) إلى أنّ هذا موضع من مواضع الإنعام على بني إسرائيل حيث قال: "اعلم أن هذا هو الإنعام السادس، وبيانه من وجوه أحدها: كأنه تعالى قال: اذكروا نعمتي حين قلت لموسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأخذتكم الصاعقة ثم أحببتكم لتتوبوا عن بغيكم، وتتخلصوا من العقاب، وتفوزوا بالثواب"<sup>2</sup>.

والأمر نفسه يقال في النعمة الأخرى وهي "إنزال المن والسلوى عليهم وتظليلهم بالغمام"، وذلك بعد أن حكم عليهم بالتيه في قوله تعالى: ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: 57] حيث يقول ابن عاشور: "وتعقيب ذكر الوحشة بذكر جائزة شأن الرحيم في تربية عبده"<sup>3</sup>، وعلق الرازي (ت606هـ) على هذا بقوله: "اعلم أن هذا هو الإنعام السابع الذي ذكره الله تعالى"<sup>4</sup>.

ويتبعها بنعمة أخرى متصلة بها في هذا الموضوع وهي دخولهم القرية، على الرغم من غياب الترتيب التاريخي بين هذه القصة، وبين الحكم عليهم بالتيه والإنعام عليهم بالمن والسلوى. إلا أنّها تعبر في الحقيقة عن منة أنعم بها المولى عز وجل على بني إسرائيل، ثم إن السياق هنا هو سياق تفصيل النعم المجملّة كما سبق، وبالتالي لم يلتفت إلى

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص505.

<sup>2</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج3، ص518.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص509.

<sup>4</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج3، ص522.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

ترتيبها ترتيباً تاريخياً كما حدثت في الواقع، وهنا يتضح لنا وجه الإعجاز في النص القرآني، والانسجام فيه في اجتماع الحوادث وترتيبها في التلاوة، على الرغم من اختلاف فترات حدوثها تاريخياً، وتتجلى هذه النعمة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَعْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 58]، حيث يعلق ابن عاشور قائلاً: "هذا تذكير بنعمة أخرى مكّنوا منها، فما أحسنوا قبولها ولا رعوها حق رعايتها، فحرموا منها إلى حين، وعوقب الذين كانوا السبب في عدم قبولها، وفي التذكير بهذه النعمة امتنان عليهم ببذل النعمة لهم؛ لأن النعمة نعمة وإن لم يقبلها المنعم عليه"<sup>1</sup> ويرى الرازي (ت606هـ) أن هذا موضع من المواضع التي تم فيها تفصيل النعم حيث يقول "اعلم أن هذا هو الإنعام الثامن، وهذه الآية معطوفة على النعم المتقدمة، لأنه تعالى كما بين نعمه عليهم بأن ظلل لهم من الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، وهو من النعم العاجلة أتبعه بنعمة عليهم في باب الدين، حيث أمرهم بما يحو ذنوبهم، وبين لهم طريق المخلص مما استوجبوه من العقوبة"<sup>2</sup>.

ويضاف إلى كل هذه النعم المفصلة، نعمة أخرى أنعم بها المولى عز وجل على بني إسرائيل وقت التيه إذ رواهم من عطشهم وسقاهم من موضع مستحيل (الحجر)، وأخرج لهم من هذا الموضع (اثني عشرة عينا) بعدد أسباط بني إسرائيل، وذكر المولى عز وجل ذلك في قوله: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: 60] حيث اشتملت الآية على ثلاثة نعم متتابعة لخصها ابن عاشور في قوله: "تذكير بنعمة أخرى جمعت ثلاث نعم، وهي الري من العطش، وتلك نعمة كبرى أشد من نعمة إعطاء الطعام، ولذلك شاع التمثيل بري الظمان في حصول المطلوب، وكون السقي في مظنة عدم تحصيله، وتلك معجزة لموسى وكرامة لأمته لأن في ذلك فضلا لهم، وكون العيون اثني عشرة ليستقل كل سبط بمشرب فلا يتدافعوا"<sup>3</sup> وهو عند الرازي (ت606هـ) الإنعام التاسع في

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص512.

<sup>2</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج3، ص522.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص517.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

سلسلة النعم المذكورة والمفصلة حيث يقول: "واعلم أن هذا هو الإنعام التاسع من الإنعامات المعدودة على بني إسرائيل، وهو جامع لنعم الدنيا والدين"<sup>1</sup>.

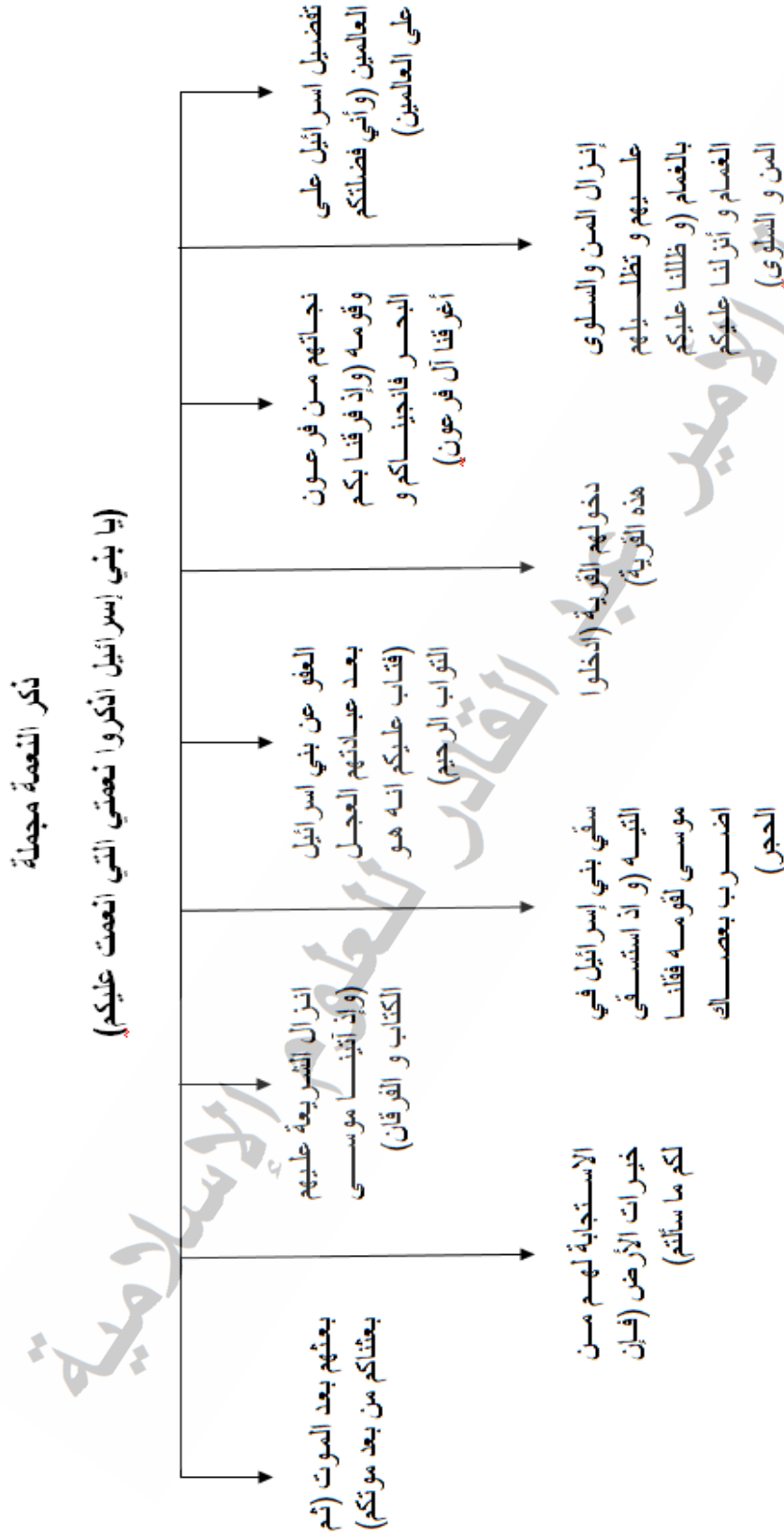
والأمر نفسه في الاستجابة لطلبهم بأن أعطاهم ما طلبوه من خيرات الأرض بعد أن ملّوا المنّ والسلوى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: 61] ومع أن هذه الآية لم تشتمل على تفصيل النعمة وحدها، بل اشتملت على توبيخ وعقاب لهم على اجترائهم على ما قرره المولى عز وجل فجاءهم العقاب، إلا أنها وردت في سياق واحد مع ما سبقها وهو تفصيل الإنعام على بني إسرائيل، حيث يقول ابن عاشور معلقا على الآية "هي معطوفة على الجمل قبلها بأسلوب واحد، وإسناد القول إلى ضمير المخاطبين جارٍ على ما تقدم في نظائره وما تضمنته الجمل قبلها، هو من تعداد النعم عليهم محضة أو مخلوطة بسوء شكرهم، وبترتب النعمة على ذلك الصنيع بالعمى ونحوه كما تقدم، فالظاهر أن يكون مضمون هذه الجملة نعمة أيضا"<sup>2</sup>.

وبهذا الشكل تتضح لنا النعم المفصلة في هذا الموضوع، وهي في الحقيقة قد بيّنت ما أجمل في الآية الأولى، وبالتالي تحددت العلاقة بين الجمل (المبهم) في الآية الأولى، والمفصل (المبيّن) في الآيات المتتابعة، وبهذا يتحقق الترابط بين الآيات القرآنية التي جمعها سياق واحد، هو تفصيل نعم الله عز وجل، فساهم التفصيل ليس فقط في توضيح الإبهام الواقع في كلمة "النعمة"، وإنما في تلاحم النص بأكمله؛ ذلك أنه مثل خيط العقد الذي جمع حوله الآيات السابقة، وعليه "يرتقي التفصيل من آلية ترابط مفهومية إلى مستوى أكبر يصل إلى البناء الكلي للنص"<sup>3</sup> ويمكن أن نوضح هذه العلاقة بالشكل الآتي:

<sup>1</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج3، ص527، 528.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص520.

<sup>3</sup> رشيد بركان: المرجع السابق، ص206.



مخطط رقم 09: يبين علاقة الإجمال والتفصيل

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

إذ يبدو التفصيل بهذا الشكل عاملا مهما في انسجام النص القرآني، ذلك أنه وسيلة هامة من وسائل بناء النص، وكيفية من كيفية بنائه وانتظام أجزائه، وخاصة تبعث الحيوية في النص القرآني من خلال عامل التشويق. وقد بيّن الباحث 'رشيد برقان' أهمية التفصيل في النص القرآني بناء على رأي الزمخشري (ت 538هـ) فحصره في وظائف متعددة منها: أن فيه مدعاة للتفنن في صياغة الشيء بطرائق مختلفة وذلك حين يقول الزمخشري "ومن فوائده أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن وأنبّل وأفخم من أن يكون بيانا واحداً"<sup>1</sup> حيث يعلّق على ذلك رشيد برقان بقوله: "فقد توقف أولا على أن مصدر النبل في التفصيل يكمن في تنوعه وتعدده، أو في إتاحة الفرصة للتفنن في صياغة الشيء بطرق متعددة، والجري في كل مجال مجرى واسعاً، وقد احتج لمذهبه هذا بأن قارن بين ذكر الشيء من جهة واحدة، والتطرق له من مناحي متعددة، مبينا أنه كلما ظهر الشيء من جوانب مختلفة ومن جهات متعددة ازدادت قيمته وعلا شأنه"<sup>2</sup>.

كما أن التفصيل عامل مهم في عملية التلقي وسلامتها، وباعث على الحيوية في نفسيته "حيث إن المتلقي يتعد عن الرتابة والتكرار ويميل إلى التنوع والاختلاف، فكلما كان التعبير مفصلاً ومتنوعاً ازداد تشوف المتلقي إليه، وتلهفه عليه، لأنه يخلق لديه تطلعا للمزيد وتشوّفاً إليه"<sup>3</sup>.

وهذا ما نص عليه الزمخشري (ت 538 هـ) حيث يقول: "ومنها أن القارئ إذ ختم سورة أو باباً من الكتاب، ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأهز لعطفه، وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله، ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة، فيعظم عنده ما حفظه، ويجلّ في نفسه ويعتبط به"<sup>4</sup> وهو بهذا يعبر عن جانب آخر مهم متعلق بالمتلقي الذي يدفعه التفصيل إلى الانتباه والتركيز "فالتفصيل باعتباره تركيباً فنياً لمجموعة من المكونات بشكل يستدعي كل جزء جزءاً

<sup>1</sup> الزمخشري: المرجع السابق، ج 1، ص 97، 98.

<sup>2</sup> رشيد برقان: المرجع السابق، ص 256.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 256.

<sup>4</sup> الزمخشري: المرجع السابق، ج 1، ص 98.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

آخر، يجعل المتلقي يقتنع بكل جزء يستطيع استيعابه والاستمتاع به بوصفه كلاً مكتملاً، وفي الآن نفسه يحفزه إدراك ذلك الجزء على الإقبال على الجزء الموالي والاستمتاع به. وبهذا لا يعاند التفصيل العقل الإنساني فيشعره بالعجز، ولا يمكنه من كل ما يريد فيشعره بالملل، ولكنه يدخله في مغامرة طريفة تجعل العقل يدرك ما لديه دون أن يتوقف تعطشه لطلب المزيد<sup>1</sup>.

وبهذا يغدو كما نرى التفصيل وسيلة من وسائل بناء النص القرآني وآلية من الآليات التي تضمن انسجامه وترابطه، وخاصة تظهر فيها الصلة واضحة بين النص والمتلقي، ولعل هذا ما قصده البقاعي (ت885هـ) حين أشار إلى أهمية التفصيل في بناء النص القرآني إذ يقول: "... لأن الشيء إذا كان جنساً وجعلت له أنواع واشتملت أنواعه على أصناف، كان أحسن وأفخم لشأنه وأنبل، لا سيما إذا تلاحقت الأشكال بغيرابة الانتظام، وتجادبت النظائر بحسن الالتئام، وتعانقت الأمثال بالتشابه في تمام الأحكام، وجمال الأحكام، وذلك أيضا أنشط للقارئ وأعظم عنده"<sup>2</sup>.

### ب- الإجمال ثم التفصيل في الآية الواحدة:

قد لاحظنا أن هذه العلاقة قد ساهمت في انسجام النص وبنائه، ذلك أنها لم تتعلق بمستوى الآية الواحدة أو بين آيتين مختلفتين فقط، إنما امتدت في مساحة واسعة من النص القرآني وهذا لا يعني أن هذه العلاقة تتخذ لنفسها هذه الصورة فقط فقد تكون العلاقة في الآية الواحدة، بين جزئين من أجزاءها كما هو الشأن في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1] حيث تتجلى هذه العلاقة واضحة بين "ذكر خلق الله الناس من نفس واحدة"، وبين تفصيلات كيفية هذا الخلق، فجاءت الصلات مفصلة لهذه الكيفية؛ فالصلة الأولى ( خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) للتنبيه على أصل الناس من آدم وحواء، ثم عطف على هذه الصلة صلة أخرى وهي قوله "وخلق منها زوجها" وصلة ثالثة في قوله ( وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً )، ففيها توضيح وبيان وتفصيل للمجمل السابق

<sup>1</sup> رشيد برقان: المرجع السابق، ص256

<sup>2</sup> برهان الدين البقاعي: المرجع السابق، ج1، ص16.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وهو كونه عز وجل خلق الناس من نفس واحدة، "لأن في معاني هذه الصلوات زيادة تحقيق اتصال الناس بعضهم ببعض، إذ الكل من أصل واحد"<sup>1</sup>.

وعليه تكون هذه الصلوات تفصيلا لكيفية الخلق، وهو ما نص عليه ابن عاشور إذ يقول: "وقد حصل من ذكر هذه الصلوات تفصيل لكيفية خلق الله الناس من نفس واحدة"<sup>2</sup>، وقد جاء أسلوب الآية وفق هذا الشكل إجمال ثم تفصيل - كما يرى ابن عاشور - استجابة لمقتضى الحال الداعي إلى الإتيان بالاسم الموصول، ومقتضى الحال الداعي إلى تفصيل حالة الخلق العجيبة، ولو عدل عن هذا الأسلوب كأن يأتي بالتفصيل مباشرة دون أن يسبقه بالإجمال الحاصل في قوله ( خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) لاختل بناء النص؛ أي لاختلفت الغاية القصوى من هذا التركيب، الذي يهدف إلى لفت المتلقى إلى الحالة المعجزة في خلق الناس من أصل واحد (آدم وحواء)، وفي هذا يقول: "ولو غير هذا الأسلوب فجيء بالصورة المفصلة دون سبق إجمال، فقبل الذي خلقكم من نفس واحدة وبث منها رجالا كثيرا ونساء لفاتت الإشارة إلى الحالة العجيبة"<sup>3</sup>.

### ج- الإجمال ثم التفصيل في الآيات غير المتتابعة:

قد تتخذ هذه العلاقة صورة أخرى كأن يكون الموضوع الذي وقع فيه الإجمال في موضع والتفصيل في موضع آخر من السورة أي بعيد عنه، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝١٩١﴾ [البقرة: 191] " وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ۝١٩٣﴾ [البقرة: 193] حيث يرى ابن عاشور أن في الآيتين تفصيل لجمل وقع في آية سابقة أي في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠﴾ [البقرة: 190] فيرى ابن عاشور أن في الآيتين السابقتين تفصيل لأحوال وأزمنة القتال وأمكنته، والتي يفرضها إجمال منطوق (الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ)، فجاء

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج4، ص216.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج4، ص216.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج4، ص44.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

التفصيل مبينا لذلك وفي هذا يقول: "وقد تضمنت الجمل السابقة من قوله (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) إلى هنا تفصيلا لجملة (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) لأن عموم الذين يقاتلونكم تنشأ عنه احتمالات في الأحوال والأزمنة والبقاع، وقد انقضى بيان أحوال البقاع وأفضت التوبة الآن إلى بيان تحديد الأحوال بغاية أن لا تكون فتنة"<sup>1</sup>.

وإذا كانت النماذج السابقة من علاقة الإجمال ثم التفصيل قد وقعت كلها في نطاق السورة الواحدة فإن هذا لا يعني عدم وجود هذه العلاقة في مساحة النص القرآني ككل فقد تكون بين آيات تنتمي لسور مختلفة وهو ما يبين وظيفة الربط التي تؤديها هذه العلاقة الدلالية، و يبين الطبيعة التلاحمية للنص القرآني .

ومن نماذج هذه الصورة ما نجده في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: 178] حيث ورد معنى الآية مجملا وجاء تفصيله في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: 45] إذ جاء في الآية الأولى ذكر عدم التفاضل في أفراد النوع أثناء القصاص (العبد بالعبد) (الحر بالحر) (الأنثى بالأنثى)، وجاءت الآية مبينة لحكم النوع إذا قتل نوعه (الحر - الحر) (العبد - العبد) ولم تتعرض لغير هذه الصورة كأن يقتل (الحر بالعبد) أو (العبد بالحر) أو (الذكر بالأنثى) ...، وغيرها من الأحكام التفصيلية التي ذكرها في آية المائدة وفي هذا يقول ابن عاشور: "فالآية محكمة وفيها إجمال يبينه قوله تعالى (وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ).. الآية"<sup>2</sup> حيث جاء في آية المائدة تفصيل حكم القصاص وبث روح المساواة؛ فالنفس بالنفس، ورفض كل صورة من صور التكايل في القصاص، "ويجوز أن يقصد من ذلك أيضا تأييد شريعة الإسلام إذ جاء بمساواة القصاص، وأبطلت التكايل في الدماء الذي

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص207

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج2، ص138



كان في الجاهلية وعند اليهود (...) لأن العرب لم يزل في نفوسهم الحرج من مساواة الشريف الضعيف في القصص<sup>1</sup>.

### 1-2-1-2- التفصيل ثم الإجمال:

إذا لاحظنا النماذج السابقة كلها من هذه العلاقة أدركنا بدون عناء أنها تشكل الصورة الأولى والأساسية من هذه العلاقة، وهي الإجمال الذي يعقبه التفصيل؛ وهي الصورة الأشهر في هذه العلاقة، إلا أن الصورة العكسية لهذه العلاقة؛ أي أن يرد الكلام مفصلاً ثم يليه في موضع آخر إجمال كل التفصيلات السابقة فنجد لها صدى في النص القرآني، وقد نبه إليها ابن عاشور في تفسيره، ومن نماذج هذه الصورة ما نجده في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17] حيث أجملت هذه الآية ما ذكر مفصلاً من صور الكافرين السابقة المذكورة في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6] وما بعدها من الآيات وصولاً إلى الآية المقصودة بالإجمال، فما بينهما كله عبارة عن تفصيل لحال الذين كفروا، الذين يتظاهرون بالإيمان، ويحاولون خداع الله والذين آمنوا، ويفسدون في الأرض ولا يصلحون، ويرمون الذين آمنوا بالسفاهة ويشترون الضلالة بالهدى، وكلها صفات جرى ذكرها في الآيات السابقة وهي في الحقيقة تفصيل لأحوالهم، وقد جاء إجمالها في الآية الأولى، وفي هذا يقول ابن عاشور تعليقا على العلاقة بين الآية المقصودة وبين ما سبقها من الآيات التي تحتوي تفصيلات لحال الذين كفروا "أعقت تفاصيل صفاتهم بتصوير مجموعها في صورة واحدة، بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة، وهذه طريقة تشبيه التمثيل إلحاقاً لتلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة، لأن النفس إلى المحسوس أميل، وإتماماً للبيان بجمع المتفرقات في السمع المطالة في اللفظ في صورة واحدة، لأن للإجمال بعد التفصيل وقعا في نفوس السامعين"<sup>2</sup>، وفي هذا نرى كيف ربط ابن عاشور بين هذه العلاقة وبين المتلقي من خلال وظيفة التأثير، وهي الوظيفة التي أشار إليها الزمخشري (ت538هـ) كما أسلفنا. ومن ثم فإن العلاقة كما هي متجلية في الخطاب تسلك سبيلاً مخالفاً؛ أي من المفصل إلى المجل، فالترتيب

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج6، ص216

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج1، ص302

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

الأول معياري والثاني تداولي، وهو ما عبرنا عنه بأنه يأتي لتحقيق غاية معينة وعبر عنه ابن عاشور بقوله: إن للإجمال بعد التفصيل وقعا في نفوس السامعين<sup>1</sup>.

### 1-2-2- دور البديع في تحقيق علاقة الإجمال والتفصيل:

ينبغي لنا في هذا المقام أن نشير إلى أن هذه العلاقة الدلالية قد تتحقق من خلال مجموعة من المحسنات البديعية على اعتبار أن علاقة الإجمال والتفصيل تندرج ضمن العلاقات الدالة على الاستمرارية في النص، في مقابل العلاقات المنطقية، ذلك أن العلاقات الدالة على الاستمرارية نجد فيها هيمنة المفاهيم البديعية في ممارساتنا التطبيقية العربية، فهي علاقات ذات امتداد بديعي في مقابل العلاقات المنطقية التي تتعلق بكيفيات فهم الذهن الإنساني لنص معين، ولحم أجزائه أو ربط بعضها ببعض.

وقد كان لابن عاشور العناية القصوى بفنون البلاغة عامة والبديع بصفة خاصة، وإنما نجد في بحثنا لهذه العلاقة الدلالية باعتبارها رافدا مهما من الروافد التي برهن من خلالها المفسر على ترابط أجزاء النص وتلاحمه. قلنا إننا نجد ابن عاشور قد عبّر عن جوهر هذه العلاقة من خلال بعض المحسنات البديعية التي هي في الحقيقة تعبر عن روح الإجمال الذي يعقبه التفصيل ولا تحيد عن فكرته الأساسية، وفي هذا الشأن يبدو "اللف والنشر" وكذا "الجمع والتفريق" وهما من فنون البديع من أكثر المحسنات تعبيرا عن هذه العلاقة، وقد أدرك ابن عاشور ذلك فصرح به أحيانا ولمح إليه في كثير من المواضع، وفي أحيان أخرى ينبئ كلامه بذلك الوعي بطبيعة هذه العلاقة.

إننا في هذا البحث ننتقل من فرضية أطلقها صاحب كتاب 'البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية' في خاتمة فصله: 'البديع والحبك' وذلك بعد عرضه لأشكال العلاقات الدلالية التي يمكن أن تؤديها المحسنات البديعية بنوعها اللفظية والمعنوية، إذ يتساءل: "والسؤال المطروح، هل ستؤكد الدراسات المقبلة خاصة التطبيقية دور البديع في السبك والحبك"<sup>2</sup>، حيث إننا نرى أن هذا التساؤل محوري، وهو مفتاح البحث مستقبلا في العلاقة

<sup>1</sup> ينظر: محمد خطاي: المرجع السابق، ص 189.

<sup>2</sup> جميل عبد الحميد: المرجع السابق، ص 174

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

بين فنون البديع، وبين آليات الاتساق والانسجام في اللسانيات النصية الحديثة، وذلك حين يُتخذ هذا المبحث دخلاً لتأسيس نظرية عربية بلاغية في انسجام النصوص واتساقها، ويعبر أيضاً عن الوعي المبكر العربي بكيفية اشتغال النصوص وعملها، وشبكة العلاقات الداخلية التي تنشئها عناصر النص بعضها مع بعض، وهي الملاحظة التي عمل الباحث على توضيحها من خلال تصنيف عدد كبير من المحسنات البديعية المعنوية واللفظية، ومقابلتها بمجموع العلاقات الدلالية التي يمكن أن تؤديها في نسيج النص.

إن علاقة الإجمال والتفصيل كما يراها الباحث يمكن أن تؤدي من خلال (اللف والنشر)، أو (الجمع والتقسيم)، حيث يقول: " والتقسيم في جميع هذه الأحوال يفصل أو يقسم مجملاً، ،، وفي حالة (الجمع ثم التقسيم) يكون لدينا علاقة (الإجمال - التفصيل) وفي حالة (التقسيم ثم الجمع) يكون لدينا علاقة (التفصيل - الإجمال) (..) وقريب من (الجمع ثم التقسيم) فن (اللف والنشر) ومن ثم ففيه أيضاً علاقة (الإجمال - التفصيل) كما يجتمع (الجمع) مع (التقسيم) فإنه قد يجتمع كذلك مع (التفريق) فيكون فن (الجمع مع التفريق)"<sup>1</sup>.

### أ- اللف والنشر:

يعرف فن اللف والنشر في البلاغة العربية بأنه: "فن في المتعددات التي يتعلق بكل واحد منها أمر لاحق؛ فاللف يشار به إلى المتعدد الذي يؤتى به أولاً، والنشر يشار به إلى المتعدد اللاحق الذي يتعلق كل واحد منه بواحد من السابق دون تعيين. أما ذكر المتعددات مع تعيين ما يتعلق بكل واحد منها فهو التقسيم"<sup>2</sup>، وقد عرفه من قبل السكاكي (ت 626هـ) بقوله: "وهي أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين، ثقة بأن السامع يردّ كلاماً منها على ما هو له كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: 73]"<sup>3</sup>، وعلى هذا يكون اللف هو المتعدد الذي ذكر سابقاً (اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)، والنشر هو المتعدد اللاحق (لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)، على أنه في الآية لم يتم تعيين

<sup>1</sup> جميل عبد المجيد: المرجع السابق، ص 165، 162.

<sup>2</sup> عبد الرحمن حسن حينكة الميداني: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط 1، 1997، ج 2، ص 403.

<sup>3</sup> السكاكي: المرجع السابق، ج 1، ص 425.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

المتعددات، وإنما تم التعويل فيه على المتلقي ليميز متعلق كل متعدد؛ فالليل ليسكن فيه الخلق، والنهار ليستغوا فيه من رزق الله.

واللفّ والتّشّر نوعان ؛ إما أن يكون النشر على ترتيب اللفّ، كما مر بنا في الآية السابقة، وإما أن يكون النشر على غير ترتيب اللفّ، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: 106-107] ، فلو كان النشر على نفس ترتيب اللفّ لابتدأ التفصيل بذكر حال الذين ابيضت وجوههم، لأنهم أول من ذكر في رأس الآية، فلما كان النشر غير مرتب -أي معكوس أو مشوش- أحرّ ذكرهم وذكر قبلهم (اسوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ).

اعتبر الباحث 'جميل عبد المجيد' أن في هذا المحسن البديعي 'اللفّ والنشر' علاقة الإجمال والتفصيل حيث يقول: "وقريب من الجمع ثم التقسيم فن اللفّ، ومن ثم ففيه أيضا علاقة الإجمال والتفصيل"<sup>1</sup> وهذا ما يهمننا من خلال هذا العرض وتحديد مدى إدراك ابن عاشور لدور هذا المحسن البديعي في ربط أجزاء النص من خلال التعبير عن روح العلاقة (إجمال وتفصيل)، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 65] ، حيث يرى ابن عاشور أن في الآية الكريمة علاقة إجمال ثم تفصيل من خلال المحسن البديعي "اللفّ الذي يعقبه النشر"، أي بعبارة أخرى: يرى أن ذكر المولى عز وجل للتوراة والإنجيل هو عبارة عن نشر بعد اللفّ السابق؛ أي ذكره أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وهو على ما نرى من قبيل اللفّ والنشر المرتب، مع أنه لم يذكر اليهود والنصارى صراحة وإنما جمعتهما تحت اسم واحد (أَهْلَ الْكِتَابِ)، وإذا لم يكن في النص ما يرجح اللفّ والنشر المعكوس أو المشوش فيكون بطبيعة الحال مرتبا، بحسب الأصل لأن التوراة أسبق زمنا في النزول من الإنجيل.

<sup>1</sup> جميل عبد المجيد: المرجع السابق، ص 165

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وفي هذا الموضوع كما نرى تعبير عن علاقة الإجمال الواقع في (أهل الكتاب) والتفصيل الذي أعقبه من ذكر التوراة المنزلة على فرع من أهل الكتاب (اليهود)، والإنجيل المنزل على فرع آخر منهم (النصارى) وفي هذا الشأن يقول ابن عاشور: "فذكر التوراة والإنجيل على هذا نشر بعد اللف، لأن أهل الكتاب شمل الفريقين، فذكر التوراة لإبطال قول اليهود، وذكر الإنجيل لإبطال قول النصارى، وذكر التوراة والإنجيل هنا لقصد جمع الفريقين في التخطئة إن كان المقصود بادئ ذي بدء هم النصارى الذين مساق الكلام معهم"<sup>1</sup>.

ومن أمثلة النشر المعكوس المعبر عن حقيقة علاقة الإجمال والتفصيل ما جاء في قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾<sup>١٦٦</sup> وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>١٦٧</sup> [آل عمران: 106-107] حيث أدرك ابن عاشور منذ البداية أن هذا المحسن هو في الحقيقة تعبير عن هذه العلاقة ولكنها جاءت بصورة عكسية، أي أن النشر (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ) و (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ) قد خالف في الترتيب الذكري ما جاء عليه اللف (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ) و (وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) وفي هذا يقول ابن عاشور: "وقوله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) تفصيل للإجمال السابق سلك فيه طريقة النشر المعكوس"<sup>2</sup>.

هذا فيما يخص محسن اللف والنشر، وكيف يؤدي هذا الأخير علاقة الإجمال والتفصيل، وأما المحسنات الأخرى (الجمع مع التفريق) و(الجمع مع التقسيم) فهي الأخرى تؤدي نفس العلاقة على أننا لا نعثر لابن عاشور إشارة إلى هذا الأمر في مدونة تحليلنا ودراستنا، ولكننا نجد في مواضع أخرى يعبر حقيقة عن دور هذه المحسنات في ربط أجزاء النص وتحقيق التماسك المطلوب في النص القرآني، كما نراه يعبر ضمنا في تحليله لهذه المحسنات عن جوهر علاقة الإجمال والتفصيل ومن أجل توضيح ذلك سنذكر بعض الشواهد وإن كانت في غير حيز مدونتنا التطبيقية.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص272

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ج4، ص4

ب-الجمع مع التقسيم:

يشير محسن 'الجمع مع التقسيم' إلى "جمع أمور متعددة تحت حكم واحد ثم تقسيمها أو تقسيمها ثم جمعها"<sup>1</sup> فمثال النوع الأول قول أبي الطيب المتنبي بمدح سيف الدولة حين غزا خرشنة ببلاد الروم (البسيط):

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضِ خَرَشَنَةَ      تَشَقَّى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ

لِلسَّبِيِّ مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلِ مَا وَلِدُوا      وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَالنَّارِ مَا زَرَعُوا<sup>2</sup>

"فقد جمع في البيت الأول شقاء الروم المقيمين بنواحي تلك البلدة، وذلك بما يلحقهم من الشدائد على سبيل الإجمال حيث قال، 'تشقى به الروم' ثم قسم في البيت الثاني فأضاف كلاً إلى ما يناسبه"<sup>3</sup>. ومثال القسم الثاني منه أي التقسيم ثم الجمع قول حسان بن ثابت (البسيط):

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ      أَوْ حَاوَلُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرَ مُحَدَّثَةٍ      إِنَّ الخَلَائِقَ -فَاعِلَم- شَرَّهَا الْبِدْعُ<sup>4</sup>

"فقد قسم في البيت الأول صفة الممدوحين إلى الضر بالأعداء، والنفع للأولياء، ثم جمع في الثاني بأن كلا منهما سجية لهم لا بدعة محدثة فيهم"<sup>5</sup>

من نماذج هذا المحسن في تفسير ابن عاشور ما نجده في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: 34-41] حيث يعلق ابن عاشور مدركا العلاقة

<sup>1</sup> أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، البيان والمعاني والبدیع، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط3، 1993، ص333.

<sup>2</sup> المتنبي: ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1983، ص314.

<sup>3</sup> عبد الفتاح لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1999، ص101.

<sup>4</sup> حسان بن ثابت: ديوان حسان بن ثابت، تح: عبدأ علي نونا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994، ص152.

<sup>5</sup> عبد الفتاح لاشين: المرجع السابق، ص101

الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

بين الآيات فيقول: "وفي قوله (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى) إلى قوله (إِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) محسن الجمع مع التقسيم"<sup>1</sup> وفيها يظهر جلياً الإجمال الواقع في الجمع (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى) والتفصيل الواقع في التقسيم (فَأَمَّا مَنْ طَغَى - وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ رَبَّهُ).

### ج- الجمع مع التفريق:

أما محسن الجمع مع التفريق فهو الآخر يعبر عن طبيعة علاقة الإجمال والتفصيل وهو يعني "أن يجمع بين شيئين في معنى ويفرق من جهتي الإدخال كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصيلاً﴾ [الإسراء: 12] وقول رشيد الدين الوطواط (ت573هـ):

فوجهك كالنار في ضوءها      وقلبي كالنار في حرها

فقد شبه وجه الحبيب وقلبه هو بالنار، ثم فرق بين وجهي المشابهة بأن جعله في الوجه الضوء واللمعان، وفي القلب الحرارة والاحتراق"<sup>2</sup>.

والأمر نفسه يقال بالنسبة لهذا المحسن فلا نعثر في مدونتنا التطبيقية 'تفسير الجزء الأول' على ذكر أو تلميح لهذا المحسن، ودوره في تأدية العلاقة الدلالية المطلوبة، لكننا نعثر عليه في مواضع أخرى من التفسير، وسنذكره لنبين كيفية تحقيق العلاقة الدلالية من وراء هذا المحسن البديعي، والمثال المقصود في هذا الموضوع هو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد: 3] . حيث يعلّق ابن عاشور على الآية والمحسن البديعي 'الجمع مع التفريق' بقوله: "واسم الإشارة مبتدأ وقوله بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل الخ خبره، والباء السببية ومجرورها في موضع الخبر عن اسم الإشارة؛ أي ذلك كائن بسبب اتباع الكافرين الباطل واتباع المؤمنين الحق، ولما كان ذلك جامعا للخبرين المتقدمين، كان الخبر عنه متعلقا بالخبرين وسببا

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج30، ص93.

<sup>2</sup> أحمد بن مصطفى المراغي: المرجع السابق، ص333

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (بن عاشور)

لهما، وفي هذا محسن الجمع بعد التفريق، ويسمونه كعكسيه التفسير، لأن في الجمع تفسيراً للمعنى الذي تشترك فيه الأشياء المتفرقة تقدم أو تأخر<sup>1</sup>.

فالمحسن البديعي يكمن في كون كل من الذين آمنوا والذين كفروا قد تحققت فيهم صفة الاتباع غير أنهما يختلفان في الأمر المتبع، فالذين آمنوا اتبعوا الحق والذين كفروا اتبعوا الباطل، ومن هذا الوجه تبدو علاقة الإجمال والتفصيل واضحة؛ فالإجمال واقع في (الاتباع)، ذلك أن كليهما قد اتبع، والتفصيل واقع في تحديد الجهة المتبعة، فالذين آمنوا اتبعوا الحق، والذين كفروا اتبعوا الباطل. "فالذين كفروا والذين آمنوا كلا منهما (اتبعا) أي أن الاتباع أمر مشترك بينهما، غير أن الذين كفروا اتبعوا أمراً غير الذي اتبعه الذين آمنوا، فقد اتبعوا الباطل، وأن الذين آمنوا اتبعوا أمراً غير الذي اتبعه الذين كفروا، فقد اتبعوا الحق من ربه، وهذا هو المقصود من الجمع ثم التفريق والذي جعله ابن عاشور نقلاً عن الزمخشري أنه تفسير<sup>2</sup>.

وبهذه الصورة يتضح لنا الدور الذي تلعبه هذه العلاقة في انسجام النص القرآني وترابط أجزائه ذلك أنها في الحقيقة تعبير عن خاصية الاستمرارية الدلالية في النص/الخطاب.

### 1-3- علاقة التضاد أو الثنائيات الضدية:

تشير هذه العلاقة إلى وجود متقابلات ضدية في النص القرآني، وهي في الحقيقة علاقة دلالية تعبّر عن حقيقة الوجود وطبيعة الأشياء ضمن هذا الوجود، الذي لا يمكن له أن يستمر إلا بوجود هذه المتقابلات: الخير- الشر، الحياة- الموت، الإنس- الجن، وغيرها، وهي في الأصل ظاهرة فلسفية أساساً تم سحبها على النقد الأدبي، وأول من طبّقها على الأدب البنيويون، ويعد هذا المصطلح مفردة من مفردات الثقافة الغربية، يمثل أسساً فلسفية بالدرجة الأولى، له أبعاد إيديولوجية وفلسفية موهلة في القدم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج26، ص76

<sup>2</sup> مراد مزعاش: المصطلح البلاغي في تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، أطروحة دكتوراه علوم في البلاغة العربية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2008-2009، ص507.

<sup>3</sup> سمير الدويب: الثنائيات الضدية: بحث في المصطلح ودلالاته، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق، ط1، 2017، ص10



## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

والجدير بالذكر أن هذه الظاهرة ليست لغوية بالأساس وإنما هي ظاهرة كونية، ذات امتداد فلسفي تمس كل جوانب حياتنا، فطبعي أن تمس لغتنا باعتبارها التمثيل الملموس لحركية الحياة والمعبرة عن دواخل النفوس: "فإذا كانت هذه الثنائيات موجودة في كوننا وحاضرة في أنفسنا، ومرتبطة بالحياة الإنسانية بشكل دائم، فإنها لا تستثني لغتنا المعبرة عن هذا كله، والكاشفة عما في أذهاننا"<sup>1</sup>.

ولا يخفى علينا دور هذه العلاقة في تحقيق الانسجام في النص القرآني، ذلك أنها "هي التي تبيح التماسك، وهذا يتحقق بين الآيات التي تتحدث عن النعيم ويليها التي تتحدث عن العذاب، وكذلك التي تتحدث عن البشري وتلك التي تتحدث عن النذير (...). وعلاقة التضاد ليست بين الكلمة والأخرى فقط، بل بين الجملة والجملة والآية والآية"<sup>2</sup>، وقد اعتاد المفسرون وعلماء القرآن الحديث عن هذه العلاقة بمناسبة حديثهم عن المناسبة القرآنية؛ ذلك أنها إحدى الآليات التي تتحقق بها المناسبة كما أسلفنا، ولا أدل على ذلك مما جاء به الزركشي (ت 794هـ) حين أشار إلى هذا الأمر في حديثه عن أسباب المناسبات فقال: "ومرجعها والله أعلم إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه أو التلازم الخارجي كالترتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر"<sup>3</sup>.

إن علاقة الضدية قد تتخذ لنفسها أشكالاً متعددة فقد تكون في الآية الواحدة ضمن السورة الواحدة، وقد تكون بين آيتين متجاورتين أو متباعدتين، وقد يكون التضاد في موضعين متباعدين من سورتين مختلفتين، وقد يكون التقابل بين السور في حد ذاتها "والتقابل في سور القرآن الكريم يتجاوز علاقة بداية السورة بنهاية ما قبلها إلى ثنايا

<sup>1</sup> علي زيتونة مسعود: "الثنائيات الضدية في لغة النص الأدبي بين التوظيف الفني والذوق الجمالي"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة

الوادي، 2015، ع7، ص157

<sup>2</sup> صبحي إبراهيم الفقي: المرجع السابق، ص147، 148

<sup>3</sup> بدر الدين الزركشي، المرجع السابق، ج1، ص35

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

هذه السور من ذلك ما ذكره السيوطي (ت911هـ) في وجه اتصال سورة (المنافقون) بالسورة التي قبلها وهي (الجمعة)، حيث إنه ذكر في الثانية المؤمنون وذكر في الأولى أضدادهم وهم المنافقون<sup>1</sup>.

وهي في مجملها علاقة "تسهم في تلاحم أجزاء السورة وتماسكها، فالكلمات والمعاني يدعو بعضها بعضا، والمقابل أكثر ما يستدعي مقابله، لأن الضد بالضد يذكر، فبعض الكلمات تسعى لتلتحم فيما بينها أكثر من أخرى، وذلك إما لأن في تجمعها شيئا لافتا للانتباه، أو لأنها تعبر عن فكرة أثرت فينا خاصة، ففي جمع المتقابلين انعقاد الصلة بين المتناقضين أو المتباعدين وتكون الجمالية ويتحقق التأثير"<sup>2</sup>.

إن هذه العلاقة هي في الحقيقة تعبير عن شكل من أشكال الترابط الدلالي في القرآن الكريم بين ألفاظه وكلماته، وبين آياته وسوره، وبين مواضيعه وقضاياها، فقد تشغل هذه العلاقة حيزا بسيطا من الآية الواحدة أي بين ألفاظ وعبارات الآية فتجيب متقابلة متضادة، وقد تكون بين الآيتين فيأتي معناها متقابلا وقد يكون بين موضوعات السورتين فتقابل المعاني، وقد نتوسع أكثر في بحث هذه العلاقة، فتجدها تحتل مساحة واسعة من النص القرآني، فترى المعاني فيه قد بنيت على هذا المبدأ (التقابل / التضاد) بين الكفر والإيمان، والجنة والنار، الذين آمنوا و الذين كفروا. ولا شك أن بين الأشياء المتقابلة "علاقة تآلف وتناسب وتماسك"<sup>3</sup>.

إن علاقة التضاد "ناجئة عن تتابع قضيتين كل منهما تحمل عكس معنى الأخرى، والتضاد إجراء يقوم به الكاتب ليضفي شمولية على معنى ما، وذلك بإضهار الشيء ونقيضه كما أنه يعمل على تمييز المعنى وبلورته، وبالتالي تناسبه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> علي زيتونة مسعود: التقابل في القرن الكريم بين الجمالية والدلالية، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2016/2017، ص52.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص51

<sup>3</sup> علي زيتونة مسعود: التقابل في القرآن الكريم بين الجمالية والدلالية، ص56.

<sup>4</sup> حسام أحمد فرج: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009 م، ص142.

3-1- صور علاقة التضاد:

أ- التضاد بين الآيات المتتابعة:

لم يغفل ابن عاشور في تفسيره، الإشارة إلى هذه العلاقة في النص القرآني مبينا وجه البيان في توضيفها، وكيف ساهمت في تحقيق التماسك المطلوب في النص القرآني، ومن ذلك ما نجده في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 173] حيث تحققت علاقة الضدية بين المحرمات والطيبات التي ذكرت في الآية التي قبلها أي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172] فقد كان ذكر الطيبات ثم بعدها ما يقابلها من المحرمات والخبائث مبررا تجاور الآيتين، إضافة إلى أن تفصيل المحرمات بعد ذكر الطيبات مجملة يفسح المجال للمتلقي ليعرف هذه الأخيرة بما يقابلها؛ أي بطريق المضادة كما يقول ابن عاشور، وكذلك جاءت هذه العلاقة في هذا الموضع تعريضا بالمشركين وتحقيرا لهم، وهم الذين حرموا أنفسهم من كثير من الطيبات، واستباحوا لأنفسهم المحرمات، كأكل الميتة والدم ولحم الخنزير.

وعلى هذا النحو يفسر ابن عاشور القيمة الفنية والبلاغية لهذا التضاد في هذا الموضع وكيف ساهم في بناء النص القرآني، ودوره في عملية الفهم والتلقي، بل ويمتد تفسير ابن عاشور أبعد من هذا حين يربط بين هذه العلاقة (الضدية) وبين الفصل في هذه الآية، والذي برره 'بشبه كمال الاتصال' ذلك أن الدعوة والحث على أكل الطيبات في عمومها قد تثير سؤالاً في الذهن عن ماهية المحرمات وحدّها، فجاء الاستئناف البياني مبينا الطيبات من خلال تحديد أضدادها ومقابلاتها وهي المحرمات، وهنا يشير ابن عاشور إلى آليات بناء النص القرآني حيث يقول: "ذلك أن الإذن بأكل الطيبات يثير سؤال من سأل ما هي الطيبات؟ فجاء هذا الاستئناف مبينا المحرمات، وهي أضداد الطيبات، لتعرف الطيبات بطريق المضادة المستفادة من صيغة الحصر، وإنما سلك طريق بيان ضد الطيبات

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

للاختصار، فإن المحرمات قليلة، ولأن في هذا الحصر تعريضا بالمشركين الذين حرموا على أنفسهم كثيرا من الطيبات، وأحلوا الميتة والدم"<sup>1</sup>.

وهي العلاقة نفسها تقريبا التي فسر بها الرازي (ت606هـ) الانتقال من ذكر الطيبات إلى ذكر المحرمات حيث يقول: "اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أمرنا في الآية السالفة بتناول الحلال فصل في هذه الآية أنواع الحرام"<sup>2</sup>؛ فإن مهمة المعنيين المتضادين في هذا الموضوع هي بيان وتوضيح الطيبات بذكر ما يقابلها؛ أي المحرمات، كما نص على ذلك ابن عاشور، وهو ما أجمله أحد الدارسين في حديثه عن وظيفة التضاد إذ يقول: "والتضاد إجراء يقوم به الكاتب ليضفي الشمولية على معنى ما، وذلك بإظهار الشيء ونقيضه، كما أنه يعمل على تمييز المعنى وبلورته وبالتالي تناسبه"<sup>3</sup>.

### ب- التضاد بين الآيات غير المتتابعة:

الحقيقة أن الثنائيات الضدية شكلت محورا هاما في هذه العلاقة في النص القرآني؛ حيث تجتمع كثير من الآيات المتتابعة وغير المتتابعة في هذا المعنى، فيصدر النص القرآني الأوامر للاستمتاع بالطيبات، والنواهي لاجتناب المنهيات والمنكرات والمحرمات، وهذا إضافة إلى ثنائيات ضدية أخرى على غرار العذاب والمغفرة، والجنة والنار، الذين آمنوا والذين كفروا، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْيَهُادُ ﴿٢٠٦﴾ [البقرة: 204-206] حيث يحدث التقابل والتضاد بين فرق متعددة، خاصة إذا ربطنا بين هذه الآية وبما سبقها من الآيات؛ فقد وقع بين هؤلاء المذكورين في هذه الآية أي (الذين لا حظ لهم في الآخرة وهم يتظاهرون بأنهم راغبون فيها)، وبين فريق آخر من المشركين (الذين لا حظ لهم في الآخرة) في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي

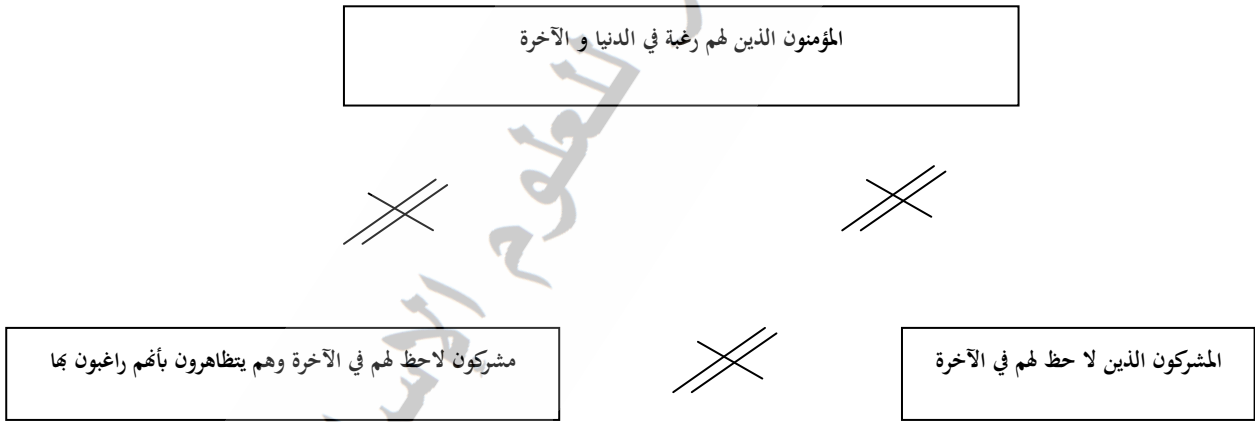
<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص115.

<sup>2</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج5، ص191.

<sup>3</sup> حسام أحمد فرج: المرجع السابق، ص142.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور

الآخِرَةَ مِنْ خَلْقِي ﴿٢٠٠﴾ [البقرة: 200] وبين فريق آخر هم "المؤمنون الذين لهم رغبة في الحسنة في الدنيا والآخرة" وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: 201] حيث يحدث التقابل بين هذه الفرق المتعددة والتقابل بين مراد كل فرقة، ومن هنا تنشأ هذه العلاقة (التضاد) والتقابل من أجل توضيح صورة كل فريق بمقابلتها غيرها، وفي هذا الشأن يقول ابن عاشور تعليقا على موقع الآية الأولى: "عطف على جملة (فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا) إلخ؛ لأنه ذكر هنالك حال المشركين الصرحاء الذين لا حظ لهم في الآخرة، وقابل ذكرهم بذكر المؤمنين الذين لهم رغبة في الحسنة في الدنيا والآخرة، فانتقل هنا إلى حال فريق آخرين ممن لا حظ لهم في الآخرة وهم متظاهرون بأنهم راغبون فيها، مع مقابلة حالهم بحال المؤمنين الخالصين الذي يؤثرون الآخرة والحياة الأبدية على الحياة في الدنيا"<sup>1</sup>، ويمكن أن توضح هذه العلاقة بالشكل الآتي:



المخطط رقم 10: يبين شكل علاقة التضاد

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق ، ج2، ص265

وإذا دققنا في المثالين السابقين أمكننا ببسر أن تستنتج أن هذه العلاقة قد تمت بين آيتين في موضعين مختلفين أو مواضع متعددة من النص القرآني.

### ج- التضاد ضمن الآية الواحدة:

قد تكون هذه العلاقة متجسدة ضمن الآية الواحدة كما هو الشأن في قوله تعالى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: 14] حيث وقعت العلاقة بين كلمتي (العداوة والبغضاء)، وقد انطلق ابن عاشور في بيان العلاقة الضدية بين الكلمتين من توضيح معنى كل منهما، ومحاولة إثبات أنهما ليستا مترادفتين بدليل استعمالهما في مواضع متعددة من القرآن الكريم متعاطفتين، وفي هذا يقول: "وظاهر عطف أحد الاسمين على الآخر في مواضع من القرآن في هذه الآية، وفي الآيتين بعدها في هذه السورة، وفي آية سورة الممتحنة أنهما ليسا من الأسماء المترادفة، لأن التزام العطف بهذا الترتيب يبعد أن يكون مجرد التأكيد، فليس عطف أحدهما على الآخر من قبيل عطف المرادف لمجرد التأكيد"<sup>1</sup>.

وقد حاول بعض اللغويين -في رأيه- بحث الفروق اللغوية بين الاسمين على غرار "ابن عرفة التونسي" و"أبو البقاء الكفوي (ت 1094هـ)" وقد أجمع رأيهما على أن العلاقة بين الاسمين هي علاقة العام بالخاص أو الخاص بالعام، فالعداوة أعم من البغضاء برأي ابن عرفة التونسي، وهي أخص من البغضاء عند الكفوي<sup>2</sup>، إلا أن ابن عاشور يرى رأياً آخر في هذا، ذلك العلاقة بين الاسمين هي علاقة تضاد حيث يقول: "وعندي أن كلا الوجهين غير ظاهر، والذي أرى أن بين معنيي العداوة والبغضاء التضاد والتباين؛ فالعداوة كراهية تصدر عن صاحبها معاملة بجفاء أو قطيعة أو إضرار، لأن العداوة مشتقة من العدو، وهو التجاوز والتباعد فإن مشتقات مادة (ع د و) كلها تحوم حول التفريق وعدم الوثام، وأما البغضاء فهي شدة البغض وليس في مادة (ب غ ض) إلا معنى جنس الكراهية فلا سبيل إلى معرفة اشتقاق لفظها من مادتها (...). فالبغضاء شدة الكراهية غير مصحوبة بعدو، فهي

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج6، ص147

<sup>2</sup> لمزيد من التفصيل بنظر: المصدر نفسه: ج6، ص148

الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

مضمرة في النفس، فإذا كان كذلك لم يصح اجتماع معني العداوة والبغضاء في موصوف واحد في وقت واحد<sup>1</sup>، وهنا تتحقق العلاقة التقابلية بين معنى العداوة والبغضاء وتتحقق أكثر حين نقابل الاسمين بمعنى المحبة "العداوة والبغضاء اسمان لمعنيين من جنس الكراهية الشديدة فهما ضدان للمحبة"<sup>2</sup>

### 1-3-2- دور البديع في تحقيق علاقة التضاد:

غني عن الذكر أن هذه العلاقة قد تتجلى من خلال مجموعة من المحسنات البديعية، ذلك أنها من العلاقات الدالة على الاستمرارية، وهي التي قد نجد لها تجسيدا من خلال مجموعة كبيرة من المصطلحات والمفاهيم البديعية في البلاغة العربية؛ على غرار الطباق والمقابلة، العكس والتبديل والرجوع، والتفريق وغيرها من المفاهيم البلاغية، وقد كان لابن عاشور كثير عناية بها وبدورها في تحقيق التماسك المطلوب في النص القرآني.

#### أ- الطباق والمقابلة:

يأتي على رأس هذه المحسنات على الإطلاق "الطباق والمقابلة"، لأنهما يقومان على "فكرة التضاد الدلالي بين عناصر التركيب"<sup>3</sup>، حيث يشير المحسن البديعي الأول -أي الطباق- إلى "الجمع في العبارة الواحدة بين معنيين متقابلين على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز ولو إبهاما، ولا يشترط كون اللفظين الدالين عليهما من نوع واحد كاسمين أو فعلين، فالشرط التقابل في المعنيين فقط. والتقابل بين المعاني له وجوه منها ما يلي: تقابل التناقض كالوجود والعدم والإيجاب والسلب، تقابل التضاد كالأبيض والأصفر، وتقابل التضاد كالأب والابن، الأكبر والأصغر، والخالق والمخلوق"<sup>4</sup>.

ولعل هذه الأشكال المتعددة والصور المتنوعة التي يرد عليها هذا المحسن البديعي هي التي جعلت الدارسين يطلقون عليه أحيانا "التضاد والتكافؤ والطباق" حيث يقول العلوي (ت749هـ) في الطراز: "اعلم أن هذا النوع

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج6، ص148

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ج6، ص147

<sup>3</sup> مراد مزعاش: المرجع السابق، ص420.

<sup>4</sup> عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: المرجع السابق، ص377.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

من علم البديع متفق على صحة معناه، وعلى تسميته بالتضاد والتكافؤ، وإنما وقع الخلاف في تسميته بالطباق والمقابلة والتطبيق، فأكثر علماء البيان على تلقيه بما ذكرناه إلا قدامة الكاتب<sup>1</sup>.

وأما المقابلة فهي "طباق متعدد عناصر الفريقين المتقابلين"، وفيها يؤتى بمعنيين فأكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب<sup>2</sup>، فالملاحظ أن كلا من الطباق والمقابلة يمكن جمعهما تحت جنس واحد ونوع واحد، وهو التضاد كعلاقة تشير إلى تقابل بين لفظين أو أكثر أو بين معنيين أو أكثر مرتين أو غير مرتين. ولعل هذا ما جعل ابن عاشور لا يفرق بينهما التفريق التقليدي النمطي، بل جعلهما شيئاً واحداً "أما ابن عاشور فإنه من خلال نظرنا في تفسيره للآيات التي هي شواهد على هذا المحسن وبيانه ما فيها من جماليات، فإنه يجعل الطباق والمقابلة شيئاً واحداً لا يفصل بينهما لأن كلا منهما يفيد التقابل والتضاد"<sup>3</sup>.

ومن النماذج التي يمكن أن نسوقها في هذا الشأن لنبين جلاء علاقة التضاد من خلال هذين المحسنين البديعيين، وكيف تعامل ابن عاشور مع المعاني والألفاظ المتقابلة وكيف ساهمت في بناء النص وتماسكه، نقدم ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54] حيث وقع التقابل بين 'الأعزة والأذلة' - المؤمنين والكافرين! وقد عبّر عن ذلك ابن عاشور بقوله: "والأذلة والأعزة وصفان متقابلان وصف بهما القوم باختلاف المتعلق بهما؛ فالأذلة جمع ذليل وهو الموصوف بالذل (...). فهو ضد العز (...). وإثبات الوصفين المتقابلين للقوم صناعة عربية بديعية وهي المسماة الطباق، وبلغاء العرب يغربون بها، وهي غزيرة في كلامهم وقد جاء كثير منها في القرآن"<sup>4</sup>، وهنا تلاحظ صحة ما استنتجناه سابقاً من كون ابن عاشور لا يعطي كبير أهمية للتفرقة بين الطباق والمقابلة على اعتبار أن هذه الأخيرة طباق مركب. وقد أطلق ابن

<sup>1</sup> المؤيد العلوي: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1993، ج2، ص 197.

<sup>2</sup> عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: المرجع السابق، ص378

<sup>3</sup> مراد مزعاش: المرجع السابق، ص420

<sup>4</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج6، ص237



## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

عاشور عليها جميعا مصطلح الطباق، ولاحظنا المعاني المتقابلة المتضادة في هذه الآية بين الأعرز والأذلة والمؤمنين والكافرين، وبهذا الشكل تتحقق العلاقة الدلالية (التضاد).

### ب- الاكتفاء:

لا يتوقف الأمر عند الطباق والمقابلة فقط في تحقيق هذه العلاقة؛ فقد تتحقق من خلال مجموعة أخرى من المحسنات البديعية على غرار محسن الاكتفاء الذي يعني: "أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر، ويخص بالارتباط العطف غالبا"<sup>1</sup>، وذكر أحد الدارسين أن الاكتفاء بأحد عناصر التركيب وحذف غيره يمكن أن يرد إلى وجوه خمسة هي: حذف الجزء وإبقاء العام الذي يتضمنه، حذف الأقرب والاكتفاء بالأبعد، حذف ما لا يهم والاكتفاء بما يهم المتلقي، حذف ما ينفر المتلقي والاكتفاء بما يرغبه، حذف المقابل والاكتفاء بالمذكور دالا عليه بالمفهوم<sup>2</sup>.

ولعل ما يهمنا في هذا السياق هو النوع الأخير الذي يكون الاكتفاء قائما على ترك أحد عناصر المعاني المتقابلة، وحذف العنصر الآخر؛ كذكر الخير والاكتفاء به دون مقابله الشر، أو ذكر الجنة دون النار، وقد ذكر ابن عاشور هذا المحسن معبرا به عن العلاقة الدلالية (الضدية) كما صورها في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26]. حيث اكتفى المولى عز وجل بذكر المقابل الأول فقط وهو الخير دون غيره من الشر لأنه يدل عليه وفي هذا الشأن يقول ابن عاشور: "والاقتصار على الخير في تصرف الله تعالى اكتفاء كقوله تعالى: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: 81] أي والبرد"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> بدر الدين الزركسي: البرهان المرجع السابق، ج3، ص118.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2001، ص418، 419.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص214.

### ج- الاحتباك:

يمكن أن تتحقق هذه العلاقة من خلال محسن "الاحتباك" وقد سماه الزركشي (ت 794هـ) "بالحذف المقابل" والذي يعني "أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ﴾ [هود: 35] والأصل فإن افتريته فعلي إجرامي وأنتم برآء منه وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون"<sup>1</sup> وعرفه الشريف الجرجاني (ت 816هـ) في كتابه التعريفات بقوله هو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف في كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه كقوله "علفتها تبنًا وماء باردًا أي علفتها تبنًا وسقيتها ماءً باردًا"<sup>2</sup> وعرفه التهانوي (ت 1158هـ) بقوله: "وهو عند أهل البيان من أطف أنواع الحذف وأبدعها وقل من تنبه أو نبه إليه من أهل فن البلاغة، وذكره الزركشي (ت 794هـ) في البرهان ولم يسمه هذا الاسم بل سماه الحذف المقابل وأفرده بالتصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعي (ت 885هـ). وقال الأندلسي<sup>3</sup> في شرح البديعة ومن أنواع البديع الاحتباك وهو نوع عزيز، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول"<sup>4</sup>

وبهذا يكون الاحتباك شكلًا من أشكال الحذف التي أجملها الزركشي (ت 794هـ) في ثمانية أبواب على رأسها: الاختزال، الضمير، الاكتفاء، ...، لكنه حذف - كما نرى - يقوم على ذكر أحد المتقابلين المتضادين وحذف أحدهما فهو: "حذف يقع في التقابل حيث يحذف جزء من كل طرف ليكون الآخر دليلًا عليه"<sup>5</sup>، وبهذا تشكل هذه العلاقة صورة ولو بسيطة من علاقة التقابل والتضاد.

<sup>1</sup> بدر الدين الزركشي: المرجع السابق، ج 3، ص 129.

<sup>2</sup> الشريف الجرجاني: المرجع السابق، ص 13.

<sup>3</sup> هو أحمد بن يوسف بن مالك الزغي الأندلسي (ت 779هـ) قال عنه الزركلي: كان عارفاً بالنحو، كثير التوليف في العربية وغيرها من كتبه شرح (بديعة) رفيقه ابن جابر.

<sup>4</sup> رشيد بركان، المرجع السابق، ص 218.

<sup>5</sup> علي زيتونه مسعود: التقابل في القرآن بين الجمالية والدلالية، ص 206.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

ويمكن أن نقدم لهذه العلاقة صوراً متعددة اهتم بها ابن عاشور في معرض تفسيره لكتاب الله تعالى حيث وقف على دور هذا المحسن في بناء النص وبين علاقة التضاد التي تنشأ من ورائه، ويتجلى ذلك أكثر في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 228] حيث تتجلى علاقة التقابل بين النساء والرجال فلهن على الرجال من الحق والمعروف، ما للرجال عليهن من الحق والمعروف، ولكن في الآية حذف مقابل النساء (أي الرجال).

وقد حاول ابن عاشور تبرير هذا الحذف بكون العناية بحقوق النساء أولى لأنها كانت مهضومة الحقوق في عصور مضت، أما حقوق الرجال فهي محفوظة مشهورة، ولذلك ركز على العنصر الأول وهو حقوق النساء وفي بيان محسن الاحتباك وعلاقة التقابل والتضاد، يقول ابن عاشور: "وفي الآية احتباك فالتقدير ولهن على الرجال مثل الذي للرجال عليهن، فحذف من الأول دلالة الآخر وبالعكس، وكان الاعتناء بذكر ما للنساء من الحقوق على الرجال، وتشبيهه بما للرجال على النساء، لأن حقوق الرجال على النساء مشهورة مسلمة منذ أقدم عصور البشر، وأما حقوق النساء فلم تكن مما يلتفت إليه أو كانت متهاونا بها، وموكولة إلى مقدار حظوة المرأة عند زوجها"<sup>1</sup>.

والأمر نفسه تقريباً في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: 17] حيث وقع في الآية احتباك أي تقابل بين عنصري أحدهما مذكور والآخر محذوف، فذكر الخير وحذف الشر، وذكر الضر وحذف النفع وفي هذا يقول: "وقابل قوله تعالى: (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ) بقوله (وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ) مقابلة بالأعم لأن الخير يشمل النفع وهو الملائم ويشمل السلامة من المنافر للإشارة إلى أن المراد من الضر ما هو أعم فكأنه قيل: إن يمسسك بضر وشر وإن يمسسك بنفع وخير ففي الآية احتباك"<sup>2</sup>.

وهنا نتحقق علاقة التقابل بتدخل من المتلقي أو القارئ الذي يعمل ذهنه في سبيل إيجاد العنصر المحذوف المقابل (الخير - الشر، الضر - النفع) وبهذا "يتيح هذا الحذف للقارئ أن يتدخل بفكره ويشارك في الكلام ويملاً

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 2، ص 396

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 7، ص 163.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

فراغاته، ويكمل ناقصه، فيكون قد نقل السامع من متلقٍ حياديٍّ للخطاب إلى مشارك فيه منجز له (...). ويدعوه للتأمل وفك خيوط هذا الكلام المحتبك باستحضار العناصر الغائبة بفضل العناصر الحاضرة وبناء على ما توفر من معطيات السياق"<sup>1</sup>.

وعلى هذا النحو يكون القارئ عنصراً فعالاً في عملية التفسير والفهم من جهة، وعنصراً فاصلاً أيضاً في عملية التأويل، وبناء النص المنسجم وفق ما تنادي به أطروحة (براون ويول G brown g Yule) في الانسجام النصي، الذي يوكل للقارئ أو المتلقي الذي تقوم فيه عملياته الذهنية التأويلية ببناء النص والحكم عليه بالانسجام من عدمه، وبالتالي عدم الاكتفاء بالعناصر الداخلية للنص أو العناصر اللغوية فقط نظراً لعدم اتسامها بالكفاية التفسيرية؛ أي كفاية البرهان والحكم على انسجام النص وعدم انسجامه، فيحلّ القارئ أو المتلقي بما يملكه من آليات تأويلية في بناء النص المنسجم والحكم عليه، وهي النقطة التي لم يغفلها ابن عاشور في تفسيره وذلك من خلال إعمال مخيلته وثقافته الذاتية في عملية التفسير، وكذا في تأويل العناصر المحذوفة في هذا الموضوع أو في غيره، وبالتالي يعطي ابن عاشور للمتلقي الأهمية التي يستحقها في عملية بناء النص والحكم عليه.

### 1-4- علاقة الاستطراد:

تشير علاقة الاستطراد إلى: "سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر وهو غير مقصود بالذات بل بالعرض"<sup>2</sup>، وهو عند البلغاء "أن يذكر عند سوق الكلام لغرض ما يكون له نوع تعلق به، ولا يكون السوق لأجله (...). وفي بعض التفاسير مثال الاستطراد هو أن يذهب الرجل إلى موضع مخصوص صائداً، فعرض له صيد آخر فاشتغل به وأعرض عن السير إلى ما قصد وأشباهه"<sup>3</sup>، واشترط ابن رشيق (ت 456 هـ) أن يعود المتكلم إلى الغرض الأصلي، فإن لم يعد إليه كان ذلك خروجاً، وفي ذلك يقول: "وهو أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما

<sup>1</sup> علي زيتونة مسعود، التقابل في القرآن الكريم بين الجمالية والدلالية، ص 207

<sup>2</sup> الشريف الجرجاني: المرجع السابق، ص 20

<sup>3</sup> التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 1، 1996، ص 156

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد وإن تبادى فذلك خروج، وأكثر الناس يسمي الجميع استطرادا، والصواب ما بينته<sup>1</sup>. وقد قيل إن السؤال أول من ابتدع فن الاستطراد<sup>2</sup> في قوله (الطويل):

وإنّا أناسٌ لا نرى القتلَ سبّةً  
إذا ما رأته عامراً وسلولاً  
يقرب حبّ الموت آجالنا لنا  
وتكرهه آجالهم فتطول<sup>3</sup>

وجاء في معجم البلاغة العربية لبدوي طبانة: "أن يكون الشاعر في غرض من أغراض الشعر يوهم أنه مستمر فيه، ثم يخرج منه إلى غيره لمناسبة بينهما، ولا بد من التصريح باسم المستطراد فيه بشرط ألا يكون قد تقدم له ذكر، ثم يرجع إلى الأول ويقطع الكلام فلا يكون المستطراد به آخر كلامه"<sup>4</sup>، وبهذا نرى أن معظم المفاهيم السابقة تصب في خانة واحدة وهي أن الاستطراد يعبر عن حالة توشي بنوع من الانقطاع الدلالية المؤقتة في التركيب اللغوي ثم العودة إلى الأصل، وهذا لا يقع إلا لتحقيق غاية معينة اجتهد ابن عاشور في إبرازها، وإبراز أن الاستطراد لا يعني مطلقاً حدوث انقطاع دلالي في النص بقدر ما هو تعبير عن حاجة المقام إلى بلوغ غاية ما قبل العودة إلى المعنى الأصلي. ومن نماذج هذه العلاقة في تفسير ابن عاشور ما نجده في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: 213] حيث جاءت هذه الآية استطرادا لبيان حال المشركين وسوء فعلهم مع رسلهم وشرائعهم أي جاءت الآية توبيخا لهم عن طريق الاستطراد، وهي طريقة عربية فصيحة وهي الاستطراد في غرض جديد بهدف التعريض، وفي هذا الشأن يقول ابن عاشور: "والتعريض بأهل الكتاب وهم أشهر أهل الشرائع يومئذ فيما صنعوا بكتبهم من الاختلاف فيها، وهذا من بديع استطراد القرآن في توبيخ أهل الكتاب وخاصة اليهود وهي طريقة عربية بليغة. قال زهير [البسيط]:

<sup>1</sup> ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981، ج2، ص39.

<sup>2</sup> إنعام نوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1996، ص87

<sup>3</sup> إميل بديع يعقوب: المرجع السابق، ج6، ص314.

<sup>4</sup> بدوي طبانة: المرجع السابق، ص372.

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَوْ كَنَّ الْجَوَادَ عَلَى عَالَتِهِ هَرَم

وقال الفرزدق يمدح الخليفة ويستطرد بهجاء جرير (الطويل):

إلى ملك ما أمه من محارب أبوها ولا كانت كليلب تصاهرة<sup>1</sup>.

وعليه يكون هذا الاستطرد بغرض التعريض بالمشركين المنكرين للحق وخاصة اليهود منهم، وقد جاء هذا الاستطرد في سياق الحديث عن المختلفين في الحق من قبل مجيئ الشرائع، فأولئك كان لهم العذر بخلاف هؤلاء الذين اختلفوا في الحق والكتاب وهو بين أيديهم.

وتبدو علاقة الاستطرد أكثر وضوحاً في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146] إذ جاءت هذه الآية استطراداً واقعا بين قوله تعالى: ﴿وَلَيْنُ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 145] وبين قوله: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةً هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 148] أي بين الآيتين اللتين تتحدثان عن القبلة أو الوجهة أيا كان المقصود بها، فجاءت الآية المقصودة هنا استطراداً للتعريض بالمشركين، على عادة العرب في الاستطرد من أجل التوبيخ أو التعريض، وفي هذا يقول ابن عاشور تعليقا على علاقة الآية بما سبقها وما يليها: "جملة معترضة بين جملة (وَلَيْنُ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) إلخ، وبين جملة (لِكُلِّ وِجْهَةً) إلخ، اعتراض استطراد بمناسبة ذكر مطاعن أهل الكتاب في القبلة الإسلامية، فإن طعنهم كان عن مكابرة مع علمهم بأن القبلة حق كما دل عليه قوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 144]"، فاستطرد بأن طعنهم في القبلة الإسلامية ما هو إلا من مجموع طعنهم في الإسلام وفي النبي (ﷺ)، والدليل على الاستطرد قوله بعده (وَلِكُلِّ وِجْهَةً هُوَ مُوَلِّيَهَا) فقد عاد الكلام إلى استقبال القبلة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص309

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج2، ص39

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وعليه يتحقق مفهوم الاستطراد كمصطلح بلاغي بالأساس يؤدي علاقة دلالية جامعة بين آيات قرآنية، فقد برر بها ابن عاشور اجتماع وتجاوز هذه الآية مع ما سبقتها وما يليها، وقد تحققت فعلا في هذا الموضوع شروط الاستطراد؛ الذي يأتي على رأسها أن يكون للكلام المستطرد به علاقة بالكلام الذي قبله أو يليه، فلا يعني الاستطراد انقطاعا دلاليا في النص بقدر ما يعني بهذا الشكل التحاما بطرق أخرى، فإن الحديث عن الذين كفروا وعلاقتهم بالكتاب لا تتعد عن ذكر حال المشركين مع القبلة الإسلامية، وهذا هو الموضوع الأصل الذي نجده قبل الآية المستطرد بها وبعدها، وبالتالي فإن الحديث عن انقطاع دلالي في الاستطراد أمر غير مؤسس إطلاقا فكلا الموضوعين يتحدث عن المشركين، كما تحقق شرط آخر وهو ضرورة العودة إلى الغرض الأصلي الذي كان قبل الاستطراد وهذا الذي حصل بقوله تعالى: (وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا).

إننا نلاحظ تحليل ابن عاشور لهذا الموضوع أنه يطرح الاستطراد باعتباره وسيلة من وسائل الاتصال وآلية من آليات الاستمرار الدلالي، والتلاحم المعنوي؛ لأنه اعتمد مباشرة على المناسبة أي ربط هذه الآية بما سبقها فقال: "اعتراض استطراد بمناسبة ذكر مطاعن أهل الكتاب"<sup>1</sup> فكأنه استغل في الآية الحديث عن القبلة وموقف المشركين منها للتعريض بهم وهم الذين ينكرون الكتاب والحق وهما كما نرى موضوعان متصلان.

### 1-5- علاقة التعليل:

قد أشرنا سابقا<sup>2</sup> إلى مفهوم هذه العلاقة وأشكالها في تراثنا العربي، وأشرنا كذلك إلى أن هذه العلاقة تتجاذبها في الثقافة العربية ثلاثة ميادين معرفية على الأقل هي: الميدان الفلسفي والنحوي والبلاغي، وهي كما أشرنا في أبسط مفاهيمها الفلسفية تشير إلى تلك العلاقة التي ينتقل فيها ذهن المتلقي من المؤثر إلى الأثر كانتقاله من النار إلى الدخان، حيث استمد المتن التفسيري هذه العلاقة بشكل ملفت من أجل إثبات الصلة بين أجزاء النص من خلال ربط الأثر بالمؤثر والسبب بالنتيجة، وغيرها من الروابط الخفية التي تبدو على مستوى البنية العميقة

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص39

<sup>2</sup> انظر الفصل الخاص بالانسجام في الدراسات العربية في هذا البحث.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

للنصوص، وتحتفي في المستويات السطحية. كما قد تتحقق هذه العلاقة من خلال مجموعة من الأدوات والوسائل اللغوية؛ كالحروف والأدوات والأسماء وغيرها.

وقد تكون هذه العلاقة ضمن الآية الواحد كما قد تكون جامعة لآيات متعددة متتابعة وغير متتابعة، ولعل هذا الشكل من أشكال العلاقة هو الأكثر أهمية إذا ما رمنا البحث في أشكال تلاحم النص القرآني.

### 1-5-1- صور علاقة التعليل:

#### أ- التعليل ضمن الآيات غير المتتابعة:

من أهم أشكال وصور هذه العلاقة هو كون العلة والمعلول واقعين في موضعين مختلفين من النص القرآني، حيث يلجأ حينها المفسر إلى هذه العلاقة "لربط أجزاء النص وإظهار نوعية العلاقات المفهومية التي ينسجها النص فقد يتركب النص في بعض الأحيان بناءً على تعليلات لأحكام سبق ذكرها صراحة أو ضمناً"<sup>1</sup>.

ومن نماذج هذا النوع من العلاقة ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48] حيث جاءت هذه الآية تعليلًا لما قبلها؛ أي دعوة وترغيب لليهود بالإيمان واتباع الهدى، ففيها كما يقول ابن عاشور أمران: التعليل والتسبب؛ فالتسبب حاصل في الدعوة إلى الإيمان بالقرآن، والتعليل حاصل في تذكيرهم بأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعًا إلا الإشراف به وفي هذا يقول: "يجوز أن تكون هذه الجملة متعلقة بما قبلها من تهديد اليهود بعقاب في الدنيا، فالكلام مسوق لترغيب اليهود في الإسلام، وإعلامهم بأنهم يتجاوز الله عنهم عند حصول إيمانهم، ولو كان عذاب الطمس نازلًا عليهم، فالمراد بالغفران التجاوز في الدنيا عن المؤاخذة لهم بعظم كفرهم وذنوبهم؛ أي يرفع العذاب عنهم. وتتضمن الآية تهديدًا للمشركين بعذاب الدنيا يحل بهم فلا ينفعهم الإيمان بعد حلول العذاب كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً آمَنَتْ

<sup>1</sup> رشيد بركان، المرجع السابق، ص 266



## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

فَتَنَعَّهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسُ ﴿ الآية وعلى هذا الوجه يكون حرف (إن) في موقع التعليل والتسبب أي آمنوا بالقرآن من قبل أن ينزل بكم العذاب لأن الله يفر ما دون الإشراف به" <sup>1</sup>.

ومنه أيضا التعليل الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 96] حيث جاءت الآية تعليلًا للتي قبلها في قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 95] فقد جاء ذكر فضل البيت المحرم تعليلًا لأمر المولى عز وجل الناس باتباع شريعة إبراهيم لأن بيان فضل هذا البيت يعلل ويبيّن صدق شريعة بانيه. وفي هذا يقول ابن عاشور معلقًا على علاقة هذه الآية بما قبلها "هذا الكلام واقع موقع التعليل للأمر في قوله تعالى "فاتبعوا ملة إبراهيم" لأن هذا البيت المنوّه بشأنه كان مقامًا لإبراهيم فضائل هذا البيت تحقق فضيلة شرع بانيه في متعارف الناس، فهذا الاستدلال خطابي وهو أيضا إخبار بفضيلة الكعبة وحرمتها" <sup>2</sup>.

### ب- التعليل ضمن الآية الواحدة:

ووقد تتحقق هذه العلاقة ضمن الآية الواحدة كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110] ؛ حيث تنزل جملة (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) منزلة التعليل لكونهم مأمورين بالدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر، أي أنهم أمروا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لأنهم خير أمة أخرجت للناس، حيث يقول ابن عاشور "يتنزل هذا منزلة التعليل لأمرهم بالدعوة إلى الخير وما بعده، فإن قوله (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) حال من ضمير "كنتم"، فهو مؤذن بتعليل كونهم خير أمة، فيترب عليه أن ما كان في خيريتهم يجدر أن يفرض عليهم إن لم يكن مفروضًا من قبل، وأن يؤكد عليهم فرضه إن كان قد فرض عليهم من قبل" <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 5، ص 80.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ج 4، ص 11.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج 4، ص 48.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وفي هذه الآية نلمح بجلاء كون علاقة التعليل قد بررت الصلة بين رأس الآية وبقيتها؛ إذ العلاقة قائمة على التعليل، أي كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حاصل لكون أمتنا -أي الأمة الإسلامية- خير الأمم وبذلك وجب عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقريب منه أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ [البقرة: 282] ، فقد جاءت جملة (ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) بيانا وعللة للأمر السابق (وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ) حيث إن التعليل هنا هو في الحقيقة جواب عن سؤال اقتضته الجملة السابقة وهو ما نص عليه السيوطي (ت911هـ) حين أشار إلى أن أغلب أمثلة التعليل في القرآن هي جواب على سؤال اقتضاه الكلام السابق، وذلك حين يقول: "وغالب التعليل في القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى"<sup>1</sup> وتعليقا على دور هذا التعليل في لحم النص يرى ابن عاشور أن في الآية ثلاث علل لأمره السابق لكتابة الدين وتوثيقه:

الأولى: كون الكتابة أشد قسطا وعدلا، والثانية كونها أقوم للشهادة وأكثر إعانة على تأديتها وإقامتها، والثالثة كونها أكثر قربا إلى إبعاد الشك والريبة وسد مداخل الشيطان في الدين، وبهذا يقر حين يقول: "تصريح بالعلّة لتشريع الأمر بالكتابة لأن الكتابة فيها زيادة التوثق، وهو أقسط أي أشد قسطا، أي عدلا لأنه أحفظ للحق وأقوم للشهادة، أي أعون على إقامتها، وأقرب إلى نفي الريبة والشك، فهذه ثلاث علل"<sup>2</sup> ويواصل إبراز دور علاقة التعليل في النص فيقول: "ويستخرج منها أن المقصد الشرعي أن تكون الشهادة في الحقوق بنينة واضحة بعيدة عن الاحتمالات والتوهّمات"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص255.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص114.

<sup>3</sup> المصدر نفسه: ج3، ص114.

### 1-5-2- وسائل علاقة التعليل:

إذا عدنا إلى الأدوات والوسائل التي تتحقق بها هذه العلاقة في النص القرآني فإننا نجدها كثيرة متعددة منها الحروف والأدوات ومنها الأسماء ومنها الجمل وغيرها:

فمن أمثلة هذه العلاقة المؤداة بالحروف ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ [البقرة: 76] حيث تحققت العلاقة بفضل حرف "اللام" التي هي "أم باب التعليل والأصل فيه"<sup>1</sup> وفي هذا يقول ابن عاشور: "اللام في قوله "ليحاجوكم" لام التعليل.. جعل فرع وقوع التحديث المنكر كأنه علة مسؤول عنها، أي لكان فعلكم هذا معللا بأن يحاجوكم"<sup>2</sup>.

وقد تكون أداة التعليل هي "إن" كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ [آل عمران: 176] حيث أفادت 'إن' في هذا الموضع التعليل، أي جاءت هي وما بعدها تعليلًا "للنهي عن أن يحزنه تسارعهم في الكفر بعله يوقن بما الرسول عليه الصلاة والسلام. وموقع إن في مثل هذا المقام إفادة التعليل، وإن تغني غناء فاء التسبب كما تقدم غير مرة"<sup>3</sup>. والأمثلة والشواهد كثيرة على دور الحروف في تأدية العلاقة مثل: إذ، كي إذن وحتى وكأن.... وغيرها.

ويمكن أن تؤدي علاقة التعليل عن طريق مجموعة من الأسماء على غرار المفعول له أو المفعول لأجله كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ [البقرة: 213] حيث يقول ابن عاشور "وقوله (بَغْيًا بَيْنَهُمْ) مفعول لأجله لاختلفوا... والمعنى أن داعي الاختلاف هو: التحاسد وقصد كل فريق تغليب الآخر فيحمل الشريعة

<sup>1</sup> يونس عبد مرزوك الجنابي: أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط1، 2004، ص47.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص570.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج4، ص173.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

غير محاملها ليفسد ما حملها عليه الآخر فيفسد كل فريق صواب غيره، وأما خطؤه فأمره أظهر<sup>1</sup>، وعليه يكون البغي في هذا الموضوع والذي يعنى الحسد علة الاختلاف في الكتاب، وذلك من خلال سعي كل فريق حمل الكتاب والشريعة على غير ما تحمله ليفسد به معتقد الآخر.

وتتحقق علاقة التعليل من خلال المصدر المؤول كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: 258]، حيث جاء المصدر المؤول، المكون من أن المصدرية والفعل (آتاه) علة للفعل السابق (حاجَّ) بما يتضمّنه من الإقدام على الخطأ الجسيم في معناه، وفي هذا يقول ابن عاشور: "وقوله (أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) تعليل حذف منه لام التعليل، وهو تعليل لما يتضمّنه (حاجَّ) من الإقدام على هذا الغلط العظيم الذي سهّله عنده ازدهاؤه وإعجابه بنفسه، فهو تعليل محض وليس علة غائية مقصودة للمحاجَّ من حجاجه"<sup>2</sup>.

وقد تؤدي هذه العلاقة بالجملة أيا كانت هذه الجملة، فقد تكون جملة الحال كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 247] حيث جاءت الجملتان الحاليتان (وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ) جوابا وعلة لانكارهم السابق (أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا)، وهم الذين اعتادوا أن يكون صاحب الملك فيهم من ذوي الجاه والمال "فتساؤلهم (أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا) بسبب كون حالهم أنهم (أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ) بحسب زعمهم، وبسبب أنه (وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ) فهم قد استبعدوا أن يكون ملكا عليهم بسبب هذه الأحوال التي كانوا عليها غير معتبرين بالسبب الأول وهو قضاء الله وقدره"<sup>3</sup>. وفي هذا الشأن يقول ابن عاشور أيضا: "فقولهم ونحن أحق بالملك جملة حالية، والضمير من المتكلمين

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص310.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ج3، ص32.

<sup>3</sup> يونس عبد مرزوك الجنابي: المرجع السابق، ص321، 322.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وهم قادة بني إسرائيل، وجعلوا الجملة حالا للدلالة على أنهم لما ذكروا أحقيتهم بالملك لم يحتاجوا إلى الاستدلال على ذلك لأن هذا الأمر عندهم مسلم معروف<sup>1</sup>.

والنماذج كثيرة لا يسعنا مجال هذا البحث لذكرها والذي يهمنا في هذا المقام هو دور هذه العلاقة في تحقيق التلاحم والانسجام في النص، وكيف نبه ابن عاشور إلى دور التعليل في ربط مفاهيم النص وأجزائه. وهذا ما صدر عنه خاصة في تلك المواضع التي يبدو فيها غياب الأداة الشكلية التي يتم بها تحقيق التعليل، لتأتي المعرفة الخلقية وثقافة المفسر اللغوية في ربط النص من خلال هذه العلاقة، وهو ما سيلغي لا محالة التفكك في النص القرآني، وبالتالي فإن هذه العلاقة "تعد من كبرى العلاقات المحققة للانسجام في إطار العلاقات الاعتمادية التبعية التي يستدعي أحد الطرفين الآخر"<sup>2</sup>.

هذه بعض العلاقات الدلالية الدالة على الاستمرارية في النص والمنطقية، وهي كما نرى تجدد لنفسها صدى كبيرا في علم البديع العربي وهو ما يجعلنا نطرح أكثر من سؤال عن إمكانية إدراج المباحث البديعية ضمن المحاولات المبكرة العربية في سبيل اكتشاف العلاقات الداخلية في النص العربي، والقرآني بصفة خاصة، وبهذا يمكن أن نجد مشروعية أكثر للسؤال الجوهري الذي قدمه الباحث جميل عبد المجيد في ختام دراسته "البديع بين البلاغية العربية واللسانيات النصية" حين تساءل عن جدوى الدرس البديعي في التعبير عن تأدية كثير من العلاقات الدلالية في النص أيا كان نوع النص.

إن عدم تفصيلنا أكثر في العلاقات الدلالية في بحثنا هذا ليس مرده إلى استيفائنا لكل العلاقات ذات الامتداد والصدى في علم البديع، وإنما مرده إلى عدم قدرة مساحة البحث عن استقصائها كلها نظرا لأن هدف البحث هو التنبيه إلى الظاهرة بدلا من التفصيل فيها وهو ما نتركه لبحوث أخرى متخصصة في هذا المجال، ذلك أن كل مصطلح بديعي يمكن أن يتحوّل إلى علاقة دلالية، لأنه ببساطة تعبير عن طريقة من طرق استمرارية المعنى في النص ويؤدي دورا جماليا فيه.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص491.

<sup>2</sup> فخرية غريب قادر، المرجع السابق، ص332.

## 2- المبحث الثاني: موضوع الخطاب :

قبل الحديث عن مفهوم "موضوع الخطاب" ينبغي علينا أن نشير إلى أن هذا المفهوم قد وضع في الأصل لدراسة بنية الجمل قبل أن ينتقل إلى آلية لوصف انسجام النصوص وتربطها، حيث يشير هذا المصطلح إلى بنية دلالية يتم من خلالها وصف الخطاب وانتظامه بعد أن كان بنية دلالية لوصف الجملة.

إن مصطلح موضوع الخطاب كما يرى فان ديك (Van Dijk) مصطلح فضفاض لا يستقر على معنى محدد، لذلك يلجأ من أجل توضيح دلالاته إلى تحليل مجموعة من الجمل من أجل الوصول إلى المفهوم الذي استقر عليه، وهو أن موضوع الخطاب ما هو في الحقيقة إلا عملية ذهنية يتم من خلالها التمثيل الدلالي للنص ومحتواه أي: هو عملية "تمثل دلالي إما لقضية ما، أو لمجموعة من القضايا، أو لخطاب بأكمله"<sup>1</sup> وبهذا يكون موضوع الخطاب هو حاصل اجتماع عديد القضايا الصغرى التي تشكل في مجموعها موضوعا من مواضيع الخطاب واجتماع هذه المواضيع يشكل لنا البنية الكلية للنص/ الخطاب، وهي في الحقيقة عبارة عن تمثيلات وأبنية "دلالية تصور الترابط الكلي ومعنى النص الذي يستقر على مستوى أعلى من القضايا المفردة"<sup>2</sup>.

وبهذا فإن موضوع الخطاب أو البنى الكبرى في أي نص هي بنية دلالية مشكلة من مجموعة من القضايا الصغرى، هذه القضايا قد تشكل من جملة من جمل النص، أو من سلسلة من الجمل حيث يقوم المتلقي بعملياته الذهنية والعقلية بإعادة بناء التصور النهائي للنص من خلال قواعد إعادة صياغة الموضوع (حذف، بناء، تعميم)، "فكل بنية كبرى مكونة من سلاسل من القضايا ووحدات دلالية موضوعة، وجمل متتالية تنتظم بواسطة أنواع من العلاقات الدلالية يعبر عن بعضها على نحو صريح، وبعضها يستنتج أثناء عملية التفسير من خلال المعرفة العامة والمعرفة المسبقة"<sup>3</sup>.

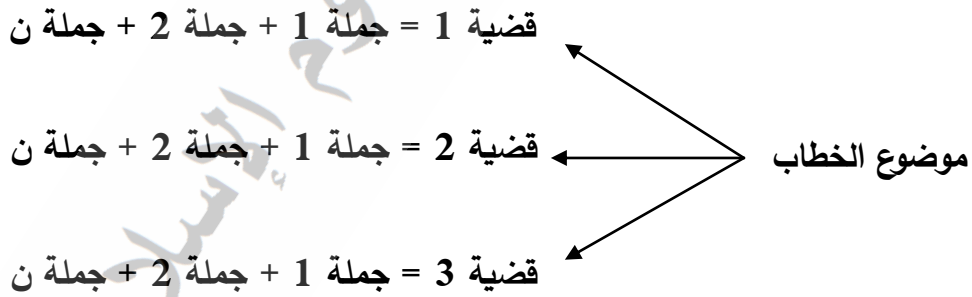
<sup>1</sup> محمد خطاي: المرجع السابق، ص 44

<sup>2</sup> فخرية غريب قادر: المرجع السابق، ص 316

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 316

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وعليه فإن موضوع الخطاب هو ذلك المعنى الإجمالي والفكرة الأساسية التي يحصلها المتلقي بعد قراءة النص ذلك أن "لكل نص مدار عام وفكرة أساسية وموضوع جوهري وقضية شاملة وسياق عام ودلالة كلية"<sup>1</sup>، أو بتعبير آخر فإن موضوع الخطاب أو البنية الكبرى في النص هي "ذلك المحتوى الدلالي الذي يتحصل عليه القارئ بعد الانتهاء من قراءة نصه وفهمه، ذلك أن أي نظرية دلالية ذهنية للنصوص يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الدلالة الكلية للنص، وهذا المستوى هو الذي نسميه بالبنية الكبرى، أو البنية الكلية (la structure globale) هي كذلك موضوع الخطاب"<sup>2</sup>، وبهذا يتحقق ما أشرنا إليه سابقاً من كون موضوع الخطاب هو عملية تمثيل ذهنية دلالية لقضية معينة في النص أو مجموعة من القضايا أو للنص والخطاب ككل. وعلى هذا يكون هذا المفهوم هو حاصل اجتماع مجموع القضايا الصغرى. حيث إننا في هذا المقام نستعير مصطلح 'قضية' إذا أردنا التمثيل الدلالي للنص أو الجملة، على أننا ينبغي أن نشير إلى أن القضية لا تعني مطلقاً الجملة فقد تشكل القضية من جملة واحدة أو من مجموعة كثيرة من الجمل، ومجموع القضايا الصغرى تشكل لنا البنية الكلية أو البنية الكبرى أو موضوع الخطاب ويمكن أن نبين هذا الأمر من خلال الشكل الآتي:



المخطط رقم 11: يبين صورة موضوعات الخطاب.

<sup>1</sup> فخريّة غريب قادر: المرجع السابق، ص 316

<sup>2</sup> فريدة بوساحة: "فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 30، ع 04، ص 263.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

ويرجع الفضل في هذا المفهوم إلى اللغوي الهولندي فان ديك (Van Dijk) في عملية وصف ترابط النصوص في مستويات أعلى، ذلك أن الاكتفاء بوصف آليات ترابط الجمل بالأدوات النحوية والشكلية قد يبدو أمرا ساذجا في محاولة إثبات انسجام النصوص، لأن هذا الأخير يتطلب وصفا في مستويات دلالية أعلى تتمثل في العلاقات التي تجمع بنيات النص، ومن أجل ذلك صاغ فان ديك (Van Dijk) هذا المفهوم سعيا إلى تحديد العلاقات بين البنيات الشاملة للنص.

وإذا عدنا إلى مدونتنا بصفة خاصة وإلى مدونة التفسير بصفة خاصة، فإننا نجد هذا المفهوم حاضرا وإن عبر عنه المفسرون بمصطلحات أخرى على غرار أغراض السور أو موضوعات السور، "فإن المفسرين لم يشيروا إلى وجود 'موضوع خطابي' بهذه الصيغة ولكن تحليلاتهم وتفسيراتهم تكشف عن وجود هذا المفهوم في أذهانهم وهم يمارسون التفسير"<sup>1</sup> وبتعبير آخر فإنه إذا بحثنا عن هذا الأمر في مصنفات المفسرين المشتغلين بالنص القرآني فإننا "سنجد إجراء مفهومه دون لفظه لكن تحليلاتهم وتفسيراتهم تكشف عن وجود هذا المفهوم، وأكثر ما يتضح لنا ذلك عند حديثهم عن أغراض السور"<sup>2</sup>.

وإذا كان موضوع الخطاب عند اللسانيين المحدثين يعني عملية تمثيل دلالية لمجموعة من القضايا التي يتشكل منها النص/ الخطاب، حيث تشكل الجملة أبسط مكون من مكونات القضايا التي يتشكل منها النص، فإن موضوع الخطاب عند المفسرين يعني "بنية دلالية تصب فيها مجموعة من الآيات بتضافر مستمر عبر متواليات قد تطول أو تقصر، حسب ما يتطلبه الخطاب من إيجاز أو إطباب أو شرح أو تمطيط"<sup>3</sup>. وعليه يمكن أن نقول إن موضوع الخطاب عند المفسرين قد عبر عنه بمصطلح الموضوع أو الموضوعات أو الأغراض التي تتشكل من سلسلة من الآيات متتالية تطول وتقصر، وبالتالي يمكن أن تحل الآية محل الجملة في تشكيل القضايا الصغرى للنص.

<sup>1</sup> محمد خطابي، المرجع السابق، ص 180.

<sup>2</sup> نسيم بوغزة: "الانسجام النصي في ضوء موضوع الخطاب"، مجلة الناص، جامعة جيجل، ع 20، ديسمبر 2016، ص 08.

<sup>3</sup> محمد خطابي: المرجع السابق، ص 180.



## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

إن الملاحظ على أعمال المفسرين قديمهم ومحدثهم أنهم كانوا على وعي تام بهذا المفهوم، وقد أُطلق عليه في البيئة التفسيرية مصطلح: موضوعات السور، أو أغراضها؛ فالملاحظ مثلا أن ابن عاشور قد خط لنفسه منهجا في تفسيره يقوم على بيان موضوع السورة، أو موضوعاتها قبل البدء في عملية تفسير آياتها، ومعانيها، وقد صرح بذلك في مقدمة تفسيره حين عرض منهجه في التفسير، فأشار إلى أنه لا يتناول سورة من سور القرآن إلا بعد أن يقف على معانيها الإجمالية ومقاصدها وموضوعاتها الفرعية التي تتألف منها، حيث جعل لنفسه هذا المنهج خطأ لا يجيد عنه، حتى لا يبدو عمله متتبعا للجزئيات والتفصيلات ومهملا القضايا العامة المشتركة، ذلك أن كثيرا من أشكال الانسجام في الخطاب القرآني متأتية من تلك الصورة الإجمالية والشاملة التي يمكن أن تنتظم فيها موضوعاته وقضاياها، وبهذا يكون إغفال النظرة الكلية للنص عاملا في عدم القدرة على القبض على انسجامه، وضبط مواطن الروعة فيه، وفي هذا يقول ابن عاشور: " ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته، ومعاني جملة كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه ورائع جماله"<sup>1</sup>.

هذا التصريح الواضح من ابن عاشور يبين أنه لم يتوقف عند القضايا الصغرى والبنيات البسيطة ممثلة في الآيات والجمل القرآنية، وإنما بحث أيضا الموضوعات التي تجمع هذه البنيات الصغرى، لأن عملية البحث هذه تسهم في إبراز انسجام النصوص، وبهذا يبدي المفسر وعيا مسبقا بموضوع الخطاب ودوره في تحقيق الانسجام النصي، وبالتالي يمكن أن يصنّف ضمن تلك الإشارات التي تنبئ بوعي علمائنا بقضايا النص المعاصرة. ومن أجل الوقوف على هذا المفهوم عند ابن عاشور وتوظيفه في إثبات الانسجام النصي في القرآن سنقف عند نموذجين للتحليل هما سورة البقرة وسورة آل عمران<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 08.

<sup>2</sup> الهدف من هذا التحليل هو إبراز الكيفية التي قسم بها ابن عاشور موضوعات السورة القرآنية، ومن أجل ذلك اكتفينا بسورتي البقرة وآل عمران، لأن الهدف هو إبراز المنهج والطريقة، وليس تفصيل موضوعات كل السور، ثم إن ابن عاشور قد اتبع نفس المنهج في كل السور واستنتج نفس آليات الربط بين الموضوعات، وبالتالي يصبح ذكر موضوعات كل سور المدونة ضربا من الحشو الذي ابتعد عنه البحث.

## 2-1- موضوعات سورة البقرة:

دأب ابن عاشور في تفسيره لسور القرآن أن يتبع منهجية ثابتة سار عليها في كل محطات تفسيره تقريبا؛ حيث ينطلق من بيان اسم السورة أو أسمائها مستندا في ذلك إلى مختلف المرويات الثابتة عن رسول الله (ﷺ)، وعن السلف، ومبينا في الوقت ذاته العلاقة بين أسماء السورة المتعددة بحسب الروايات وبين محتوياتها وأغراضها، وهو ما يحيلنا مباشرة إلى أحد أهم مبادئ الانسجام في النظرية النصية الحديثة وهو مبدأ التغريض<sup>1</sup>، الذي يقوم مفهومه تقريبا على ضرورة إيجاد علاقة ما بوجه من الوجوه بين عنوان النص ومحتواه، وهو ما جهد ابن عاشور في إبرازه وتوضيحه.

لا يقف المفسر عند هذا الحد فقط بل ينتقل بعدها إلى إبراز مكان نزول السورة وتصنيفها أمدينية هي أم مكية؟ مستعينا في ذلك بآليات السياق المقامي في مدونة علوم القرآن والتفسير، وعلى رأسها علم المكي والمدني، وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، ولا يفوت الفرصة كذلك فيذكر تاريخ نزولها وأسباب ذلك، ليخلص بعد ذلك إلى إبراز ترتيبها النزولي، وترتيبها في المصحف الشريف واعيا باختلاف ترتيب النزول عن ترتيب التلاوة، ثم يبين عدد آيات السورة والاختلاف فيها بين قراء الأمصار، ثم ينتقل بعدها إلى إبراز موضوعات السورة ومحتوياتها الإجمالية، وهذا كله قبل الانطلاق في تتبع الخطي لآيات السورة وجملها ومفرداتها.

لم يشذ ابن عاشور في سورة البقرة عن هذا المنهج حيث انطلق من أسماء السورة والمرويات التاريخية والأحاديث التي تذكر هذا الأمر؛ فذكر حديث المصطفى (ﷺ) في ذلك " ورد في الصحيح أن النبي (ﷺ) قال: من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه، وفيه عن عائشة لما نزلت الآيات من آخر البقرة في الربا قرأهن رسول الله ثم قام فحرم التجارة في الخمر"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> يشير التغريض في أبسط مفاهيمه إلى العلاقة الوطيدة بين عنوان النص ومحتواه.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 201.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

ثم ذكر وجه تسميتها بهذا الاسم؛ ذلك أنها سميت بهذا الاسم لورود قصة البقرة فيها، وهي القصة التي انفردت بها هذه السورة كما ذهب إليه أغلب المفسرين، وقد كان لابن عاشور رأي مخالف في هذا الشأن "وعندي أنها أضيفت إلى قصة البقرة تمييزاً لها عن السور آل ألم من الحروف المقطعة لأنهم كانوا ربما جعلوا تلك الحروف المقطعة أسماء للسور الواقعة هي فيها وعرفوها به نحو : طه يس وص"<sup>1</sup>.

وأما مكان نزول السورة فإنها عنده من أول ما نزل بالمدينة بالاتفاق، وهذا الحكم إنما بلغه من خلال بعض الاستنتاجات التي استخلصها، والتي منها أن السورة فيها فرض الصيام، وقد فرض في السنة الأولى للهجرة، وفرض صوم رمضان في السنة الثانية، فتكون بالتالي السورة قد نزلت في السنة الأولى من الهجرة في أواخرها أو في السنة الثانية، وقد استند أيضاً إلى حديث عائشة الذي رواه البخاري وقد جاء فيه: " ما نزلت سورة البقرة إلا وأنا عنده" وقد كان بناء النبي (ﷺ) بها في أول السنة الثانية، فيكون نزولها منطقياً بعد هذا التاريخ، كما استند أيضاً إلى بعض الأحكام الواردة في السورة، على غرار الحج والعمرة والقتال مع المشركين في الشهر الحرام والبلد الحرام وغيرها من التشريعات التي اتفق على نزولها بالمدينة<sup>2</sup>.

إن هذا الاستقصاء يبين لنا بشكل جليّ كيف وظف ابن عاشور آليات السياق المختلفة في بيان وجه التسمية ومكان نزول السورة وتاريخها، وهي وغيرها ملابسات مهمة لتقديم صورة منسجمة للنص القرآني، وتقديم فهم أمثل للأحكام التشريعية الواردة فيه.

أما ترتيب السورة تاريخياً أي ترتيب نزولها فقد عدّها السورة السابعة والثمانين ، وأما ترتيب التلاوة فهي ثانية بعد الفاتحة قبل آل عمران، ويبلغ تعداد آياتها "مائتان وخمس وثمانون آية عند أهل العدد بالمدينة ومكة والشام، وست وثمانون عند أهل العدد بالكوفة وسبع وثمانون عند أهل العدد بالبصرة"<sup>3</sup>.

وأغراض السورة عنده كثيرة ومتزامية وهو ما يبرر تسميتها "فسطاط القرآن"؛ حيث تتعدد موضوعاتها إلى الحد الذي يصعب معه تحديدها كلها، إلا أن ابن عاشور يرى أنه يمكن أن نقسمها إلى قسمين كبيرين؛ يمثل القسم

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 201.

<sup>2</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 201، 202.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 202.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

الأول الموضوعات التي تهدف إلى إثبات سمو الدين ورفعته على غيره من الديانات، ويمثل القسم الثاني الموضوعات التي تهدف إلى بيان شرائع الدين لمعتقيه وأتباعه، وفي هذا الشأن يقول: "ومعظم أغراضها تنقسم إلى قسمين: قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه، وعلو هديه وأصول تطهير النفوس، وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعاتهم"<sup>1</sup>، ثم ختمت السورة بعدها بدعاء يتضمن خصائص الشريعة الإسلامية فكان هذا الدعاء بمثابة تذييل وفذلكة وحوصلة للقسمين السابقين.

إن هذا التقسيم يكشف لنا عن كيفية صنع انسجام السورة، التي لعب فيها المتلقي (المفسر) دورا واضحا في صنعه، وهي القضية التي تذكرنا بصنيع كل من براون ويول (G brown. G yule) في تعويلهما على المتلقي في الحكم على نص ما بكونه منسجما أو غير منسجم<sup>2</sup>.

وإذا عدنا إلى هذين القسمين الكبيرين اللذين تتشكل منهما سورة البقرة، فإننا نجد تحت كل منهما مجموعة من الموضوعات تقع تحت أحد هذين القسمين؛ أي إما تثبت سمو الدين وفضله على غيره من الديانات السابقة، أو تبين شرائعه وأحكامه لمريديه ومعتقيه؛ فأما موضوعات القسم الأول فقد استهلها سبحانه وتعالى بتحدّي العرب إجماليا من خلال حروف التهجي (ألم)، هذا التحدي كان بهدف لفت انتباههم إلى ما سيأتي بعده من بيان مقصده من وراء هذا القول، وفي هذا يقول ابن عاشور: "ويحضر من أغراضها أنها ابتدأت بالرمز إلى تحدي العرب المعاندين تحديا إجماليا بحروف التهجي المفتوح بها، رمزا يقتضي استشرافهم لما يرد بعده، وانتظارهم لبيان مقصده"<sup>3</sup>، فهذه هي البنية الخطائية الأولى في سورة البقرة والتي تم الافتتاح بها، ثم انتقل بعدها إلى الموضوع الثاني المتمثل في التنويه بشأن القرآن وهديه، وفي هذا يقول: "فأعقب بالتنويه بشأن القرآن فتحول الرمز إيماء إلى بعض المقصود من ذلك الرمز له أشد وقع على أنفسهم، فتبقى في انتظار ما يتعقبه من صريح التعجيز الذي سيأتي بعد قوله: ﴿وَإِنْ

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 203.

<sup>2</sup> لمزيد من التفصيل في هذه القضية يرجى العودة إلى الفصل الثالث من البحث الخاص بآليات الانسجام في الدراسات الغربية.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 203.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

كُنْتُمْ فِي رَبِّ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴿١﴾ الآيات، فعدل بهم إلى ذات جهة التنويه بفائق صدق هذا الكتاب وهدية<sup>1</sup>.

ثم انتقل بعدها إلى تصنيف الناس إثر تلقيهم للكتاب واقتناعهم به، وقد قسمهم إلى أربعة أصناف، وكانوا قبل الهجرة صنفين (المسلمين والمشركين)، وذلك بسبب اتساع رقعة الدين، ليضم كلا من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، إضافة إلى فئة المنافقين.

ولما كانت فئة المؤمنين والمسلمين أكثر الفئات انتفاعا بالكتاب، وأكثر الفرق التي كان موقفها إيجابيا منه، فإنه قد فصل في أحوالهم، ثم انتقل إلى المشركين والمنافقين، فجمعهما في فئة واحدة، وأكثر التفصيل في فئة المنافقين منهم تشويها لحالهم، وبيانا لسوء فعالهم، ثم انتقل إلى موضوع آخر وهو دعوة المنصفين منهم إلى عبادة الله وحده، ليخلص بعدها إلى ذكر الخلق وصفته، وتفضيل الإنسان على غيره، وفي هذا يقول ابن عاشور: "تخلص إلى صفة بدء خلق الإنسان فإن في ذلك تذكيرا لهم بالخلق الأول قبل أن توجد أصنامهم التي يزعمونها من صالح قوم نوح، ومن بعدهم، ومئة على النوع بتفضيل أصلهم على مخلوقات هذا العالم، وبمزيته بعلم ما لم يعلمه أهل الملاء الأعلى، وكيف نشأت عداوة الشيطان له ولنسله"<sup>2</sup>.

ثم عاد بعدها إلى التفصيل في الفريق الرابع السابق (أهل الكتاب) وذلك بعد أن ذكر المؤمنين وموقفهم من الكتاب، وجمع المشركين والمنافقين معهم، فيعود الآن إلى الحديث عن أهل الكتاب وخاصة بني إسرائيل منهم باعتبارهم أشد الناس عداوة للإسلام مع علمهم أنه الحق، وفي هذا يقول: "فهذه المنة التي شملت كل الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها كانت مناسبة للتخلص إلى منة عظمتها تخص الفريق الرابع وهم أهل الكتاب الذين هم أشد الناس مقاومة لهدي القرآن، وأنفذ الفرق قولاً في عامة العرب"<sup>3</sup>، فدكرهم بنعم الله المزجاة إليهم، وذكر أيضا قصصهم مع موسى عليه السلام، ثم دكرهم بمواقفهم المخزية من الأنبياء الذين جاؤوا من بعد موسى، إلى أن جاء الإسلام فيبين أخطاءهم، وصور شنيع أفعالهم كالسحر، والتعلق بالحياة وغيرها، ثم بعدها جمع أهل الكتاب معا

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ج1، ص203.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص204.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج1، ص204.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

(اليهود والنصارى)، وبين حسدهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين ، وكذا اختلافهم فيما بينهم، وادعاء كل فريق منهم أنه على حق، ولكنه يشير إلى أن المولى عز وجل اعتبر المشركين أشد الأصناف ظلماً لأنهم منعوا المسلمين من المسجد الحرام.

وقد كان هذا الأمر-أي ذكر منع المشركين المسلمين من المسجد الحرام- مناسبة للانتقال إلى موضوع آخر ضمن هذا القسم، وهو التذكير بفضل المسجد الحرام، وإبراهيم الذي بناه، وفضل دعوته لذريته حيث يقول ابن عاشور: "وانتقل بهذه المناسبة إلى فضائل المسجد الحرام وبانيه، ودعوته لذريته بالهدى والاحتراز في إجابتها عن الذين كفروا منهم، وأن الإسلام على أساس ملة إبراهيم وهو التوحيد، وأن اليهودية والنصرانية ليستا ملة إبراهيم، وأن من ذلك الرجوع إلى استقبال الكعبة (...). وإبكات أهل الكتاب في طعنهم على تحويل القبلة، وأن العناية بتزيك النفوس أجدر من العناية باستقبال الجهات (...). وذكروا بنسخ الشرائع لصالح الأمم، وأنه لا بدع في نسخ شريعة التوراة والإنجيل بما هو خير منهما"<sup>1</sup>، ليعود بعدها إلى الغرض الأخير في هذا القسم، وهو محاجة المشركين في قضايا متعددة منها خلق السماوات والأرض، ويوم يتبرأون فيه من قادتهم وأمرائهم وغيرها من أشكال حجاج المشركين وفي هذا الشأن يقول ابن عاشور: "ثم عاد إلى محاجة المشركين بالاستدلال بآثار صنعة الله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِيَافِ اللَّيْلِ﴾ إخل ومحاجة المشركين في يوم يتبرأون فيه من قادتهم، وإبطال مزاعم دين الفريقين في محرمات من الأكل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ، وقد كمل ذلك بذكر صنف من الناس قليل وهم المشركون الذين لم يظهروا الإسلام ولكنهم أظهروا مودة المسلمين ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾"<sup>2</sup>.

وبهذا الشكل تكتمل موضوعات القسم الأول الخاص بإبراز سمو دين الإسلام وفضله على غيره من الديانات والكتب السماوية، لينتقل بعدها إلى القسم الثاني الخاص بإبراز تشريعات الإسلام لمعتنقيه ومريديه ، والتي ذكرها المولى عز وجل إجمالاً في قوله ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ الآية، ثم

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 205.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 205.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

جاء بعدها التفصيل في كثير من الموضوعات المتعلقة بتنظيم الحياة اليومية للمسلمين، والتي تنظم أمور اجتماعهم وانتظامهم كمجتمع إسلامي.

فذكر على رأس هذه الأحكام والتشريعات القصاص وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: 178] ، وأحكام الصيام التي عبر عنها بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، وأحكام الحج في قوله تعالى: ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 197] والجهاد: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 191] ، وغيرها من الأحكام التي أجملها ابن عاشور في قوله: "ولما قضى حق ذلك كله بأبداع بيان وأوضح برهان، انتقل إلى قسم تشريعات الإسلام إجمالاً بقوله ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ثم تفصيلاً: القصاص، والوصية، الصيام، الاعتكاف، الحج، الجهاد نظام المعاشرة والعائلة، المعاملات المالية، والانفاق في سبيل الله، والصدقات والمسكرات واليتامى والموارث والبيوع والربا والديون والإشهاد والرهن والنكاح، وأحكام النساء والعدة والطلاق والرضاع والنفقات والأيمان"<sup>1</sup>، وهي موضوعات - كما نرى - تصب في الجانب التشريعي الذي يهدف إلى بناء المجتمع الإسلامي المتكامل الذي تُحفظ فيه الحقوق، وتُؤدَّى فيه الواجبات، وييسط فيه العدل والمساواة.

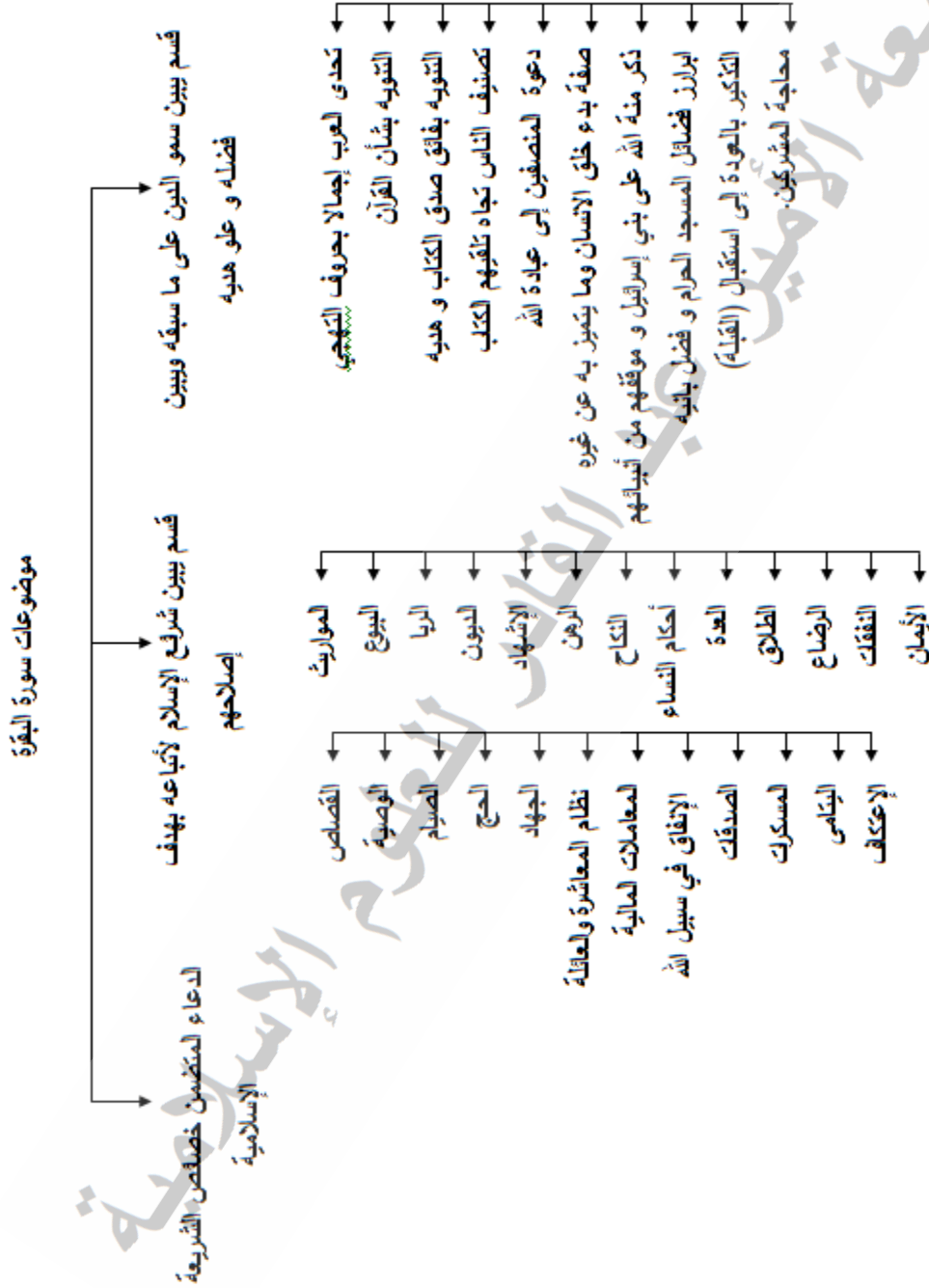
وبعد الانتهاء من هذين القسمين الكبيرين؛ أي بيان سمو الدين وفضله، وبين تشريعاته وأحكامه، نجد البنية النصية الأخيرة المتمثلة في الدعاء المتضمن خصائص الشريعة الإسلامية كما يرى ابن عاشور، فكانت علاقته بالموضوعات السابقة والقسمين المذكورين، بمثابة حوصلة وتقرير وتوكيد لها، "وختمت السورة بالدعاء المتضمن لخصائص الشريعة الإسلامية، وذلك من جوامع الكلم، فكان هذا الختام تذييلاً وفذلحة ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 205.

الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور

الأرض وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ ﴿ الآيات<sup>1</sup> ويمكن أن نوضح انتظام موضوعات سورة البقرة وفق المخطط

الآتي:



المخطط رقم 12: يبين موضوعات سورة البقرة

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 205.



## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

إن الذي يهمننا من خلال هذا العرض لموضوعات سورة البقرة أمران أساسيان أشار إليهما ابن عاشور في معرض تقديمه لهذه الموضوعات؛ فأما الأمر الأول - وهو الأهم -: فهو كيف انتظمت هذه الموضوعات على اختلافها، وتباين بعضها مع بعض؟ فيأتي الجواب سهلا من لدن ابن عاشور حين يبين كيفية اجتماع موضوعات السورة المختلفة فيقول: "هذه السورة مترامية أطرافها وأساليبيها ذات أفنان، قد جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقا لتلقيبها "فسطاط القرآن"، فلا تستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان، وعلى الناظر أن يتقرب تفاصيل منها فيما يأتي لنا في تفسيرها، ولكن هذا لا يحجم بنا عن التعرض إلى لائحات منها وقد حيكت بنسج المناسبات، والاعتبارات البلاغية من لحمة محكمة في نظم الكلام، وسدى متين من فصاحة الكلمات"<sup>1</sup>؛ فيبدو لنا جليا الآليتان الأساسيتان اللتان اعتمدهما ابن عاشور في تبرير اجتماع موضوعات هذه السورة، رغم تباينها واختلافها، وهما آلية المناسبة، والآليات البلاغية المختلفة، وهو ما لا يبدو غريبا عن ابن عاشور الذي اهتم بهذين الأمرين اهتماما بالغا؛ أي علم المناسبة وفنون البلاغة، حتى غدّ تفسيره من أكثر التفاسير عناية بهما، ولن نفصل أكثر في الآليتين في هذا الموضع لأننا سنترك ذلك لمناسبة لاحقة بعد ذكر موضوعات سورة آل عمران حتى يكون عملنا شاملا .

أما الأمر الثاني فهو إشارة ابن عاشور إلى أن السورة لم تشتمل فقط على الموضوعات التي ذكرنا، لأنها سورة مترامية الأطراف وموضوعاتها متعددة، ومن أجل ذلك ركّز ابن عاشور على أهمها والتي شغلت حيزا معتبرا في السورة، أما الأغراض الثانوية فقد كانت متخللة بين الأغراض الرئيسية في شكل استطرادات واعتراضات بهدف تنشيط ذهن السامع/ المتلقي، وقد شبه ابن عاشور ورود هذه الأغراض الثانوية ببزوغ شمس مشرقة بعد مطر غزير، أو بروز زهر النبات بعد الرعود الشديدة، وفي هذا الشأن يقول: "كما يسفر وجه الشمس إثر نزول الغيوث الهوامع، وتخرج بوادر الزهر عقب الرعود القوارع"<sup>2</sup>، ومن صورة هذه الموضوعات الجزئية التي لم يذكرها ابن عاشور في تقديمه

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 203.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 205.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

المجمل مثلا صفات المولى عز وجل المتخللة بين الموضوعات الكبرى، وكذلك ذكر بعض الأمثال والقصص وغيره، إذ تتخلل بين الفينة والأخرى الأغراض الأساسية تنشيطا للمتلقي، أو تذكيرا له .

### 2-2- موضوعات سورة آل عمران:

لم يشذ ابن عاشور عن منهجه الذي سطره في تفسيره حين وصل إلى تفسير سورة آل عمران؛ إذ إننا نجد يبدأ أولا باسمها واختلاف المرويات في ذلك فذكر من أسمائها: الأمان، والمجادلة، والكنز، وسورة الاستغفار والزهراء، وأشهر أسمائها آل عمران، ووجه تسميتها بذلك "أنها ذكرت فضائل آل عمران وهو عمران بن ماثان أبو مريم، وآله هم زوجه حنة وأختها زوجة زكرياء النبي، وزكرياء كافل مريم، إذ كان أبوها عمران توفي وتركها حملا، فكفلها زوج خالتها"<sup>1</sup>.

وقد استعان ابن عاشور بالأحداث التاريخية والمرويات المختلفة في تصنيف السورة مكية أم مدنية؟ فذكر أنها مدنية بالاتفاق، وقد نزلت بعد سورة البقرة "فقبل إنها ثانية لسورة البقرة، على أن البقرة أول سورة نزلت بالمدينة، وقيل نزلت بالمدينة سورة المطففين أولا، ثم البقرة، ثم نزلت آل عمران"<sup>2</sup>.

أما أسباب نزول هذه السورة فقد اختلفت باختلاف الآيات التي تشتمل عليها السورة، وهذا الأمر تابع للاختلاف في تاريخ نزولها "وذكر الواحدي في أسباب النزول عن المفسرين أن أول هذه السورة إلى قوله ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ نزل بسبب وفد نجران، وهو وفد السيد والعاقب، أي سنة اثنتين للهجرة، ومن العلماء من قالوا نزلت سورة آل عمران بعد سورة الأنفال وكان نزولها في وقعة أحد"<sup>3</sup>.

إن هذا الكلام الصادر عن ابن عاشور والخاص بتاريخ نزول السور القرآنية يحيلنا إلى قضية مهمة في بحث موضوع الانسجام في النص القرآني، وهي قضية اختلاف وتباعد فترات التنزيل بين آيات السورة الواحدة، ثم اجتماعها بعضها مع بعض في التلاوة، فتبدو منسجمة مترابطة على الرغم من اختلاف أسباب نزولها، وفترات النزول، ونزول آيات من سور أخرى في الوقت الذي لم تكتمل فيه السورة المقصودة، وهي الفكرة التي ألمح إليها ابن

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص 143.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج3، ص 143.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج3، ص 144.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

عاشور إذ يقول: "إننا بيننا إمكان تقارب نزول سور عدّة في مدّة واحدة فليس معنى قولهم نزلت سورة كذا بعد سورة كذا مرادا منه أن المعدودة نازلة بعد أخرى أنّها ابتدئ نزولها بعد انتهاء نزول الأخرى، بل المراد أنّها ابتدئ نزولها بعد ابتداء نزول التي سبقتها"<sup>1</sup>.

قد استغل بعض الطاعنين في نصية القرآن هذه القضية -أي عدم تتابع نزول آيات السورة الواحدة واختلاف أسباب النزول- للقول بعدم وجود ائتلاف بين الآيات القرآنية، وقد سماها بعضهم "نظرية تشتت النزول" والتي قد تتجلى في ثلاثة صور: التداخل والشقبة والإيلاج<sup>2</sup>:

فأما التداخل فيعني نزول آيات في سورة ما في فترة نزول سورة أخرى، ومثال ذلك سورة البقرة عند من يرى أن في أواخرها من نزل بعد أوائلها ببضع سنوات، وأثناء ذلك نزلت سور وآيات من سور أخرى، والشيء نفسه بالنسبة لسورة آل عمران بالوجه الذي قدّمنا سابقا، وأما الشقبة فتعني نزول آيات متأخرة في التلاوة قبل آيات متقدمة في التلاوة في نفس السورة، كما هو الشأن في سورة العنكبوت عند من يرى أن أوائلها نزل في المدينة بعد نزول السورة بمكة ببضع سنوات، وأما الإيلاج فمعناه نزول آية أو شطر آية بشكل منفصل، ثم إيلاجه ضمن سياق آيات نازلة قبلا وبعدا. وهذا بلا شك قد ينبهنا إلى قضية الاختلاف بين ترتيب التلاوة وترتيب النزول، ويجعل مهمة الباحث أكثر صعوبة في بحث الآليات التي اجتمعت بها آيات ومواضيع السور، وهي المهمة التي تكفل بها ابن عاشور من خلال علم المناسبة، ومجموعة من آليات البلاغة على النحو الذي ذكرناه سابقا، والذي نفصل فيه بعد بيان موضوعات سورة آل عمران.

وبالعودة إلى موضوعات السورة فقد أجمّلها ابن عاشور في التنويه بالقرآن الكريم ومحمد (ﷺ)، وتقسيم آيات القرآن ومراتب الأفهام في تلقيه، والتنويه بفضيلة الإسلام، وأنه لا يعدله دين، وأنه لا يُقبل دين عند الله بعد ظهور الإسلام غير الإسلام، والتنويه بالتوراة والإنجيل، والإيماء إلى أنّهما أنزلا قبل القرآن تمهيدا لهذا الدين فلا يحق للناس أن يكفروا به، وعلى التعريف بدلائل إلهية الله تعالى، وإبطال ضلالة الذين اتخذوا آلهة من دون الله: من جعلوا له

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج3، ص 144،

<sup>2</sup> ينظر: مجّد هلال: ترتيب نزول القرآن، دار البياقوت للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009م، ج1، ص23.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

شركاء، أو اتخذوا له أبناء، وتهديد المشركين بأن أمرهم إلى زوال، وألا يغرمهم ما هم فيه من البذخ، وأن ما أعدّ للمؤمنين خير من ذلك، وتهديدهم بزوال سلطاتهم، ثم الثناء على عيسى عليه السلام وآل بيته، وذكر معجزة ظهوره، وأنه مخلوق الله وذكر الذين آمنوا به حقاً، وإبطال إلهية عيسى، ومن ثم أفضى إلى قضية وفد نجران ولجائتهم، ومحاجة أهل الكتابين في حقيقة الحنيفية وأنهم بعداء عنها، وما أخذ الله من العهد على الرسل كلهم: أن يؤمنوا بالرسول الخاتم، وأن الله جعل الكعبة البيت أول بيت وضع للناس، وقد أعاد إليه الدين الحنيف كما ابتدأه فيه، وأوجب حجه على المؤمنين، وأظهر ضلالات اليهود وسوء مقالته، وافترائهم في دينهم وكنماتهم ما أنزل إليهم. وذكر المسلمين بنعمته عليهم بدين الإسلام وأمرهم بالاتحاد والوفاق، وذكرهم بسابق سوء حالهم في الجاهلية، وهون عليهم تظاهر معانديهم من أهل الكتاب والمشركين، وذكرهم بالحذر من كيدهم وكيد الذين أظهروا الإسلام، ثم عادوا إلى الكفر فكانوا مثلاً لتمييز الخبيث من الطيب، وأمرهم بالاعتزاز بأنفسهم والصبر على تلقي الشدائد والبلاء، وأذى العدو، ووعدهم على ذلك بالنصر والتأييد وإلقاء الرعب منه في نفوس عدوهم، ثم ذكرهم بيوم أحد ويوم بدر، وضرب لهم الأمثال بما حصل فيهما، ونوه بشأن الشهداء من المسلمين، وأمر المسلمين بفضائل الأعمال: من بذل المال في مواساة الأمة، والإحسان وفضائل الأعمال، وترك البخل، ومذمة الربا، وختمت السورة بآيات التفكير في ملكوت الله<sup>1</sup>، ويمكن أن نوضح هذه الموضوعات من خلال الشكل الآتي:

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص145.



## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

وينبغي أن نشير في هذا الموضوع كذلك إلى أن السورة لا تشتمل على هذه الموضوعات فحسب، وإنما هناك موضوعات ثانوية هي عبارته عن إشارات - كما أسلفنا - بهدف لفت انتباه القارئ السامع في النص القرآني، تكون بين ثنايا هذه الموضوعات الكبرى، وتأتي على شكل استطرادات، واعتراضات، ومن أجل ذلك لم يذكرها ابن عاشور في الصورة الإجمالية للسورة، وموضوعاتها الكبرى.

### 2-3- كيف تم الربط بين موضوعات السور القرآنية:

قد لفت ابن عاشور انتباه القارئ في معرض تقديمه لسورة البقرة إلى الطريقة التي بها يتم الربط بين موضوعات السورة التي قد يبدو بين بعضها عدم التلاؤم، ذلك أن الانتقال من موضوع إلى آخر قد يوهم بالانقطاع الدلالي في السورة، وهو ما جهد ابن عاشور نفسه في نفيه في تفسيره من خلال توظيفه لمجموعة من الآليات صرح ببعضها في قوله: "وقد حيكت بنسج المناسبات، والاعتبارات البلاغية من لحمة محكمة في نظم الكلام، وسدى متين من فصاحة الكلمات"<sup>1</sup>.

وإذا انطلقنا من هذه النقطة بالذات - أي اختلاف الموضوعات في السورة الواحدة - وأضفنا إليها عاملاً آخر وهو تباعد فترات التنزيل بين بعض آيات السورة الواحدة، واختلاف ترتيب التلاوة عن ترتيب النزول، فإن الباب سيفتح على مصراعيه للتساؤل عن كيفية اجتماع مثل هذه الآيات المتباعدة زمنياً، والمختلفة في موضوعاتها ضمن السورة الواحدة.

إن هذين الأمرين كفيلاً بطرح التساؤل عن الترابط في النص القرآني، أي تعدد الأغراض واختلاف فترات التنزيل، ذلك أن كليهما قد يوهم بالانقطاع الدلالي في النص القرآني، وهو ما جهد ابن عاشور نفسه في نفيه، وإثبات ضده من خلال توظيفه لبعض الآليات الدلالية والبلاغية والتداولية (أسباب النزول، والمكي والمدني)، في سبيل إثبات عكس ذلك.

ومن أجل الوقوف على الكيفية التي وضّح بها انتظام موضوعات السور القرآنية نقف عند صنيعة في سورتي آل عمران والبقرة، حيث يبدو جلياً استعانته ببعض المفاهيم والآليات البلاغية وعلى رأسها رد العجز على الصدر،

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 203.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

والتخلص، والتذييل، بالإضافة إلى المناسبة، وهي مفاهيم تسمح "بالتحرك في سياقات السورة الواسعة"<sup>1</sup>، ومن أجل توضيح ذلك نقف عند بعض هذه الآليات:

### أ- التخلص:

التخلص أو حسن التخلص أو براعة التخلص من فنون البلاغة التي تعبر عن إجادة صاحبها لأفانين الكلام العربي، وهو يعني "أن ينتقل الشاعر أو الناثر من فن من فنون الكلام إلى فن آخر، أو من موضوع إلى موضوع آخر بأسلوب حسن مستطاب غير مستنكر في النفوس ولا في الألباب، وأحسنه ما لا يشعر المتلقي معه بالانتقال لما أحدثه التمهيد المتدرج من تلاؤم، أو لحسن اختيار المفصل الذي حصل عنده الانتقال، أو لغير ذلك كاستغلال تقارب الأشباه والنظائر بعضها من بعض"<sup>2</sup>، وهو في النثر "أسهل منه في النظم، لأن الناظم يراعي الوزن والقافية"<sup>3</sup>، وفي كلا الفنين يعد من وسائل الترابط في النص نظماً كان أم نثراً "وهو من محاسن القول وأحد معالم الارتباط بين أبيات القصيدة"<sup>4</sup>، أو بين أجزاء النص بصفة عامة.

وأول من ذكره هو ابن المعتز (ت 296 هـ) وسماه "حسن الخروج من معنى إلى معنى" وعدّه من محاسن الكلام، وسماه أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) "الخروج من النسب إلى المدح"، وسماه ابن رشيق القيرواني (ت 456 هـ) "الخروج أحياناً، و"التخلص" أحياناً أخرى، وسماه ابن الأصبغ المصري (ت 654 هـ) "براعة التخلص"، وسماه السجلماسي (ت 704 هـ) "بالخروج"<sup>5</sup>.

ومهما يكن من الاختلاف في الاصطلاح، فإن البلاغيين يشيرون به ذلك الانتقال السلس من موضوع إلى آخر، ومن غرض إلى غرض في النص، انتقالاً لا يحس به المتلقي، ولا يجعله ينتبه إليه، وكأن الكلام متصل بعضه ببعض كأجزاء الماء العذب المسكوب لا تنقطع، وهو ما أراده ابن الأثير (ت 637 هـ) في حديثه عن هذا المحسن "وأما التخلص فهو أن يأخذ المؤلف الكلام في معنى من المعاني فبينما هو فيه، إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل

<sup>1</sup> مفتاح بن عروس: المرجع السابق، ص 421.

<sup>2</sup> عبد الرحمن حسن حبنكة: المرجع السابق، ص 561.

<sup>3</sup> بدوي طبانة: المرجع السابق، ص 202.

<sup>4</sup> إنعام عكاوي: المرجع السابق، ص 264.

<sup>5</sup> ينظر: إبراهيم محمد علان: البديع في القرآن، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط1، 2002، ص 359.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

الأول سببا إليه، فيكون بعضه آخذا بقراب بعض، من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفرغا<sup>1</sup>.

وأمثله في القرآن كثيرة لا تعد ولا تحصى، وقد عدّه دارسو الإعجاز القرآني وجها من وجوه الإعجاز فيه، وبهذا أقر ابن أبي الأصبغ المصري (ت 654 هـ) حيث يقول: "وذهب أصحاب الإعجاز إلى أنه وجه الإعجاز، وهو دقيق في عين الغبي، خفي يخفى على غير الحذاق من ذوي النقد، وهو مبثوث في الكتاب العزيز من أوله إلى آخره، فإنك تقف من الكتاب العزيز على مواضع تجدها في الظاهر فصولا متناثرة لا تعرف كيف تجمع بينها، فإذا أنعمت النظر، وكنت ممن له درية بهذه الصناعة ظهر لك الجمع بينها"<sup>2</sup>.

ولعل هذا المفهوم هو ما يتطابق فعلا مع ما نبحت عنه في هذا الباب، إذ إننا نبحت عن آليات الانتقال السلس من موضوع إلى آخر في النص القرآني الذي قد تبدو ظاهريا مواضيعه عبارة عن فصول متناثرة مبعثرة، لا يجمع بينها جامع، وقد يغذي هذه الفكرة ما أشرنا إليه سابقا من اختلاف الموضوعات، وتباعد فترات التنزيل واختلاف ترتيب النزول عن ترتيب التلاوة، لكن هذه الآلية البلاغية قد تتيح للفظن المعتاد على كلام العرب والكلام البليغ من القرآن والحديث النبوي، أن يستكشف الارتباط الوثيق بين الموضوعات القرآنية، والانتقال السلس من موضوع إلى آخر، وكأن الموضوع يفضي بك إلى غيره إلى أن يبلغ النص منتهاه.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>1</sup> وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا<sup>2</sup> ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا<sup>3</sup> [الإسراء: 1-3] حيث قد يبدو شكليا وظاهريا الانقطاع الدلالي بين معاني الآيات القرآنية، وذلك أنه قد يبدو قوله تعالى: (وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) مباينا تماما لما سبقه، لكن إذا أمعنا النظر، أمكننا إيجاد علاقة بوجه ما تتيح تخلص المولى عز وجل إلى هذا المعنى، وأن بينه وبين ما سبقه علاقة " فقوله ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا﴾<sup>2</sup> [الإسراء: 2] تخلص مما سبق، وبينهما تعلق، فحادثة إسرائ الله بالرسول (ﷺ) إلى بيت المقدس، ومعرجه وعودته إلى مكة أشبه بحادثة إخراج موسى -

<sup>1</sup> ابن الأثير: المرجع السابق، ج 1، ص 121.

<sup>2</sup> ابن أبي الأصبغ المصري: المرجع السابق، ص 433.



## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

عليه السلام- من مصر إلى مدين، ثم إلى الأرض المقدسة، ومعرجه وعودته بعد ذلك إلى فرعون في مصر ليهديه<sup>1</sup>، فإن الصلة -كما نرى- تكمن في تشابه الحالتين؛ أي حالة الرسول (ﷺ)، وحالة النبي موسى عليه السلام الذي خرج من مصر، وأتى مدين وتزوج منهم، وأسرى بأهله فرأى النار، فخطبه ربه وأرسله مرة أخرى إلى فرعون، فهي تقريبا نفس حال الرسول (ﷺ)، أما علاقة كل هذا بقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3] فيجملها ابن أبي الأصبغ المصري (ت 656هـ) بقوله: "فقد كان على بني إسرائيل نعمة عليهم قدما، حيث نجاهم في السفن إذ لو لم ينج أباهم من أبناء نوح لما وجدوا، وأخبرهم أن نوحا كان شكورا وهم ذريته، والولد سرّ أبيه، فيجب أن يكونوا شاكرين كأبيهم"<sup>2</sup>.

ومع علمنا باهتمام ابن عاشور بدقائق البلاغة وفنونها، فإننا نعلم أنه وظّف هذا المفهوم في تبرير التنوع الموضوعاتي في القرآن الكريم، والانتقال من غرض لآخر، حيث يجعل من حسن التلخيص ركيزة في تبرير ذلك "وذكره ابن عاشور في مواضع عديدة من تفسيره وسماه مرة التلخيص، وسماه أخرى حسن التلخيص، ولم يشر إلى أنه من المحسنات كما هي عادته، وإنما اكتفى بقوله: (مع حسن التلخيص) أو (من بديع التلخيص) أو (من أبداع التلخيص)"<sup>3</sup>.

ولكي نقف حقيقة على دور هذا المحسن في تبرير الانتقال الموضوعاتي في سور القرآن، وإيجاد نوع من الصلة بين الآيات القرآنية فإننا نذكر شواهد منه، فمن ذلك توظيفه في تبرير الانتقال من موضوع "الدعوة إلى عبادة الرب سبحانه الذي خلق السماوات والأرض" في سورة البقرة والمجدد في الآيات القرآنية في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21] إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29]، حيث تشكل هذه الآيات في مجملها بنية خطابية واحدة، وغرضا مستقلا يتمثل في الدعوة إلى عبادة الله وحده الذي خلق السماوات والأرض، وأنعم على الناس بها، وقد تم الانتقال بعدها إلى الغرض/ الموضوع الموالي والمتمثل في ذكر "صفة الخلق"

<sup>1</sup> إبراهيم محمود علان: المرجع السابق، ص 361.

<sup>2</sup> ابن أبي الأصبغ المصري: المرجع السابق، ص 434.

<sup>3</sup> مراد مزعاش: المرجع السابق، ص 544.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

المجسد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30] إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: 39] ، وهذه الآيات في مجملها تشكل بنية خطابية ثانية، وموضوعا آخر يتمثل في التذكير بقصة الخلق، خلق آدم وبيان فضله على المخلوقات، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو كيف حدث هذا الانتقال؟ وكيف تم الربط بين الموضوعين والبنيتين الخطابيتين اللتين قد يبدو ظاهريا التباين بينهما؟

يأتي الجواب سريعا من ابن عاشور الذي اعتمد المحسن البديعي "حسن التخلص" كوسيلة يبرر بها الانتقال الموضوعاتي، بما يتيح هذا الأخير من ليونة في الانتقال من غرض إلى غرض، وفي هذا السياق يقول ابن عاشور: "عظفت الواو قصة خلق أول البشر على قصة خلق السماوات والأرض انتقالا بهم في الاستدلال على أن الله واحد، وعلى بطلان شركهم، وتخلصا من ذكر خلق السماوات والأرض إلى خلق النوع الذي هو سلطان الأرض والمتصرف في أحوالها، ليجمع بين تعدد الأدلة وبين مختلف حوادث تكوين العوالم وأصولها، ليعلم المسلمون ما علمه أهل الكتاب من العلم الذي كانوا يباهون به العرب، وهو ما في سفر التكوين من التوراة"<sup>1</sup>، فجعل ذكر السماوات والأرض دخلا وسببا في ذكر قصة خلق آدم عليه السلام وذريته ، وذلك للجمع بين أدلة قدرة المولى عز وجل المتمثلة في خلق السماوات والأرض، وبين مختلف حوادث تكوين الكون والمخلوقات.

وتتجلى هذه الآلية أيضا في الانتقال من موضوع "ذكر صفة بدأ الخلق" إلى موضوع "منة المولى عز وجل على بني إسرائيل"؛ أي في الانتقال من البنية الخطابية التي تجمع قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30] إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: 39] التي تشتمل في مجملها على غرض واحد هو ذكر قصة الخلق، وبيان فضل آدم عليه السلام، وبين البنية الخطابية التي تجمع قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30]

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1 ص 395.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

[40] إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: 113]، التي تشتمل في مجملها على غرض واحد وهو ذكر منة المولى عز وجل على بني إسرائيل، وما جابهوا به هذه النعم من الانحراف عن الصراط السوي الذي بلغ حد الكفر، وما كان من أخبارهم مع أنبيائهم موسى وعيسى عليهما السلام إلى أن جاءهم الإسلام.

إن السؤال الذي نبحت عن الإجابة عنه في هذا الموضوع هو كيف تم الانتقال السلس بين الغرضين، وبين البنيتين الخطابيتين؟ فيجيب ابن عاشور أن الأمر قد تم من خلال التخلص وقد عبّر عنه إجمالاً في مقدمة تفسيره للسورة في قوله: "وتخلص إلى صفة بدء خلق الإنسان؛ فإن في ذلك تذكيراً لهم بالخلق الأول قبل أن توجد أصنامهم، التي يزعمونها من صالحى قوم نوح ومن بعدهم، ومنة على النوع بتفضيل أصلهم على مخلوقات هذا العالم، وبمزيتة بعلم ما لا يعلمه أهل الملاء الأعلى، وكيف نشأت عداوة الشيطان له ولنسله، لتهيئة نفوس السامعين لاتهام شهواتها، ومحاسبتها على دعواتها. فهذه المنة التي شملت كل الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها كانت مناسبة للتخلص إلى منة عظمية تخص الفريق الرابع، وهم أهل الكتاب الذين هم أشد الناس مقاومة لهدي القرآن، وأنفذ الفرق قولاً في عامة العرب، لأن أهل الكتاب يومئذ أهل العلم ومظنة اقتداء العامة لهم"<sup>1</sup>، وعبّر عنه بالتفصيل في موضع الآية وموضع الانتقال؛ حين جعل موعظة المشركين في آخر البنية الخطابية السابقة دخلاً، ومناسبة للتخلص إلى ذكر الكافرين من أهل الكتاب - أي بني إسرائيل - وبهذا تم الانتقال السلس من موضوع إلى آخر.

وقد كان الحديث عن هذه الفئة من الناس التي تشكل مع المسلمين والمنافقين والكفار الفرق الأربعة التي تحدث عنها ابن عاشور في مقدمة سورة البقرة، فكان الحديث عن المشركين مناسبة للانتقال إلى الكفار (بني إسرائيل)، وتعليقاً على هذا الانتقال يقول ابن عاشور في موضعه: "انتقال من موعظة المشركين إلى موعظة الكافرين من أهل الكتاب، وبذلك تتم موعظة الفرق المتقدم ذكرها"<sup>2</sup>، وفي هذا الموضوع بالذات يبين ابن عاشور كيفية بناء

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 1، ص 204.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 447.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

السورة، وكيف وصل إلى هذا الموضوع فيقول: " وذلك لأن هذا القرآن جاء ليهدي للتي هي أقوم، فكانت هذه السورة التي هي فسطاطه مشتملة على الغرض الذي جاء لأجله، وقد جاء الوفاء بهذا الغرض على أبداع الأساليب وأكمل وجوه البلاغة، فكانت فاتحتها في التنويه بشأن هذا الكتاب وآثار هديه (...) ووصف في خلال ذلك أحوال الناس اتجاه تلقي هذا الكتاب من مؤمن وكافر ومنافق، بعد ذلك أقبل على أصناف أولئك بالدعوة إلى المقصود (...) ولما قضى ذلك حقه، أقبل بالخطاب هنا على الصنف الثاني وهم أهل الشرائع والكتاب وخص بينهم بني إسرائيل لأنهم أمثل أمة ذات كتاب مشهور في العالم كله"<sup>1</sup>.

أما التلخيص في سورة آل عمران فنجده في الانتقال مثلا من الحديث عن المؤمنين إلى الحديث عن الكفار والمشركين، وتحديدًا في وصف معركتي أحد وبدر وحال كل فريق فيهما ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 152] إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَعِمَ لِكَيْلًا تَحْزِنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: 153] ، وما قبل ذلك من الآيات التي تتحدث عن المؤمنين وطائفة منهم الذين غشاهم النعاس، فكانت هذه المناسبة سبيلا للتخلص إلى ذكر طائفة من المشركين وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: 154] ، وفي هذا الانتقال يقول ابن عاشور: " لما ذكر حال طائفة من المؤمنين تخلص منه لذكر حال طائفة من المقابلة ومن قوله: (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) ومن ترك وصفها "بمنكم" كما وصف الأولى"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> المصدر نفسه: ج1، ص447، 448.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج4، ص134.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

ومنه أيضا التخلص إلى محاجة وفد نجران والذي من أجله نزلت السورة كما أسلفنا في ذكر أسباب نزولها، وفي قول ابن عاشور: "وقد علمت أن سبب نزول هذه السورة قضية وفد نجران من بلاد اليمن"<sup>1</sup>، أي التخلص من تمهيدات السورة إلى حجاج وفد نجران وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 33]، وعلى هذا الأمر نصّ ابن عاشور حيث يقول معلقا على موضع الانتقال: "انتقال من تمهيدات سبب السورة إلى واسطة بين التمهيد والمقصد كطريقة التخلص، فهذا تخلص لمحاجة وفد نجران وقد ذكرناه في أول السورة"<sup>2</sup>.

وبهذا يكون التخلص وسيلة للربط بين الموضوعات "فقد تم ذكر وفد نجران في أول السورة وجاء هذا التخلص ليكون واسطة ورابطة بين ذكرهم وما سيأتي من محاجتهم، فالتخلص إذا واسطة ورابط بين أجزاء أو جزئي الكلام"<sup>3</sup>.

ومن هنا تتضح الوظيفة النصية للتخلص، دوره في ترابط النص، وجمع موضوعاته بعضها ببعض، وقد كان لابن عاشور وعي تام بهذه الآلية التي برر بها كثيرا من الانتقالات التي تبدو للوهلة الأولى مفاجئة، إلا أن الحس البلاغي لابن عاشور وإدراكه للطابع النصي للقرآن الكريم جعلاه يعتمد هذه الآلية وغيرها من أجل تبرير التماسك المطلوب في النص القرآني.

### ب- ردّ العجز على الصدر:

يعد ردّ العجز على الصدر من المحسنات البديعية اللفظية التي يعود فيها الفضل لابن المعتز (ت 296هـ)<sup>4</sup>، إذ يعد الباب الرابع عنده من أبواب البديع<sup>5</sup> ويعني "ردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها"<sup>6</sup> وهو في النثر "أن يجعل

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص145.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج3، ص229.

<sup>3</sup> مراد مزعاش: المرجع السابق، ص544.

<sup>4</sup> إنعام نوال عكاوي: المرجع السابق، ص574.

<sup>5</sup> بدوي طبانة: المرجع السابق، ص241.

<sup>6</sup> إنعام نوال عكاوي: المرجع السابق، ص574.

(الفصل الخامس): دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

المتكلم أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو ما هو ملحق بالمتجانسين في أول الفقرة والآخر في آخرها"<sup>1</sup> ، وأما في الشعر فيعني: " أن يجعل المتكلم أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو ما هو ملحق بالمتجانسين في واحد من الوجوه التالية<sup>2</sup> :

- أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في أول البيت.

- أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في آخر الشطر الأول.

- أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في حشو الشطر الأول.

- أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في أول الشطر الثاني.

وقد سماه ابن رشيق القيرواني (ت 546هـ) والسجلماسي (ت 704 هـ) "بالتصدير"، وسماه ابن منقذ

(ت 584 هـ) "الترديد" ، وسماه ابن المعتز (ت 296هـ) "رد الأعجاز على ما تقدمها"<sup>3</sup>.

ومهما يكمن من أمر فإن رد العجز على الصدر قائم على توزيع الألفاظ والمعاني المتجانسة والمتماثلة في سطح النص توزيعاً يخضع لمنطق ما، وقد سار ابن عاشور في تعامله مع هذا المحسن البديعي على خطى القزويني (ت 682 هـ) وخاصة في حديثه عن هذا المحسن في النثر، وقد عرفه بقوله: " وهو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة، والآخر في آخرها، وفي الشعر أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني"<sup>4</sup> ، وبهذا يكون رد العجز على الصدر في غير الشعر عنده عنده واقعا في اللفظين المكررين أو اللفظين المتجانسين أو الملحقين بهما اشتقاقاً أو شبه اشتقاق، وأن يكون أحدهما في أول الفقرة والآخر في آخرها، وعلى هذا سار ابن عاشور في معالجته لهذا المحسن. وعلى هذا يكون التكرار المنظم عاملاً مهماً في الربط بين البنيات النصية وفق الصورة التي سنراها عند ابن عاشور.

<sup>1</sup> عبد الرحمن حسن حبنكة: المرجع السابق، ص 514.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 515.

<sup>3</sup> ينظر: إبراهيم محمود علان: المرجع السابق، ص 144.

<sup>4</sup> جلال الدين القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط 3، دت، ص 33 .

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

يمكن أن ندرك بسهولة دور المحسن البيعي "رد العجز على الصدر" في إبراز التلاحم بين موضوعات النص القرآني كما تصورها ابن عاشور، الذي ربط مثلا بين الموضوع الأول من سورة البقرة المتمثل في "التحدي"؛ أي تحدي العرب وغيرهم بحروف التهجي في قوله: "ويحضر لنا من أغراضها أنها ابتدئت بالرمز إلى تحدي العرب المعاندين تحديا إجماليا بحروف التهجي المفتوح بها رمزا يقتضي استشرفهم لما يرد بعده ، وانتظارهم لبيان مقصده"<sup>1</sup>، وبين التحدي الصريح الآخر الوارد في نفس السورة؛ أي في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 23] ، حيث يعتبر تحديا لعموم الكافرين والمنافقين، فيعتبر ذكر التحدي هنا بمثابة رد العجز على الصدر، لأن فيه عودة ورجوعا إلى معنى التحدي المفتوحة به السورة ، وقد عبر ابن عاشور صراحة عن هذا الرجوع في بيانه لموضوعات السورة حين قال: "ثم كانت خاتمة ما قرعت به أنوفهم صريح التحدي الذي رمز إليه بدءا تحديا يلجئهم إلى الاستكانة ويجرس ألسنتهم عن التطاول والإبانة، ويلقي في قرارات أنفسهم مذلة الهزيمة وصدق الرسول الذي تحداهم، فكان ذلك من رد العجز على الصدر، فاتسع المجال لدعوة المنصفين إلى عبادة الرب الحق"<sup>2</sup>، وإذا أردنا شيئا من التفصيل قلنا: إن العلاقة بين الموضوع الأول الذي أوما إليه المولى عز وجل في فاتحة السورة، وبين هذا الموضوع المتمثل في التحدي الصريح للكافرين والمنافقين يكمن في الاشتراك في معنى واحد وهو التحدي، وبذلك تم الربط بين الموضوعين اللذين جعلنا محورهما واحدا قائما على التحدي.

ومنه أيضا ما أبرزه ابن عاشور في الربط بين الموضوع الأول في سورة آل عمران الذي هو "التنويه بالقرآن الكريم والتوحيد والرسول ﷺ" في قوله تعالى: ﴿الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: 1-3] ، وبين الموضوع الآخر الذي يتمثل في "التنويه بفضل الإسلام وأنه لا يعدله دين آخر ولا يقبل غيره عند الله في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 18-19]، حيث يعلق ابن عاشور على العلاقة

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج1، ص 203.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج1، ص 203، 204.

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

بين هذين الموضوعين فيقول: "استئناف وتمهيد لقوله (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)؛ ذلك أن أساس الإسلام هو توحيد الله وإعلان هذا التوحيد، وتخليصه من شوائب الإشراك، وفيه تعريض بالمشركين وبالنصارى واليهود، وإن تفاوتوا في مراتب الإشراك، وفيه ضرب من رد العجز على الصدر من قوله (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ - نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ)"<sup>1</sup>.

فكانت وظيفة هذا الرجوع هو التوكيد، وبطبيعة الحال يحصل معه الربط "فقد اعتبر ابن عاشور ما جاء من رد العجز على الصدر هو توكيد لما افتتحت به السورة؛ فقد افتتحت بقوله تعالى (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) وفي هذه الآية إعادة الرجوع إلى الحديث عن وحدانية الله عز وجل في قوله (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) فهذا الرجوع ضرب من رد العجز على الصدر وفيه توكيد ما افتتحت به السورة من كلام"<sup>2</sup>.

وبهذه الصورة تتضح لنا القيمة النصية لهذا المحسن البديعي، الذي عمل على ربط موضوعات النص القرآني، وربط أول السورة بوسطها، ويتضح لنا أيضا إمام المفسر بالآليات التي تتحقق بها نصبة القرآن، من خلال الوقوف على الأدوات التي تحقق الترابط بين آياته وسوره وموضوعاته.

### ج- التذييل:

التذييل في اللغة "من الذيل: آخر كل شيء شيء، وذيل الثوب والإزار: ما جُرَّ منه إذا أسبل، والذيل: ذيل الإزار من الرداء، وهو ما أسبل منه فأصاب الأرض"<sup>3</sup>، وهو في البلاغة: "تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها بعد إتمام الكلام لإفادة التوكيد وتقريراً لحقيقة الكلام، وهو معدود من ضروب الإطناب"<sup>4</sup>، وهو بهذا من المحسنات البديعية المعنوية، وللتذييل صورتان:

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص186.

<sup>2</sup> مراد مزعاش: المرجع السابق، ص 535.

<sup>3</sup> ان منظور: المرجع السابق، ج 11، ص260. مادة (ذيل).

<sup>4</sup> بدوي طبانة: المرجع السابق، ص234.



## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية ومضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

فأما الصورة الأولى فإن يقصد بالجملة الثانية حكما كليا منفصلا عما قبله جارٍ مجرى الأمثال في الاستقلال، وفشو الاستعمال نحو قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81]<sup>1</sup>؛ أي أن يصوغ المتكلم الجملة صياغة الأمثال مع مراعاة المعنى السابق فيزيده قوة وبيانا كما تفعل الأمثال عادة.

وأما الصورة الثانية فضرِب لم يخرج مخرج المثل، ولكن يؤتى به لتوكيد وتحقيق كلام قبله نحو قول عنتر [الكامل]<sup>2</sup>:

ودعوا نزال فكنت أول نازل  
وعلام أركبُه إذا لم أنزل<sup>3</sup>

فالنصف الأخير تذييل حسن مؤكد معنى البيت ومحققه، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الموضع هو كيف يساهم التذييل في الربط بين موضوعات النص القرآني أو موضوعات السورة القرآنية؟

يمكن أن نوضح هذا الأمر بالعودة إلى موضوعات سورة البقرة، وتحديدًا في إجمال ابن عاشور لها في مقدمة تفسيره إيها، فقد رأى أن السورة تنقسم إلى قسمين كبيرين في أغراضها وموضوعاتها؛ فقسم بين سمو الدين وفضله، وقسم من موضوعاتها يبين شرائع وأحكام هذا الدين، إلا أن السورة لا تشتمل فقط على هذين القسمين؛ ذلك أنه يجعل أواخر السورة قسما آخر مستقلا عن سابقه، والذي يشمل الدعاء الأخير في السورة، فهو بنية خطابية مستقلة ظاهريا، لكن ابن عاشور جعلها مرتبطة بالبنتين السابقتين، والمقصود بالبنية الأخيرة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 284] إلى آخر السورة حيث تشكل بنية مستقلة، إلا أن ابن عاشور قد ربطها دلاليا بالموضوعات السابقة فهي عبارة عن تذييل وفذلكة لما سبق، حيث يقول في ذلك: " وختمت السورة بالدعاء المتضمن خصائص الشريعة الإسلامية وذلك من جوامع الكلم، فكان هذا الختام تذييلا وفذلكة"<sup>4</sup>.

وبغض النظر عن مفهوم الختام أو الاختتام (cloture) الذي يعد من أهم خصائص النص، والذي أشار إليه ابن عاشور مبديا وعيا مبكرا بشروط النص، فإنه قد ربط بين هذه البنية وغيرها من بنى السورة دلاليا؛ فهذا

<sup>1</sup> بدوي طبانة: المرجع السابق، ص 234.

<sup>2</sup> إميل بديع يعقوب: المرجع السابق، ج 6، ص 498.

<sup>3</sup> ينظر: إتمام نوال عكاوي: المرجع السابق، ص 300.

<sup>4</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ص 205.

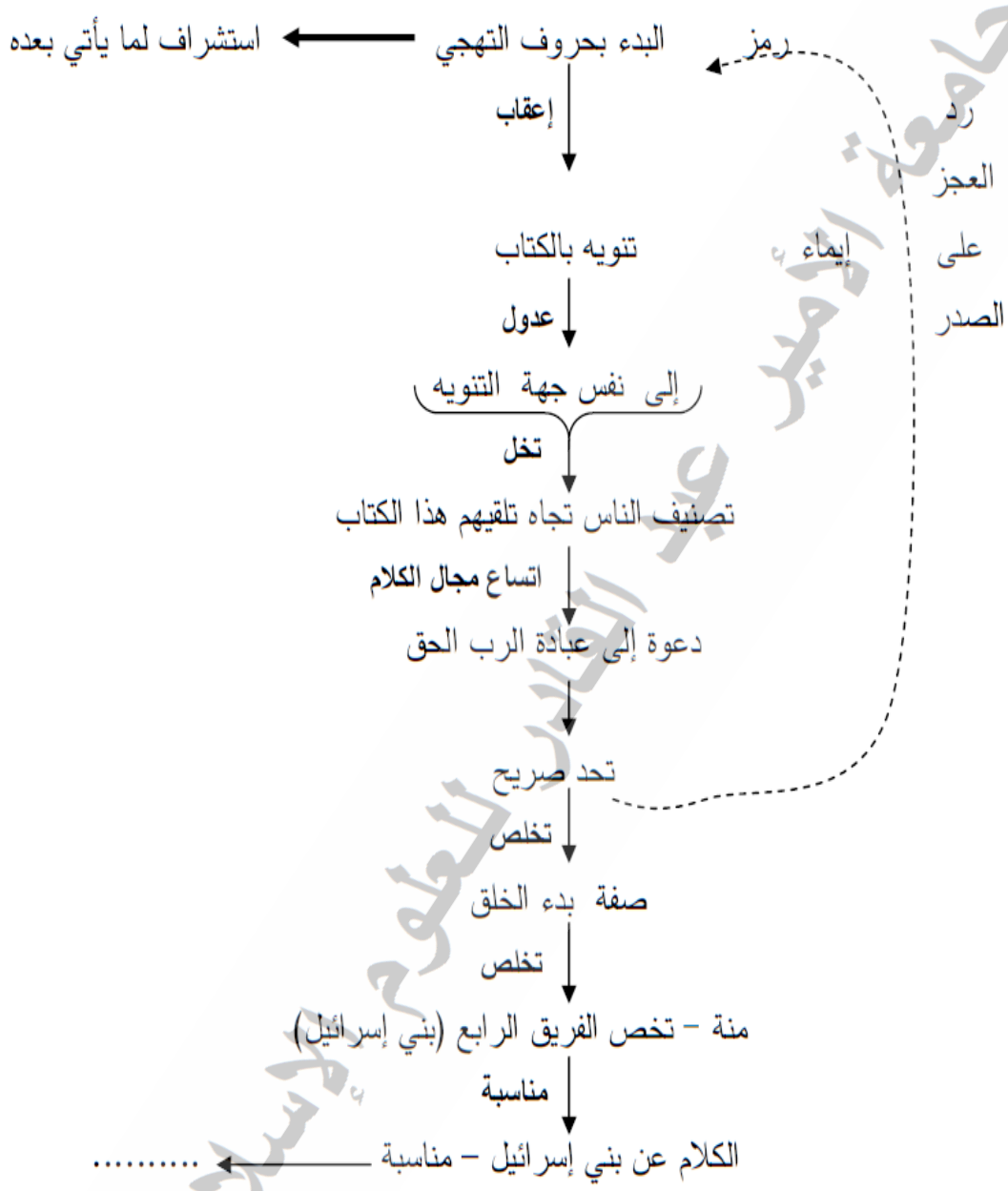
## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر (ابن عاشور)

المقطع مرتبط بما سبقه، فهو تذييل يؤكد ويقرر الموضوعات المطروقة سابقا، وحوصلة وفذلكة لها، ولذلك قال ابن عاشور: ختمها بقوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ تعظيما لنبيه (ﷺ) وأتباعه، وتأكيذا وفذلة لجميع المذكور من قبل يعني أن هذا انتقال من المواعظ والإرشاد والتشريع وما تخلل ذلك (...). إلى الثناء على رسوله والمؤمنين في إيمانهم بجميع ذلك خالصا (...). وهو انتقال مؤذن بانتهاء السورة؛ لأنه لما انتقل من أغراض متناسبة إلى غرض آخر هو كالحاصل والفذلكة، فقد أشعر بأنه قد استوفى كل تلك الأغراض<sup>1</sup>.

وبهذا يتضح لنا دور هذا المحسن البديعي في تحقيق التماسك بين البنيات النصية في السورة الواحدة، ويبين لنا من جهة الحس النصي والبلاغي للمفسر في عمله الضخم.

إذاً هذه بعض الآليات التي وظفها ابن عاشور في تبرير الانتقال الموضوعاتي الذي قد يوهم القارئ بوجود انقطاع دلالي في النص القرآني، وهو ما سعى ابن عاشور إلى نفيه من خلال هذه الآليات التي ذكرنا، وغيرها كثير على غرار المناسبة التي لم نشأ التفصيل فيها في هذا الموضوع لأننا خصصناها بفصل كامل لأهميتها البالغة في لحم أجزاء النص، ومن أجل تقديم صورة تقريبية لهذا الأمر يمكن أن نستأنس بالمخطط الذي توصل إليه الباحث "مفتاح بن عروس" في توضيح كيفية انتظام موضوعات السور القرآنية كما تصورها ابن عاشور وذلك من خلال سورة البقرة:

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج3، ص 132، 131.



المخطط رقم 14: يبين كيفية الانتقال بين موضوعات سورة البقرة

## الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في تحقيق الانسجام النصي عند محمد الطاهر ابن عاشور

إن البحث في آليات اجتماع موضوعات السورة القرآنية، أو اجتماع الآيات ضمن الموضوع الواحد عند ابن عاشور يكشف لنا عن جانب من منهجية المفسر في اهتمامه المطلق بإيجاد الروابط والصلات بين الآيات القرآنية والعلاقات الدلالية التي تجمع بينها " والذي تجدر الإشارة إليه أن المتتبع للطاهر ابن عاشور في تفسيره يكشف أن هاجس البحث العلاقات يصاحبه دائما وما الكلام في اللحظة المحكمة في نظم الكلام إلا تعبير صريح عن هذا الهاجس، بل ولا يخلو سياق في سورة البقرة من محاولة إيجاد علاقة تربطه بما يسبقه، ويستند هذا الربط إما إلى المعطى النحوي (البحث عن العلاقات النحوية بين الجمل) وإما إلى المعطى البلاغي بواسطة البحث عن العلاقات الدلالية بين الجمل"<sup>1</sup>.

إجمالا يمكن القول إن البحث في العلاقات الدلالية في السور القرآنية، أو البحث في موضوعات السورة وكيفيات انتظامها ما هو في الحقيقة إلا بحث في آليات الانسجام الدلالية في النص القرآني، ذلك أنها تقوم على بحث أشكال الترابط الكامنة في البنى السطحية والعميقة للنصوص، وقد وفق ابن عاشور أيما توفيق في ذلك، خاصة وأننا نلاحظ اعتماده المطلق على فنون البلاغة وخاصة البديع منها، وهو ما يمكن أن يؤسس لمبحث رصين في الدراسات النصية المعاصرة، ونعني به دور أشكال البديع في تحقيق الانسجام النصي بما تعكسه من علاقات دلالية في سطح النص وعمقه، وهذا ما فطن إليه ابن عاشور مبكرا ونبه له غير واحد من الدارسين المحدثين<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> مفتاح بن عروس: المرجع السابق، ص426.

<sup>2</sup> ينظر على سبيل المثال: جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية.

الحمد لله

جامعة الأزهر

الإسلامية

وفي ختام بحثنا في آليات الانسجام النصي في القرآن الكريم عند مُجَدِّ الطاهر ابن عاشور توصلنا إلى استخلاص النتائج الآتية:

- يؤكد البحث على أن الاتجاه النصي في الدراسات اللسانية اتجاه حديث نسبياً، قام على أنقاض الدراسات اللسانية التي قصرت اهتمامها على الجملة، وهو اتجاه سعى إلى الاهتمام بكافة المستويات التي تشكل بنية اللغة الإنسانية، من عناصر شكلية معجمية، وتركيبية ودلالية وتداولية، ووقف عند الأداء الإنساني الموسَّع (النص)، باعتباره وسيلة التعبير الحقيقية التي يعبر بها مستعمل اللغة، بعد أن كانت الاتجاهات السابقة تقصر اهتمامها على حدود الجملة، وبالتالي وقف هذا الاتجاه عند آليات إنتاج وفهم النصوص والخطابات، وبالتالي إعادة صياغة مفهوم القدرة عند الإنسان؛ من قدرة في إطار الجملة إلى قدرة في إطار النص، كما سعى هذا الاتجاه إلى إعادة صياغة شاملة لمفهوم النحو، يتميز بالكفاءة التفسيرية؛ أي القدرة على وصف كثير من ظواهر النص، وقضاياها.
- يؤكد البحث على أن انتقال الدراسة اللسانية الحديثة من مستوى الجملة إلى مستوى النص كان انسجاماً مع طبيعة اللغة البشرية التي تُؤدِّي في شكل نصوص، أي مطابقةً للواقع اللغوي، الذي أثبت أن المتكلم حين يتواصل إنما يستعمل في تواصله النصوص، لا الجمل المعزولة.
- غاب المفهوم الحديث للنص في الدراسات العربية القديمة، إلا أن هذا لم يمنعنا من بحث مايكافؤ هذا المصطلح في تراثنا؛ ذلك أن كثيراً من الدراسات العربية قد أثبتت أن الوعي بالنص كان حاضراً، كما تجلَّى عند كثير من النقاد كالجاحظ (ت255هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) والسكاكي (ت626هـ)، وحازم القرطاجني (ت684هـ) وكثير من المفسرين وعلماء القرآن، حيث تبرز مفاهيم: التماسك، وتلاحم الأجزاء، والنظم، والمناسبة. وغيرها كأدوات إجرائية مارس من خلالها علماؤنا الأوائل مفهوم النص.

• يعد مفهوم الانسجام النصي أحد المفاهيم المحورية والمركزية في النظرية النصية، وأحد دعائم النصية التي تعني كل ما يجعل من بنية لغوية ما نصًا، حيث يحتل الانسجام مركزا محوريا في معايير النصية، وهو مفهوم متشعب، شكّل حقلًا خصبا للبحث والدراسة، بما يفتحه أمام الدارس من بحث الآليات التي ينسجم بها النص ويتلاحم، وقد تعددت المقاربات المنصبة على هذا المفهوم، إلا أنه يشير في أبسط مفهوم له إلى تلك الآليات غير الشكلية التي تترابط بها أجزاء النص بعضها مع بعض، وهي آليات قد لا تتحقق على مستوى النص وحده، وإنما قد تتطلب مساهمة فعالة من لدن القارئ أو المتلقي الذي يوظف معارفه المختلفة، وتجاربه السابقة، من أجل الحكم على بنية لغوية ما بكونها منسجمة أو غير منسجمة، وبهذا يكون الانسجام النصي عملية ذهنية أكثر من كونها عملية لسانية، تسعى إلى الإمساك بعلاقات النص الخفية، أي غير الشكلية، عبر مجموعة من العمليات العقلية والمنطقية التي يقوم بها مستقبل النص، وبالتالي يختلف مفهوم الانسجام عن مفهوم الاتساق، في كون هذا الأخير مقتصرًا فقط على الجوانب الشكلية البارزة التي تعمل على ربط جمل النص وعباراته، في حين يتعدى الانسجام هذا المستوى الشكلي/السطحي إلى مستويات عميقة غير شكلية، تتمثل في القبض على آليات اشتغال النصوص، والعلاقات التي تجمع بنياتها المختلفة، والآليات العقلية التي يوظفها متلقي النص، وعلاقة النص بالمتلقي، وغيرها من الآليات التي تنصهر فيما بينها لتقدم لنا مفهوم الانسجام باعتباره آلية من آليات تحقق النصية.

• اعتنت الاتجاهات اللسانية الحديثة بمبحث الانسجام النصي، وهي عناية تبرز كثيرا مع فان دايك (Van Dijk) الذي تزعم اتجاه لسانيات الخطاب، وبراون ويول (G. Brown. G. Yule) اللذان تزعمتا اتجاه تحليل الخطاب، أما الاتجاه الوصفي الشكلي فلم يعن كثيرا بهذا المبحث، نظرا لطبيعة منهجيته القائمة على استقصاء الوسائل الشكلية المتحكمة في ترابط النص، والتي يمكن تصنيفها ضمن أدوات اتساقه، وبالتالي لم يتعمق هذا الاتجاه في بحث وسائل الانسجام

وآلياته، باعتباره مفهوماً يقوم على آليات ضمن البنية العميقة للنصوص، وهي الآليات التي ركز عليها كل من فان دايك (Van Dijk) وبراون ويول (G. Brown. G. Yule)، وقد لاحظنا أنها آليات تتفرع إلى قسمين:

✓ آليات دلالية: وتشمل مختلف العلاقات الدلالية التي تجمع البنيات النصية في المستوى العميق للنص، وتجمع بنياته.

✓ آليات تداولية: تسعى إلى إقحام عناصر خارج البنية النصية في سبيل تقديم تفسير أمثل للانسجام النصي مثل عناصر السياق، ودور المتلقي وغيرها، هذا الأخير يعد أهم عنصر ركز عليه براون ويول (G. Brown. G. Yule)، حيث جعله محور الانسجام، إذ هو الذي يحكم على نص ما إن كان منسجماً أم لا؛ إذ إن النص لا يملك في ذاته مقومات الانسجام، وإنما يصنعها المتلقي بعملياته الذهنية والتأويلية، واستناداً لخبراته السابقة في تلقي النصوص.

● اهتم البلاغيون والنقاد بالآليات التي تعمل على ترابط النصوص وتماسكها، وقد نتج عن هذا الاهتمام كثير من الآليات التي أفرزتها أعمالهم، والتي تبلورت في مفاهيم متنوعة على غرار الالتحام والنظم والتماسك، وغيرها من المفاهيم التي يمكن عدّها آليات للانسجام النصي في تراثنا، حيث تشير هذه المفاهيم إلى تلك المحاولات العربية الأولى لبناء تصوّر عربي خالص لكيفيات اشتغال النصوص، وكيفيات بنائها، وبالتالي انسجامها، ولا يمكن للباحث في هذا الموضوع اليوم أن يغفل مثل هذه المباحث إذا رام التنقيب في مظهرات الوعي النصي في التراث العربي.

● احتل النص القرآني مساحة مهمة من البحث في الثقافة العربية، وقد كان الاهتمام به متعددًا من زوايا مختلفة ومتنوعة، حيث أفرزت مدونة التفسير وعلوم القرآن كثيرًا من المفاهيم التي يمكن الاستئناس بها أيضًا في سبيل بناء نظرية عربية خالصة في انسجام النصوص، خاصة وأن هذه المدونة



قد جعلت النصّ القرآني موضوعاً لها، وبالتالي هيمنت عليها النظرة الكلية الشاملة، عكس ما شاع عند البلاغيين والنحاة والنقاد من اقتصارهم على البنيات الجزئية ممثلة في البيت أو البيتين، أو المقاطع، في حين اتخذت مدونة التفسير وعلوم القرآن النصّ القرآني كبنية كلية موضوعاً لها، وهذا ما أفرز لدينا منظومة من المفاهيم التي يمكنها أن تنازع كثيراً من المفاهيم اللسانية المعاصرة، ويأتي على رأسها المناسبات بين الآيات والسور، باعتبارها مفهوماً إجرائياً وظّفه المفسرون لإثبات أوجه الصلات المعنوية بين الآيات القرآنية، خاصة في تلك المواضع التي قد يغيب فيها الرابط الشكلي، فيوهم هذا الغياب القارئ بوجود انقطاع دلالي في النصّ القرآني، فيأتي هذا المفهوم في سبيل إثبات الترابط والتلاحم بين أجزاء النصّ القرآني، فعُدّ هذا الإجراء شكلاً مبكراً من الوعي النصّي في هذه المدونة من جهة، وآلية من آليات تحقيق الانسجام من جهة أخرى، كما تقف مباحث أسباب النزول والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ والوجوه والنظائر وغيرها دعامة أساسية في بناء نظرية عربية للنص، وتعزيزاً للصلة التي أقامها المفسرون وعلماء القرآن بين النصّ وسياقه، في سبيل الحكم عليه بالانسجام، ولم يتوقف المفسرون عند هذا الحدّ، بل اهتموا ببعض المباحث الدلالية؛ كموضوع الخطاب والعلاقات الدلالية وأشكال العلاقة بين أسماء السور والمحتويات والمقاصد، وغيرها من المباحث التي نجد لها صدى في الأبحاث اللسانية المعاصرة التي انصبّت على بحث الانسجام النصّي، وآليات بناء النصوص، وبالتالي أمكننا الاطمئنان إلى كثير من هذه المفاهيم، والمحاولات العربية في سبيل بناء نظرية للنصّ العربي.

- بنى ابن عاشور تصوّره للانسجام النصّي في القرآن الكريم على دعائم أساسية، تمثلت في بحثه الدائم عن أشكال العلاقات بين الآيات القرآنية بعضها مع بعض، وأشكال العلاقة التي تقيمها البنية النصّية القرآنية من أبسط مستوى فيها إلى أعقده، مع محيطها اللغوي وغير اللغوي، وأقام تصوّره للنصّ القرآني عبر تقسيمه إلى موضوعات وبنيات كبرى، وربط بين الموضوعات، وسعى إلى تبرير

الانتقالات المفاجئة من موضوع إلى آخر، وغيرها من الإجراءات التي وقفنا عليها في متن هذا البحث، وقد ربط كل هذا الجهد بما توفر لديه من علوم لغوية؛ من قواعد للنحو، وفنون للبلاغة، إذ يبدو انصهار كل هذه الأمور في سياق واحد، عاملاً مساعداً على تقديم رؤية واضحة لتصور ابن عاشور للانسجام النصّي في النصّ القرآني. وإن شئنا تلخيص هذا كله قلنا: إن ابن عاشور قد بنى تصوّره للانسجام النصّي على الإمساك بالعلاقة الجامعة بين بنيات النصّ القرآني، وإيجاد العلاقة - أيا كان نوعها - هو في الحقيقة تعبير عن الانسجام والترابط في النصّ القرآني.

• تعد المناسبة النصّية أول إجراء عملي حاول من خلاله ابن عاشور البرهنة على تلاحم النصّ القرآني وانسجامه، وذلك باعتبار هذه الأخيرة آلية دلالية يمكنها أن تقارع أحدث المفاهيم النصّية الحديثة، فهي وسيلة من الوسائل التي اعتمدها المفسرون لإثبات التلاحم بين آيات الذكر الحكيم، خاصة في تلك المواضع التي تخفى فيها الصلات الشكلية، والروابط الظاهرة بين الآيات، فاستعان المفسرون بهذا المبحث اللطيف في محاولة لإثبات الصلة الدلالية بين الآيات القرآنية، وقد كان لابن عاشور عناية بالغة بما، وقد عبّر عن ذلك في مقدمة تفسيره، فتراه يسعى في كل آية إلى إبراز وجه ارتباطها بما سبقها من الآيات، ومبيّنا وجه العلاقة بينها وبين غيرها، وهذا من غير تكلف ولا مغالاة في طلبها، انسجاماً مع المبدأ الذي سطره في مقدماته النظرية؛ من أنه لن يهتم إلا بما يظهر منها، إيماناً منه بأنه لا يمكن أن يُطلب لكل آية الذكر الحكيم مناسبة، لأن القرآن الكريم نصّ موعظة وتشريع، وبالتالي يختلف عن غيره من النصوص، فلا يجب أن نرهق أنفسنا في تتبع المناسبات فيه، وأن نكتفي بما ظهر منها، نظراً لطبيعة النصّ القرآني، إلا أنه مع هذا بذل جهداً جباراً في تتبع المناسبات، وسخر طاقاته المعرفية في سبيل إيجاد الصلات الدلالية بين الآيات القرآنية، وقد لاحظنا أنه اعتنى بأنواع كثيرة من المناسبات في نصّه، لكنه أولى عناية قصوى للمناسبة النصّية أكثر من غيرها، أي مناسبة ترتيب الآيات، لأنها ألطف أنواع المناسبات، وأكثرها أهمية، وتحتاج من المفسر أن

يستعين بكثير من الأدوات الإجرائية في سبيل اكتشافها وتحديدتها، خاصة إذا علمنا أن مسألة ترتيب الآيات القرآنية توفيقية بالأساس، وإذا علمنا أيضا اختلاف ترتيب الآيات: بين ترتيب النزول وترتيب التلاوة، واختلاف وقائع الآيات المتجاورة، مما يتطلب من الباحث حذرا مضاعفا في البحث عن وجه ارتباطها وسر ترتيبها وعلاقتها بما جاورها من الآيات، وقد استعان في تحديدها بأشكال السياق، واتحاد أسباب النزول، علاقات النظير والتضاد والإجمال وغيرها.

- لم تتوقف عناية ابن عاشور فقط عند هذا النوع من المناسبة النصية أي مناسبة ترتيب الآيات، بل اعتنى بأنواع أخرى، على غرار مناسبة اسم السورة لمحتواها ومقاصدها، وهو ما يعد سبقا إجرائيا عنده، ذلك أن هذا الاهتمام يتقاطع مع مفهوم لساني حديث، سَطَّر في إطار النظرية النصية الحديثة وهو مفهوم "التغريض"، الذي يقوم على ضرورة إيجاد نوع من العلاقة بين العنوان والمحتوى، وقد وقف ابن عاشور مطولا مع هذا النوع من المناسبة، فحاول في كل مرة إيجاد العلاقة بين عنوان السورة واسمها وبين مقاصدها ومواضيعها ومحتوياتها، ويضاف إلى كل هذا أنواع أخرى من المناسبة النصية على غرار مناسبة فاتحة السورة لخاتمها، والمناسبة بين معاني الآية الواحدة وغيرها.
- كانت لابن عاشور عناية أيضا بأشكال أخرى للمناسبة على غرار المناسبة المعجمية والصرفية والتركيبية، وهي في مجملها تقوم على ربط البنية النصية بسياق ورودها، وبحث مدى التلاؤم بينهما؛ أي بين البنية والسياق، فوقف عند المناسبة المعجمية باعتبارها بحثا في أشكال ملائمة الاختيارات المعجمية لسياقات ورودها، فخلص إلى استحالة تعويض الاختيارات المعجمية في النص القرآني بما يرادفها، وقد وقفنا عند مناسبة اختيار الأسماء، والأفعال والحروف، وبيننا من خلال ممارسة ابن عاشور أن الاختيارات المعجمية مبنية على المناسبة والملاءمة مع سياقها، ونفس الأمر مع المناسبة الصرفية؛ إذ بحثنا عن أشكال التلاؤم بين البنية الصرفية للمفردة القرآنية وبين السياقات التي وردت فيها، وقد تجلّى لدينا أن ابن عاشور قد اهتم بهذا الجانب اهتماما بالغا فوقف عند لطائف التعريف

والتنكير، والإفراد والتنثنية والجمع وغيرها من المباحث الصرفية، ويبيّن أن هذه الاختيارات مبنية على مبدأ الانسجام والتلاؤم بين البنية والسياق، أما المناسبة التركيبية فقد توقف فيها ابن عاشور على الاختيارات التركيبية من تقديم وتأخير وحذف وغيرها موضّحا وجه التلاؤم بينها وبين سياق ورودها، وهو في كل هذا يبني رؤيته على ربط البنية النصية بالسياق كما لاحظنا في متن البحث.

- بنى ابن عاشور تفسيره على هاجس البحث عن العلاقات، أي العلاقات الدلالية التي تجمع الآيات القرآنية بعضها مع بعض، فقد وقفنا عند محطات عديدة يحاول فيها إيجاد العلاقة بين الآية والآية والمواضيع بعضها مع بعض، خاصة في تلك المواضع التي قد يبدو فيها نوع من الانقطاع الدلالي بين الآيات القرآنية، إلا أن نهم ابن عاشور بالعلاقات جعله لا يسلم بالانتقال المفاجئ من موضوع إلى آخر ومن آية إلى أخرى، فسخر طاقاته التفسيرية لإيجاد أشكال العلاقات الدلالية بين الآيات وقد وقفنا عند بعضها على غرار: الإجمال والتفصيل، البيان والتفسير، التضاد، التعليل الاستطراد وغيرها من العلاقات التي لم يسعنا حيز البحث لذكرها، وهي في مجملها تعبر عن شكل من أشكال الاستمرارية الدلالية في النص القرآني.

- اهتم ابن عاشور أيضا بموضوع الخطاب وإن لم يستعمل نفس التسمية، لكن ممارسته تكشف أنه أجرى نفس المفهوم الذي استقر عند فان دايك (Van Dijk)، فبحث من خلال أغراض السور البنيات الكبرى للسورة القرآنية، وبحث كيفيات انتظامها والعلاقات الدلالية التي تربط بينها، وبيّن كيفيات الانتقال من موضوع إلى آخر، ومن بنية نصية إلى أخرى، وقد تبدى لنا كيف تنبه ابن عاشور إلى دور الآليات البديعية في تبرير الانتقال السلس من موضوع إلى آخر، خاصة حسن التخلص، ورد العجز على الصدر، والطباق والمقابلة، مما يفتح المجال واسعا أمام الدارسين إلى التعمق في بحث أدوار المحسنات البديعية في انسجام النصوص وترابطها.

وعليه يمكن القول: لقد بنى ابن عاشور تصوره لانسجام النص القرآني على بحث أشكال الصلة بين الآيات والموضوعات القرآنية، وهو الاهتمام الذي أدى به إلى الاهتمام بأشكال المناسبة بين الآيات القرآنية، وبحث مدى ملاءمة أسماء السور لمضامينها، وفواتحها لخواتيمها، وهو نفس الهم المنهجي الذي قاده إلى بحث أشكال العلاقات الدلالية بين الآيات والموضوعات، وهو بهذا يبدو واعيا بكيفيات بناء النص القرآني، وعاداته في ترتيب موضوعاته، وبديع انتقالاته واستطراداته، وواع بأن النص القرآني لا يمكن مقارنته إلا بربطه بنياته الإنجازية والجغرافية والتاريخية، وإن تفاعل هذه العناصر يمكن أن يعطينا صورة واضحة عن الآليات التي برهن بها ابن عاشور عن انسجام النص القرآني . ويمكن أن نشير أخيرا إلى أن البحث في جهود ابن عاشور لا يزال يفتح أفقا واسعة للباحثين المهتمين بمحاولة الربط بين المدونة التفسيرية، ومنجزات الدرس اللساني الحديث والمعاصر، وإننا في هذا المقام نلفت عناية القارئ إلى جانب من هذا نرى ابن عاشور قد أولاه بالغ الأهمية في تفسيره، ألا وهو دور أشكال البديع في تحقيق انسجام النص القرآني.

والله ولي التوفيق



المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1997.
- في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، الأردن، ط2، 2009.
- 2- إبراهيم مُجَّد علان: البديع في القرآن، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط1، 2002.
- 3- إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في شواهد العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.
- 4- إنعام نوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1996.
- 5- الآمدي علي بن مُجَّد: الإحكام في أصول الأحكام، تح: سيد الحميلي، دار الكتاب العربي، بيروت ط2، 1986.
- 6- ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، مصر، ط2، دت.
- 7- الأندلسي أبو حيان: تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي مُجَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.
- 8- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981.
- 9- ابن أبي الأصبغ المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حنفي محمود شرف، مطابع شركة الإعلانات المصرية، القاهرة، دط، 1997.
- 10- أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن: دراسة في النظم المعنوي والصوتي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، دط، 1992.
- 11- أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف، المغرب، ط1، 2010.
- اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط. المغرب، دط، 1989م.

- الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، دط، 2003م.
- 12- أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001.
- 13- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب الحديث، القاهرة، ط5، 1998.
- معجم العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008.
- 14- أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط3، 1993.
- 15- أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2015.
- 16- أحمد ياسوف: جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق، ط2، 1999م.
- 17- الأزهر الزناد: نسيج النص : بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1993.
- 18- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تع: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت-باريس: 2001.
- 19- باتريك شارودو، دومينيك منغونو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، دط، 2008.
- 20- بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، دار المنارة، دار الرفاعي، السعودية، ط3، 1988.
- 21- البقاعي برهان الدين: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة دط، 1984.
- 22- بهية بلعربي: الانسجام النصي في التعبير الكتابي - دراسة في اللسانيات النصية، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013.
- 23- تمام حسان: اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2001.
- 24- التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996.



- 25- ج.ب براون، ج. يول: تحليل الخطاب، تر: مُجَدُّ لطفِي الزليطي، منير التريكي، منشورات جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، دط، 1997.
- 26- جابر عصفور: آفاق العصر، دار الهدى للثقافة والنشر، سوريا، ط1، 1997.
- 27- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1968.
- 28- جاك موشلر، أن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عز الدين المجذوب، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010.
- 29- جمال بندحمان: الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري الشعب والانسجام، منشورات top Edittion، الدار البيضاء، ط1، 2009.
- 30- جمال محمود أبو حسان: تفسير التحرير والتنوير للعلامة مُجَدُّ الطاهر ابن عاشور دراسة منهجية ونقدية، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، د ط، د ت.
- 31- جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1998م.
- 32- ابن جنيّ أبو الفتح عثمان: الخصائص، تح: مُجَدُّ علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، دت.
- 33- جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، المغرب، ط2، د ت.
- 34- جون ماري سشايفر: النص، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2004.
- 35- الجوهري إسماعيل بن حماد: كتاب الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987.
- 36- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: مُجَدُّ الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981.

- 37- حسام أحمد فرج: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009م.
- 38- حسام بهنساوي: التوليد الدلالي، دراسة في المادة اللغوية في كتاب شجر الدر لأبي الطيب اللغوي في ضوء نظرية العلاقات الدلالية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2003.
- 39- حسان بن ثابت: ديوان حسان بن ثابت، تح: عبدأ علي نهما، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994.
- 40- حياة مختار أم السعد، تداولية الخطاب الروائي، من انسجام الملفوظ على انسجام التلفظ، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2015.
- 41- خالد حميد صبري: اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015.
- 42- خلود العموش: الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2008.
- 43- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009م.
- 44- خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر ط2، 2000م.
- 45- دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: مُجَّد يحياتن، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 2008.
- 46- الرازي أبو عبد الله بن مُجَّد بن عمر بن الحسن: المحصول في علم أصول الفقه، تح: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1992.
- مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1990.

- 47- رانيا فوزي عيسى: علم اللغة النصي، رسائل الجاحظ أنموذجا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2014.
- 48- رشيد الإدريسي: سيمياء التأويل، الحريري بين العبارة والإشارة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000.
- 49- رشيد بركان: آليات ترابط النص القرآني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2015.
- 50- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998.
- 51- الزركشي بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، تح: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، مصر، دط، دت.
- 52- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار صادر، بيروت، ط3، 1977.
- 53- زهير بن أبي سلمى : ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988.
- 54- السجلماسي أبو القاسم: المنزِع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح: علاء الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1980.
- 55- أبو السعود مُجَّد بن مُجَّد بن مصطفى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، لبنان، دط، دت.
- 56- سعيد حسن بحيري: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، مصر، ط1، 1997.
- 57- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2001.
- 58- السيوطي جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، دط، دت.

- تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986.
- 59- السكاكي يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم، لبنان: ضبط: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1987 .
- 60- سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب (كتاب سيبويه)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.
- 61- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 2003.
- 62- الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، 2004.
- 63- شكر محمود عبد الله: الفصل والوصل في القرآن الكريم، دار دجلة، الأردن، ط1، 2001.
- 64- الشوكاني بدر الدين: فتح القدير، تح: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2007.
- 65- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. دراسة تطبيقية على السور المكية، دار غريب، القاهرة، ط1، 2000.
- 66- صلاح عبادة: جماليات الترتيب في النص القرآني، مكتبة الآداب، القاهرة ط1، 2015.
- 67- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1992.
- 68- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998.
- 69- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000.
- 70- عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية، دار المعارف، مصر ط3، 2004.

- 71- عبد الحميد العلمي: مسالك الدلالة بين اللغويين والأصوليين، مطبعة أتفو برينت، فاس، ط1، 2000م.
- 72- عبد الرحمن بودرع: الخطاب القرآني ومناهج التأويل، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، ط1، 2013.
- 73- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1997.
- 74- عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2009.
- 75- عبد العظيم المصطفى: خصائص التعبير القرآني وسمياته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1992.
- 76- عبد الفتاح لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1999.
- 77- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمود مُجَّد شاکر، دار المدني، جدة، دط، دت.
- دلائل الإعجاز، تعليق: محمود مُجَّد شاکر، مطبعة المدني، القاهرة، دط، دت.
- 78- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2001.
- 79- عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتخليص المفتاح، مكتبة الآداب، القاهرة، ط17، 2006.
- 80- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، ط1. بيروت: 2004، دار الكتاب الجديدة المتحدة.
- 81- عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، دار القلم، مصر، ط20، 1986.
- 82- عثمان أبو زنيد: نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.
- 83- العز بن عبد السلام: كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، تح: مُجَّد بن الحسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1985.

- 84- عزة الشبل : علم لغة النص، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009.
- 85- أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تح: مُجَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، دط، دت.
- كتاب الصناعتين، تح: علي مُجَّد البجاوي، مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1952.
- 86- العلوي المؤيد: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1993.
- 87- علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000.
- 88- علي صدر الدين بن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، العراق، ط1، 1968.
- 89- عمر مُجَّد أبو خرمة: نحو النص، نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004.
- 90- ابن فارس أبو الحسن أحمد: الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.
- مقاييس اللغة، تح: عبد السلام مُجَّد هارون، دار الفكر دمشق، دط، 1979.
- 91- فان دايك: النص بنى ووظائف، مدخل أولي إلى علم النص، ضمن كتاب: العلاماتية وعلم النص، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2004.
- نظرية الأدب في القرن العشرين، تر: مُجَّد العمري، الدار البيضاء، دط، 1996.
- النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، دط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء: 2000، أفريقيا الشرق.
- علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب ، مصر، ط1، 2001.

- 92- فتحي رزق الخوالدة: تحليل الخطاب الشعري: ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكبا، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006.
- 93- فتيحة بوسنة: انسجام الخطاب في مقامات جلال الدين السيوطي مقارنة تداولية، دار الأمل، منشورات مخبر تحليل الخطاب، الجزائر، دط، 2012.
- 94- الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد: معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي، مُجَّد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1، دت.
- 95- فكري مُجَّد الجودي: جمالية الخطاب في النص القرآني- قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014.
- 96- القزويني جلال الدين: الإيضاح في علوم البلاغة، تح: مُجَّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3، دت.
- 97- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، تح: مُجَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1989.
- 98- الكفوي أبو البقاء: الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، إعداد: عدنان درويش، مُجَّد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998.
- 99- كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2005.
- 100- ليلي الأخيلية : ديوان ليلي الأخيلية، تح: خليل إبراهيم العطية، جليل العطية، وزارة الثقافة والإرشاد، سلسلة كتب التراث، بغداد دط، دت.
- 101- المتنبي: ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1983.
- 102- مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، دط، دت.

- 103- مُجَّد أحمد قاسم، محي الدين ديب: علوم البلاغة: البديع البيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2003.
- 104- مُجَّد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
- 105- مُجَّد الأمين: الفصل والوصل دراسة بلاغية في إعجاز القرآن، مطبعة آنفو، فاس، ط1، 2003.
- 106- مُجَّد الحيرش: النص وآليات الفهم في علوم القرآن دراسة في ضوء التأويلات المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2013.
- 107- مُجَّد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001.
- 108- مُجَّد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984.
- 109- مُجَّد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، دط، 2014.
- 110- مُجَّد بن عبد الجليل: المعنى والتفسير في التحرير والتنوير، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2015.
- 111- مُجَّد بن عمر بن سالم بازمول: علم المناسبات في السور والآيات، المكتبة المكية، مكة، ط1، 2002.
- 112- مُجَّد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2003.
- 113- مُجَّد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2006.
- 114- مُجَّد عبد الباسط عيد: النص والخطاب قراء في علوم القرآن، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دط، 2016.



- 115- مُجَّد عزام : النص الغائب، تجليات التناس في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001.
- 116- مُجَّد مُجَّد أبو موسى: خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، دار التضامن للطباعة، القاهرة، ط2، 1980.
- 117- مُجَّد مفتاح : دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1990.
- 118- مُجَّد هلال: ترتيب نزول القرآن، دار الياقوت للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009م.
- 119- مُجَّد ياسر خضر الدوري: حقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
- 120- مرعي بن يوسف الحنبلي: القول البديع في علم البديع، تح: مُجَّد بن علي الصامل، دار كنوز إشبيلية للتوزيع والنشر، السعودية، ط1، 2004.
- 121- مسعود بودوخة: السياق والدلالة، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2012.
- 122- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1984.
- 123- نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2014.
- 124- نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2009.
- 125- نعيمة سعدية: لسانيات النص والخطاب الشعري، دراسة في شعر مُجَّد الماغوط، دار الوسام العربي، بيروت، ط1، 2015.
- 126- نوال خلف: الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أنموذجا، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، د ط، 2012.
- 127- هادية السالمي: التناس في القرآن، دراسة سيميائية النص القرآني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004.

- 128- ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن الوعر، مُجَدَّ علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط6، 1985.
- 129- هنري بليث: البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: مُجَدَّ العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 1999.
- 130- يونس عبد مرزوك الجنابي: أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط1، 2004.

الرسائل الجامعية:

- 1- أحمد بن مُجَدَّ بن قاسم مذكور: المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، مذكرة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، 2008م.
- 2- جلال الدين السيوطي: نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار، تحقيق أحمد بن عبد الله بن علي الدرؤني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1424-1425هـ.
- 3- ربيعة بن مخلوف: الانسجام النصي في الرسالة الهزلية لابن زيدون، مذكرة ماجستير مرقونة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009/2008.
- 4- زايد فاطمة: الاتساق والانسجام في شعر رزاق محمود الحكيم دراسة في ديوان الأرق، أطروحة دكتوراه مرقونة، جامعة باتنة، 2013/2012.
- 5- زيتونة مسعود: التقابل في القرآن الكريم بين الجمالية والدلالية، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2017/2016.
- 6- سعد بولنوار: آليات تحليل الخطاب في أضواء البيان للشنقيطي: تحديد المفاهيم النظرية، أطروحة دكتوراه العلوم في اللغة والعربية وآدابها تخصص الأدب العربي ونقده، جامعة ورقلة، 2012/2011.
- 7- عبد الوهاب يحي المؤيد: انسجام النص القرآني - دراسة نصية من خلال تفسير ابن عاشور التونسي، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، جامعة الخرطوم، 2005.

- 8- عزوز خثيم، الانسجام في النص القرآني، أطروحة دكتوراه علوم في اللغة والأدب العربي، -جامعة باتنة 2018 / 2017.
- 9- عثمان بريجة: بلاغة النص بين حازم القرطاجني وجون كوهين، مذكرة ماجستير مرقونة، جامعة ورقلة، 2010/2009.
- 10- فضيلة عظيمي: التناسب السياقي ومستوياته في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، أطروحة دكتوراه علوم في اللغة العربية تخصص المعجمية وقضايا الدلالة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف، 2018/2017.
- 11- مراد مزعاش: المصطلح البلاغي في تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، أطروحة دكتوراه علوم في البلاغة العربية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2009/2008.
- 12- مشرف بن أحمد جمعان الزهراني: أثر الدلالات اللغوية في التفسير عن الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1427 / 1426هـ.
- 13- مفتاح بن عروس: الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه دولة في لسانيات النص، جامعة الجزائر، 2008 / 2007.
- 14- هاجر مدقن: الخطاب الحجاجي، أمثاله وأنواعه: دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، مذكرة ماجستير في الأدب العربي تخصص الأدب العربي ونقده، جامعة ورقلة، 2013-2012.
- 15- يحيى بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة في اللسانيات الوظيفية الحديثة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2005.

#### المجلات والمقالات:

- 1- بشير إبرير: "مفهوم النص في التراث اللساني العربي"، مجلة جامعة دمشق، ع: 01، 2007، مج: 23.

- 2- حمو الحاج ذهبية: "النص بين السياق والتلقي في الفكر الأدبي"، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث العلمي، كانون الأول، 2014.
- 3- سعد مصلوح: "نحو آجرومية للنص الشعري"، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جويلية 1991 المجلد 10، العدد: الأول والثاني.
- 4- سعدية بن سالم: "نحو الص وانسجام الخطاب قراءة تطبيقية على مجموعة إبراهيم الكوني أساطير الصحراء"، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الثقافة، تونس، ع235، 2012.
- 5- سعيد تومي: "المستوى النصي في الخطاب القرآني مقارنة اسلوبية لسورة الملك" مجلة دراسات أدبية مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ع15، أوت 2013.
- 6- الطيب العزالي قواوة: "الانسجام النصي وأدواته"، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 08، 2012.
- 7- عبد الرحمن بودرع: نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، كتاب الأمة، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ع154، ربيع الأول، 1434هـ، السنة 33.
- 8- عبد الكريم جمعان: "مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية" مجلة علامات، ج61، مج 16، ماي 2007.
- 9- علي زيتوتة مسعود: "الثنائيات الضدية في لغة النص الأدبي بين التوظيف الفني والذوق الجمالي"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، ع7، 2015.
- 10- فريدة بوساحة: "فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 30، ع04، ص263.
- 11- محمد شاکر ناصر الربيعي، أحمد جاسم مسلم الجنابي: "الأشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن"، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل ع14، أيلول 2014.

12- مريم بن عزوزي: "دلالات الحذف عند مُجَدِّ الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير سورة البقرة أنموذجا" مجلة جسور المعرفة، الشلف، جوان 2014.

13- ميلود مصطفى عاشور، إياد عبد الله: "فوضى تعريب مصطلحي ( Cohesion- Cohérence) في لسانيات النص وتحليل الخطاب"، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، العدد 10، أبريل 2016.

14- نسيم بوغزة: "الانسجام النصي في ضوء موضوع الخطاب"، مجلة الناص، جامعة جيجل، ع20، ديسمبر 2016.

#### الملتقيات والندوات:

1- إدريس مقبول: "التحليل التأويلي عند الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير"، المؤتمر الدولي حول الشيخ مُجَدِّ الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر المعاصر، رؤية معرفية منهجية، جامعة مُجَدِّ الخامس الرباط، 2-3 ماي 2009، تحرير: فتحي حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

2- عبد الله عبد الرحمن صالح: النظرية العامة للتربية، رؤية إسلامية، بحوث مؤتمر: نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، عمان: 1990، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ج3، 1411هـ.

# فروع الأركان الخمسة

جامعة الأزهر

عبد السلام

الإسلامية

السورة	الآية	رقمها	مواضعها في البحث
البقرة			
	﴿الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾	2-1	168-285-292-293
	﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾	04	253
	﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	05	253-212
	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	06	356-254
	﴿مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِينَ اسْتَفْتَدْنَا نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾	17	356-264
	﴿صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهَمَّ لَا يَرِجُعُونَ﴾	18	320
	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	21	404-249
	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	22	249
	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	23	411-278-249
	﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	24	278
	﴿وَيَتَّبِعِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتُمْ بِهٖ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	25	278
	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾	26	404
	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	30	405-215
	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	31	217
	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	39	405
	﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾	40	406-265
	﴿وَآمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْرَبُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ﴾	41	265
	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	45	263
	﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	47	345
	﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾	51	316

316	52	﴿ثُمَّ عَمَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
347	53	﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
347	54	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾
289	55	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾
348	56	﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
349-265	57	﴿وَوَدَّعْنَا عَلَيْكُمُ النِّعَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
350	58	﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَعْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَزِّدِ الْمُحْسِنِينَ﴾
350	60	﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾
351-255	61	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَحْلِهَا نُفُثًا بِهَا وَفُومًا وَعَدَسِيًّا وَبَصَلًا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾
256-255	62	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مِنَ آمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
291	69	﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاسَ ظَاهِرِينَ﴾
283	76	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
343-313	87	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾
343	88	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مِمَّا يُؤْمِنُونَ﴾
302	90	﴿يَسْمَأُ اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعْثًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنَ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾
280	91	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمُنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
264	92	﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾
278	100	﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

البقرة



245	103	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾	
245	104	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	
254	105	﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾	
252	109	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	
407	113	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾	
213	120	﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾	
300	129	﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	
265	136	﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾	البقرة
259-258	142	﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	
258	143	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	
377	144	﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾	
377	145	﴿وَلَئِنِ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾	
377-258	146	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	
377	148	﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	

299	151	﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾	
304	159	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾	
304	160	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	
291	164	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيَّنَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيحِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	
342	171	﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	
344-365	172	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	
344-365	173	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	
355-396	178	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	
311	180	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾	
365	183	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	
295-263	187	﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَابَسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَابَسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾	البقرة
295-262	188	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	
306-219	189	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنَ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	
355	190	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُفَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾	
355-365	191	﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ﴾	

		جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿	
354	193	﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	
394	197	﴿الْحُجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفْعَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾	
364	200	فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿	
364	201	﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	
364	204	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾	
366	206	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْيَهَادُ﴾	
382	213	﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	
376	215	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾	
322-302	212	﴿رُزِقَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	البقرة
374-313	228	﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	
275	237	﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	
275	238	﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾	
317	243	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾	
317-304	246	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا	

		قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾	
383	247	﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٤١﴾﴾	
331	255	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤٢﴾﴾	
341	257	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٣﴾﴾	
341	258	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾	البقرة
336	273	﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْثَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٤٥﴾﴾	
2310	281	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾	
آل عمران			
-338-297-268 410	2-1	﴿الْمِ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾﴾	
338	05	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢﴾﴾	
338	06	﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾	
250	09	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٤﴾﴾	
250	10	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿٥﴾﴾	
250	11	﴿كَذَابَ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾	
411-268	19	﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٧﴾﴾	
267-252	20	﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٨﴾﴾	آل عمران
252	21	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٩﴾﴾	

372	26	﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	
408	33	﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	
318	36	﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَالشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾	
342-252	69	﴿وَدَدْتُ طَافِقَةً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	
252	71	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	
251	75	﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِينَا لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	
266	77	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	
258	78	﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	
258	79	﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبِيَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾	
315	87	﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	
380	95	﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	
380	96	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾	
218-216	104	﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	آل عمران
361-360	106	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَدُوفُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	
361-360	107	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	
380	110	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	
407	153	﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَيْرِ لَكَيْلٍ تَخَزِنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	
407-312	154	﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَافِقَةً مِنْكُمْ وَطَافِقَةً قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ	

		﴿الصدور﴾
382	176	﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
النساء		
353-269-265	01	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾
247	07	﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾
300	09	﴿وَالْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾
313-277	11	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْاُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا يُورِثُهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾
277	12	﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾
247	15	﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾
247	19	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾
247	22	﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾
267	29	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾
246	34	﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ

النساء

		وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَصَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَتَّبِعُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٤٨﴾	النساء
379	48	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾	
337	116	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	
337	117	﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾	
261	171	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾	
260	174	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾	
260	175	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾	
المائدة			
-198-339-270-201	01	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾	
369	14	﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾	
255	23	﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْتُكُمُ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	
255	26	﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾	
255	27	﴿وَأَنْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	
255	28	﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾	
355	45	﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	المائدة
260	51	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	
371	54	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾	

		أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٠﴾	
312	70	﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٦﴾	
320	76	﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾	
260	80	﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨١﴾	
260	81	﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾	
260	82	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَن مِنْهُمْ قَسْبِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٧﴾	
247	87	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٨﴾	
247	88	﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٩٠﴾	
299	90	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾	المائدة
299	91	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩٤﴾	
339	94	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾	
340	100	﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْحَيِّثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْحَيِّثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٣﴾	
340	103	﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَجِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٢٠﴾	
292	120	﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠١﴾	
الأعام			
305-296	01	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٧﴾	
374	17	﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٨﴾	
292	68	﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَتَعَدَّ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠١﴾	الأعام



291	92	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾	
322	93	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾	
الأعراف			
288	129	﴿قَالُوا أَوِذِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾	الأعراف
286	189	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبِّهَا لَعْنًا لِئِنْ أَتَيْتَنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾	
الأنفال			
248	04	﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾	الأنفال
248-198	05	﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾	
يونس			
266	05	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	
182	24	﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	يونس
198	108	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾	
هود			
373	35	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾	هود
49-48	37	﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾	
180-137	105	﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾	
197	113	﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾	
يوسف			
196	85	﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذُكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾	يوسف
النحل			
372	81	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ	

		سَرَابِيلُ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلُ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿١٨١﴾	النحل
181	97	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	
الإسراء			
403	01	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	
404-403	02	﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾	
403	03	﴿ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾	الإسراء
314	07	﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾	
362	12	﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَبَتَّعُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَا تَفْصِيلًا﴾	
412	81	﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	
الكهف			
178	46	﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾	الكهف
مريم			
212	76	﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾	مريم
المؤمنون			
49-48	27	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾	المؤمنون
285	72	﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رِبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾	
الفرقان			
321	59	﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾	الفرقان
48	63	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾	
القصص			
201	17	﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾	القصص
ص			
48	20	﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ﴾	
47-48	23	﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَإِلَى نَعَجَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾	ص

الزمر		
203	75	﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِقِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
محمد		
262	03	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾
الحجرات		
239	11	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
الرحمن		
218	13	﴿فِي آيَاتِ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾
الحديد		
230-229	10	﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾
المجادلة		
222	02	﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَأِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾
الجمعة		
299	02	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾
الطلاق		
306	12	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾
النبأ		
309	21	﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾
309	22	﴿لِلظَّالِمِينَ مَا بَأْسًا﴾
309	31	﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾
309	32	﴿حَدَائِقٍ وَأَعْنَابًا﴾
309	34	﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾
309	35	﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾
الفيل		
202	05	﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾
قريش		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السلامة

جامعة الأزهرية  
السلامة الإسلامية

يسعى هذا البحث إلى تتبع آليات الانسجام في النص القرآني ، وقد اتخذنا له مدونة تفسيرية تمثلت في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور ، حيث حاولنا من خلالها بحث الآليات التي اكتشفها هذا الأخير في البرهنة على انسجام النص القرآني وترابط أجزائه، ونفي التفكك بين مفاهيمه وبنياته، وقد وقفنا من أجل ذلك عند مفاهيم مختلفة وظّفها هذا الأخير على غرار المناسبة التي بيّن من خلالها الترابط بين الآيات القرآنية، والتلاحم بين فواتيح السور وخواتيمها، والعلاقة بين أسماء السور ومضامينها ومقاصدها، و أوجه التلاؤم بين الاختيارات المعجمية والصرفية والتركيبية وبين سياقاتها المتعددة، كما تناولنا فيه مختلف العلاقات الدلالية التي اكتشفها ابن عاشور وبرر بها الصلات المتعددة بين الآيات القرآنية، وبين الموضوعات والبنىات المتعددة للسورة القرآنية، على غرار الإجمال والتفصيل، البيان والتفسير، التعليل...، وهي في مجملها تمثل مختلف الآليات التي بنى عليها ابن عاشور تصوره للانسجام النصّي.

وقد توصل البحث إلى أن مُجّد الطاهر ابن عاشور كان على وعي مبكر بكيفيات بناء النص القرآني، وعلى

دراية بالآليات التي تحقق انسجامه وترابط أجزائه.

## Résumé

La présente recherche tente d'étudier les mécanismes de cohérence dans le texte coranique. Nous nous sommes appuyé sur un corpus exégétique qui consiste en le livre « Tafsir Ettahrir Wa Ettanwir » de Mohamed Taher Ibn Achour. Au moyen de ce corpus, nous avons essayé d'explorer les mécanismes découverts par son auteur pour démontrer la cohérence du texte coranique et la cohésion entre ses parties, et pour réfuter la désintégration entre ses concepts et ses structures. Pour ce faire, nous avons nous sommes penché sur différents concepts utilisés par Ibn Achour, tels que: le concept de "el monassaba", à travers lequel il a montré la cohérence entre les versets du Coran, celui de « l'articulation » entre les versets d'introduction et d'épilogue de chaque sourate, celui de « la relation » entre les noms de sourates et leurs intentions ou objectifs, ainsi que la compatibilité entre les choix lexicaux, morphologiques et syntaxiques, d'une part, et leurs multiples contextes, d'autre part. Nous avons également traité de diverses relations sémantiques découvertes par Ibn Achour et justifiant selon lui les multiples liens entre les versets du Coran et entre les divers thèmes et structures du Coran, tels que l'ensemble et le détail, l'explicitation, l'interprétation et l'explication .... Le tout constituant l'ensemble des mécanismes sur lesquels Ibn Achour s'est appuyé pour construire sa conception de la cohérence textuelle.

La recherche a révélé que Mohammed Taher Ibn Achour était conscient des méthodes de construire le texte coranique et connaissait bien les mécanismes qui assurent la cohérence et la relation de ses parties.

## Summary

This research aims at studying the mechanisms of coherence in the Koranic text. We have relied on an exegetical corpus consisting of the book "Tafsir Ettahrir Wa Ettanwir" by Mohamed Taher Ibn Achour. Using this corpus, we have tried to explore the mechanisms discovered by its author to demonstrate the coherence of the Koranic text and the cohesion between its parts, and to refute the disintegration between its concepts and structures. To do this, we have looked at different concepts used by Ibn Achour, such as the concept of appropriateness through which he showed the coherence between the verses of the Quran, the connection between the introductory and concluding verses of each sura, the relationship between the suras names and their contents and objectives, as well as the compatibility between lexical, morphological and syntactic choices on the one hand, and their multiple contexts on the other hand. We have also discussed the various semantic relationships discovered by Ibn Achour which justify according to him the multiple links between the verses of the Quran and between the various themes and structures of the Quran, such as the generalization and specialization, explanation and interpretation, justifying, etc. which constitute the set of mechanisms on which Ibn Achour based his conception of textual coherence.

The research revealed that Mohammed Taher Ibn Achour was aware of the methods of constructing the Koranic text and was well aware of the mechanisms that ensure the coherence and relationship of its parts.



# فروع الإسلام

جامعة الأزهر

الإسلامية

الصفحة	المحتويات
أ-ز	مقدمة.....
84-12	الفصل الأول: لسانيات النص الأصول والمفاهيم.....
14	المبحث الأول: كرونولوجيا الدراسات اللسانية الحديثة.....
20	المبحث الثاني: من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص.....
32	المبحث الثالث: المفاهيم الأساسية للنظرية النصية.....
156-85	الفصل الثاني: الانسجام النصي في الدراسات اللسانية الحديثة.....
87	المبحث الأول: الانسجام النصي من المنظور الوصفي.....
102	المبحث الثاني: الانسجام النصي من منظور لسانيات الخطاب.....
135	المبحث الثالث: الانسجام النصي من منظور تحليل الخطاب.....
241-157	الفصل الثالث: الانسجام النصي في دراسات العربية.....
160	المبحث الأول: الانسجام النصي عند البلاغيين والنقاد.....
191	المبحث الثاني: الانسجام النصي عند المفسرين وعلماء القرآن.....
324-242	الفصل الرابع: المناسبة ودورها في تحقيق الانسجام النصي في القرآن الكريم عند محمد الطاهر ابن عاشور
244	المبحث الأول: المناسبة النصية.....
281	المبحث الثاني: المناسبة المعجمية.....
301	المبحث الثالث: المناسبة الصرفية.....
308	المبحث الرابع: المناسبة التركيبية.....
415-325	الفصل الخامس: دور العلاقات الدلالية وموضوع الخطاب في انسجام النص القرآني عند محمد الطاهر ابن عاشور
327	المبحث الأول: العلاقات الدلالية.....
385	المبحث الثاني: موضوع الخطاب.....
424-416	الخاتمة.....
440-425	قائمة المصادر والمراجع.....
455-441	فهرس الآيات القرآنية.....

460-456	..... الملخصات
463-461	..... فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Prince Abdelkader University of Islamic Sciences- Constantine

Faculty of Arts and Islamic Civilization

department of Arabic language



Serial Number .....

Registration number.....

**Mechanisms of textual coherence in the Koran by Taher Ibn Ashour**

**Study in the interpretation of the first quarter of the Koran**

Thesis submitted to obtain a scientific PhD in Linguistics. specialization: Linguistics

Elaborated by the student

Ahmed Bermad

Supervised by Professor

Abd Ennacer Ben Tannach

**Members of the discussion committee**

Name and surnames	function	Scientific rank	Original University
Pr/ Dahbia Bourouis	Chairman	Professor	Prince Abdelkader University- constantine
Pr/Abd Ennacer Ben Tannach	Supervisor and reporter	Professor	Prince Abdelkader University- constantine
Pr/ Zinedddine Ben Motssa	Member	Professor	Prince Abdelkader University- constantine
Pr/ Abdelhamid Boukabaache	Member	Professor	Mohammed Seddik Ben Yahia Universty - jijel
Pr/ Salah khadiche	Member	Professor	Abbas Laghrour University- khanchla
D/ rachid felkawi	Member	Teacher lecturer A	High school teachers - constantine

The University Year: 1440-1441h- 2019-2020